

تأليف

تجارت الحارثية وملكياتها

وهو يشتمل على نبذات ثلاث في

نواحي نجد

ومحمد بن عبد الوهاب والوقاية

وآل سعود منذ نشأتهم الى عهد استيلاء محمد بن الرشيد على نجد



عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملكياتها

تأليف

امين الريحاني

الطبعة الاولى

المطبعة العلمية ليوسف صادر - بيروت
١٩٢٨

يُحَقَّقُ الطَّبْعُ وَالتَّرْجِمَةُ بِمَحْفُوظَةِ الْمُؤَلِّفِ



الملك عبد العزيز

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

خرج من الكويت غازياً في شتاء ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م)

وبويع في السنة التالية في الرياض على ان يكون امام الوهايبة وامير نجد

وفي صيف ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) عقد مؤتمر في الرياض ، حضره علماء نجد ورؤساء القبائل ، فنودي بالامير عبد العزيز سلطاناً على نجد وملحقاته

وفي ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ (١٥ يناير ١٩٢٦) بويع في مكة ملكاً على الحجاز

وفي ٢٥ رجب ١٣٤٥ (١٩ يناير ١٩٢٧) نادى به اهل نجد ، في اجتماع عقد في الرياض ، ملكاً على نجد وملحقاته

تقررة الكتاب

صاحب الجلالة الملك عبد العزيز المعظم

ياطوبل العمر

منذ عهد الخليفة عمر حتى بداية عهدكم السعودي لم يسعد العرب
 بمن يجمع شملهم ، وبوحد كلمتهم ، ويعزز شؤونهم ، فيجعلها تحت
 السيادة التي فيها الخير الاكبر للجميع اي السيادة العربية الواحدة .
 كان في بني امية معاوية ، وفي بني العباس المأمون ، وفي
 الايوبيين صلاح الدين . ثلاثة من عظام العرب ، بل من عظام الرجال
 في التاريخ العام . ولكنهم وان وصلوا الى ذرى الجهد ورفعوا اعلام
 العرب في اقاصي البلدان ، فلم يتمكنوا من بسط سيادتهم على شبه
 الجزيرة كلها . ولا كان يهتم العنصر الاكبر فيها ، اي البدو ، الا
 كخطب للحروب .

ما استطاع الامويون ان يوفقوا حتى بين القيسية واليمانية في
 التام . ولا استطاع العباسيون ان يبسطوا نفوذهم حتى على عشائر
 الاحساء . وما فكر صلاح الدين ، على ما يظهر ، في تحسين حال
 البدو ونزع العداوات المتأصلة بينهم .

ولت الالف والثلاثمائة سنة وهؤلاء العرب لا يزالون كما كانوا .

• ما غير الزمان شيئاً في احوالهم المدنية او بالحري البدوية ، ولا عمل فيهم عامل من عوامل التطور الاجتماعي .

الف وثلاثمئة سنة ! ثم كُتِبَ لهم بعمَر ثانٍ ، بُعث اليهم بعبد العزيز ابن سعود ليجمع شملهم ، ويوحد مقاصدهم ، ويعزز جانبهم ، ويؤسس ملكاً عربياً هو منهم ، وهو فيهم ، وهو لهم .

ياطوِّبِ العمر ، ان ما قمتَ به من تحضير البدو ، وتأسيس الحجر ، لمن اجد ما تركم القومية ، ومن خير اعمالكم الاصلاحية . غير ان هناك عملاً اخر فيه كذلك الخير الجزيل ، بل فيه للعرب الخير الاكبر .

كانت الهجرة الاولى ، هجرة البدو ، من الشرك الى التوحيد في الدين ، ومن البادية الى الحضارة . فعسى ان تكون الهجرة الثانية من الأمية الى الالفباء ، من الجهل الى العلم ، من الظلمات العقلية الى النور . بنيتم ياطوِّبِ العمر البيوت للبدو . هي الخطوة الاولى في تمدينهم . فعسى ان تخطوا الخطوة الثانية فتبنون لهم كذلك المدارس . ان في المدارس تحقيق كل ما تشدوون . المدارس تكمل عمل السيف . المدارس تمهد السبيل الى الوحدة العربية الثابتة ، الوحدة الشاملة ، الوحدة العزيزة الوثيقة العرى .

واني اسأل الله ان يطيل بايامكم لتتمموا الاصلاح الذي يشارتموه ، ولتحققوا الامال العربية الكبرى المنوطة بجلالتكم .
الصديق المخلص لجلالتكم وللغرب

ابن
سبيبي

الفهرس

د	تقدمة الكتاب	١
١	في المراجع والاسانيد	١٢
١٢	النبة الاولى	٢٢
٢٢	النبة الثانية	٢٣
٢٣	نسب محمد بن عبد الوهاب	٤٨
٤٨	جدول امراء آل سعود	
	آل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء	
	محمد ابن الرشيد على نجد	
٥٠	الدور الاول الفتوحات	
٦٤	الدور الثاني القوضى	
٧٩	الدور الثالث الحروب الاهلية	

سيرة الملك عبد العزيز

٩٤	نسب آل سعود	
٩٥	تمهيد	
١٠٣	الفصل الاول	وقعة الصريف
١٠٧	الفصل الثاني	احتلال الرياض
١١٤	الفصل الثالث	الحرب في الحرج
١١٩	الفصل الرابع	الاستيلاء على القصيم
١٢٥	الفصل الخامس	البكيرية
١٣٢	الفصل السادس	الاتراك يفاوضون ويتفرجون
١٣٥	الفصل السابع	كبوات الشيخ مبارك

ذبيحة ابن الرشيد	الفصل الثامن	١٣٨
الاتراك يرحلون	الفصل التاسع	١٤٣
ليلة الظافر	الفصل العاشر	١٤٨
تعددت الاعداء	الفصل الحادي عشر	١٥١
كسرة ابي الخليل	الفصل الثاني عشر	١٥٦
الاقارب والعقارب	الفصل الثالث عشر	١٦٠
الشيخ مبارك يستغيث	الفصل الرابع عشر	١٦٥
الشريف حسين يشتمّر الاردان	الفصل الخامس عشر	١٧١
العرائف	الفصل السادس عشر	١٧٤
لا نصر ولا انكسار	الفصل السابع عشر	١٧٧
الترك والوحدة العربية	الفصل الثامن عشر	١٨١
فتح الحساء	الفصل التاسع عشر	١٨٤
المفاوضون يتسابقون والشيخ مهلوك يتعثر	الفصل العشرون	١٩٠
هادمة اليهود ومفرقة الوفود	الفصل الحادي والعشرون	١٩٥
يوم جراب	الفصل الثاني والعشرون	١٩٨
العجمان	الفصل الثالث والعشرون	٢٠١
الانكايذ والعرب	الفصل الرابع والعشرون	٢٠٦
هدايا وتعنيف من بلاد الشريف	الفصل الخامس والعشرون	٢١٠
وفود الانكايذ والعرب	الفصل السادس والعشرون	٢١٣
وقعة تربة ومقدماتها	الفصل السابع والعشرون	٢١٩
البدو والهجر	الفصل الثامن والعشرون	٢٣٢
صلح صغير	الفصل التاسع والعشرون	٢٤٠
الاخوان في الكويت	الفصل الثلاثون	٢٤٣
فتح حائل	الفصل الحادي والثلاثون	٢٤٩
مأساة بيت الرشيد	الفصل الثاني والثلاثون	٢٥٦

ح

جدول امراء حائل	٢٦٦
نسب بيت الرشيد	٢٦٧
آخرة آل عائض	الفصل الثالث والثلاثون ٢٦٨
الاخوان في العراق	الفصل الرابع والثلاثون ٢٧٤
مؤتمر العقير	الفصل الخامس والثلاثون ٢٧٨
النكاس ، والذي يوسوس في صدور الناس ،	الفصل السادس والثلاثون ٢٨٥
ذروة المجد والخطر	الفصل السابع والثلاثون ٢٩٢
الاخوان على ابواب عمان	الفصل الثامن والثلاثون ٣٩٦
سقوط الطائف	الفصل التاسع والثلاثون ٢٩٩
يوم الانقلاب	الفصل الاربعون ٣٠٤
الشريف حسين	الفصل الحادي والاربعون ٣١٠
الآباء يأكلون الحصرم	الفصل الثاني والاربعون ٣١٧
رسل السلام	الفصل الثالث والاربعون ٣٢٢
الى مكة	الفصل الرابع والاربعون ٣٢٦
اشاعات وحقائق	الفصل الخامس والاربعون ٣٣٤
الكتاب والسنة — والسيف !	الفصل السادس والاربعون ٣٣٨
المفاوضات	الفصل السابع والاربعون ٣٤٦
الطيارات	الفصل الثامن والاربعون ٣٥٢
علينا وعلى رسل الرحمة	الفصل التاسع والاربعون ٣٦٠
المناجزات والمكالمات	الفصل الخمسون ٣٦٤
الملك علي يرحل	الفصل الحادي والخمسون ٣٨٣
عبد العزيز ملك الحجاز	الفصل الثاني والخمسون ٣٨٨
جدول اهم الوقعات في هذا التاريخ	٣٩٢
الملحق وفيه تذييل العلماء ونصوص المعاهدات ولائحة الهجر	٣٩٣
فهرس الاعاء م	٤١٧

فهرس الخرائط والرسوم

	صدر الكتاب
الملك عبد العزيز	
خارطة البلاد العربية وحدود ملك ابن سعود	١٧—٠١٦
الجامع الكبير في الرياض	٣٣—٠٣٢
عبدالله بن سعود الكبير	٧٣—٠٧٢
الغرب (العدة) فوق القليب (البئر) لرفع المياه	٨١—٠٨٠
الملك عبد العزيز بين مدافعه	٩٧—٠٩٦
الامير سعود ابن الملك عبد العزيز	١١٣—١١٢
الامير فيصل ابن الملك عبد العزيز	١٢١—١٢٠
الملك عبد العزيز خارجاً من سيارته	١٤٥—١٤٤
الحرم الشريف والكعبة	١٦١—١٦٠
الشقايف لنقل الحجاج الى مكة والمدينة	١٨٥—١٨٤
الملك عبد العزيز والمؤلف امام الطيارة بجده	٢٠٩—٢٠٨
الامير عبدالله ابن الملك حسين امير شرقي الاردن	٢٢٥—٢٢٤
وقعة تربة	٢٢٩
الملك حسين والبلاد العربية	٢٤١—٢٤٠
المدينة المنورة	٢٦٥—٢٦٤
الامير فيصل ابن الملك عبد العزيز	٢٧٣—٢٧٢
اعضاء مؤتمر العقير — القصر في الرياض	٢٨١—٢٨٠
الملك حسين في عمان يوم بويغ على الخلافة	٢٩٧—٢٩٦

جيش الحجاز النظامي	٣٠٥—٣٠٤
مكة المكرمة والحرم الشريف	٣١٣—٣١٢
الملك علي في موكبه	٣٢١—٣٢٠
الملك عبد العزيز (بين اخصائه)	٣٢٩—٣٢٨
الملك علي في الورشة يجده امام احدى المصفحات	٣٣٧—٣٣٦
جده . الحي الشمالي	٣٤٥—٣٤٤
حسين العويني	٣٥٣—٣٥٢
مقر الهلال الاحمر	٣٦١—٣٦٠
خارطة جده وخط الدفاع	٣٦٨
المحمل المصري	٣٧٧—٣٧٦
الملك عبد العزيز في المطار وامامه المؤلف ^٥	٣٨٥—٣٨٤

المراجع والاسانيد

كنا في ارياض نسر ورجال التاريخ من آل سعود ، المعاصرين منهم والاقدمين . وكان الفضل في السمر التاريخي للسلطان عبد العزيز الذي ارسل الي كتابين طبعا في الهند لانين من ادباء نجد ومؤرخيه ، الاول روضة الافكار لحسين بن غنام الحنلي ، والثاني علو المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن عبد الله بن بشر . قرأت التاريخ فصرت أحسن الحديث وعظمة السلطان عن اجداده ، وطالعت في «الروضة» شيئاً كثيراً في محمد بن عبد الوهاب وله ، فصرت افقه معنى النهضة الروحية التي تام بها في وادي حنيفة كبيران من ربعة هما هذا النبي ابن وهاب وذاك المانعي الوالي ابن سعود .

والكني وانا اطالع الكتابين اسفن لاسلوب مؤلفيهما القديم ، ذلك الاسلوب انكلاف المسجع الذي لا يجب مطالعة التاريخ الى قراء هذا الزمان ، ووددت لو ان احد المشائين العصرين يلخص ابن بشر ، او يعد كتابة تاريخ نجد منذ قرن ونصف قرن يطالع العامة واخاصة على ما جرى في وادي حنيفة من الامور الدينية والسياسية ، التي كان لها التأثير الاكبر في العرب بعد البعثة النبوية .

وكنت قد تذوقت السمر السلطاني في العقير ، فروى عطمه شيئاً من اخبار حروبه وان الرشيد ، وكان في الرواية فصيحاً ، بلبعاً ، جذاباً — ومنصفاً لخصه . فقات في نفسي ، وقد فح لي باب في الكنافة عيب ، حبذا القصة كلها ادونها للناس — قصة هي تاريخ كله حديد ، واكثره انيذ مفند .

لم اجرؤ يوم كنا في العتيران افصح السلطان عن رغبتني هذه ، والكني قلت لوفيتي السبد هائم الرفاعي اني احب ان اكتب سنة السلطان عبد العزيز ، وان

مباشر العمل . وفي الحقيقة كنت قد دونت في مذكراتي الواقعة التي سمعت خبرها في الليلة السابقة .

وعند ما جئنا الرياض ، وبدا بن عظمة السلطان ذلك التعطف الخاص الجميل ، فانزلني في القصر وكانت يشرف منزلي كل ليلة بعد صلاة المساء ، تشجعت فاستأذنت بان اكون مؤرخه ، فاجاب ، وكان الجواب مبهجاً : ما يخالف (لا بأس) فاستويته واقفاً وشكرته ، ثم قلت : وخير البر عاجله . لنبدأ اذا امرته الان .

— ما يخالف

وكان على المنفذة الورق والحبر فجلست اكتب ما رواه تلك الليلة من اخباره الاولى في الكويت .

وبعد ذلك ، انشاء المدة السعيدة التي اقمتها في الرياض ، اي ستة اسابيع ، كان عظمته يروي من اخباره ما يستغرق ساعة واحدة كل ليلة ، فنتعاون انا والسيد هاشم في التدوين . وكنت استوقف عظمته في بادىء الامر مراراً لأفهم . معنى انظمة من الناخذ ، او عبارة نجدية الاصطلاح . وكنا فوق ذلك ، رغبة في التدقيق والتحقيق ، تقرأ قبل ان نبشر الكتابة ما كتب في الليلة السابقة ، فيصلح عظمته ما قد يكون فيها من الخطأ .

هوذا المصدر الاول الاعلى لهذا التاريخ . أضف الى ذلك رسائل عدة ووثائق : سمية اطاعني عظمته عايتها ، واذن بنسخ بعضها .

.....

بعد ان وصانا في تاريخ نجد الحديث الى مؤتمر العقير عدت الى ابن بشر وعقدت النية على تلخيص ما جاء فيه من الاخبار . وابن بشر ، بقطع النظر عن سوابه ، مدقق في الاجمال وصادق الرواية . الا انه ينتهي في تاريخه عند سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) فيكون بينه وبين النكبة الاخيرة (اي خروج آل سعود من نجد) فترة مقدارها اربعون سنة ، لم يروِ السلطان اخبارها لانه لم يكن

محققها كلها ، ولا اذن احد علماء الرياض ، للسبب نفسه ، بروايتها .
 ولكنه ، عندما ازمنت الرحيل ، اعطاني كتاباً الى احد عماله في شقراء ،
 هو محمد السباعي ، يأمره بان يكتب الى الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى في
 أشيقر (قرب شقراء) ليرسل اليه تاريخه الخطي ، فاطلع عليه وانسخه ، ثم يعاد
 الى صاحبه .

جئت شقراء ، وراح نجاب السباعي الى أشيقر ، فوجد بيت المؤرخ مقفلاً ،
 وقيل له ان الشيخ ابراهيم في عنيزه . وكنا في طريقنا الى عنيزه ، فرجونا ان
 نجتمع بالمؤرخ فيها . ولكن السباعي ، سلمه الله ، لا يثق كل الثقة بالنقادير ،
 فأمر نجابه بالرجوع الى أشيقر يوم رحلنا من شقراء وقال لي : اذا ظفر بالتاريخ
 رسله اليك حيث تكون في بریده ، او في عنيزه ، او في الحفر . واذا اجتمعت
 بصاحبه في طريقك فامسكه بامين بتلايبه .

وصلنا الى عنيزه فلم نجد فيها المؤرخ ، ولا جاءنا من السباعي التاريخ ، ولكن
 غداة دنونا من بریده خرج النجاب يلاقينا ، وكان قد جاءها رأساً من أشيقر ،
 فسلم واخرج التاريخ من جيبه قائلاً : بعد ان تقضي حاجتك منه رده الى
 السباعي فيرده الى صاحبه . وهكذا كان .

قد برني من تاريخ ابن عيسى ، على ما فيه من ركاكة وسذاجة ، انه
 خلو من التغر والسجع . واليك بمثال واحد منه .

« خرج عليهم (محمد ابن الامام فيصل على اهل عنيزه) واقتل
 الزيمان قتلاً شديداً ، وصارت الهزيمة اولاً على محمد ابن الامام ومن
 معه ، وتتابعت هزيمتهم الى خيامهم ، فأمر الله سبحانه وتعالى بالمطر ،
 وكان غالب سلاح اهل عنيزه البنادق ، فبطل عملها من شدة المطر ،
 فكرّ عليهم محمد واصحابه ، فهزموهم ، وقتلوا منهم اربعمئة رجلاً »

في ابن بشر وابن عيسى معا يتم اذن تاريخ آل سعود منذ نشأتهم الى حين
 سنيلان محمد بن الرشيد على نجد . ولولاهما لما تمكنت من كتابة النبذة الثالثة
 من هذه التاريخ . على انه ، وانا اكتبها ، خطر في ان اقابل بين المؤرخين

الوطنيين والمؤرخين الاجانب ، خصوصاً في الحملات التي جردها على نجد محمد علي باشا وابناه طوسون و ابراهيم .

والتاريخ ذو سمجوت ، فقد جرتني فتوحات سعود الكبير الى الحجاز ، فمكة المكرمة ، فالتقيت هناك ببعض الاوربيين المستشرقين المتكبرين ، فاستكشفت اخبارهم واثارهم لاطلع على رأيهم في الوهاية يومئذ وفي ادل نجد ، فعرفت ان السويسري بر كهارت كان مقرباً من محمد علي ، والاسباني باديا ابي ابلخ كان جاسوساً لنبوليون الاول . على انهما متفقان في نزعتها العلمية ، وصدق الرواية ، وان اخذنا في المقاصد السياسية .

جاء بر كهارت الحجاز ، قادمًا من السودان ، يوم كان محمد علي في الطائف . وعندما وصل اليها سأل الباشا عن احوال تلك البلاد التي كان يحكمها يومئذ ابنه ابراهيم .

قال بر كهارت في رحلته العربية John Lewis Travels in Arabia, Burkhardt. London: Henry Colburn, 1820

« وسألني الباشا اذا كان ابنه ابراهيم محبوباً هناك فاجبته بلغة الصدق : ان متايخ القري كلهم يكرهونه لانه ردعهم عن الاستبداد بالانلاحين . اما الفلاحون فيحبونه حباً جماً »

ولا شك ان محمد علي الكبير كان يجب بر كهارت اعلمه ، ويحترمه اصدق لهجته ، فاذا به بالدخول الى مكة وبزيارة المدينة .

اما المستشرق الاسباني الذي اتحل اسم علي بك العباسي فلم يكن له من اولي الامر تدبير ، وما فاز بغير حده ودداته . ادبت ان اطالع على رحلته التي طبعت بالانكليزية بانندن ، فكتبت الى كتي مشهور هناك اطلبها ، فاجاب ان الكتاب غير موجود في المكتب ، وعرض ان يعان في المراءد على هناك احدًا عنده نسخة يبيعها ، فقببت . وبعد نهر جاني منه كتاب يقول انه حلي بنسخة من الطبعة الاولى ، سليمة تامة ومجودة بجلد ثمين ، ثلثها عشرون ليرة انكليزية فقط !

المراجع والاسانيد

٥

وكنت يومئذ اراجع النوارخ الافرنسية في نهضة محمد علي المصرية، فقرأت
(L'Egypte au XIX Siècle, Edouard Gouin, Paris 1847) ما كتبه ادوار غوان
(Histoire de l'Egypte المكتبة الشرقية لاطالم تاريخ مانجن
sous le Gouvernement de Mohammed Aly , Felix Mengin, Paris 1823)
فإجد منه غير الجزء الثالث ، وهو ملحق للتاريخ ، كتبه جومار E. F. Jomard
فجئت مكتبة الجامعة الاميركية ، فخطيت فيها ليس بمانجن فقط بل برحلة علي بك
ايضاً ! وهي طبعة اميركية عن الطبعة اللندنية الاولى (Travels of Ali Bey
Philadelphia : John Conrad, 1816)

ما مانجن فقد وجدت في ما راجعت لغرضي انه ينقل احياناً عن تاريخ الجبرتي
(عجائب الاثار في التراجم وال اخبار) ووجدت ان الرواية في ما يخص بحوادث
نجد لا تختلف كثيراً عن رواية ابن بشر . الا ان في تاريخ المصري ، وبالتالي
الافرنسي ، بعض الاشياء التي فات ابن بشر ذكرها ، او انه كانت يجهلها .
كاصندوق الصغير مثلاً الذي حمله عبدالله بن سعود الى الاستانة ، وفيه بعض
اعلاق الحجر النبوية التي كان يأمل ان يسترضي السلطان بها ، فيعطيه الامان
ويأذنه بالرجوع الى بلاده . هذا في ما يخص بالنبذة الثالثة .

.....

ما النبذة الثانية ، محمد بن عبد الوهاب والوهابية ، فقد كان لي في كتابتها
عون آخر غير ابن غناء . اجل ، قد طالعت ، وانا في الرياض ، رسائل ابن تيمية
وغيرها من الرسائل الخنبالية في كتاب طبع بمطبعة المنار ببصر .

وها اننا ، وقد ذكرنا النبذات عكساً ، في النبذة الاولى : نواحي نجد ، وهي
لا تحو من صعوبة اذا تحررنا التدقيق في ضبط الاسماء ، اسماء البلدان . فكتب
السياح المستشرقين تضلل غالباً في اعلامها ، وكتب الاقدمين العربية تروي اسماء
بلدان دُترت ، واسماء للبلدان التي لا تزال في عالم الوجود غير المصطلح عليها
لفظاً ، ومبنى . لا بد اذن من الاستعانة باحد علماء نجد المعاصرين . وبما ان الوقت

كان قد ضاق دون ذلك يوم كنت في الرياض التمسست من عظمة السلطان ان،
 يأمر احد العلماء بان يرسل مطلوبي الي الفريكة . فأرسل اليّ بدل اسماء النواحي
 والبلدان نسخة من كتيب خطي عنوانه : مثير الوجد في معرفة انساب ملوك
 نجد ، تأليف راشد بن علي الحنبلي . فجاء عوناً لي في تحقيق انساب آل سعود ،
 وابن عبد الوهاب ، وعرب الشمال اي مضر وربعه .

و كنت قد استعنت عند ما مررت بعنيزة بالشيخ عبدالله بن محمد العبد
 العزيز البسام ، فكتب لي لأئحة باسماء بلدان القصيم وسدير والعارض ، وبت
 انتظر وصول المعلومات الاخرى ، فمرت الايام ، وتزاحمت الحوادث في نجد ، ولم
 تكتب النبذة الاولى .

وكانت حرب الحجاز . وكان من حظي ان اشرف ثانية بزيارة السلطان
 عبد العزيز . فذكرته ، ونحن في جده ، بتلك النبذة وبما وعدني به لاتمامها ،
 فقال : ما يخالف . ولكني وجدته مشغولاً في مسائلٍ أهم منها ، فسكت ثم سألت
 الدكتور عبدالله الدموجي عن بعض البلدان فقال : لا يستطيع ان يجيب
 اسئلتك هذه غير السلطان ، وهو الملقب بجغرافية البلاد العربية .

السلطان الاستاذ ! ولحسن الحظ ، عند ما جئته ذات يوم بعد الظاهر حسب
 العادة ، لقيته يطالع كتاباً للسيد محمود شكري الالوسي ، عنوانه تاريخ نجد
 (المطبعة السلفية بمصر) فسألته رأيه فيه فقال : لا بأس به ، ولكنه لا يخلو من
 اغلاط في اسماء البلدان . فقات ، وقد تمسكت بتلايب الفرصة : اذن ، يا طويل
 العمر ، عليكم باصلاحها .

واخرجت القلم والدقتر من جيبي قائلاً :

اتأمرون بان تكونوا الان الاستاذ وان اكون انا التلميذ ؟ اتأمرون بان
 ابدأ سؤالاتي ؟

فاجاب عظمتة : وما هي ؟ فذكرت بعضها ، فقال : الامر يطول . تأذنه ان
 لاذن بان امد رجلي .

فقلت مبتسماً : وهل في ذلك اشارة الى قصة الامام ابي حنيفة ؟ (١)
 فرفع يديه ضاحكاً وقال : لا والله . لا والله . القصة لا تنطبق عليك
 وكانت ساعة نادرة ذكرتني بليالي الرياض ، ومكنتني من كتابة النبذة
 الاولى .

اما مراجع هذا التاريخ الاخرى فاهمها ما يأتي :
 الكتاب الاخضر النجدي ، كتاب الوفد الهندي
 الكتاب الاحمر الحجازي
 تقرير المندوب السامي لحكومة بريطانيا العظمى في العراق من اول
 اكتوبر سنة ١٩٢٠ الى آخر مارس سنة ١٩٢٢
 تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد (المطبعة العصرية بغداد)
 مذكرات الفريق شفيق كمالى باشا (متصرف عسير والقائد العام فيها
 من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٢ ، ووالي البصرة سنة ١٩١٣) نشرت تباعاً
 في الاهرام في شهر نوڤمبر وديسمبر سنة ١٩٣٤
 عنوان المجد في احوال بغداد وبصره ونجد تأليف ابراهيم فصيح
 الحيدري البغدادي (نسخة خطية)
 ومن الكتب الانكليزية :

The Heart of Arabia. H. St. John Philby. قلب البلاد العربية
 Constable : London,

Wanderings in Arabia. Charles M. الطواف في البلاد العربية
 Doughty. Duckworth : London,

The Penetration of Arabia. D. G. التغلغل في البلاد العربية
 Hogarth. Alston Rivers, London)

(١) كان ابو حنيفة يخطب في حلقة من تلاميذه في ان صلاة الفجر ينبغي ان تكون
 قبل طلوع الشمس ، وبينما هو يخطب ، وقد جاس جلسة الائمة ومد رجاها ، دخل شيخ جليل
 الطلعة ، وتبوا مكاناً في الحلقة . فترجم الامام اكراماً له ، واستمر في كلامه ان صلاة الفجر
 ينبغي ان تصلى قبل طلوع الشمس ، فسأله الشيخ : واذا طلعت الشمس قبل الفجر : فقال
 الامام : وهو يعود الى جلسته الاولى ، عندئذ يد ابوحنيفة رجله ولا يبالي .

انك ترى اذن مما تقدم ان اهم مصادر النبذات الثلاث هي نجدية ، اي ان ابن بشر هو ركن النبذة الثالثة ، وابن غنام وابن تيمية ركننا النبذة الثانية ، والسلطان عبد العزيز ، الملقب بجغرافية البلاد العربية ، والشيخ عبدالله البسام الذي قال فيد عظمة السلطان انه من العارفين المدققين ، هما مرجعي في النبذة الاولى .

اما السيرة فقد قصصت قصتها . وقد اشفت المصدر الاول الاعلى بما استوجبه التدقيق من مراجعات ما طبع في البلدان المجاورة لنجد ، وما نشره السياح المستشرقون ، وبعض الترك والعرب ، في ما يختص بالبلاد العربية لمخسرين سنة مفت .

ولا بد من ذكر مرجع آخر هو رحلتي العربية الاولى ، ورحلتي الثانية الى الحجاز . فقد كنت انا ذاك استقي الاخبار من مصادرها العليا ، واسمع من ذوي العرفان ممن حدثتهم ما يثبت او يكمل الرواية السلطانية . فقد كان عظمته يقتضب الكلام في ما يتعلق بشخصيته ، فيمسك النفس عما فيه فخرها والثناء عايبها . واني اختم هذا الفصل بقصة واحدة من القصص العديدة التي كنت اسمعها ، والتي تمثل الحيا والكرام في شخصية هذا العربي الكبير .

عند ما كانت الحرب تامة بينه وبين اثاربه « العرايف » في الحساء ارسل خصمه سامان بن محمد بن سعود وفداً من قبيله الى قطر ، وعمان ، ومسقط ، والبحرين يستنجد سيوخيها على السلطان عبد العزيز . وكان العجمان يومئذ حلف « العرايف » وكان احد رجال الوفد من هذه القبيلة ، فسافروا الى عمان ، ومنها جازوا الحلين الى انجاء على الشاطى - العجى ، وهم يقصدون سلطان الحمادى حاكم تلك الناحية الذي يدعى ان العجمان من العجم ، فاعطاهم لذلك مئة بندقية واربعة الاف روية . ثم جاوا البحرين فاعطاهم الشيخ عيسى مئة بندقية واثنى عشر الف روية . وقد ساء لهم آل زايد بعمان باكثر من ذلك .

عاد رجال الوفد موفقين . وبيننا هم مسافرون الى العقير التي كانت يومئذ بيد العجمان ، ومعهم ما جمعوا من الاسلحة والمال لتجارة ابن سعود ، علم بهم الشيخ

عبد الرحمن بن سوّيلم امير القطيف . فسارع الى ارسال عساكر في مراكب شرعية ، طاردوا مركب العدو بين البحرين والعقير ، ثم حاقوا به فحجزوه ، والقوا القبض على ثلاثة من رجاله .

حدثني احد الثلاثة ، وهو العجماني ، قال : جاءوا بنا الى القطيف وارسلونا مقيدين الى السلطان عبد العزيز بالحسا . فلما وصلنا امر بفك قيودنا وبأخذنا الى المضييف . وبعد ثلاثة ايام أحضرنا الى المجلس وكل واحد منا لا يرى من قسمته غير الموت ، فخطبنا السلطان قائلاً : يا عيالي نحن لا نقهر احداً . فمن كان منكم يبغني معزبه (شيخه او اميره) فاليه به . ومن كان منكم يبغينا فاهلاً ومرحباً . فقال واحد منا : انا يا طويل العمر افضل نارك على جنة سلمان ، فامر له ببندقية وكسوة وادخله في الجيش . وقال الاخراش : وددنا نروح الى معزنا نعتز واياه ونذبح واياه . فامر اكل منهما بكسوة ، وذلول ، وثبيء من الماء ، ثم اطلق سراحهما .

وفي التاريخ بقية القصة التي انتهت بتسليم العرايف ، فكان الحلم انجع بهم

من السيف .

النبة الاولى

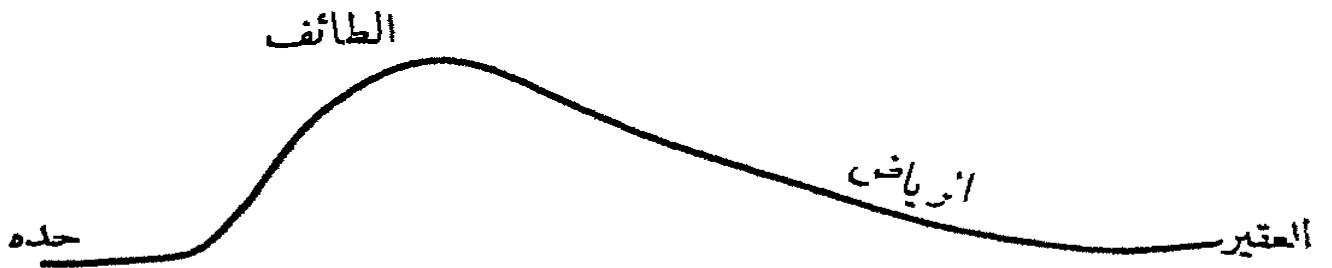
نواحي نجل

نواحي نجد (١)

ليس في نجد ارض يستوي سطحها وسطح البحر . فانك اذا جئت البلاد من خليج فارس تمر بالحساء ، ثم تأخذ بالتصعيد — والعرب يقولون التسييد — وتستمر مصعداً ، دون ان تدرك ذلك في اخلب الاحابين ، الى العارض (١٨٠٠ قدم) فالتعره (٢٠٠٠) فالحرة الصغيرة (٤٠٠٠) فرأس السيل (٤٥٠٠) ومن هناك تنحدر الى مكة .

واذا جئت نجداً من البحر الاحمر ، من جدة مثلاً ، فتصعد الى الطائف (٦١٧٠ قدم) وتشرف بعد ذلك على جبل حضن — من رأى حضناً فقد انجد — ومنه تنحدر الى نجد ، وتستمر في الارتفاع دون ان تدرك ذلك لانه في اكثر الاحابين غير محسوس ، حتى تصل الى الحساء .

وبكامة اخرى اذا شطرناسبه الجزيرة شطرين من جده الى العقير على خليج ، يظهر نصفها في هذا الشكل المخروط :



(١) في كتاب الالوسي صفحات ٦ و ٧ و ٨ شيء من كلام الاقدمين المتناقض المتضارب في ما هو نجد وما هي حدوده ، فللقارىء الراغب بمثل هذا العلم ان يرجع اليه اما حدود السلطنة النجدية الحاضرة فالذي قرره الطبيعة حد واحد فقط هو الاحقاف او الربيع الخالي في الجنوب . اما الحدود الاخرى فقد قرر ابن سعود الشرقية والغربية منها بالسيف ، وقد تقرر الحدود الشمالية ، والشمالية الغربية والشرقية ، بالاتفاق وصاحبة الالتداب في العراق وشرقي الاردن ، اي حكومة بريطانيا العظمى . وهذه الحدود ظاهرة في الخارطة الملحقة بهذا التاريخ .

ان نجداً ليصدق اذن .عنى اسمه ، اي هو المرتفع من الارض . وفي هذه .
الاراضي المرتفعة ، شمالاً او غرباً وجنوباً ، اما كن نختلف في العلاء والوطاء
بعضها عن بعض . فالقصيم مثلاً يعلى الف قدم فوق العارض ، وحائل تلى نحو
ذلك فوق القصيم ، واليامة هي خمسمئة قدم دون الرياض .
وفي هذه البلاد السهول والجبال ، وصحاري الرمال ، والاوودية والتعاب ،
والواحات والقفار . هناك من الاراضي المنبسطة الفسحة التي لا كلا . فيها ولا
ماء كالصمان ، ومن صحاري الرمل التي تكثر فيها المراعي كإدهناء ، من السهول
التي تُزرع مرتين في السنة كلوم ، ومن الواحات التي تنزر فيها المياه ، وتعدد
البساتين ، كالعارض ، والاحساء ، والافلاج . ومن البقاع العالية الطيبة التربة
والهوا . كالقصيم وجبل شمر .

اما اطول سلسلة من جبالها فهي التي كانت تدعى قديماً العارض او عارض
اليامة . والعارض ما اعرض او برز في الارض . قال الشاعر :

واعرضت اليامة واشمخرت كاسياف بايدي مصلتنا

وبما ان هذه السلسلة من الجبال تطوق قلب نجد من القصيم الى وادي
الدوادر فاهل نجد يسمونها جبل طويق . وبما ان الاسرة السعودية اتخذت
الرياض مركزاً لها ، وقاعدة لبلاد نجد ، فقد اطلقوا على البلد اسم الناحية اي
العارض ، فنقول اليوم طويق والعارض كما كان الاتدمون يقولون اليامة .
واليامة هذه ، التي كانت من اشهر البلدان النجدية قديماً ، والتي لا يزال
اسمها يرن في كتب الادب والشعر ، هي اليوم واحة صغيرة تكاد تخنقها النخود ،
فيها اربع قرى وبعض « القصور » مساحتها نحو ميل واحد مربع ، وعدد سكانها
لا يتجاوز الالفين ، كلهم مزارعون من بني مرة وتحتاط وبني هاجر . وهم
يزرعون في بساتينهم الرمان والعنب والتين ، وبعض القطن ، والحنطة والبرسيم
الذي يسمونه الجت . هذه البقية من اليامة هي في وادي الخرج المنخفض الذي
تصعد منه جنوباً الى الافلاج ، وشمالاً الى الرياض . واكتنا قبل ان نعود الى
العارض سنعل القارى . بالنواحي الكائنة جنوباً منه . ان اكبرها واخصبها

الافلاج

التي تكثر فيها الابار ، والعيون ، والنخيل ، وتزرع فيها الحبوب والثمار وشيء بن القطن . قاعدتها ليلي ، على سبعة مراحل من الرياض ، واكبر قراها البدائع ، والاحمر ، والهدار . وفي هذه الناحية بقعة تدعى السيج ، من العيون السائحة ، بل فيها بجزرات عدة هي من مياه جبل طويق التي تصب غرباً بجنوب تحت ارض الوشم وفي وادي حنيفة ، ثم تظهر على وجه الارض بصورة دائمة في الافلاج . اما العرب الذين يقطنون هذه الناحية فهم من قحطان ، والدواسر ، وسبيع . ان بعد الافلاج الى الجنوب الغربي

وادي الدواسر

وفي طرفه الشمالي ناحية تدعى السليل وفيها من القرى الدمام ، وحنابج ، ورويسه ، وفرعه وغيرها . وفي طرفه الجنوبي ناحية ثلث ومن قراها العمق ، ومطايه ، وعين ، وخرّيقه . اما سكان الوادي فاعليهم من عرب الدواسر الاتساوس البدو منهم والحضر . بعد الوادي جنوباً ، على ثلاثة مراحل منه

نجران

ابني يام الذين كانوا في الماضي خارجين على كل سلطة مشروعة ، فما دانوا لاحد غير شيوخهم . ولكنهم منذ ثلاث سنوات دخلوا في الرعوبة السعودية فصاروا يدفعون الزكاة طائعين . ان اكبر قرى نجران مخلاف وحبونه ، وعند نجران تنتهي الحدود الجنوبية الغربية لسلطنة نجد . نعود اذن شمالاً بشرق الى الافلاج ومنها الى

الخرج

تلك الناحية الخصبة التربة ، الغزيرة المياه ، التي تُزرع في ارضها الحبوب ، وفي بساينها الثمار على انواعها ، من مشمش ودراق وتين وعنب ، وتربى فيها احسن الجمال . اما قاعدة الخرج فهي الدلم على ثلاث مراحل من الرياض ، واهم بلدانها زميقد ، ونعجان ، واليامة ، والسلمية في طرفها الشمالي .

ثم وادي الفرع الى الجنوب ، وفيه بلدان ، او بلادين كما يقول اهل نجد ، وسط جبل اليامة ، اكبرها الحوطة التي تبعد عن الدلم جنوباً ثمانية واربعين ميلاً . وفي اعلى الوادي الحريق على مسافة اربعة وعشرين ميلاً من الحوطة . اما اهل هذين البلدين فمن بني تميم الاشداء ، ومن غلاة الحنبلية المحافظين على تقاليدهم وعزاتهم ، الغيورين على استقلالهم .

عندما دانت بلاد نجد لابن الرشيد ظل اهل الحوطة ، التي تدعى حوطة بني تميم ، خارجين عليه متمردين . وعند ما عاد ابن سعود ونازعه السيادة ابن عمه سعود العرافة نصر اهل الحوطة والحريق سعوداً على الشاب عبد العزيز . وكان ما هو مدون في هذا التاريخ من انتصار عبد العزيز . ولكنه ضمن لاهل هذه الناحية ، اي الفرع ، استقلالهم النوعي على شريطة ان يعترفوا بسيادته ، فيدفعون الزكاة ويلبون الدعوة للجهاد . ومن البلدان الاخرى في الخرج نعام ، ومفيقر ، والحلوة التي يغلب في سكانها عرب عنزي .

ثم حائر في طرف وادي حنيفة الجنوبي ، على مسافة خمسة وعشرين ميلاً من الرياض ، وهي تدعى حائر سبع لان سكانها من عرب هذه القبيلة النازحين من الغرب . وفيها ايضاً السهول حلفاء سبع .

ومن حائر شمالاً بعد بضع ساعات من السير ، نصل الى البلدة التي كانت قديماً تشاطر اليامة الشهرة والمجد . هي المنفوحة بلدة الشاعر زهير بن ابي سلمى القريبة جداً من الرياض ، والتي امست اليوم منفوحتين ، الواحدة القديمة ولا تزال خرائبها بادية للعيان ، والثانية الجديدة على رمية سهم منها .

ان السبب في بوار اودية مثل وادي الرمة (العرب يلفظونها مخففة) ، وخراب مدن مثل اليمامة والمنفوحة ، هو اما اتقطاع المطر اعواماً متوالية فنحجف العيون والابار فينزع اهلها ، واما تهطل الامطار التي ترسل السيول في البلاد فتغمر ما يكون في طريقها من العمران وتتركه خراباً بباباً . ان من هذه الاخربة ما شاهده في الخرج ، وفي وادي حنيفة ، وفي الباطن من وادي الرمة .

العارض

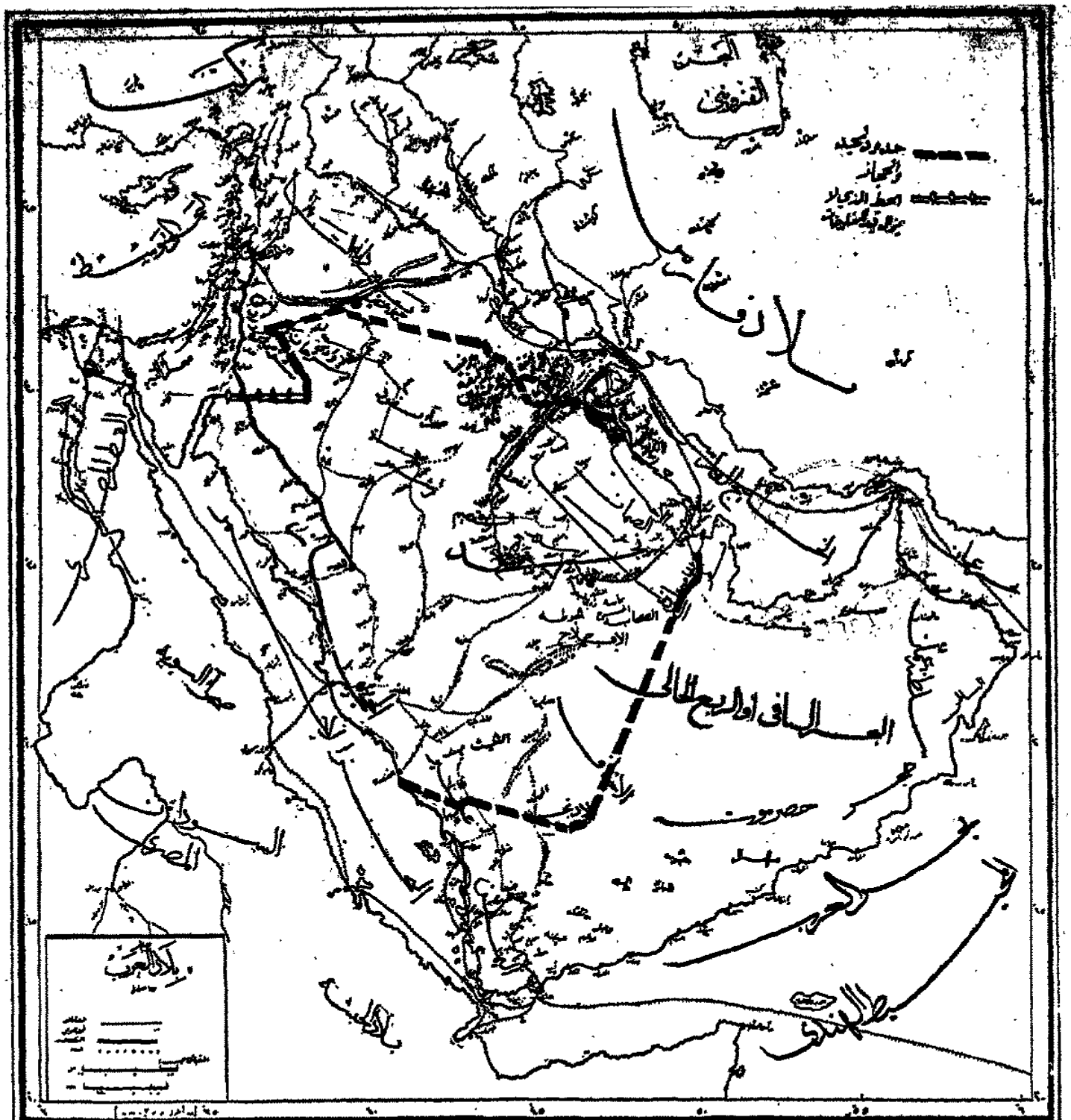
قلت ان العارض هو اسم الناحية والعاصمة معاً ، فيه واحة جميلة تمتد من سفح جبل طويق شرقاً الى المنفوحة ، وفيه العيون العذبة ، والقلبان — الآبار — المتعددة ، والبساتين التي يزدهي فيها النخيل ، وتتأوج في ظلها اخضرار الجت والبقول .

وبالحق بالرياض او العارض عدة ترى كبيرة ، كالدرعية المديدة ، على ثلاث ساعات الى الشمال منه ، وعزره ، وابركباش ، التي كانت مسكن آل سعود الاقدمين قبل ان اسست الدرعية ، والعاربه ، والحبيله ، احدي ترى بني حنيفة ومسكن مسيلمة قديماً ، والعيائنه بلد آل معمر ومسقط رأس محمد بن عبد الوهاب .

وهناك جنوب العاصمة المنفوحة ، والمصاع ، وحار سبع التي مر ذكرها . وغرباً منها ، في طرف الحماده الجنوبي ضرمه (تلفظ اضرمه) المؤانة من قصور ومزارع عديدة تسمى المراحيات . وجنوبي ضرمه الغطفط بلدة الاخوان المشهورين بدلتهم ، اخوان عنيبه . ثم الرثة على مرحلة منه شمالاً ، وهي اول بلدة في الجبة الجنوبية من الوشم . اما

الحماده

التي ذكرت فهي سبل يمتد من الشمال الى الجنوب بين جبل طويق ونقود



انخط البارز في هذه الخارطة هو خط الحدود لملك ابن السعود

السر ، وفيه الزلّفي وغيرها من القرى ، بعضها في النفود الكائنة بينها وبين عنيورة وبعضها في السهل ، ومن هذه القرى مليح ، بين الزلّفي والفاط ، وفريسان ، وهما هجرتان من هجر مطير . وجنوبي فريسان الراهنة من هجر عتيبه .

، اما الفاط التي هي بين الجمعة قاعدة سدير وبين الزلّفي ، على مرحلة واحدة من الاثنتين ، فهي مشهورة بأنها مسكن «السدارة» من اعيان اهل سدير ، الذين صاهرهم آل سعود قديماً وحديثاً^(١) وامروهم في البلاد . فقد كان تربي السديري اميراً على عُثمان في الزمن الناصر ، وكان ولده احمد ، جد عبد العزيز ، اميراً على الاحساء في عهد الامام فيصل ، وولده محمد وعبد المحسن متولين الحكم في القصيم وفي الجمعة .

نعود الان الى النواحي التي هي شمالي الرياض ، واولها

الشعيب

التي تفصل بين العارض وسدير ، قاعدتها حريملة على مرحلتين من الرياض ، (عمرت سنة ١٠٤٥ هـ) . واهم بلدانها قرينه (عمرت سنة ١١٠١ هـ) ، وماهم ، وصلبوش ، وسدوس التي فيها اثار قديمة قيل انها حميرية . ثم

المحمل

وثادق قاعدتها ، التي عمرت سنة ١٠٧٩ هـ ، والصفرات ، هي والبير تسمى كايا اليزوه . اما الصفرات فهي عدة بلادين قريبة من ثادق . وهناك البير جنوبي الصفرات (عمرت سنة ١٠١٥ هـ) ، ورغبة (عمرت سنة ١٠٧٩ هـ) . من الشعيب والمحمل نستمر مصعدين في جبل طويق الى

سدير

اكبر نواحي الجبل ، وقاعدتها الجمعة (عمرت سنة ٨٢٠ هـ) التي يقال لها

(١) ام جلالة الملك عبد العزيز من السدارة

ولحرمه منبىخ ، والتي تبعد مئة ميل عن عنيزة الى الشرق ، تفصل بين البلدين نفود كبيرة تمتد جنوباً الى وادي السر . اما بلدان سدير فعديدة ، ومن اكبرها واقدمها حرمة (عمرت سنة ٧٧٠ هـ) ووشي ، وجوي ، وجلاجل ، والتويم (عمرت سنة ٧٠٠ هـ) والداخلة ، والحصون ، والجنوبية ، والقطار ، والجنيفه ، والعودة ، وعشيره ، والخطامه ، وتميريم ، والخبيس ، والروضة (روضة سدير)

الوشم^(١)

هذه الناحية هي غربي جبل طويق ، وغرباً بجنوب من سدير . قاعدتها شقراء ، واهم بلدانها ثرمدا ، والجربفة ، والقراين ، واشيقر على ساعتين من شقراء ، والفرعه على رمية سهم من اشيقر ، والقصب على ثمانية عشر ميلاً من شقراء ، ومراة بلد امرى القيس ، ثم الحريف على مرحلة واحدة من روضة سدير .

القصيم

لم تكن تعد في الماضي من نواحي نجد ، وقد لا يجوز ان نعدها اليوم الا من ملحقاته . فقد طالما تنازعت السيادة فيه كبيرتا بلدانه ، عنيزة وبريده ، ونزعت كلتاهما الى الاستقلال عن ابن الرشيد وعن ابن سعود . ان في هذا التاريخ الكفاية عن البلدين وامرائها ، وفي «ملوك العرب»^(٢) الكفاية في وصف اهل القصيم ومجاياهم المرنة التي تختلف عن مجايا اهل الجنوب . اما اهم بلدان هذه الناحية ، بعد يريده وعنيزة ، فهي البكيره (عمرت سنة ١١١٨ هـ) والهلالية ، والخبراء (عمرت سنة ١١٤٠ هـ) والبدايع . وكلها لا تبعد عن عنيزة اكثر من خمسة وعشرين ميلاً . ثم الرأس وملحقاته ، وهي على مسافة خمسة وثلاثين ميلاً غربي عنيزة . ثم النيهانية على مرحلتين منها الى الغرب ، والمذنب على مرحلة منها الى الجنوب ، والقصيبا على مرحلتين منها الى الشمال ،

(١) راجع ملوك العرب ، الجزء الثاني ، صفحات ١٠٧ / ١٠٩

(٢) الجزء الثاني ، الفصل الخامس عشر ، صفحات ١١٠ / ١١٧

والاسياح ، وعين فهد ، والطرفية على مرحلتين شرقاً من بريدة . وهناك شمالاً
يعرب من القصيم ، على خمسة مراحل منه

جبل شمر

اي جبلاطي ، اجا وسلمى ، وما يتبعها من السهول والجبال . اما حائل ،
عاصمة شمر ، فهي من اكبر المدن العربية واجملها ، سكانها نحو ثلاثين الف وهم
مثل اهل القصيم يكترون الاسفار والاتجار ، وبارون بالترفة اهل الامصار ،
وبالبسالة والشجاعة اهل القفار .

وهناك قرى عديدة منها قنار ، وقبة ، وبقعاء ، وسميراء ، وكهفة هي كلها
تابعة لحائل . واذا سرنا منها شمالاً بغرب واجتزنا النفود الكبرى نصل الى جوف
آل عمرو او

وادي سرحان

التي كانت لعرب الرولة من عنزي فاستولى عليها ابن الرشيد ، ثم بعد سقوط
حائل دخلت في حوزة ابن سعود . قاعدتها الجوف واهم قراها سكاك ، وكاره ،
وقرايا الملح ، وأثره ، وقراقر . هناك عند الطرف الشمالي من وادي سرحان
الحدود الشمالية الغربية لسلطنة نجد .

الاحساء

هي اكبر واخصب النواحي ، بعد جبل شمر والقصيم ، التابعة لسلطنة نجد .
جاء في الكامل للمبرد^(١) : « الحساء جمع حسي وهو موضع رمل تحته صلابه ،
فاذا امطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابه ان يفيض ، ومنع
الرمل السائم ان تنشفه . فاذا بحت ذلك الرمل اصيب الماء . يقال حسي »

(١) الجزء الاول صفحة ٧٦ طبعة آيبك سنة ١٨٤٦ في ٤ اجزاء .

أحساء ، وحساء » .

هذا الوصف علمي صحيح . الا ان في الاحساء واحات متفرقة اهمها واحتا الحساء والقطيف ، وبينهما ارض رملية مثل التي وصفها المبرّد . وفي هذه الواحات المياه الجارية ، والعيون العذبة ، والبساتين الغناء ، والارض التي تصلح للحراثة ، فتزرع فيها الحنطة ، والشعير ، والسسم ، والذرة ، والارز . وفي الحساء قرب الهفوف عيون معدنية متنوعة ، ماءها حارة وباردة ، اهمها عين نجم قرب المبرّز التي يتغنى الشعراء بمائها العجيب — ماء المعدني الحار .

قد كانت الحسا في ايام القرامطة عاصمة مقاطعة هجر ، ثم استولى عليها الامراء العيونيون^(١) وفي سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) في عهد السلطان سليم الاول ، دخلت في حوزة الدولة العثمانية التي كانت قد استولت على اليمن ، فعدت الحسا من الولايات الثمانية . ثم أختمها الدولة فاستولى عليها بنو خالد الى حين ظهور آل سعود الذين ادخلوا بني خالد في طاعتهم .

وعلى اثر التتاق الذي حدث بين انا- الامام فصل سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م يوم كان مدحت باتنا متوليا على بغداد ، عادت الدولة الى الاحساء فاحتلتها ، واطلقت عليها تيمناً اسم لواء نجد . وكنها في مدة اربعين سنة لم تتمكن من بسط سيادتها على باع من الارض خارج الواحات .

هذي هي نواحي نجد واهم ما يحقناها ، ما عدا عسير ، وفيها يسكن اصغر من اهل البلاد . اما البدو فسكانهم احياء ، وقد قل عددهم في عهد السلطان عبد العزيز بسبب الهجرة القرى المسنحة (التي شرع في تأسيسها منذ عشرين سنة^(٢) فسكان نجد اذن هم اليوم اساساً ثلاث طبقات اي البدو ، واهل الهجر ، والحضر .

(١) راجع « ملوك العرب » الجزء الثاني صفحة ٢١٤
(٢) في الملحق اسماء هذه النجر وعددها وعدد سكانها .

النبة الثانية

محمد بن عبد الوهاب والوهابية

ولد سنة ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م

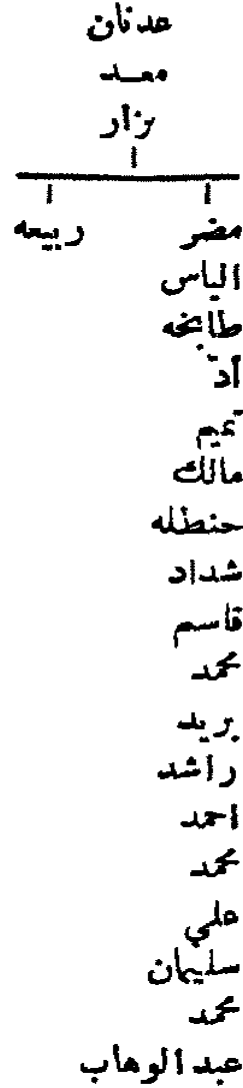
توفي سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م

من مؤلفاته

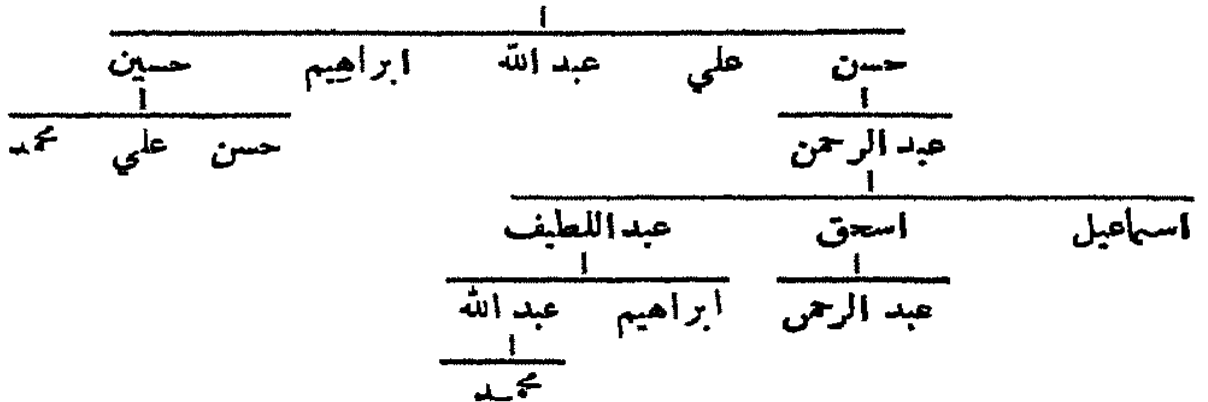
التوحيد في ما يجب من حق الله على العبيد
 السيرة المختصرة
 كشف الشبهات
 كتاب الكبار
 اصول الايمان
 فضائل الاسلام
 احاديث الفن
 مختصر زاد المعاد
 مختصر صحيح البخاري
 مسائل الجاهلية
 مجموع الحديث
 استنباط القرآن

رسائل عدة ذكرها ونقل بعضها حسين بن غنام في تاريخهم

نسب محمد بن عبد الوهاب



محمد بن عبد الوهاب



« إن الدعاء كله لله ، يكفر من صرف منه شيئاً لسواه »

محمد بن عبد الوهاب

« محبة الاولياء والصالحين انما هي اتباع هديهم وآثارهم والاستنارة بضياء

انوارهم » .

محمد بن عبد الوهاب

« المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت او ناناّ تعبد من دون الله ،

والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه

الارض مع القدرة على ازالته »

من رسالته الى عبد الله بن سُحَيْم

محمد بن عبد الوهاب والوهابية

١

في وادي حنيفة ظهر مسيئمة الذي حارب النبي والاسلام فكان مدحوراً .
 قتله خالد بن الوليد في وقعة الروضة . وفي وادي حنيفة ، بعد الف ومئة سنة ،
 ظهر محمد بن عبد الوهاب الذي كآفح البدع والخرافات فكان من الفائزين .
 قبل ظهور هذا المصلح النجدي كان العرب في نجد ، بل في الشطر الشرقي
 من شبه الجزيرة ، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف ومن الاهواز ،
 او بالحري من بلاد فارس . فكان لا يزال لآباحات القرامطة اثر في الاحساء ،
 وكانت للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها ، فحلبها الناس المحل الاعلى في العبادة
 والتوسل . والحق يقال ان هذه البدع ، او هذه الخرافات القديمة ، ابعدت العرب
 بادية وحاضرة عن حقيقة الدين الكرى وجوهره الازلي الحي .
 ابعدتهم عن الاسلام الذي حا- يبطل عبادة الاوثان وكل ما فيه رائحة
 العبودية لغير الله . فعادوا الى ما كان فيه اجدادهم وامنوا اكثر منهم في
 الحرعبلات والاضاليل ، فله ينوسلوا فقط الى قبور الاواياء بل تعددت القباب
 فوق القبور فصارت التناعة الكبرى للاحجار . بل كانوا يعبدون حتى الاشجار ،
 فيعلقون على اغصانها الرقاع ويقدمون لها النذور . ومن هذه الاتجار في نجد ،
 خصوصاً في كهوف جبل طويق ووادي حنيفة ، ما كانت تفوق سواها شهرة ،
 وتماز اسماً وفعلاً ، في نفلر عبادها الذين كانوا يجيئونها من اقصى نواحي الجزيرة
 متركن متوسلين .

فان ان هذه العبادات ابعدت العرب عن الاسلام بل استهم حقائقه

واركانه ، فقلّ منهم من كانوا يقرأون القرآن ويفهمون . قال المؤرخ النجدي : « اهل الناس الصلوة والزكوة والحج وكانوا لا يعرفون حتى مركز الكعبة » . وبكلمة اوضح عادوا الى الوثنية ، فجاء ابن عبد الوهاب يعيدهم الى الاسلام . فكان منذ نشأته الى يوم وفاته يدعو للرجوع الى الكتاب والسنة ، وقد انتشرت دعوته في نصف قرن بين الحاضرة والبادية ، وعمت في عهد سعود الكبير البلاد العربية جمعا .

نعم قد كان في نجد علماء يتبعون الامام احمد بن حنبل في المذهب والاحكام . ولكن علمهم لم يخلُ مما يثوب طريقة المجتهدين والمتصوفين . فكانوا من هذا القبيل يشبهون علماء الكنيسة المسيحية في القرون الوسطى .

ومن كبار اولئك العلماء النجديين جد صاحب الترجمة محمد بن سليمان بن علي التميمي . قد كان الشيخ محمد رجلاً فاضلاً كريماً ، تولى منصب الفتوى في نجد ، ودرس علمي التفسير والحديث ، وكان لجه العلم ينفق على الطلبة من ماله الخاص ناهيك بان بينه كان على الدوام مفضوحاً للفقراء والمظلومين اللاجئين الى يره واحسانه .

وكان ابنه عبد الوهاب مثله من رجال العلم والحجى ، تولى القضاء في بعض بلدان العارض فكان عادلاً حكيماً ، وألف رسائل عدة في الفقه والتفسير ، ولقن ابنه محمداً شيئاً من العلوم التي كان يحسنها . اما سجيته الكبرى ، تلك التي تميز العالم الحقيقي عن سواه من الناس ، انما هي الوداعة والاتضاع . وناهيك بها من سجية تحمل صاحبها على الاقرار بالفضل حيثما كان في ولد صغير ، او في خصم كبير . فقد طالما استعان الشيخ عبد الوهاب بابنه محمد في حل المضلات الفقهية والدينية ، وهو القائل : « قد استفدت من ولسي محمد فوائد نتى في الاحكام » . كانت ولادة محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن سليمان بن علي التميمي في السنة الخامسة عشرة والمئة بعد الالف (١٧٠٣ هـ) في العيينه بوادي حنيفة ، وقيل في حُرَيْمِلَة . على ان المؤرخ ابن بستر يزىل على ما ارى الريب في الرواية الاولى اذ يقول : « ولد في العيينه قبل ان ينقل ابوه الى حُرَيْمِلَة » : فكان

عبد الوهاب نقل يوم كان ابنه صغيراً فتضاربت بعدئذ الآراء في اية البلدين .
 مسقط رأسه . والاقرب الى الصحة رواية ابن بشر .
 ولد محمد علي ثيء من الشذوذ ، وكان سباقاً في عقله وفي جسمه ، سريع البلوغ
 في الاثني عشر ، متوقد الذهن ، حاد المزاج . فقد أظهر القرآن قبل بلوغه العشر ،
 وبلغ الاحتلام قبل اكمال الاثني عشرة سنة . قال ابوه . « ورأيتاه اهلاً للصلوة
 في الجماعة وزوجته في ذاك العام » . وما عتم بعد ذلك ان حج وأدى المناسك
 على التمام واقام شهرين في المدينة . ثم عاد الى بلده واخذ في القراءة على والده
 ولكنه لم يكتف بذلك فرحل طالباً المزيد . زار الحجاز والأحساء والبصرة مراراً
 وكان الشيخ عبد الله بن ابراهيم آل سيف النجدي والشيخ محمد حيوة السندي
 المدني من اساتذته . فغرست في ذهنه مذاهب دلت في نموها الضئيل على ما
 تأصل فيه بمسقط رأسه تحت سقف والده من مذهب الامام احمد بن حنبل .
 وقد كانت اكثر اقامته في البصرة حيث قرأ الكثير من كتب اللغة والحديث
 على الشيخ محمد المجموعي . ولم ينحصر جهده في الدرس بل شرع يبشر هنالك
 بما تجلى له من حقائق التوحيد . انما هو القائل : « كان اناس من مشركي البصرة
 يأتون الي بشبهات يلقونها علي فأقول وهم يعود لبي ، لا تصالح العبادة كها الا
 لله ، فيبهت كل منهم ، فلا ينطق فاه . »
 اما النفوذ الاكبر في البصرة في تلك الايام فكان لا يزال للشيعة ، مكبرة
 الاولياء . ولكن ابن عبد الوهاب الشاب لم يحجم عن القول الحق حسب اعتقاده ،
 فادهش الناس واثارهم عليه ، فخرجوه ذات يوم من البصرة . مشى في الحجابة
 مطروداً يقصد الى الزبير ، وكان في زيمته ان يزور الشام ، ولكنه لضيق زاده انثنى
 عن عزمه وعاد الى نجد فأتام ووالده عبد الوهاب في حرمله . ثم شرع بيت مبدأ
 التوحيد وينادي باخلاص العبادة لله وحده ، فكان شديد اللمحة ، قوي الحججة .
 وكان في حرملة قبيلتان لاحدهما رهط من العبيد كثيري الفساد والفسق ،
 فحاول الشيخ محمد ان يردعهم فاغضبهم ، فقاموا عليه ذات ليلة يريدون قتله ،
 ففر هارباً الى العيينة .

بعد عودته الثانية الى مسقط رأسه يبدأ فعلاً نشر الدعوة . بل قد شبت
 . هناك نيران حربها ، فرفعت بين الانصار اعلام التوحيد ، ولعت سيوف الحق
 المسلولة . اردعوا المعاندين والمعارضين ! وكان الشيخ محمد يزداد شدة يوماً
 فيوماً ، فاشتهر امره في جميع بلدان العارض ، في حريلة والعينه والدرعية
 . والرياض والمنفوحة ، وتعددت اتباعه واعدائه . بل ظهرت الانصار وكان ثيآن
 بن سعود واخاه مشاري في ظليعتهم .

ولكن النصير الاول الكبير هو عثمان بن معمر الذي كان يومئذ امير العينه .
 وقد اتفق ابن معمر وابن عبد الوهاب على العمل الاول الخطير في نشر الدعوة ،
 العمل الذي أضرم نار الحماس ونار العدا في الناس .

قلت ان عرب نجد كانوا يومئذ يقدسون القبور ، بل كانوا يعبدون القباب
 فوق القبور ، والاشجار التي يزرعونها في ظل القباب . فأول ما باشره الشيخ
 محمد هو انه امر الامير عثمان تلميذه الاول بن الامراء الحاكمين ، بهدم القباب
 والمساجد المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة ، وبقطع الاشجار التي كانت تتوسل
 اليها الناس .

قبل الامير ، وخرج والشيخ وجماعة من الانصار الى الجبيلة فهدموا قباب
 القبور ، قبور الصحابة هناك . ثم تناول الشيخ محمد الفأس بيده وانزال به على
 الشجرة التي كانت مشهورة في وادي حنيفة بعجائبها ، شجرة « الذيب » ولية
 الفتاة طالبة الحبيب ، والارملة ذات القلب الكئيب ، والزوجة حاملة الطيب ،
 تبغي الابن الحبيب .

صارت الشجرة العجيبة وهي تهوى الى الارض ، فكان لصوتها الرهيب صدى
 تردد في شعاب الوادي وفي جبال سدير . ثم اقتدى التابعون بامرائهم فشرعوا
 يهدمون القباب ويجعلون القبور مسنمة كقبور الصحابة .

هذا هو الحادث الاول الخطير في تاريخ الدعوة . اما الحادث الثاني فهو
 اشد من خطورة لان فيه قطع امرأة لا قطع شجرة . انت تعلم ان الشرع
 الاسلامي يوجب قتل الزانية رجماً . ودعوة الشيخ انما هي الرجوع الى الشرع —

الى القرآن قبل كل شيء . الزانية ، هي ذي في العيينة . وقد ثبت زناها باقرارها^(١) وبشهادة اربعة اعيان^(٢) فجئ بها الى الساحة وامر الشيخ ان تُشد عليها ثيابها وتُرجم . رمى الامير عثمان بن معمر الحجر الاول ، وتبعه الراجمون ليطم الحكم المشروع بالسنة والاجماع . لم يذكر التاريخ اختتام هذه الفاجعة ، فكان الشيخ رأى فيها الارهاب الكافي .

رُجمت الزانية ! فسرى خبرها سير البرق في البوادي والحضر ، ووقع وقع الصاعقة في القلوب الاثيمة والقلوب الطاهرة ، فسكت أناس ، وصاح اخرون . ومن هؤلاء اهل الحسا الذين قاموا يمتجون ، فقد كانوا كما قلت مستمتعين باشيا . بن الاباحات القرمطية ، فكتب امبره سليمان آل محمد رئيس بني خالد الذي كان يحكم يومئذ حتى في العارض ، وكان ابن معمر عاملاً له ، يهدد الشيخ المصلح بالقتل اذا كان لا يرجع عن غيّه « في تخريب قلوب المسلمين وافساد دينهم » .

لم يرجع الشيخ المصلح عن دعوته . فارسل الامير سليمان الى عامله الامير عثمان يأمره بقتل محمد بن عبد الوهاب . فرأى الامير ان خير طريقة لحفظ منصبه ، وخالص صاحبه ، هي ان يغادر الشيخ العيينة .

رحل المصالح الى الدرعية^(٣) فكانت الهجرة الثالثة وهجر في النانية والاربعين من سنه . وقد نزل هناك ضيفاً على احد تلاميذه احمد بن سويل ، فتهاون بليته الانصار ، بالفرا في اكرامه . الا ان محمد بن سعود امير الدرعية تردد في مقابله ، فاجاب عليه بذلك اخواه ثبانه مستاري ، فقال متردداً . ثم جأ الى زوجته^(٤) وكانت من النساء العاتلات النبيهات ، فأخبرها بما يدعو الشيخ اليه ، بما ينهي عنه ، فأرتاحت الى ذلك ووعدهما خيراً . انهما عمالبا يدل على ما للمرأة حتى داخل

(١) وقيل ان امرأة بني جاءت الى الشيخ تلمس التوبة على يده فرده اولاً وثانيةً وثالثاً . ثم حكم عليها بالرجم .
(٢) في كتابي « ملوك العرب » الفصل ١٤ ص ١٠٢ وما يلي من انقسم الخامس . (الجزء الثاني) وصف لوادي حنيفة وبلداته .
(٣) هي موضىات اب وهطان من آل كبير

الحريم ودرء الحجاب من التأثير الطيب ، اللهم اذا كانت عاقلة ، وعالمة بشؤون الامة . قالت هذه « الخديجة » الفاضلة لاميرها ابن سعود : « ان هذا الرجل ساقه الله اليك وهو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به » .
 قبل الامير قولها « وقذف الله في قلبه محبة الشيخ ومحبة ما دعا اليه » فاراد ان يدعو للمقابلة ، فقال اخوه مشاري : « سر برجالك واظهر تعظيمه وتوقيره ليسل من اذى الناس » فسار محمد بن سعود الى بيت ابن سويلم ورحب بابن عبد الوهاب قائلاً : « ابشر ببلد خير من بلادك وبالعزيز والمنعة » . فقال الشيخ : « وانا ابشرك بالعزيز والتمكين اذا عاهدتني على كلمة التوحيد التي دعت اليها الرسل كلهم » .

وفي ذاك اليوم عقد العهد الذي جمع بين عقيدة المصالح وسيادة الامير — بين المذنب والسيف — فتعهد ابن سعود بنشر دين التوحيد في البلاد العربية ، وتعهد ابن عبد الوهاب بان يقيم في الدرعية معلماً ، وان لا يحالف اميراً آخر من امراء العرب .

ولا يزال هذا العهد مرعياً بين البيتين بيت سعود وبيت الشيخ^(١) حتى اليوم .

٢

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقد الرابع من العمر عندما بايع ابن سعود ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م) على ان يكون اماماً يتبعه المسلمون ، وتعاهد الاثنان على كلمة التوحيد ونشرها بين العرب .

ولما علم الامير عثمان بن معمر بذلك جاء يسترضي صديقه ويسأله الرجوع الى العيينة فلا يفز ببغيته . ذلك لان الشيخ عاهد ابن سعود على ان يقيم في الدرعية ، فجعلها مقره الدائم ، فاصبحت في الشطر الثاني من حياته قطب دين التوحيد ، ومطلع انوار العلم التي كانت تنبثق من شمس المشرق . فقد يخرج عليه اناس كثيرون ، كان يرسلهم الى البلدان القاصية والدانية مبشرين ، معلمين

(١) في نجد يعرف محمد بن عبد الوهاب بالشيخ وتدعى سايلته ببيت الشيخ .

مرشدين ، منذرين .

كانت الدرعية يومئذ بلدة صغيرة قليلة اسباب الرزق والثروة . ولما كثر الوافدون على الشيخ ضاق بهم العيش فكانوا يحترفون في الليل ويتعلمون في النهار . وما دنا القرن الثاني عشر من الزوال حتى اصبحت اكبر مدينة في البلاد العربية ، يقيم فيها العرب بن اليمن وعمان ومن الحجاز والعراق والشام .
 قد رأى ابن بشر الدرعية في زمن سعود بن عبد العزيز فدهش مما شاهده من مظاهر الثروة وال عمران . وقد وصف موسمها فقال « نظرت الى موسمها وانا في مكان مرتفع وهو في الموضع المعروف بالباطن بين منازل الغربية التي لآل سعود المعروفة بالطريف ، وبين منازل الشرقية المعروفة بالبحيري التي فيها ابناء الشيخ ، ورأيت موسم الرجال في جانب ، وموسم النساء ^(١) في جانب آخر ، وما فيهما من الذهب والفضة ، والسلاح والابل والاغنام ، وكثرة ما يتعاطون من البيع والشراء ، والاخذ والعطاء . وهو مد البصر لا تدمع فيه الاكدوي النحل الاصوات ، والدكاكين الى جانبيه الشرقي والغربي وفيها من الثياب والقماش وانواع الالبسة والسلاح ما لا يوصف » .

عمرت كلمة التوحيد الدرعية ، فأضحت في ايام سعود الكبير عاصمة البلاد العربية ، وصار الشيخ محمد فيها المرجع الاعلى في العلوم والاحكام . على انه ظل مع ذلك يعلم يبشر ويؤلف ويراسل وبناقش نشرأ لمذهبه ودفاعا عنه . حتى ان اولاده الخمسة حسن وحسين وعلي وعبدالله و ابراهيم كانوا عوناً له في التعليم . قلل ابن بشر : « قد رأيت لهؤلاء الخمسة مجالس ومحافل للتدريس في بلد الدرعية ، وعندهم الطلبة الكثيرون من سائر نواحي نجد ومن اهل صنعاء وزبيد وعمان وغيرها من الاقطار .

اهم التعليم فقد كان مجانياً ، بل كان للطلبة نفقة جارية من بيت المال ، وللاذكياء منهم جوائز فوق ذلك من مال وكسوة . هناك تلات انوار الدين والفقه والحديث ، فكانت الدرعية في تلك الايام مثل رومه في العهد المسيحي

(١) للنساء حتى اليوم في نجد سوق خاص بهن يمن وبشترين فيه

اللاوسط ، وكانت مدارس الشيخ محمد واولاده ميل المدرسة الكبرى برومه
لنشر الايمان . ولد هذا الجدي الكميروشا في بيت العلم والهد فاسرب روحه
بنيه ، واحد احفاده واباؤهم العلم عنهم وعده ، مهم لا يرالون حتى اليوم محافظين
على هذا الارت التمين ، الا انه يقصهم تيء من المروية العقلية والروحة ، فلا
يعادون عتآسة التطور والعمارا .

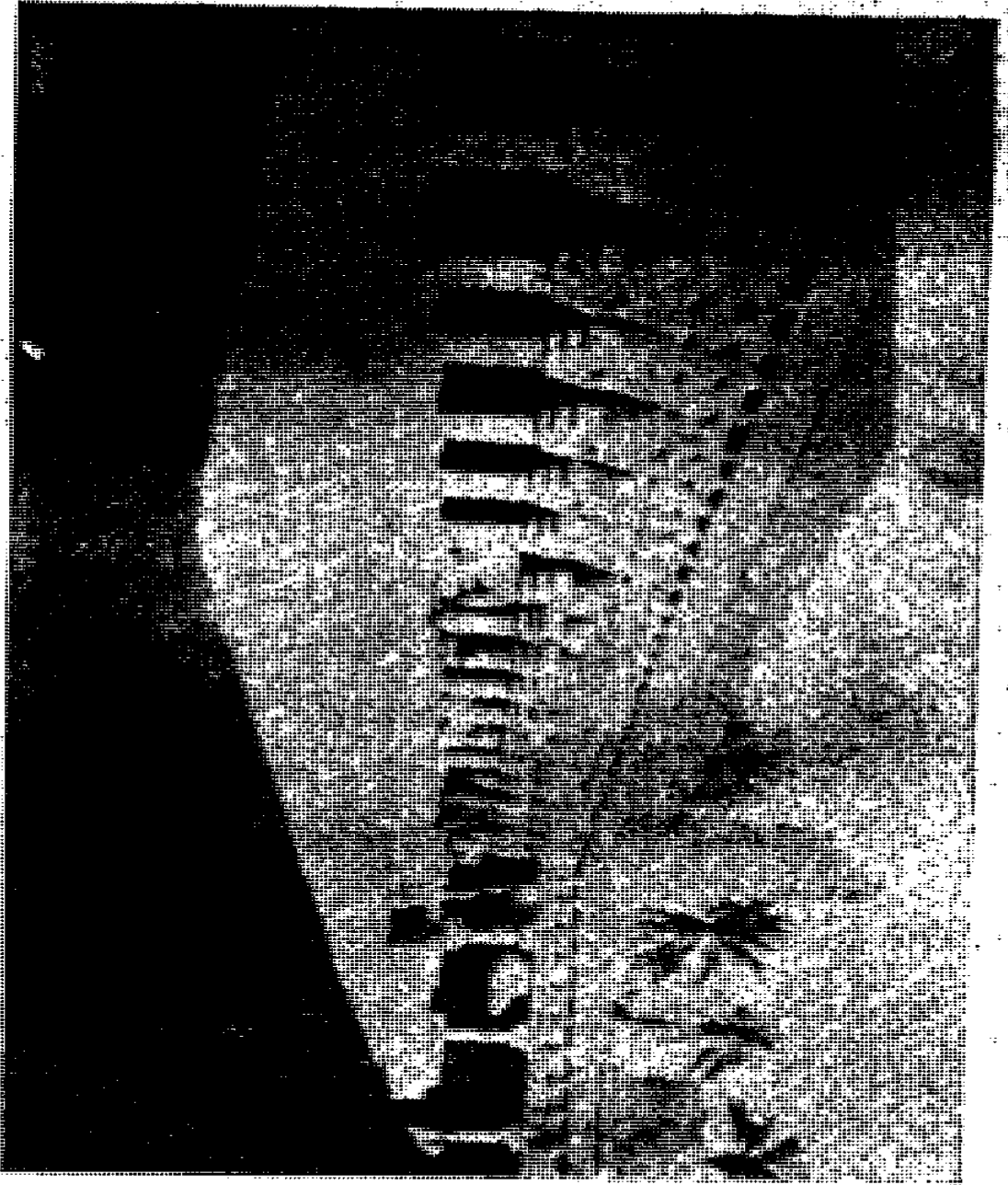
لم يتدخل الشيخ محمد في شؤون الملك الماسية وان الامير محمداً وابنه عد
العريز كانا يستشيرانه في الاحكام الترععية ، وكانت له الكلمة الاولى في المايعة
على الامامة .

٣

حالت الدرعية تطآاً للعلم والعمارة الى يوم دمرها ابراهيم باشا المصري .
وبعد ان استوطنها السج سرح يكاب . رؤساء والمتاح يجرهم من التبر-
ويدعوهم لسين الله دين الوحيد . وكان آرا - ساين آل محمدا . الحما ، وان
معلق امير القطيف ، وان تويي اه را في الصرة ، وان دواس حانامس قلا
في الرياض ، وكاهم اعداء مذهب السوحيد . هالامراء المعادون . وهما - العلماء
السيون والتيصون الذين سحروامه ، واه راه اه ، ورجعوا يهموه بكلام
اتهم ه احوارح من قبل . حتى ان عسهم سعى لدى الحكاه في قبله .

اول من صلله وكفره ، وسعى الى العلماء في الصرة والاحساء والحرمين في
مقاومته وقبله ، اما من مطاوعة الرياض هما محمد بن سجي وابنه سلمان ، فقالا
ان ان عبد الوهاب خارجي ، ان من اقبح المعالين والكسار ، وان احوارح
والعجار . وس حمله من رخص دعوته ورد انه يكي - في الام احوه سلمان
بن عبد الوهاب الذي كان مساوا القضا في حرما . وكه اهدي مدد وتاب ،
فأقر بخطاه وناول ان كتابه لم يكه - لوجه الله .

حارب المصلح العلماء اعداءه اعرا . ولكن الحملة ، بي عامة الناس الذين
انارهم العلماء ، انه ، لا يتراون ، مقلمه يون . ملايمرون الريارة والعمادة



٢٢ — ٢٢

الجامع الكبير في الرياض

مثلاً ، وبين الأكرام والتوسل . قيل لهم ان ابن عبد الوهاب ينكر كرامة الاولياء ، وهو لا ينكر غير الدعوة لهم . وقيل انه يحرّم زيارة القبور وهو لم يحرّم غير عبادتها والتشفع بها . ولكن العربان لا يقرأون وقلما يفهمون غير لغة الغنم والقوة . وقد احرز المصلح في تحالفه وابن سعود سيفاً بتاراً . فالذي لا يفهم بالقلم يفهم بالسيف ، والذي لا يرتدع بالحسنى يرتدع باين عمها .

استل محمد بن سعود الحسام وراح ينهي الاعراب عن افعال الجاهلية ، ويدعوهم لدين الحق الذي هو الاسلام المجرد من الخرافات ، ويامرهم بالعمل بالكتاب والسنة . وكان اتباع ابن عبد الوهاب يدعون انفسهم بالمسلمين واعداءهم بالمشركين .

أشهرت الحرب على المشركين في السنة الاولى (١١٥٧ هـ) من العهد الوهابي السعودي ، فكانت الواقعة الاولى في الرياض بين رجال ابن سعود ورجال دهاام بن دواس . ودهاام هذا عصامي دون فضيلة اخرى له تذكر الا الثبات . زاغصب الامارة ، وهو من خدام القصر واستمر اميراً ثلاثين سنة في زمن الزعازع الدينية والفتن والحروب .

كان دهاام خادماً لعبد يدعى خميس قتل قاتل امير الرياض زهد بن موسى ابا زرعه وتولى مكانه . ثم فر هارباً فتولى الامارة دهاام خادمه ، فقامت عليه الاهالي ، فاستنجد بابن سعود فانجده واقره في مركزه . ولكن العبيد منا كيد فكيف بخداهم ؟

دعا ابن سعود صديقه ابن دواس ادين التوحيد فابى . ثم انذره فاستكبر وقال : ومن هو ابن مقرن ليحمل مفاتيح الجنة وينذر الناس بالنار ؟ شبت الحرب . وكان ابن دواس فيها اشد اعداء التوحيد وآل سعود ، حاربهم في الدور الاول عشر سنين وهو يحتل اليوم بلداً ويخليه غداً . وحاربهم كذلك بالدسائس والفتن . فقد ظهرت الردة في سنة ١١٦٧ هـ في بعض بلدان العارض التي كانت في حوزة ابن سعود وكان هو من عوامليها الخفية .

ولكن المصلح غلب المفتن . يادر الشيخ محمد الى نجدة ابن سعود في تأديب

المرتدين . جاءت الكلمة النارية تشحذ السيف وتعزده . فقد دعا الشيخ الرؤساء والزعماء من جميع البلدان الى الدرعية ، وخطب فيهم باسم الله ، فاعاد الى قلوبهم قبس الايمان ، واضرم فيهم ثانية نار الجهاد .

ومع ذلك فقد استمر ابن دواس يحارب ابن سعود عشرين سنة ، يحاربه بالمقاتلة والمخاتلة . والاه ثم عاداه مراراً . عاهده اربع مرات حباً بدين الله والسلام ، ونكث اربع مرات عهده . حتى انه انضم مرة الى جيشه وحارب المشركين . على انه بعد تعدد الوقعات والهدنات والمعاهدات والخيانات دُحر في سنة ١١٨٢ هـ (١٧٧٣ م) الدحرة التامة النهائية . دحره الامير عبد العزيز بن محمد الذي دخل الرياض ظافراً . ولكنه لم يقز بدهام الدواس الذي فرّ هارباً الى بلاد الخرج وتوفي هناك .

وكان للموحدين عدو اخر لدود يدعى 'عربعر' ، خلف الامير سليمان رئيس بني خالد في الحساء . فقد جاء بجيش جرار من العربان ، وفيهم جنود من عنزي كبيرهم ابن هذال ' ' ، وبمدافع حملتها الجمال فاجتازت بها الدهناء . منصبت المدافع وحوصرت الدرعية . وانضم الى العدو كثيرون من اصحاب الردة ، ومن اهل الوثم وسدير الذين ترددوا في قبول التوحيد .

وقد كان عربعر صاحب مكر وحيلة ، بل كان مخترعاً . فبعد ان حاصر الدرعية شهراً دون نتيجة يشكر عليها اخترع آلة جديدة للحرب سميت الزحافة . وهي صندوق من خشب يسير محمولاً على دراريج ، يجلس فيه من العشرة الى العشرين رجلاً ، وهم في امن من رصاص العدو ، فيسوقونه الى السور يربدون هدمه . وما اشبه زحافة عربعر بدبابة اليوم . ثم حاول عربعر ان يصب مدفعاً كبيراً يدمر به الدرعية فامر بجمع الحديد والنحاس لهذه الغاية وباشر العمل . شبت النيران ، ونفخت المناخ ، وذابت في المراجل المعادن ، ولكنها في النهاية صدت الطالب ، وعصت القلب . قال مؤرخ ذلك الزمان : « كلما افرغها

(١) كانوا ولا يزالون من اعداء التوحيد وآل سعود ، وكبيرهم اليوم فهد بك الهذال شيخ العبارات ، فغزير من عنزي .

في القالب اب ت «

وكان لعربع ابن اسمه سعدون لم يرغب مثله في التوحيد فحمل على اهله في الجنوب . اجتاز الدهناء بجيشه ، ومعهم المدافع ايضاً ، وهو يبغى اليامة لينجد اهله على الموحدين . ولكنه ، بعد ان جاء اليامة بمدافعه ، عاد منها بدونها ، مثلما عاد ابوه من الدرعية . ولا تزال هذه المدافع محفوظة في برده .

كُسر الاب وكسر الابن ، فجاء للمرة الثالثة موحدين قواهما — لا بد من التوحيد على الاقل في القتال — وحاصراً برده ، فاستمر الحصار اربعة اشهر ، واستخدمت فيه الزحافات التي لم تحفف عن الاب والابن وجيوشها ذل الخيبة والاندحار .

ولكن اهل التوحيد لم يستفيدوا من هذه الغلبات المتوالية لان وجود العدو في نجد كان يشجع على العصيان اولئك الذين اكرهوا في دينهم ، واولئك الذين تخاذلوا . لذلك تعددت الردات في الشمال وفي الجنوب . فكان الموحدون اذا امسكوا القصيم يتفلت من ايديهم الخرج ، واذا وُحِدت الجمعة تعود اليامة الى شركها القديم .

اول من باشر الجهاد في سبيل الدعوة الامير محمد بن سعود واخوانه . ولكن بطل التوحيد الاول هو عبد العزيز بن محمد الذي كان يغزو سيف الجزيرة شمالها وغربها وشرقها وجنوبها ست غزوات في بعض الاعوام ، فوصل في الجنوب الغربي الى وادي البدواسر ، وفي الشمال الشرقي الى السماوة بالعراق . باشر الغزو في سبيل التوحيد وهو شاب ، وباشره كذلك ابنه سعود — سعود الكبير فاتح الجزيرة .

قد عاش محمد بن عبد الوهاب ليسمع بهذا النصر المبين ويشاهد ثمار دعوته في من كانوا يؤمنون الدرعية من سائر الاقطار ليسلموا عليه . ولكنه لم يعيش ليعلم بفتح الحجاز ودخول سعود ظافراً الى مكة المكرمة . فقد كانت وفاته قبل ذلك باثني عشرة سنة ، اي في السنة السادسة والمئتين والالف (١٧٩٢م) يوم كان سعود يحارب عرب المنتفق خارج البصرة ، ويوم كانت جيوش الشريف

غالب زاحفة من الحجاز لمحاربة اهل نجد .



ان في الصفحة الثالثة من كتاب^(١) يتضمن عدة رسائل لمحمد بن عبد الوهاب وابن تيمية ما يلي :

اعلم رحمك الله ان يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل . والعمل بها :

اولاً — ان الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل ارسل الينا رسولا .
 فمن اطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار . والدليل قوله تعالى .
إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا . فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً .
 (سورة المزمل آية ١٥)

الثانية — ان الله لا يرضى ان يشرك معه في عبادته احد ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . والدليل قوله تعالى .
وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا .
 (سورة الجن آية ١٨)

الثالثة — ان من اطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاته من حاد الله .
 ورسوله ولو كان اقرب قريب . والدليل قوله تعالى .
لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ .
 (سورة المجادلة آية ٢٢)

انك ترى اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مثل ابن تيمية والامام

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار بمصر على نفقة عيسى بن ربيع من اهالي نجد وهو يوزع مجاناً . وكذلك «التففة السنية» التي طبعت على نفقة الامام جلالة الملك عبد العزيز

احمد بن حنبل، يعود في هذه الاصول الى المصدر الاول الاعلى — الى القرآن . فكل ما هو مبني عليه من العقائد والاحكام لا يُرد ولا ينتقد . ولكن الحنابلة والوهابيين لا يختلفون في هذا والائمة الاخرين . انما الخلاف في التفسير والاجتهاد . فالجعفريون اي علماء الشيعة ، وهم على جهة الاجتهاد في التطرف ، يفتحون الباب على مصراعيه . والحنابلة وهم على الجهة الاخرى المناقضة يفتلونه . يقرأ الجعفريون بين سطور الكتاب ، وفي تلافيف الآيات ما يبتون عليه الاحكام ، وما لا يخلو في بعض الاحايين من ابهام ، فيتخذون التفسير وسيلة للفرار من معنى الآية الحرفي . ويقول العلماء الحنابلة ان لا باب بعد الخلفاء الراشدين للاجتهاد ، ان كل ما في الكتاب واضح جلي . وهناك بين الفريقين ، علماء المذاهب الاخرى اي الحنفيون والتابعيون والمالكيون الذين يشبثون حق التفسير ولا يغالون في استخدامه .

بعد الكتاب تجي السنة وهي محرمة متبعة عند الحنابلة والوهابيين . ولكن الاسناد في السنة لا يكون دائماً محققاً فيثبت بعض المحدثين بعض اعمال النبي واقواله ، ويثبت كل المحدثين بعضها ، ويختلف المحدثون في جملة منها . هوذا منشأ الاختلاف بين الشارحين والمفسرين .

ولكن الامام احمد بن حنبل اهتدى على ما ارى الى الطريق التي فيها العلم الوضعي ، الواضح الجلي ، في ما هي السنة . وكأنه غربل الاحاديث ونبد كل ما ليس عليه الاجماع ، فلا يقبل الا ما يثبتته كل الائمة . وقد توصل والحال هذه الى اصح الطرائق العملية وجاء بمذهب في الانتخاب، ولنا ان نقول في التفسير، يصح ان يدعى بالمذهب العقلي الوضعي .

هي القاعدة التي وضحها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قوله : « الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب ، وما قاله وعمل به الاصحاب ، وما اختاره الائمة الاربعة المقلدة في الاحكام المتبعة ، فقد انعقد على صحة ما قالوه الاجماع » . ثم قال : « والسنة في عرف العلماء المتأخرين هي السالبة من الشبهات في الاعتقادات » .

وقد قام ابن تيمية في القرن الثامن للهجرة ينصر ابن حنبل وبنشر مذهبه،
يل ينصر ما رآه حقاً ، وبين ان مذاهب الائمة كلها لا تختلف في الحق بعضها
عن بعض . فألف الرسائل في الحديث والعبادات ، وفي زيارة القبور ، وكان
للائمة مثل الرسول بولس للمسيح .

قد اسلفت القول ان اهل نجد ، على ما كانوا فيه من سخييف العبادات ، هم
اصلاً حنابلة . وقد كان جد الشيخ محمد وابوه وغيرهما من القضاة يسخرجون
الاحكام على مذهب الامام احمد . اما الشيخ محمد نفسه فقد طالما تمثل بهذه
الايات :

باي لسان اشكر الله انه لنو نعمة قد اعجزت كل شاكر
هداني الى الدين القويم تفضلاً علي وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد بن حنبل عليه اعتقادي يوم كشف السرائر

قد كان الشيخ محمد معجباً ايضاً بان تيمية مكثراً من مطالعة كتبه . وهو
القائل : « لست اعلم احداً يجاري ابن تيمية في علم الحديث والتفسير بعد الامام
احمد بن حنبل » . انك ترى اذن ان المذهب الوهابي هو في اصوله المذهب
الحنبلي . وازيدك علماً ان كثيرين من اهل نجد — من اهل التوحيد — يدعون
انفسهم حنابلة وبوثررون هذا اللقب على سواء .

ما فضل ابن عبد الوهاب اذن ؟ ان فضله بالرغم عما ذكرت لعظيم . ايس
من الواجب ان يكون المصلح مبتكراً طريقتة او مكتشفاً لناموس جديد في الكون
او في الحياة . ان المصلح لمخلص اولاً في يقينه لا يهاود فيه ولا يحابي ، وهو
مخلص في عمله لا يخرج فيه عن يقينه . وانه اذا ما بلغ هذ الدرجة من الاخلاص
لمتعصب . والمتعصب مقاتل حتى يسنقيم المعوج ، وتصفو موارد العبادة واليقين .
اما مواد العمل واسباب الاصلاح فقد يجدها مدفونة في زوايا النسيان لا
في ظلمات الماضي ، مكفنة بالغيار والصداء والعنكبوت ، ولا يزال الرمتق فيها .
لا تزال ، رغم ما أثقلت به من الخزعبلات والخرافات ، على شيء من الحياة .
ان المصلح ليجد هاهنا دعوته ومصدر العمل والالهام . اجل ، حيثما الحياة هناك

ايضاً بذورها ، وحيثما البذور هناك النشو والنمو والخلود .

اننا نقول اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذي اتقذ المذهب الحنبلي مما كان يكتنفه في نجد من اسباب الفساد والاضمحلال . هو الذي اكنشف بذور الحياة فيه فاعاد زرعها وجدد موسمها . فهل ندعوه مجدداً ؟ انه كذلك وفوق ذلك . هل ندعوه مصلحاً ؟ قد كان ولا شك الباعث الاكبر لاصلاح كبير في نجد ، ولكنه قصر ، اذا توسعنا بمعنى الكلمة ، دون الاصلاح الاكبر في الاسلام . عاد الشيخ محمد الى الكتاب والسنة فجاء في حملاته على التبهات والخرافات شي من الشدة في التحريم لا نظنها تدوم . هل ندعوه معلماً ؟ نعم هو معلم كبير ، وقد تجاوز في رسالته التعليم . فقد علم اهل نجد دين التوحيد الذي كانوا قد نسوه ، وفتح فيهم فوق ذلك روحاً قومية عظيمة ، تلك الروح القومية التي مكنتهم ، وهم محصورون بيواد من الرمال في قلب البلاد العربية ، من التوسع والاستيلاء ، فقلدتهم من القوة سيفاً نبوياً ، ومن التفوق روحاً حنفيًا ، ومن النقشف والصبر والثقة بالنفس ، بعد الثقة بالله ، درعاً من دروع الصحابة . هوذا الفضل الاكبر للشيخ محمد بن عبد الوهاب . ان دعوته في نتائجها سياسية كما ترى ودينية معاً . وما كانت كذلك لولا تمسكه في اكثر الاحايين بمعاني الكتاب والاحاديث الظاهرة اي بمعانيها الحرفية .

خذ لك مثلاً مسألة من أدى الشهادتين ولم يصل ولم يركع . فان الامام الشافعي واباحنينة لا يمكن بكفره اذا كان لا يجسد الصلاة وغيرها من اركان الاسلام . وجمنهما في ذلك حديث رواه عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله (صلعم) يقول : خمس كتبهن الله على العباد من اتى بهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، ان شاء عذبه وان شاء غفر له . اما الامام احمد فيحكم بكفره ، ويحتج باحاديث منها : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة . ومنها : امرت ان اتامل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وبقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . وهناك مسألة اخرى في الصلوة والعبادة . يقول العالم الوهابي : من قال :

لا اله الا الله ومحمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات ، ونفريج الكربات ، فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال . اما اذا وحّد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً ولكنه ترك الصلوة والزكوة تكاسلاً فقد اختلف العلماء في كفره . ولا عصمة للعلماء الا في الاجماع . كل واحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله . جاء في الكتاب : فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله . وقال العلماء : الرد الى الله هو الرد الى كتابه .

العود اذن الى الكتاب وما فيه من آيات يلزمها شرح او تفسير ، وغيرها ما هي واضحة جليلة الا انها انزلت لغرض معلوم ، في وقت معلوم . فمن عاد الى التاريخ ، ولجأ الى مفاتيح التفسير ، رحب لديه ولدى اتباعه مجال الفكر ، وضاق غالباً مجال اليقين . ومن تمسك بالمعنى الظاهر كانت النتيجة عنده وعند اتباعه عكس ما ذكرت . اما اليقين فقد يضعف او يضعف في تعدد الشروح والتفسير ، والعزم يضعف في ضياع اليقين ، وبشر المذهب اذا ضعف العزم في رجاله لا يتم وقد يستحيل .



لم يكن محمد بن عبد الوهاب خشن الطبع قاسي القلب عتياً ، بل كان في حياته الخاصة والعامة لطيفاً ، محسناً ، شفوqاً ، حلماً . على انه في يقينه ، شأن كبار المصاحين ، لم يكن ليهود او يلمين . علم الناس معرفة الله ومعرفة النبي ومعرفة الدين بالادلة القرآنية ، والاحاديث النبوية ، على طريقة الصحابة ، خلافاً لعلماء المسلمين في الامصار الذين يعلمون هذه المواضيع الثلاثة على طريقة المتكلمين . قد ناله من الجهلاء وادعياء العلم ما نال كل مصلاح كبير . لا سيما وقد جاء يردعهم عن عادات الاباء الاسلاف الذين درجوا على حب البدع والخرافات . على انه لم يكن احداً من هؤلاء بل كان يقول : معاذ الله ان اكفر من قال : لا اله الا الله . واكمنه في رجوعه الى الكتاب والسنة اصطدم بآيات واحاديث نبهت فيه نعة الاقدمين فحرض على الاعمال التي شوهدت في الماني كل دين .

على ان الاصلاح ، في بادىء امره ، لا يكون بغير الهدم ، ولا يقوم بغير شيء من الارهاب .

قد جد الشيخ محمد واجتهد في نفع الناس ، ولكنه رآهم واكثرهم من البدو لا يفقهون دقيق الكلام ، ولا يساقون بالبرهان ، فقال بالجهاد ، خصوصاً والكتاب يقدم السلاح ، والسنة تقدم الذخيرة .

« وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا »

(سورة الجن آية ١٨)

أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وقيموا الصلوة ويأتوا الزكوة (الحديث)

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .
(سورة الزمر آية ٤٥)

عليهم اذن ! فأنهم وان قالوا : لا اله الا الله وهم يرجون شفاعته غيره ، او يشركون بالشفاعة غيره ، انهم لمشركون . قد أمرت ان اقاتل الخ . هوذا مصدر الشدة ، ومبرر القتال . وقد كتب الشيخ محمد الى عبدالله بن سحيم مطوع الرياض يقول :

« الغلو في علي بن ابي طالب . مثل الغلو في المسيح . من غالى في نبي ، او صحابي ، او رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول : يا سيدي فلان اغني . او انا في حسبك ، فهذا كافر يستتاب فان تاب والا قتل » .
ومن كتاب اليه ايضاً :

« المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثاناً تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والندى والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته » .

وقد قال النبي : خير القبور من الدوار . . ان الشيخ محمد ليستشهد اذن بالكتاب والحديث ، وبأقوال الصحابة والائمة الاربعة ، على قتل الكفار

والمشركين . ولكنه في بعض رسائله يتكلم ويعتذر . فقد جاء في واحدة منها :
« ولا يخفاكم ان الذين عادونا في هذا الامر هم الخاصة لا العامة
فكاتبناهم وخاطبناهم بالتي هي احسن وما زادهم ذلك الا نفوراً »

وفي كتاب الى عبد الرحمن السويدي في العراق يقول :
« اما القتال فلم قاتل احداً الى اليوم الا دون النفس والحرمة وهم الذين
اتونا في ديارنا ولا ابقوا ممكنا . ولكن قد تقاتل بعضهم على سبيل المقاتلة .
وجزاء سيئة سيئة مثلها »

ان هاهنا شيئاً من الغلبة للطبع الانساني ، ولكنها غلبة لا تثمر دائماً ،
خصوصاً اذا اصطدمت بالنزعات والنعرات ، فتقوم الآيات مقام الحسنات ، فلا
يرى المصلح اذ ذاك غير مشرك حلال الدم والمال ، وقبور ذي قباب لا تصلح
لغير الهدم . ولكن الاثراك درجات ، وفي الآيات معانٍ ظاهرة او باطنة يتسلح
بها من قاوموا الشيخ وضلوه .

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ . (الاية)

(سورة السبا آية ٢٣)

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (الاية) (سورة البقرة آية ٢٥٦)

قال المقاومون : ورسول الله مأذون ، وبالتالي ملائكته ، فتوسع المتطرفون
في المسئلة وقالوا : والمقربون كذلك من رسول الله وملائكته ، اي الاواباء
مأذونون ، فجزء ذلك الى الشرك العميم ، والكفر التميم .
هي ذي حجة ابن تيمية وابن عبد الوهاب الكرى . امس للملائكة ولا
لاحد من المخلوقات سهم واحد في ملك الله ، وليس له اعوان تعاونه كما تكون
للملوك اعوان .

واكن — « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » (الاية) .

اذن هناك شفاعة ، وهي تنفع اذا كان المتشفع به مأذوناً له . وها هنا اختلف
العلماء والمفسرون . كيف السبيل الى معرفة من اذن له الله بالشفاعة ؟ قد اجاب

ابن تيمية على هذا السؤال واحسن التخلّص فقال: « وفي كل حال الاذن من الله فالامر اذن كله له تعالى » . لا تزال في الدائرة التي لا نهاية لها . انت تردني الى الكتاب وانا اردك الى الله . واذا رددتني الى الله اردك الى كتابه تعالى وسنة رسوله .

اما الدعاء وهو نوع من التشفع ، فقد حلله ابن تيمية في قوله ما معناه : ان كل ما لا يستطيعه الا الله لا يجب ان يطالب الا منه تعالى ^(١) ولا يجوز ان يقول الانسان لملك او لنبي او لشيخ ، سواء كان حياً ام ميتاً ، اغفر ذنبي او انصرني على عدوي الخ . ومن سال ذلك فهو من المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصور والتماثيل . ولكن هناك نوعاً من الدعاء يجوز ، كأن تقول لجيرانك عند ارتحالك عنهم : ادعوا لنا بالخير والسلامة . هذا ما يسميه العلماء اجابة غائب لغائب . ثم توسعوا فيه فقالوا ان الناس لما اجذبوا سألوا النبي ان يستقي لهم فدعا الله لهم فسُقوا . وفي الصحيحين ايضاً ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس فدعا فقال : اللهم انا كنا اذا اجدنا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا فسُقوا .

هي ذي حجة اصحاب الاولياء . فاذا استجاب الله لطلبه النبي وعمه النبي افلا يستجيب كذلك لطلبه صهره وابنته وابنيها والصالحين من سلياتيها ؟ ولكن ابن تيمية وابن عبد الوهاب يردان عليهم في قولهما ان هذا من باب طلب الانسان الحي ما يقدر عليه فان حقيقة التوسل بالنبي وبعده هو طلب الدعاء منها في حياتها . وذلك جائز . اما الميت فلا يستطيع امرأ .

قد نهى النبي حتى عن التعظيم . لذلك لا يقبل اهل نجد يد سلطانهم ، ولا يخضعون امامه او يطاطئون له الرأس . لا يجوز السجود والتعظيم لغير الله . وقد نهى النبي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فتصلي صلوة الفجر قبل الشروق وصلوة المغرب بعد الغروب ، ليعبد المسلمون عن العقائد التي

(١) قد ذكر ابن تيمية شفاء الامراض — امراض الادهيين والبهائم — والنصر على الاعداء وغفران الذنوب ، وتعلم القرآن ، واصلاح القلوب ، كلها من الامور التي لا يجوز ان تطلب من غير الله .

كانت شائعة في الجزيرة خصوصاً في اليمن وفي الاحساء ، اي عقائد عبدة الشمس والكواكب ، الهجوس والصابئين ، فلا يسجدون مثلهم للشمس .
 اما زيارة القبور فمشروعة شائعة عند الوهابيين ، والدعاء للميت هي بمنزلة الصلوة على جنازته . فاهل نجد الذين يواظبون على هذه العادة يقولون : سلام عليكم اهل ديار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون . يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين . نسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمننا اجرهم ولا تفتننا بعدهم . هو دعاء جميل . واجمل منه جواب النبي لرجل قال له : ما شاء الله شئت . فقال النبي : « اجعلني لله نداً . ما شاء الله وحده » . وقد قال ايضاً : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد » . وهذي هي القادة التي يجري عليها اليوم اهل نجد فيقولون مثلاً : ما شاء الله ثم ما شاء ابن سعود ، نسأل الله ثم ابن سعود ، لولا الله ثم ابن سعود لهلكنا .
 اما التوسل فهو على ثلاث درجات :

الاولى — ان يأتي المرء الى قبر نبي او ولي او يعتقد انه قبر نبي او رجل صالح ويسأله حاجته في ما لا يقدر عليه الا الله ، فهذا شرك صحيح يجب ان يستتاب صاحبه . فان تاب ، والاُتتل .

الثانية — ان يطلب المرء من النبي او الولي او الشيخ الصالح ان يدعوه كما يقول للحبي . ادع لي كما كان الصحابة يطلبون من النبي الدعاء . هذا مشروع في الحبي لا في الميت من الانبياء والصالحين . دليل ذلك ان الناس في زمن عمر استسقوا بالعباس عم النبي ولم يجيئوا قبر النبي مستغيثين به . وقد قال النبي لا تتخذوا قري عيداً ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلواتكم تبلغني ^(١) .

(١) ليس في المذهب الوهابي او الحنبلي ما يمنح المسلم عن الحج او يوجب هدم قبر النبي ولكن الحنابلة والوهابيين يختلفون عن سواهم من المسلمين في انهم يزورون القبور للسلام كما قلت والدعاء لا للتوسل والاستغاثة . وقد كان الصحابة اذا زاروا قبر النبي يسلمون عليه فاذا ارادوا السقاء ينحرفون عنه ويستقلون القبلة ويدعون الله وحده . وكانوا ينهون عن التمسح بالقبر والتقبيل . قال ابن تيمية . « ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها الا الحجر الاسود . وقد ثبت في الصحيحين ان عمر رضي الله عنه قال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

الثالثة — ان يقول المرء : اللهم بجاه فلان عبدك او ببركة فلان ، او بجرمة فلان ، اسألك كذا وكذا . هذا شائع بين الناس ولكن لم ينقل عن احد من الصحابة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء . وانهم اذا اجازوا التوسل بحق احد الصالحين او بشفاعته فيجب ان يكون ذلك في حياته وحضوره . هذي هي درجات التوسل الثلاث ، ومنها واحدة فقط فيها الشرك الصحيح فيحلل ابن تيمية وابن عبد الوهاب قتل صاحبه ان لم يتب . اما الدرجتان الثانية والثالثة فالذنب فيها شبيه بالخطيئة العرضية عند المسيحيين ، ولا يجوز قتل من عدتة توسله .

النبة الثالثة

آل سعود

منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد

١١٥٧ — ١٣٠٩ هـ

١٧٤٤ — ١٨٩١ م

اصراء آل سعود

هـ ١١٤٠	} توفي	سعود بن محمد بن مقرن	
هـ ١٧٢٧			
هـ ١١٧٩	} توفي	محمد بن سعود	تولى الامارة بعد ابيه
م ١٧٦٥			
هـ ١٢١٨	} توفي	عبد العزيز بن محمد	تولى الامارة
هـ ١٨٠٣		هـ ١١٧٩	م ١٧٦٥
هـ ١٢٢٩	} توفي	سعود بن عبد العزيز	تولى الامارة
م ١٨١٣		هـ ١٢٠٢	م ١٧٨٨
هـ ١٢٣٤	} توفي	عبدالله بن سعود	تولى الامارة
هـ ١٨١٨		هـ ١٢٢٩	م ١٨١٣

فترة الاستيلاء المصري .

محمد بن مشاري بن معمر } تنازعا الامارة نحو سنة ونصف سنة
ومشاري بن سعود

هـ ١٢٤٦	} توفي	تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود	تولى الامارة
م ١٨٣٠		هـ ١٢٣٦	هـ ١٨٢٠
مشاري بن عبدالله بن حسن بن مشاري بن سعود حكم ٤٠ يوماً			
هـ ١٢٥٥	} نزل	فيصل بن تركي (الدور الاول)	تولى الامارة
هـ ١٨٣٩		هـ ١٢٤٦	م ١٨٣٠
هـ ١٢٥٧	} توفي	خالد بن سعود بن عبد العزيز	تولى الامارة
م ١٨٤١		هـ ١٢٥٥	م ١٨٣٩
هـ ١٢٥٨	} توفي	عبدالله بن ثنيان بن سعود	تولى الامارة
هـ ١٨٤٢		هـ ١٢٥٧	م ١٨٤١

١٢٨٢ هـ	} توفي	١٢٥٨ هـ	} فيصل بن تركي (الدور الثاني) تولى الامارة
١٨٦٥ م		١٨٤٢ م	
١٢٩١ هـ	} الى	١٢٨٢ هـ	} من عبدالله وسعود ابنا فيصل
١٨٧٤ م		١٨٦٥ م	
١٣٠٢ هـ	} نزل	١٢٩١ هـ	} عبدالله بن فيصل
١٨٨٤ م		١٨٧٤ م	
١٣٠٧ هـ	} الى	١٣٠٢ هـ	} محمد بن الرشيد
١٨٨٩ م		١٨٨٤ م	
			عبد الرحمن بن فيصل
			حكم نحو سنة
			فترة الاستيلاء الرشيدي نحو عشر سنوات
		١٣١٩ هـ	} الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن
		١٩٠١ م	

آل سعود

الدور الاول - الفتوحات

في عهد السلطان احمد الثالث { ١١١٥ - ١١٤٣ هـ } وقبله ، ايام كانت بلاد الشام تن من مظالم الولاة وفضائح الانكشارية ، لم يكن للدولة العثمانية اثر يذكر او يشكر في شبه جزيرة العرب . ولكن شبه الجزيرة نفسها لم تكن في حال تفريطها عليه جارتاها الشام والعراق . فقد كان الانسراف يحكمون في الحجاز وعسير ، والسادة العلويون يحكمون في اليمن . وكان الامراء وشيوخ القبائل كل في قطرة ، وفي قبيلته ، يحكم مستقلاً عن الامراء الاخرين ومعادياً لهم في اكثر الاحياء . وكانت بلاد نجد والاحساء من الشعري الى قطر والكويت ون الافلاج الى جبل شمر ، مقطعة الاوصال ، مشتتة الاحوال لا صلة اقبيلة باخرى ثمر خيراً او تدوم ، ولا بين الحواضر المستقلة بعضها عن بعض صلان ولا نادراً . لم يكن والحق يقال غير السيف فاصلاً واصلاً ، ولم يكن غير الغزو سبيلاً الى الاستيلاء ، وسبيلاً رحياً الى الرزق والثراء .

اجل قد كان القتل طمعاً بالاستيلاء من الامور المألوفة . وهناك بيت من الشعر طالما سمعت امراء العرب يتمثلون به :

بسفك الدما يا جارتى تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل
 هذا اذا استقام الامر لامير واحد فيحكم في الجميع حكماً ابويّاً ركناه
 المساواة والحكمة . اما العدل فامراء العرب على الاجمال يعرفونه وبعزونه غالباً
 في احكامهم . ولكن القتل عندهم لا يكون دائماً دون الحرمة والنفس ، ولا
 يكون دائماً من اجل المساواة والعدل . قد كان القتل على الاجمال الطربق
 الاقرب والاسهل الى الاستيلاء والسيادة . انا صاحب الرياض وانت صاحب
 الدرعية ، فاما ان اقتلك او اغلبك ثم اجلوك عن البلاد واستولي عليها ، واما ان

تفعل انت ذلك فيكون لك في ما ارپده فيك . السابق الى القتل الفائز .
ولم يكن القسم الجنوبي من نجد الذي يدعى بالعارض ليخرج عن هذه
القاعدة . فقد كانت بلدانه في حوزة امراء من بيوت وقبائل شتى يتوالون
ويتغازون عملاً بمصلحة ، او طمعاً بكسب ، او دفعاً لمحنة او خطر . هذي هي
اليامة وهي في عزلة عن المنفوحة . وهذي هي المنفوحة وهي تابعة للرياض اليوم
ولخصه الرياض غداً . وهذي هي الرياض وهي مستقلة عن الدرعية ، والدرعية
وهي لا تقر بالسيادة لا للعيينة ولا للرياض ، وقس على ذلك . اما المسافة بين
اقصى البلدين من هذه البلدان فلا تتجاوز الخمسة وسبعين ميلاً .

ومن اولئك الامراء حكام ذلك الزمان مقرن بن مرخان الندي يمت بنسبه الى
بكر بن وائل ، فجديلة ، فربيعة ^(١) . ومن كبار اجداد مقرن الاولين الامير
مانع الذي بسط سيادته على الاحساء وقطر والقطيف . هو جد الموانعة الاسرة
المعروفة في نجد ، ومؤسس الدرعية . ولكن ماكه الذي تجاوز حدود نجد لم يدم
طويلاً ، ولم يكن ملك ابنائه ليختلف كثيراً عن ملك سوامم من الامراء ، فما
اشتمل على غير بلدين او ثلاثة والقرى التابعة لها . هي حال بني مقرن في طليعة
القرن الثاني عشر للهجرة ، فقد كان محمد بن سعود بن محمد بن مقرن اميراً على
الدرعية ، وهو على ولاء وابن معمر امير العيينه وابن دواس امير الرياض . وفي
عهده ظهر محمد بن عبد الوهاب مجدد المذهب الحنبلي ورسول التوحيد ، فعقد
بينهما العهد الذي جاء ذكره في النبذة السابقة ، وكان امير الدرعية
واخوانه ثنيان ومشاري وفرحان اول من باشروا الجهاد في سبيل
الدعوة الوهابية .

اما اول من قاوم المجاهدين فهو كما اسلفت القول دهاء بن دواس او دياس
صاحب الرياض . قد حدثت المناوشات الاولى في المنفوحة ، التي حمل عليها دهام
لان بعض اهلها تمذهبوا بالمذهب الجديد فبادر ابن سعود الى الدفاع عنهم وعن

(١) كل من اتسب الى بكر بن وائل ومت بنسبه الى ربيعة بن نزار يجتمع مع النمي في
نزار بن معد بن عدنان .

بلدتهم . هذي هي فاتحة الحرب الدينية السياسية بين صاحب الدرعية وصاحب الرياض ، ثم بين صاحب نجد واصحاب الاقطار العربية الاخرى .
وقد انتصر اهل التوحيد انتصاراتهم الاولى في البلدان المجاورة لهم بوادي ، حنيفة ، اي في العيينة والجيللة وحرمله وقراها . ثم استمروا غازين متقدمين حتى وصلوا شمالاً الى الزلفى وجنوباً الى الخرج . على ان المناوئين في وسط البلاد ، في الوشم وسدير ، ظلوا يقاومونهم اكثر من عشرين سنة وهم يحالفون اعداءهم الكبار مثل الدواس والعربعر عليهم .

قد كان سعود الاول اذا اخذ بلدأ يولي عليه احد ابناؤه ، اي ابناء ذلك البلد المتوجهين ، كما فعل في العيينة التي كان عثمان بن معمر متولياً الامارة فيها لصاحب الحساء . فقد تذبذب عثمان وتردد بين صاحبه وبين المرحدين ، فقتل في المسجد بالدرعية ، فولى سعود ابنه مشاري بن معمر مكانه . وذلك برايه كما يقول ابن بشر « لا برأي الناس الذين ارادوا انقراض بيت معمر » . وهذه الخطة التي اتخذها سعود الاول هي خطة الملك عبد العزيز اليوم .

قلت ان اهل الوشم وسدير لم يقبلوا في اول الامر التوحيد بل ظلوا يقاتلون اهله ، ويعيشون في بلدانهم ، فيغرونهم على الردة . لولا ذلك لما تمكن ابن دواس من محاربة آل سعود ثلاثين سنة ، فكأن اذا ضاق في الجنوب ذرعاً يشغلهم بالدسائس في الشمال .

ولم تكن الوقعات في بادىء الامر كبيرة . — واستد القتال في وقعة دلقة في قلب الرياض امام القصر فقتل من الفرقيين عشرون رجلاً . ولم تكن الغارات كلها ويلاتاً وثبوراً . — شن ابن سعود ورجاله الغارة على دهام في قصره بالرياض فرموه بالرصاص في عليته وخرجوا سالمين . كانوا خرجوا الى الصيد . وان هي الا نزهة في بعض الاحايين .

الا انها حرب في تاثيرها بالناس وفي اعم نتائجها ، حرب متقطعة طويلة العهد . وقد كانت الوقعات تزداد شدة والقتلى يزدادون عدداً كلما توسعت سيادة ابن سعود . بيد انه لم يقتل في مدة ثلاثين سنة غير اربعة الاف من العرب ، الف

وسبعمئة من الموحدين والغان وثلاثمئة من اعدائهم ، اي مئة وثلاثة وثلاثون رجلاً كل سنة . وقد لا يخلو حتى هذا العدد من المبالغة ، خصوصاً اذا كانت الوقعات او اكثرها مثل التي يصفها ابن بشر في قوله :

« وفي هذه السنة سار المسلمون واميرهم عبد العزيز الى الرياض وجرت وقعة عظيمة على اهل الرياض تسمى وقعة ام العصاير قتل فيها اربعة من اهل الضلال ولم يقتل من المسلمين غير واحد . ثم انقلب المسلمون الى بلادهم ، بعد تحصيل مرادهم . »

« وقعة عظيمة » قتل فيها « اربعة من اهل الضلال » . هذا الذي يحماني على الاعجاب بابن بشر . فهو المؤرخ العربي الوحيد ، على ما اظن ، الذي لاتصعد ارقامه في عد الجيوش والقنلى الى الالاف ، الا في الفتوحات الكبرى التي سيحي ذكرها .

بعد محمد بن سعود واخوانه الانصار ظهر عبد العزيز بن محمد الذي شرع في عهد ابيه بشن الغارات ، فحمل رايات التوحيد الى اقصى الاقطار العربية ، وزرع بذور السيادة السعودية في البوادي والحضر . ولكننه على تعدد غزواته واتساع مجال جولاته ، لم يكن غير ممد السبيل لابنه سعود الفاتح الاول الاكبر .

وصل عبد العزيز في غزواته الغربية الجنوبية الى وادي الدواسر ، فخرج عليه اهل نجران ، فتقهقر الى بلاد الطرج فتبعوه . وقد

اصطدم الجيشان في حائر سبيع فكانت الغلبة لاهل نجران الذين قتلوا اربعمئة من الموحدين . اما الفاجعة الاخرى في هذه الوقعة فهي ان دهام بن دواس الذي كان قد حالف آل سعود خذلهم بل خانهم فانضم بجيشه الى اهل نجران . ولما رجع عبد العزيز من هذه الوقعة الكبيرة عزاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائلاً : لا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .

في السنة التالية لوقعة حائر سبيع توفي الامير محمد فبويغ على الامامة ابنه عبد العزيز الذي ظل يغزو الغزوة تلو الاخرى واكثرها على الرياض حتى تمكن من فتحها بعد خمس سنوات من امامته ، اي في السنة السابعة والثمانين والمئة

والالف ، فقر ابن الدواس هارباً .

ولم يأت بعد ذلك بحركة تزعج اهل التوحيد او غيرهم من اهل نجد . مات دهام في الدم ، على حاشية الربيع الخالي المحرقة ، وهو بعد هذه السنين الطوال يستحق الرحمة . فقد كان ، رحمه الله ، ثابتاً في النضال والضلال ، ثابتاً في تصلبيه وثقلبه .

بعد فتح الرياض بسنتين اجتاز عبد العزيز برجاله النفود فوصل ٨١١٨٩ الى القصيم ووقف امام بريده فحاصرها ثم دخلها ظافراً . وكان قبل ذلك قد دحر مراراً اعداء التوحيد الاخرين اي عربعر بن دجين وابنه سعدون وعربانهم الحسوبين والعراقيين ، وغنم مدافعهم التركية التي جاءوا بها من الحسا محملة على الجمال . ولم ترضه هذه الانتصارات في بلاده فخرج يتتبع العريعر فغزا الاحساء التي كانت يومئذ لبني خالد وعاد منها ظافراً بغنائم كثيرة . ولكنه في غزواته وفتوحاته لم يلاق الدولة ويزعج المسلمين الا عند ما دخل ٨١٢١٥ ابنه سعود كربلاء ، محط رحال الشيعة ، ونقطة الدائرة في سقاعة ٢١٨٠٠ الاولياء ، فالتحمت رجاله باهلها ، وبعد مذبحه هائلة في الاسواق هدم الموحدون القبة التي قيل انها كانت فوق قبر الحسين ، ونهبوا البلد . ثم زحفوا الى المشهد (النجف) ، وخارج سورها مدينة اخرى هي مدينة القبور ذي القباب ، فردم عنها يومئذ بجرها ^(١) .

اما غزوة كربلاء التي ضج لها المسلمون ، خصوصاً الشيعة منهم ، فقد ادت الى اغتيال الامام عبد العزيز وهو يصلي العصر في الجامع بالدرعية . قتله في شهر رجب من هذه السنة رجل شيعي جاء من العراق متنكراً كدرويش . ٨١٢١٨ وقيل ان الرجل كردي من اهل العمادية قرب الموصل . واكن الرواية ٢١٨٠٣ الاولى هي اقرب الى الصواب .

وكان قبل وفاته بخمس عشرة سنة قد عين ابنه سعوداً خلفاً له ، فبايعه الناس

(١) كان بحر النجف هوراً مثل الاهوار التي تكثر عند ملتقى الرافدين وحول البصرة . ولم يبق منه اليوم غير ارضه المجوفة الجافة .

اذ ذاك على الامامة عملاً يرأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ولا عجب اذا اعتزل عبد العزيز العمل في شيخوخته ، وهو الذي قضى اكثر من اربعين سنة من حياته في الغزو والحروب ، فلا كل ولا مل ، ولا قعد بعد هزيمة ، ولا لها بعد انتصار . قد كان يزحف برجاله من اقصى البلاد الى اقصاها في يومي البؤس والنعم ، فيهب يوماً على حواشي الربع الخالي ويوماً في القصيم ، يوماً في الحساء ، ويوماً في السماوة بالعراق ، وآخر في وادي الدواسر ، كانه من العناصر كالمطر او السموم . وقد كان مطراً للموحدين وسموماً لاعدائهم ، يغزو في بعض السنين ست غزوات ويعود بالغنائم الى الدرعية فيقسمها على السواء بين رجاله .

اما ابنه سعود فكان قد باشر الغزو قبل ان يبيع على الامارة والامامة ، فظهرت فيه قوى التوحيد ، توحيد الدين وتوحيد السيادة العربية ، بأروع وأتم مظاهرها . هذا بالرغم عن تظاهر عليه من الاعداء الاشداء ، وقوة كل واحد الحربية تفوق قوتي العريعر والدواسر معاً . كيف لا وهم من ولاية الدولة العثمانية او من حلفائها تعضدهم وتمدهم بالسلاح والرجال ، وبالذخيرة والمال .

ومن هؤلاء الاعداء الشريف غالب بن مساعد شريف مكة في ذلك الزمان . فقد كان على ما يظهر حائراً في بداية امره لا يريد ان يعادي ابن سعود او يواليه . ولكنه اظهر في الموالاة ميلاً مريباً عندما كتب الى عبد العزيز ابني سعود يتسأله ان يرسل اليه عالماً من علماء نجد ليفهمه دعوة ابن عبد الوهاب . فارسل الامام احد قضاة نجد يحمل كتاباً من الشيخ الى العلماء الاعلاء في بلد الله الحرام . ولكن اولئك العلماء لم يرغبوا في مناظرة القاضي النجدي ، ولا كانوا مع الشريف في ما اظهر من حب المسالمة والولاء . وقد يكون هو المصانع وهم خدام قصده الحقيقي ، اذ انه شمر منذ ذاك الحين ، وهذي هي الحقيقة التي لا ريب فيها ، عن ساعد العداوة لاهل نجد ، فارسل اخاه الشريف عبد العزيز بجيش من عرب الحجاز ، وقد انضم اليه كثيرون من عربان شمر ومطير وحقطان ايهاجوا الدرعية . ولكنهم توقفوا في وادي السر ، فحاصروا قصره من قصوره دون طائل . ثم جاء الشريف غالب نفسه بنجد اخاه ، وعادوا بعد اربعة اشهر الى الحجاز دون ان

بصيبيوا مغنآ .

على انه قد كان لهذه الغزوة نتيجة سياسية ظهرت في قيام عرب شمر ومطير على الموحدين ، فضربهم سعود في وقعة العدو^(١) ضربة شتت شملهم ثم غزا جبل شمر فادخل اهله في دين التوحيد .

ومن اعدائه سليمان باشا والي العراق الذي لم يكن في قصده مخاتلاً . فقد سير العساكر الى الاحساء لمحاربة اهل نجد فيها ، وكان ابن سعود قد احتل الهفوف والمبرز ، فعادت عساكر الدولة مدحورة .

اما تويني بن عبدالله الذي كان عاملاً في المنتفق والبصرة ، والذي انهزم حراراً في حملاته على اهل نجد ، فامره عجيب . عند ما عزله والي بغداد لجأ الى عدوه الامير عبدالعزیز في الدرعية فآكرمه واغدى عليه . ثم عاد فلجأ الى الوالي سليمان عند ما كان يجهز حملة جديدة على آل سعود . جاء تويني متنديماً ، ثم جاء متبجحاً — انا الذي يجمع الاموال ، ويقتل الرجال ، وينتصر في كل حال . فخدع الوالي ثانية وامره على الجيش فجاء بالمدافع الضخمة يحاصر بريده فحاصرها ، وترك مثل عريعر مدافعه وكثيرين من رجاله تحت اسوارها .

لم تهزم لسعود راية في غزواته كلها وفتوحاته ، ولا حالت دونها اوعار شبه الجزيرة واهوال بواديه . فقد اجتازت جيوشه حتى الحرة . قال ابن بشر : « سار بالمسلمين يعتسف من الفيافي السهل والصعب ، ويطوي من اديم الارض كل موحشة بباب ، لا يسمع فيها غير اصوات العرج والذباب ، يضل فيها القطا ، ويحير الخريت في مهامها ، لا يرى بقفرها أنيس ، ولا يبصر في رحبها اثر العيس . مظأة يحاكي لون اديمها زرقة السماء ، مغبرة الافق والارجاء ، يحس الساري بما لا جن فيها من الغمغمة والزمزمة . وبعد انضاء الاعوجيات ، وارقال المهریات^(١) وسبابس الفلاة تبين له سواد الحرة » .

الحرة ! تلك المفازة البركانية وهي في حصارها المنعمة وحجارتها التي كالسياخ

(١) من مزارع شمر قرب حائل

(٢) الارقال نوع من السبر والمهریات نوع من الابل تنسب الى مهره اسم قبيلة .

« أكثر أهوالاً مما وصف ، وكان في وصفه صادقاً . اني اتخيّل ابن سعود ورجاله يرددون دائماً بيت ابن ثعلبة :

ولا تجهمني ليل ولا بلد ولا تكاءدني عن حاجتي سفر
رفعوا رايات التوحيد في ما وراء الحرة ، وفي جبال شمر وعمان ، وشيد سعود
قصرًا للحامية في البريمة على حدود مشقط الف قدم فوق البحر^(١) ووصل الى رأس
الحيمة على الخليج ، وزحف الى ترابه فاحترب والشريف غالب فيها فكسره .
ثم بايعه اهل البلد « ودينوا »^(٢) فكانت فاتحة المأساة الحجازية التي
ختمت بنصر ابن سعود ثانية في العقد الثاني من القرن العشرين .

قيل والقول سديد ، ان ترابه مفتاح الطائف ، والطائف مفتاح مكة . ومن
مدهشات التاريخ في ما يعيده من اخباره ما ساقص الان . كان للشريف غالب
وزير من بيت المضايبي اسمه عثمان بن عبدالرحمن^(٣) ولم يكن على ما يظهر مداجياً ،
فوقع بينه وبين الشريف خلال ، فطرده من مكة ، فجاء المضايبي الى ابن سعود
ببايعه . ثم جمع له من اهل البادية والحاضرة ، من بيشة ورنية وتربه وقراها
جيشاً كبيراً لمحاربة الشريف . فزحفت الجيوش الى الطائف وكان الشريف
غالب فيها ففر مهزوماً الى مكة ، فنقاه سعود والمضايبي بالجنود . وكان
وقت الحج فهم الحجاج بمقاتلة الفاتحين ولكنهم تخاذلوا وعاد كثير
منهم الى اوطانهم . دخل سعود مكة ظافراً ، وكان الشريف غالب وعساكره واتباعه
قد رحلوا الى جده ، فاعطى اهلها الامان . ثم شرع ورجاله يهدمون القباب التي
بنيت فوق القبور^(٤) .

(١) قد زار الدكتور زويمر Zwemer برمه سنة ١٩٠١ فوجد الناس هناك مقيمين
على دين التوحيد مع انهم من رعايا صاحب مشقط .

(٢) يقول اهل نجد « دين » اي دخل في دين التوحيد .

(٣) من حسنات امراء العرب والاشراف انهم يحافظون على البيوتات التي تخلص لهم
الخدمة . فقد عرفت واحداً من بيت المضايبي في خدمة الشريف علي ملك الحجاز السابق .

(٤) خذ النسخة البانية لهذه الصفحة وقد كتبت بعد مئة وعشرين سنة . الشريف خالد
بن لؤي هو نسيب الملك حسين السابق ، وقد كان بين الاثنين خلاف تأصل فاخرج خالد
واحرجه . خرج على الشريف حسين فجمع العربان من تربه والحرمه ورنيه وقراها وانضم الى

وقد كتب سعود كتاباً الى السلطان سليم الثالث هذا معناه :

« من سعود الى سليم : اما بعد فقد دخلت مكة في الرابع من محرم سنة ١٢١٨ وامننت اهلها على ارواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشباه الوثنية ، والفيت الضرائب الا ما كان منها حقاً . وثبت القاضي الذي وليته انت طبقاً للشرع فعليك ان تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من الهجيء بالمحمل والطبول والزمور الى هذا البلد المقدس فان ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته » .

بعد فتح مكة بسنتين استولى الوهايون على المدينة ، وكانت الدعوة اثناء ذلك اي دعوة التوحيد ديناً وسياسة تنتشر في عسير واليمن حتى كادت تعم تهامة بامرها . وكان الزعيمان عبد الرحمن ابو نقطه وطامي بن شعيب من اكبر حلفاء سعود هناك ، فبايعته الاحية ثم الحديدة وبيت الفقيه ، وكانت قد بايعته اشد القبائل بأساً ، منها رجال ألمع في عسير وعرب اليمام في نجران .

بعد فتح المدينة اتجهت انظار اهل نجد الى الشمال فوصلوا في

١٢٢٠ هـ
١٨٠٥ م

 غزواتهم الى الجوف والبتراء ، واجتازوهما الى حوران والكرك ، فوقفوا منتصرين عند ابواب الشام وفلسطين . وقد ارسل الامام سعود كتباً الى الولاة هناك يدعوهم فيها الى دين الله . ولكنه في طموحه الى بلاد الشام لم يكن ذلك الرجل الذي دوخ البلاد العربية كلها فدانت له العرب حتى على حواشي الربع الخالي في نجران وعمان . ومع انه حاول ان يتخذ له انصاراً من اولياء الامر في سورية جرياً على طريقته في الاستيلاء فان منعه للحج ومعاملة رجاله للحجاج افسدا الامر عليه . قال محمد كرد علي في كتابه خطط الشام :

« خرج عبدالله باسا العظم (والي الشام يومئذ ١٢٢٠ هـ) بالمحمل فحدثت بينه وبين الوهايين امور عظيمة ، فملك عسكره وانتهب الحاج » وفي السنة

الاخوان جيش ابن سعود في حملتهم على الحجاز ، فاكتسحت الجيوش الطائف وقد كان فيها الشريف علي فتتفرق الى مكة . ثم دخلوا مكة محرمين يوم كان الملك حسين المخلوع وابنه الملك علي والجنود والاتباع قد انسحبوا الى جده .

التالية منع الامام سعود الحجاج غير الموحدين عن الحج واخرج من مكة من كان فيها من الترك . اصف الى ذلك انه لم يؤمن الاورويين الذين كانوا في جده ، فخرجوا منها سنة دخوله الى مكة ، وكانوا في مجرد عملهم ذلك حجة على حكمه .
اما الدولة العثمانية ، وقد اصبح العدو على ابواب اغنى واجمل ولاياتها ، فلم تستطع في فساد احوالها ان تقوم مباشرة بعمل خطير . ولكنها بعد ان كسر الوهابيون الجيوش التي ارسلها عليهم ولأتمتها في العراق والشام ادارت بنظرها الى مصر ، فطلبت من محمد علي باشا ان ينولى بنفسه انقاذ الحرمين واخراج اهل نجد من الحجاز .

قد تردد محمد علي في باديء الامر لا لانه لم يكن يريد فيه او يستطيعه بل لان المماليك كانوا يومئذ مسيطرين وكان يخشى ان يترك البلاد وشؤونها في ايديهم . اعاد الباب العالي الطلب مراراً وقد هدد الباشا اذا كان لا يدعن للامر ، والباشا راغب فيه ، الا انه كان يتحين الفرص . وقد رأى في الاذعان ثلاث فوائد كبرى لنفسه : الاولى انه يعد جيشه الالباني العبر المنظم الكثير التمرد فيتمكن اثناء غيابه من تنظيم جيش مدرب على الطريقة الغربية . والثانية انه يأخذ من الدولة الاموال التي كان في حاجة اليها بحجة لزومها انثقات الحرب المقدسة . والثالثة ان هذه الحرب تجمع عواطف المسلمين في العالم على حبه وولائه بصفته منقذ الحرمين ومعيد مناسك الحج .

وفي هذه الاثناء كان الامام سعود يجمع ورجاله كل عام ويكعب الكعبة « بالقيلا الفاجر » . وكانه تصالح والشريف غالب فاذنه بالعودة الى مكة ، وكان الانان يتراوران ويتبادلان الهدايا . اما المؤرخ ابن بشر فهو لا يحسن الظن بالشريف ، وقد قال في هذه المهادة : « واعطاه غالب منل ذلك خدعة والمؤمن غير كريم » هي كلمة لا تخلو من حق ، فقد كان الشريف غالب مستمراً في سعيه الخفي لاخراج سعود وجماعته من الحجاز .

في خريف هذه السنة بعد قتل المماليك وانجاز اسطول من السفن ٥١٢٢٦ في السويس ، لبي محمد علي طلب الباب العالي ، فامرسل ابنه طوسون ، ٢١٨١١

الذي كان لا يزال في السابعة عشرة من سنه ، يقود ثمانية الاف من الجنود .
 جاءوا بجرأ وبراً^(١) الى ينبع ، ومعهم ضباط اوروبيون وعدد من المجازفين المسترزقين
 الذين كانوا في عسكر بونايرت . زحف هذا الجيش من ينبع بمعداته ومدافعه ،
 وكان اهل نجد قد استعدوا للقائه ، فخرج ثمانية الاف منهم بقيادة عبدالله ابن
 الامام سعود الى مكان يدعى الخيف بوادي الصفري قرب المدينة . هناك التحم
 الجيشان في العشر الاواخر من ذي القعدة ، وكانت الغلبة بعد ثلاثة ايام من
 القتال الشديد لاهل نجد ، فانهمز المصربون تاركين وراءهم الخيام والمدافع
 والدخيرة والارزاق وعنداً كبيراً قيل خمسة الاف من القتلى والجرحى والشاردين
 ما عدا الخيل والرواحل . اما العرب فقد قتل منهم نحو ستمئة . واذا فرضنا
 للمبالغة في العددين فوقعة الصفري تظل مع ذلك اكبر وقعات الحرب الوهاية
 حتى ذاك الحين .

تقوّر طوسون بما تبقى من جيشه المنهزم الى ينبع ، فارسل منها يطلب
 النجدات .

وفي هذه السنة التي هي خاتمة المجد لآل سعود الاولين حج الامام سعود
 للمرة السادسة او السابعة وكسا الكعبة على عادته بالقيلان والديباج الاسود .
 ثم طاف رجاله في اسواق مكة يردعون الناس عن الخبائث ، وينهون عن
 المنكر ، فمن رأوا منه عملاً مخالفاً للشرع ادبوه في الحال بموجب الاحكام
 الشرعية . وقد ادت هذه الشدة الى الردة في بعض البوادي كما سبلي .

قال ابن بشر ان الامام سعودا ارسل النجدات الى المدينة وامر بتحصينها
 ثم عاد الى نجد . ولا نعلم السبب في عودته في مثل تلك الحال وهو يعلم ان طوسون
 حرايط في ينبع ينتظر النجدات ، وان عرب الحجاز يتذبذبون بينه وبين اهل
 نجد وقد ينقلبون عليهم .

جاءت النجدات المصربة في السنة التالية ، فاعاد طوسون الكرة
 على المدينة ، بعد ان احتل ينبع النخل ، وضم الى جيشه كثيرين من

(١) جاء ستة الاف بالسفن ، وجاء برأ القان من الحياطة الترك والعرب يقودهم طوسون

عرب جبينه وحرب . وقد كان في المدينة سبعة الاف من اهل نجد فحاصرها المصريون . حصاراً شديداً دام خمسة وسبعين يوماً . صوبوا على القلعة المدافع ، وحفروا اليها السرايب التي اشعلوا فيها تحت الاسوار البارود ، ثم قطعوا عن المدينة المياه ، وجاءت الامراض تساعد على المرابطين المحاصرين . بل قام الاهالي ايضاً على النجديين فأمسوا بين نارين ، والوباء يساعد في حصارهم . مات منهم اربعة الاف ، قاله ابن بشر ، قبل ان انتفتحت ابواب المدينة للمصريين .

قد استبشر الشريف غالب بهذا النصر فباشر السعي جهراً في تحقيق المقاصد التي كان يبتغيها . ثم بدت في هذه السنة قرون الفتنة فانتشرت

١٢٢٨ هـ
١٨١٣ م

الردة في مكة والطائف ، فدخلها طوسون بمساعدة الشريف بدون قتال . وكان النكبات التي توالى على النجديين لم تبقى حتى على عدوهم الشريف . ولم ينجح المصريون من احوالها الطامية الجارفة . فقد مات منهم مئات بالوباء الذي كان حليفهم على اعدائهم ، وقد قدرت خسارتهم كلها في الحملتين بثمانية الاف من الرجال . ثم جاء محمد علي نفسه بنجدات جديدة . جاء بسرع بانجاز العمل الذي باشره ابنه وخسر فيه هذه الخسارة الجسيمة ، فوصل الى جده في ٣٠ شعبان (٣١ آب) من هذه السنة ، فاستقبله فيها الشريف غالب مرحباً مكرماً ، ثم رافقه الى مكة .

وعندما استقر محمد علي هناك جازى الشريف في ان قبض عليه وعلى اولاده عملاً بامر شاهاني كما ادعى وارسلهم اسرى الى مصر . ثم حجز جميع ما كان في خزائن غالب من الذهب والفضة ، واخرج حرمه من قصر جياد ، ونصب مكانه ابن اخيه الشريف يحيى بن سرور .

اما آل سعود فلم يكونوا اوفر حظاً لدى القضاء من بيت عدوهم الشريف . فبعد اربعة اشهر من جلائهم ، اي في ١١ وقيل في ٨ جمادى الاولى من السنة التاسعة والعشرين والمئتين والالف (٢ ايار سنة ١٨١٤) مات في الدرعية الامام سعود وهو في الثامنة والستين من عمره . مات ، لا بالحمل كما قال هو غارث نقلاً عن احد المستشرقين الذين كانوا يومئذ في مكة ، بل بعلّة في الثالثة ، وقل بعلّة

اخرى هي نكبة اهل نجد في الحجاز التي عجلت ولا شك في اجله . وقد كانت ولايته احدى عشرة سنة اذا حسبناها من يوم وفاة والده عبد العزيز ، وسبع وعشرين سنة اذا عدت من يوم بوبع بالامارة في السنة الثانية والمئتين والالف .

هو يدعى بالكبير ، وقد خص بتلك السجايا او باكثرها التي تؤهل رجل التاريخ لهذا اللقب . فقد كان في عظمته متواضعاً ، وفي حكيمته ورعاً ، وفي عدله حليماً ، وفي سياسته جامعاً بين المرونة والمضاء . اضعف الى ذلك ذكاء لم يكن عادياً ، ولم يقف به عند حد السياسة . فقد كان مولعاً بالعلم ، محباً للعلماء وللطلاب ، فلم يستنكف من عقد مجالس القراءة والتدريس في قصره وتحت متارفيه عند ما يكون في العاصمة . بل كان هو يتولى التعليم في بعض الاحايين فيدهش حتى العلماء بما كان يحسنه من علمي التفسير والفقه . وبالرغم من تعدد مشاغله ومتساكل ماكه البعيد الارزاء كان يزور مجالس التدريس العامة ، فيطلع على اعمال الطلبة ويميزي منهم الاذكياء المجتهدين .

وقد كان سعود كبيراً في اخلاقه مثله في اعماله ، لا ينكر الفضل على ذويه وان كانوا من اعاديه ، ولا يقف في احسانه ومكرمه عند تسببات النفس واهوائها . مثال ذلك معاملته للشريف غالب على ما كن يبطنه الشريف من الكيد والعل . فلو كان فاتح مكة غير سعود ، لو كان محمد علي مثلاً ، لما اذن للشريف بالعود اليها بعد ان فر منها هارباً الى جده .

اما في غزواته وفتوحاته فلم يكن ليخرج عن القاعدة ان الحرب خدعة . وللعرب في ذلك اساليب تقيرن فيها السذاجة بالدهاء . فقد كان سعود اذا اراد ان يغزو الى جهة الشمال يظهر انه يريد الجنوب او الغرب والعكس بالعكس . وعند ما نزل الرقعة في غزوة الاحساء امر رجاله ان يوقد كل واحد منهم ناراً وان يطلقوا كلهم البنادق عند طلوع الشمس ليرهبوا اهلياً . فلما اطلعت الشمس فعلوا ذلك دفعة واحدة فارتجت الارض واطلمت السماء واسقط كثير من الحوامل في الاحساء . هذه الطريقة في الحرب طريقة الارهاب والترويع مألوفة عند العرب خصوصاً عند اهل نجد .

ولا حاجة لذكر البسالة في سعود الكبير والاقدام ، وعلو الهمة والمرام . فان في فتوحاته الشاهد الاكبر على ذلك . اما حكمه فقد كان له مزبنتان كبيرتان رائعتان هما الامن والعدل — الامن وكان اساسه العقاب الشديد السريع بموجب الاحكام الشرعية ، والعدلُ وكان اساسه الامتن المساواة وعدم المحاباة . بيدَ انه لم يكن على شيء من الادارة ، ولا كان النظام ، ما عدا بعض قواعد اساسية تتعلق بالجيش ، معلوماً . فلم يكن ليربط النواحي القصية بعضها ببعض غير كلمة الامير، ولم يكن يحفظها وثيقة العرى غير صولته . فاذا ذهبت الصولة ذهب الملك .

آل سعود

الدور الثاني - الفوضى

لم يكن طوسون الشاب قوي البنية او الارادة ، ولا كان على شيء من الحزم كبير ، فأعينته حرب الحجاز واضنته . ولولا عرب الحجاز لما عقد له النصر في حملته الثانية على عرب نجد . بيد انه كان مثل ايده واخيه ابراهيم منساهلاً في دينه ، عاملاً بتساهله في امور شتى سياسية وغير سياسية . وكان يميل خصوصاً الى الاوربيين ويجب الانتفاع بعلومهم واختراناتهم . قد اشترت الى اولئك المجازفين منهم المسترزقين الذين كانوا في الجيش المصري . ومن اغرب امورهم ، مما يدل على التساهل الذي ذكرت ، ان احدهم وهو اسكتلندي اسمه توماس كيث تولى برهة حكم المدينة المنورة .

على انه لم يكن بينهم اديب عالم بدون حوادث تلك الايام ، او ينقل اليها شيئاً من معلوماته هناك . ولا اظن ان احداً منهم دخل مكة ولو خلسة عند ما استولى طوسون عليها ، لانه لم تكن لهم العقلية العلمية التي تحمل صاحبها على التكشف والاستطلاع ، الا احداً ذكره هوغارث وقال ان ما كتب بعد تافهاً على ان هناك ثلاثة لم يجيئوا الحجاز محاربين ، ولا جاءوا مع المصريين ، وهم جديرون بالذكر لانهم من العلماء المستشرقين المستعربين الذين دخلوا مكة يوم كان الوهابيون مستوليين عليها ، فراؤهم من كذب وكتبوا عنهم بدون تحيز او تحامل .

اول هؤلاء رجل اسباني اسمه دومنغو باديا اي لبلخ^(١) انتحل اسماً ونسباً ودينياً عربياً وجاء من قادش عن طريق الجزائر الى الحجاز . هو علي بك العباسي الامير المكرم ، والعالم المحترم ، والحاج الورع الموقر ، رسول بونابرت الى البلاد

(١) Domingo Badia y Leblich (١٧٦٦ - ١٨١٨)

العربية . اجل قد جاء حاجاً ، مستكشفاً ، فنزل في جده تحف به الخدم والحشم ، وسار الى مكة المكرمة محرماً ، مثل من جاءوها من اهل نجد ، فدخلها في ٢٣ يناير سنة ١٨٠٢ (١٤ ذي القعدة ١٢٢١) . وقد شاهد جموع الوهابيين ، وحج معهم واعتمر .^(٢) سمع العج ، وحضر الشج ، وكان في ظاهره عربياً حقاً ، ومسلماً حقاً ، لا تعيبه كلمة يقولها ولا تخونه فعلة او اشارة ، فما شك احد في دينه او في نسه .

وقد اجتمع علي بك بالشريف غالب فقال انه في العقد الرابع من العمر وانه على جهله ذو حصافة ودهاء . رآه لاول مرة في مجلسه وهو يدخن النارجيلة التي كانت محجوبة خوفاً من الوهابيين . فلم ير السائح الاوربي غير التبريح الذي كان يتصل من خرق في الحائط بالنارجيلة ورائه في الغرفة المجاورة للمجلس . والعباسي هذا كان عالماً يحمل في حقائبه ادوات للرصد والمساحة ، فاستخدمها في مكة وجوارها دون ان يعترضه احد من الناس . بل كان محترماً من الجميع . وقد حاز فوق ذلك ترفاً لم يحزه سواه من المستشرقين ولا يحوزه الا الافراد القلائل من المسلمين . الا وهو شرف كناية الكعبة . واكنه على ما يظهر لم يفلح حتى النهاية في تنكره . فعندما قصد الى المدينة زائراً صده عنها الوهابيون فعاد الى ينبع ومنها الى مصر فباريس حيث اجتمع بنابليون وعين في حاشية اخيه يوسف بوناپرت . وقد عاد علي بك الى الشرق في سنة ١٨١٨ هـ فسافر من دمشق ليرحل رحلة ثانية في البلاد العربية ، واكنه وهو لا يزال في اول الطريق أصيب بالديزنتاريا فمات في المزاريب .

اذا صرفنا النظر عن مهمة علي بك السياسية فانه كعالم صادق الرواية . وهو اول اوربي شاهد الوهابيين في مكة وقضى واياهم مناسك الحج . وصفهم وهم يتزاحمون عند الحجر الاسود ويتسابقون اليه فقال (الجزء الاول صفحة ٧٢)
انهم مرهبون واكنهم

(٢) كان الامير سعود وابو تعله يتقدمان الى عرفات الحجاج وهم خمسة واربعون الفا ، ومعهم علي بك

« لا يسلبون الا ما كان حلالاً في مذهبهم اي مال العدو والكفار . وهم اذا اشتروا شيئاً يدفعون ثمنه كما انهم يدفعون اجرة من يخدمونهم ، فلا يصادرون ولا يسخرون . ومنهم الفقراء الذين كانوا يدفعون رسوم زمزم والكعبة من البارود والرصاص الذي كان معهم . وبما انهم يطيعون اميرهم طاعة عمياء فهم يحتملون من اجله كل شدة ساكتين صابرين ، ويسرون اذا امرهم الى اقصى اطراف الارض » .

من فضل الوهابيين في فتحهم الحجاز انهم لفتوا نظر العالم الى البلاد العربية ، ونهبوا العلماء المستشرقين الى تكشف احوالها ، فجازفوا بحياتهم ، وفادى اكثر من واحد بها ، طلباً للعلم .

ومن هؤلاء العالم الالماني ألريخ زتسن^(١) الذي قضى عشرين سنة يدرس ويتأهب لرحلته في الشرق . فجاى سورية سنة ١٨٠٥ واقام في الشرق الادنى بضع سنين ، وكتب في رحلته كتاباً باللغة الالمانية قيماً^(٢) ثم سافر الى الحجاز في زي درويش اسمه الحاج موسى فدخل مكة حاجاً سنة ١٨١٠ ، وارتحل منها الى اليمن ، فزار صنعاء ونزل الى عدن . قد كان في نية زتسن ان يجتاز شبه الجزيرة الى الخليج ليسوح في الشرق الاوسط ، فعاد من عدن ووجهته الجبال . ولكن عند مروره بتعز اعترضه بعض الناس وقد اراهم امره فقتلوه . لم يكن هذا المسعرب الالماني علي ما يظهر مثل علي بك العباسي بارعاً بالتنكر ، ولكنه كان اوfer علماً واتزه قصداً .

هو الذي قابل الامام سعوداً في مكة وكان قد تربى بقيافته واسلامه . ولكن كبير الوهابيين بل كبير العرب يومئذ لم يمانع العالم الا فرنجي في تجواله . قال هوغارث : « كان زتسن نباتياً مشهوراً في اوربه ، وهو من العلماء الافاضل ، له نظرات تاقبة صائبة في الاشياء وفي الناس » . وان من يقرأ ما كتبه عن

(١) Ulrich Jaspas Seetzen. (١٧٦٧ — ١٨١١)

(٢) قد نشرت مجلة الكلية في سنتها العاشرة خمس مقالات للاستاذ هارلد نلسن عن

زتسن ورحلته في سورية ولبنان .

بعض الحكام في سوربه ، وبعض النباتات والصناعات في لبنان، ليتأكد ذلك ويأسف جداً لان كتبه ومذكراته فقدت بعد موته في اليمن ، فخرمنا رأيه في الوهابيين واميرهم الاكبر سعود .

ولكن المستشرق الثالث الذي ساه في الحجاز في العقد الثاني من القرن التاسع عشر كان اوفر حظاً من زميله الالماني والاسباني . هو الحاج عبد الله ابي السويسري المشهور بركهارت^(١) صديق محمد علي وصديق العرب والاسلام . جاء الحجاز عندما كان محمد علي هناك ، فنزل في جده في ١٥ تموز سنة ١٨١٤ ، وسار منها الى الطائف ، ثم دخل مكة المكرمة في ١٩ رمضان ١٢٣٠ (٢٤ اغسطس ١٨١٤) بعد استئذان صديقه العظيم ، وهو يومئذ سيد الحرمين ، فخرج مع من حجوا في ذلك العام ، واقام في مكة ثلاثة اشهر . ثم سافر الى المدينة فادى الزيارة في ابريل سنة ١٨١٥ يوم كان محمد علي باشا هناك . ولكنه مرض في المدينة فعاد الى القاهرة في ربيع ذلك العام ، وتوفي فيها وهو في ربيع الشباب . كان بركهارت في قيافته وفي اسلامه محترماً موقراً . وقد قال بصف نعمة تبجج فيها . « ما شعرت في مكان آخر بمثل الطأينة التي كت اشعر بها وانا في مكة » .

ولكنه لم يجهد او يتجاهل ما اشتهر به المكيون والترك يومئذ من قبج العادات والتقاليد ، فذكرها كلها ، وقد قال في كلامه على الوهابيين انهم حقاً جاءوا يطهرون الحجاز — ثم قال :

«وما الوهابية اذا جئنا نصفها غير الاسلام في طهارته الاولى . واذا ما جئنا نين الفرق بين الوهابيين وبين الترك مثلاً فما لنا الا ان نعد الخبائث التي اشتهر هؤلاء بها » .

هاك شهادة الاجانب وهي شهادة العلماء المنزهين عن الاغراض الخصوصية والمذهبية . «جاء الوهابيون يطهرون الحجاز » .

وجاء الترك او بالحري المصريون ينقذون الحرمين من المطهرين فانقذوهما

(١) Johann L. Burchhardt. (١٧٨٤ — ١٨١٧)

وجلس محمد علي في مكة يصدر الاوامر الى جيشه في المدينة ليحفظه
 الى نجد ، وجيشه في الطائف ليحتل ثربه ، وجيشه الثالث ليذهب
 براً وبحراً الى القنفذة فيؤدب عرب عسير المدنين ، انصار ابن سعود وزعيمهم
 ابن شعيب .

كان المصريون قد احتلوا القنفذة في اذار من هذه السنة فاغار العرب
 عليهم بعد شهرين بقيادة طامي ابن شعيب ، فهزموهم فلاذ من سلم منهم
 بالسفن . وقد غنم العرب المدافع والذخيرة كلها مع عدد كبير من
 الخيل والجمال .

اما الحملة الاولى التي سيرها محمد علي على ثربه في صيف هذا العام بقيادة ابنه
 طوسون فقد عادت مدحورة تشكو الحر والجوع . والحملة الثانية عادت تحدث عن
 بدوية^(١) باسلة كانت في طليعة العربان تحرضهم على القتال . فجهز محمد علي حملة
 ثالثة مؤلفة من الفين جندي والفين من عرب الحجاز وخمسمئة خيال ، كما جاء
 في البلاغ الذي ارسله بعدئذ الى اهل المدينة ، التبيه بيلانات الدولة العلية في
 الحرب العظمى ، وراح هو بنفسه يقود تلك الحملة ، فالتقى في بسل بين الطائف
 وثر به بجيش عظيم ، قدره باربعين الف ، من اهل نجد وعسير يقودهم فيصل .
 بن سعود وحايفه طامي بن شعيب . التحم الجيستان هناك وكان
 القتال شديداً من الفجر حتى المساء ، فحسر اهل نجد متعة من
 رجالهم وتشتت الباقون . ثم واصل المصريون الزحف الى ثربه فاحتلوها بدون
 قتال .

وقد جاء في البلاغ الذي اشرت اليه المؤرخ في صفر ان قد غنم الجيش
 الظافر في وقعة بسل خمسة الاف خيمة وخمسة الاف من الجمال ما عدا
 الارزاق الكثيرة .
 استراح محمد علي قليلاً في ثربه ثم زحف الى رانية وفيها عرب سبيع

(١) هي غالية امرأة احد مشايخ سبيع وقد هاجت بنفسها جيوش مصطفى بك قائد
 الحملة فهزمتهم شر هزيمة .

قسلمت . وبعد اربعة ايام ، وهو يواصل السير جنوباً بشرق ، وصل الى بيشة (١) مفتاح اليمن الشرقي وفيها بنو سالم فقاوموا يوماً وسلموا .
ومن بيشة مشى الظافر الى جبال عسير . ولكن تلك الانتصارات نهكت الجيش وأفقرتة لانه لم يكن في البلدان التي اكتسحوها شيء يذكر من الغنائم، قتل الزاد ، وكثرت المشقات ، وكانت الخسائر خصوصاً في الركائب كبيرة . قيل انه مات مئة رأس من الخيل في يوم واحد . ترحل محمد علي ومشى مع الماشين وهو يعدم بالغنائم العظيمة في اليمن . فلما صاروا في جبال زهران ، بعد خمسة عشر يوماً من السير ، التقوا بطامي الذي انهزم في وقعة بسل ومعه بضعة الاف من العربان ، فنازلهم محمد علي وكان في الجولة الاولى مهزوماً . ثم عاد الكرة عليهم فأخرجهم من معانقهم في الجبال ودحروهم في القتال فشتت شملهم . ومن غنائم هذه الوقعة ان ابن شعيب أخذ اسيراً ثم أرسل الى مصر ومنها الى الاستانة ، فضرب عنقه بعد ان سُهر في الاسواق هناك .

بعد هذا الفوز في عسير عاد محمد علي الى مكة فولى فيها احد رجاله . ثم سافر الى المدينة ليؤدي الزيارة ، وكان قد حج في العام السابق ، وليطلع على احوال الحجاز الشمالي . بيد انه لم يلبث طويلاً في المدينة لان الاخبار التي كانت قد جاءت انبأت بفتنة في القاهرة وبفرار نبوليون من جزيرة الباء . فسافر فجأة في شهر يونيو سنة ١٨١٥ وهو يبغى صون ملكه من الاخطار الداخلية والخارجية . من حسنات محمد علي في الحجاز انه وزع كثيراً من المال والارزاق على المحتاجين ، وخفض رسوم الجمر في جده ، وابطل الضرائب التي كان قد ضربها الشريف غالب ، ومثل بالاشقياء ، وعاقب بشدة كل من تعدى على الاجانب . بيد انه لم يحسن عملاً في ابقاء جنوده بعسير . اذ بعد سفره اعاد عرب المع وغامد وزهران الكرة على اولئك الجنود في تهامه وفي الجبال ، فدحروهم دحرات متعددة ، وردوهم خاسرين برأ الى الطائف وبجراً الى جده .

(١) تربه هي على مسافة ثمانين ميلاً من الطائف شرقاً بجنوب . وبيشة تبعد نحو مئة ميل من تربه .

اما طوسون فكان قد جهز حملته على نجد وزحف الى الرّس^(١) فاحتلها بالائتاق مع اهلها ، فجاء عبدالله بن سعود بجيشه يخرجها منها . واكن عبدالله مثل طوسون من اولئك القواد الذين يضعفون ما عندهم من قوة بما ينقصهم من زعامة واقدام . وقف الضعيفان في القصيم وقفة المنازل الراغب في الصلح المتظاهر بعكس رغبته ، فتناوشت الجنود وتقهقرت ، وتخاذلت ، وثقاعست ، حتى سئم اولو العزم في الجانبين الحالة وقام منهم من يطالب بشيء يشفع بتردد القائدين وتذبذبها . قال اهل نجد لعبدالله : اخرج الى طوسون او اخرج عليه اي صالحه او حاربه . وقد توفق الفريقان الى عقد صلح فيه تعهد المصريون ان يخرجوا من نجد ، وتعهد النجديون ان يأذنوا بالحج ، وبؤمنوا السبل ، ويرجعوا ما سلب من الحجرة النبوية .

عاد طوسون بجيشه الى المدينة ومعه وفد من اهل نجد يحمل معاهدة الصلح الى محمد علي ليصدق عليها . وكان محمد علي قد رحل فتبعه الوفد الى مصر : قال ابن بشر « وصل الوفد الى مصر ورجع منها وانتظم الصلح » . والقول مبتسر . فقد تعاكست الاقدار على الجميع في هذه السنة ، فلا خدمت اهل نجد ولا خدمت خصمهم . امر محمد علي ابنه طوسون بالرجوع الي بلاده . وقد مات بعد بضعة اشهر في الاسكندرية ، قبل من مرض غشاه في الحجاز وقيل من استرساله في اللذات . وفي هذه السنة ايضاً توفي عدو النجديين الاخر الشريف غالب وهو في منفاه بسالونيك . وكان صاحب مصر قد تقض عهد الصلح الذي أقره^(١) و جهز ابنه ابراهيم بحملة جديدة على اهل نجد .

(٦) الرّس والقرى التابعة لها هي على مسافة مئتين وسعين ميلاً شرقاً بشمال من المدينة وخسة وثلاثين ميلاً غرباً بجنوب من عنيزة .
(١) في المسئلة روايتان : قال ابن بشر ان فريقاً من عرب الرس المعادين لعبدالله سافر الى مصر ليقابل محمد علي ويصدق على وفد الصلح عمله فافلح سعيه . وقال المؤرخ الافرنسي ان محمد علي لم يعد الوفد بالصلح ولا استقبله حتى بوجه باش . بل افاظ له الكلام وخته بقوله : « سأسير عليكم ابني ابراهيم فيهدم دياركم حتى لا يبقى فيها حجر على حجر » .

كان ابراهيم صلب العود ، شديد البطش ثابتاً في عزمه ومقاصده . ولكنه لم يكن ماهراً في تعبئة الجنود ، ولا كان باهراً في المفاجئات الحربية . انما كان جلدأ كدوداً ، بطيء منشأ الفكر ، سريع منشأ الهوى ، ارادته من حديد ، وقلبه مثل ارادته .

جاء وهو في السابعة والعشرين من سنه يطوي بساط الجزيرة ليصل الى قلبها الملتهب فيطفيء النار فيه ويفرغ منه الحياة . جاء بجيش لا يتجاوز الاربعة الاف وفيهم الالباني والمغربي والسوداني وقد اضاف اليهم في مروره بالصعيد الفين من الفلاحين للاشغال والخدمة .

وكان معه مهندس افرنسي^(١) واربعة اطباء وصيادلة ايطاليين^(٢) ومدافع ضخمة ترمي القنابر التي روعت العرب^(٣) . سافر ابراهيم من القاهرة في النيل في ١٠ شوال ١٢٣١ (٣ ايلول ١٨١٦) الى قنساء ومنها برآ الى القصير على شاطئ البحر الاحمر ، ومنها بجرأ الى ينبع ، فوصلها في ٨ ذي القعدة (٣٠ ايلول) . وسار منها دون مقاومة الى المدينة ، فزار قبر النبي وقبور الصحابة ، ثم نقل بجيشه الى الحناكية^(٤) وعسكر هناك .

اقام ابراهيم في الحناكية ولبث يراقب كالصياد طرائده ، فكان يُغير تارة على البدو وطوراً ينتظر اغارتهم عليه ، فينصب لهم شراكاً من الوعود الخلابّة التي كانت تتخللها الهدايا ونبيء من الذهب الوهاج . ولم يكن على ما يظهر في ما يستوجب العجلة . اقام ستة اشهر على ذلك الماء وهو ينتظر العربان ليخون بعضهم بعضاً وينضموا الى جيته . وكذلك كان . جاءت حرب^(٥) وجادت عتبية وجاءت

(١) Vaissiere

(٢) Scoto. و Gentili و Todeschini و Sacio

(٣) منها مدافع افرنسية محفورة عليها هذه الكلمات : صنعت في باريس في السنة الثانية من عهد الجمهورية . الحرية والاخاء والمساواة . قال ابن بشر بصف مدافع ابراهيم : كل مدفع يتور (يطلق) مرتين مرة في بطنه ومرة تنور رصاصة وسط الجدار بعد ما تبت فيه فتهدمه .

(٤) الحناكية ماء معروف على مسافة تسعين ميلاً شرقي المدينة .

(٥) « قاتم بن مضيان شيخ من مشايخ حرب انضم الى جيش ابراهيم بانف من رجاله

وهم محرمون ومسلحون » — ادوار فوان

مطير^(١) — والله يا ابراهيم حراً (بحس) ما بي (لا سعي) اهل محمد . حار حالك
وحياة الله ! وكانوا يقولون مثل هذا القول لاس سعود .

بعد ان اقام ستة اشهر في الحماكية يستعوي العربان ويخدمهم رحف في
شتاء السنة التالية (٥ ربيع ثاني ١٢٣٢ = ٢٢ فبراير ١٨١٧) الى محمد فوصل
الى الرس التي سلمت قفلاً لاجيه طوسون وادت ان تسلم لابراهيم ، فكانت عليه
حرباً عواناً . احسرت في المهجمات الاولى تمانئة من رحاله فعت يطلب اللحدات
من المدينة . وكان اهل الرّس رجال وساء يدافعون من وراء الاسوار عن
بلادهم ، هيردون على قاهر المصر بن رصاص السادق ، وبتلون فعل العامهم بالعام
اخرى يحمروها اليها .

حانت اللحدات من المدينة فتدد على اللدة الحصار وصاعف صرب اسوارها .
لم يكن ابراهيم ايض حتى برحاله . وبعد ديمحات هائلة في الحيتين طلب عدالله
بن سعد الصلح ، فطلب ابراهيم اللدة من اميرها محمد اس مررود فقال الاميرة
تعال حدها .

استؤف القفال . وكان ابراهيم في المهجمة الاولى على رأس الف حال فكوا
باهل الرس ، فدحوا منهم اربعمئة واكلواهم . كانوا يقطعون رؤوس الرعماء
وبرمعيها على الرماح لراها اللحيديون . اما عدالله فاسمر يفاوض بالصلح ،
ممسك ابراهيم بشروطه واهمها ان يقدم اهل الرّس الي رأس من الخيل ،
والفن من الجمال ، ومؤونة الخيش اسنة اسير ، ورهيتين من اولاد عدالله .
استؤف القفال . واسمر العور وه لاهل الرس ، فتارل ابراهيم اد داك
عن سره طه الا شرطاً واحداً هو ان يصع الحاصروب سلاحهم ، ويقيموا على
الحياذ بلا يماويون ان سعود ولا يعرضوب للحيوش المصرية . فتلوا ذلك
ورفع الحصار اليا اسمر تلاثة اشرو سعة عشر يوماً واليا حسر فيه ابراهيم
تلاثة الاف وارعمئة من عسكره الطائي .

عدان سلمت الرّس رحف ابراهيم الى عميره ، وكان عدالله قد لحا اليها

(١) مطير يومئذ ملها اليوم برعامة اس الدويش



عبد الله بن سعود الكبير عن رسم رُسم في مصر يوم اعتقاله هاهنا

فصالحه اهلبا ، واني المرانطون في القصر الا القنال ، ماطلقت عليهم المدافع ليلة
ونهاراً فسلموا .

تم حمل على تريده وكان عبدالله قد رحل من عبدة اليها فرحل اذ ذلك منها
الى الدرعية . راح يستعمر اهل بحد الوادي والحصر ايجمعوا بي العاصمة
للمدافع عن الوطن .

يده حصار برده الا لالة ايام . وبعد ان سلمت المدينة عاد ابراهيم
بجسه الى المدب احر بلدة في حبوب القصيم ، فمادر اهلبا الى التسليم . تم
دحل اوم داك السهل الكائن بين وادي السر ووادي حبيقة فوصل الى تنقرا
اهم ايراد - ام للداق الوشم - في ١٨ صفر ١٢٣٣ (٢٨ ديسمبر ١٨١٧)
وحاصرها ستة ايام مدافع اهلبا عنها ما استطاعوا تم سلموا . ومما هو حدير
بالاكر - ابراهيم اسس في تنقرا مستقوى للحرجى بحاية اسين من الاطباء
والصيادلة الافرح ايت كانوا معه . ولكن هذه الرحمة - تشمل غير حرجى
حيثه . فقد كان يأمر بقتل الا برى . وقد قطع حدوده في تنقرا آذان القتلى
الجد من مارها مع رسول الى والاه بمصر .

اسمر الحدس الطاهر زاحقا في اوم سلمت بنة للداق بدون قتال .
واكن عندما وصل الى صرمة (١) اصطدمه هبال آهلبا وهم الف مسال وكاوا
المد من اهل ارس . سمب اللداق مدافعه وصرب اللدة هدم سودها راناحها
حورده مدحها ماكن مكسج - ح حتى الحريم من سودة ال من بهوة
احروس الهامة ، وقد د - بامة في السوب والاسواق حربا وحادعة . قال
ابن سر : « كان الروم (٢) ياتوا اهل اليات او العصاة لخمعه فيصوبون
الامان ، فياحرون سلاحهم ويقبلونهم » .

مد ان من الروم صرمة وهكو عرض حرمها ، ودمجوا بي اهلبا همر
الناقم هار من ، دمرها تدميرا وساروا الى وادى حبيقة ، وروا الحديثة تم

(١) لمعها اهل بحد اصرمة
(٢) كان العرب يدعون المصريين والتركي بالروم

بالعيينة ثم اشرفوا في اواخر جمادى الاولى على الدرعية، وكان عبدالله بن سعود واخوه فيصل وغيرهما من آل سعود قد خرجوا بجمع من اهل المدينة للدفاع، فتوزعوا في الوادي واقاموا فيه وفي منعطفاته المتاريس.

كانت الدرعية قائمة على الاكام الى جانبي الوادي^(٣) ولا يتمكن منها الجيش القادم من الوشم او من سدير الا اذا اجتاز وادبها وصعد الى الربوة الشرقية. فنصب مدافعه هناك. لذلك خرج اهل المدينة يصدون المصريين ويناجزونهم ليمنعهم من احراز ذلك المركز الخطير.

كان جيش ابراهيم باشا عندما وصل الى الدرعية وباشر حصارها في ٢٩ جمادى الاولى ١٢٣٣ (٦ ابريل ١٨١٥) مؤلفاً من اربعة الاف من المصريين والالبانيين، وخمسة من المغاربة، وبضعة الاف من عربان مطير وحرب وعتيبه وبني خالد، ونحو الفين من العمال والخدم، وعشرة الاف من الجمال حاملة المؤن والذخيرة.

استمر الحصار خمسة اشهر وبضعة ايام فتعددت فيه الوقعات واشتدت الحملات، وكانت الغلبة غالباً لآل سعود. ولكن التجذبات كانت ترد متوالية على ابراهيم. فتجيبته الجنود والذخيرة من مصر، والارزاق من البصرة والمدينة، والغنم والسمن من القصيم. ومع ذلك فقد نكب في ١٦ شعبان (٣١ يونيو) نكبة كادت تقضي عليه. فبعد ان انهزم يومئذ في وقعة قتل فيها مائة وستون من رجاله هبت ريح السموم فحملت شرارة من نار احدى الخيم الى مستودع الذخيرة، فاشتعل البارود، وتفجرت القنابل، وأتلف كل ما كان هناك. بل امتدت النيران الى مستودع القمح ايضاً فاستحال في ذلك اليوم رماداً. قال ابراهيم لطيبه الافرنسي: خسرنا كل شيء ما عدا شجاعتنا وسيوفنا. والحق يقال ان لولا الشجاعة والعزم والثبات، تلك السجايا الكبيرة فيه، لعاد من الدرعية بعد تلك الفاجعة مدحوراً.

ولكنه ثبت في مراكزه واستعاض عن القتال بالمناوشة والمخادعة الى ان

(٣) راجع [ملوك العرب] الفصل الرابع عشر من القسم الخامس [الجزء الثاني]

جاءته النجدات من المدينة والذخيرة والمؤن من القصيم . وكان قد شاع ان اياه جهز محافظ الاسكندرية بحملة يرسله الى نجد ، وقد ولاء القيادة العامة ، فأثار هذا الخبر غضب ابراهيم وحميته ، فحمل على اهل الدرعية في متاريسهم وفي معانلهم ، وفي ابراجهم ، وفي بيوتهم ، حملات شعواء استُخدمت فيها المدافع الضخمة ، والقبوس النارية ، والبنادق والسيوف . ثم احاطت جيوشه بالمدينة واحتلت حيا من احيائها فبدأت تتزعزع عزيمة المدافعين ، فطلب فربق منهم الصلح ، فابى ابراهيم الا ان يسلم عبدالله بن سعود .

رفض آل سعود . ونهضوا نهضة واحدة يستأنفون القتال فحملوا على الجنود المحتلين قسماً من المدينة فذبحوا عدداً كبيراً منهم واخرجوا الباقين . ذلك تمهيداً لصلح شريف . ولكن ابراهيم ادرك قصد العدو فأفرغ كل ما لديه من المدافع على الدرعية وقصورها ومعاقلها حتى وعلى المسجد الجامع فيها .

وكان ذلك في آخر الشهر الخامس من الحصار فاضطربت في المدينة النيران بعد ان هلك كثيرون من اهلها^(١) وتفرق كثيرون من المجاهدين ، فخرج عبدالله بن سعود الى ابراهيم باشا في اليوم الثامن من ذي القعدة (٩ سبتمبر) فاستقبله ابراهيم في خيمته ، فقال عبدالله : « ما غلبتنا جنودك ، انما الله اراد ذلنا » .

سلمت الدرعية ، وأرسل عبدالله ، ومعه بعض رجاله وعبيده بحفاظة اربعمئة من الجنود الى المدينة ، ومنها الى القاهرة ، فوصلها في ١٨ محرم ١٢٣٤ (١٨ نوفمبر ١٨١٨) ومثل بين يدي محمد علي ، فسأله رأيه بابنه ابراهيم فقال : « هو عمل واجبه ، ونحن عملنا واجبنا ، وما شاء الله كان » .

لم يلبث عبدالله غير يومين في القاهرة ، ثم ارسل اسيراً الى الاستانة ومعه كاتب سره ورجل آخر من رجاله كرها ان يفارقاه . وهناك عند وصولهم طوفوا بالاسواق ونُفذ فيهم في اليوم الثالث حكم الاعدام .

(١) قيل انه قتل من اهل نجد في حصار الدرعية الف وخمسة ومن المصريين أكثر من تسعة الاف

• اما ابراهيم فعندما دخل الدرعية امر بالقبض على بعض الزعماء والعلماء ونكل بهم تنكيلاً شنيعاً . فمنهم من طرخوا مقيدين تحت سنابك الخيل، ومنهم من وضعوا مكبلين عند فوهة المدفع فقطعهم ارباً ارباً « طير اوصالهم في الفضاء » قال ابن بشر : « وكان الشيخ العلامة القاضي احمد بن رشيد الحنبلي صاحب المدينة في الدرعية عند عبدالله فامر الباشا بضربه وتعذيبه وقلع جميع اسنانه فقلعت . » وقال المؤرخ الافرنسي « سام الشيخين احمد الحنبلي وعبد العزيز بن محمد عذاباً شديداً ولكنه ندم بعد ذلك على استرساله في غضبه » .

ولم تكن هذه خاتمة المظالم والفظائع التي ارتكبتها الظافر تأديباً وانتقاماً . قيل ان محمد علي هو الذي امر بتدمير الدرعية — ولو سئل محمد علي لقال ان الامر جاءه من الاستانة . فقد طالما تدرع الاب والابن بالاوامر الشاهانية في تنكيلهم بالعرب . على ان هذا الامر يشين صاحبه اياً كان . ولا فضل للظافر في تنفيذه، ولا مجد، ولا فائدة . الا ما الفائدة بعد كسرة اهل نجد من تدمير عاصمتهم ؟ قد امر ابراهيم باخراج من تبقى في الدرعية من اهلها، وكان قد اجلى الى مصر فريقاً كبيراً^(١) من آل سعود وآل الشيخ، ثم بتدميرها، فدمرت عساكره قصورها، واشعلوا النار في دورها، وقطعوا النخيل في بساينها . ثم فعلوا كذلك في البلدان الاخرى التي اكتسحوها اي في العارض وفي الخرج، وهدموا الحصون والقصور في الوشم وفي القصيم .

قال هوغارت : « لم يكن يطمع محمد علي بضم البلاد العربية الى ملكه ، لذلك لم يحسن معاملة اهلها . وجل ما ابتغاه ان يظلوا كما كانوا قبل ظهور المذهب الوهابي نهب الشقاق والفوضى » .

هي الحالة التي كانوا فيها عندما انسحب ابراهيم باشا بجنوده من نجد في فصل الصيف من سنة ١٨١٩ بعد ان اقام سبعة اشهر في الدرعية ، فضربت الفوضى اطنابها في البلاد، وجاءت عساكر الترك تحمل محل العساكر المصرية ، فكانت

(١) قيل اربعمئة ومعهم اربعة من ابناء سعود الكبير اخوان عبدالله هم : فهد ومشاري وسعد ومخالد . اما الاربعة الاخرون اي فيصل و ابراهيم وناصر وتري فقد قتلوا في الحرب

ضعفًا على ابالة . قال ابن بشر : « كان الناس يهجرون بيوتهم ، فيهيمنون على وجوههم في البراري فراراً من التسخير والارهاق والقتل والتعذيب ، فانحل في البلاد نظام الجماعة ، وشاعت المحرمات ، فصرت لا ترى من ينهي عن منكر ، او يأمر بمعروف . »

وفي هذه الآونة قام رجل من بيت معمر هو محمد بن مشاري يحاول الاستيلاء على قسم من البلاد ، فافلح باديء ذي بدء سعيه . قد دانت له الوشم والعارض وسدير ، ولكنه لضعف عزمه لم يحكم سنة كاملة ، ولم يكن في تلك الايام الوحيد الطالب للسيادة من اي وجه كان .

عندما وصل عسكر الترك الى عنيزة بقيادة رجل يدعى عبوش اغا كتب اليه ابن معمر يقول انه طائع للسلطان وانه اتى القبض على ابناء سعود الخ . فأقره عبوش في مركزه .

كان ابراهيم باشا كما اسلفت القول قد اجلى آل سعود الى مصر . واكن مشاري بن سعود الكبير عاد منها هارباً ، وتركى بن عبدالله بن محمد كان قد لاذ بالخروج عند تسليم الدرعية . فلما عاد مشاري يطالب بالامارة قاومه ابن معمر وتمكن من القبض عليه فسلمه الى الترك فقتلوه . وكان تركى قد عاد من الخرح فنزع ابن معمر الامارة ، وحمل عليه ثم قتله انتقاماً لمشاري . وفي ذلك اليوم كان قد جاء وفود اهل سدير والمحمل ببايعون مشار ، فبايعوه في الصباح ، ثم بايعوا تركى بعد الظهر .

وفي هذه المبايعة ينقل الحكم من سائلة عبد العزيز بن محمد الى سائلة عبدالله اخي عبد العزيز ، ويستمر فيها الى اليوم . اما لولا تركى لما أُنقذ في تلك الاونة بيت آل سعود . بيد انه لم يستطع في مدة امارته ، التي استمرت عشر سنوات ، ان يعيد الى هذا البيت سالف مجده ، والى ذلك الحكم تلك الصولة التي كانت لابن عمه سعود الكبير . ولا اظن ان سعوداً نفسه ان يستطيع ذلك بعد ان توالى على نجد النكبات ، وانتشرت بين اهله الردات ، ففسدت اخلاق الناس ، وتلاشت فيهم القوى المعنوية والروحية .

مع ذلك فقد استطاع الامام تركي ان يستعين بما تبقى من شتات الفضيلة
 في قوم مغلوب ليحفظ السيادة السعودية في زمن الزعازع والفتن ، بل في زمن
 كانت عساكر الروم (الترك) محتلة قسماً كبيراً من البلاد .
 على انه مات شهيداً . فقد قتله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن الذي يمته
 بنسبه الى الثالث من ابناء سعود الاول ، قتله طمعاً بالامارة ، ولكنه لم يتمتع بها
 اكثر من اربعين يوماً ، لان فيصل بن تركي قام يثار لايبه ، فهجم رجاله على
 القصر بالرياض ، وادركوا مشاري فيه فقتلوه .

آل سعود

الدور الثالث — الحروب الاهلية

ان في قتل مشاري قاتل الامام تركي منشأ إمارة بيت الرشيد في حائل ،
فالحادث اذن جدير بالاسهاب . يوم قُتل الامام كان ابنه فيصل في القطيف
ومعه جنوده من قبائل شتى ، فلما جاء يثار لايه ودنا من الرياض خرج اليه وقد
من المدينة يطلب منه ألا يأذن بالدخول اليها غير اهله من الجنود ، لانه اذا
هجم عليها النجديون من غير الرياض قد يقاومهم الاهالي ليمنعهم من احتلالها ،
فيحدث قتال في المدينة ، فتولد المحنة محنة اخرى اشد منها .

وكان مع فيصل رجل يدعى عبدالله بن الرشيد طرده من حائل امرأؤها
يومئذ آل علي فلاذ بال سعود ، فلما هم الجنود ابنا الرياض بالدخول الى المدينة
استفزت الحمية عبدالله فاستأذن فيصلاً بان يكون معهم فاذن له ، فدخلوا الرياض
بدون قتال لان اهله كانوا من حزب تركي ، وهجموا على القصر الذي تحصن
فيه مشاري (هو قصر الملك اليوم وقصر دهام بن دواس سابقاً) اما عبدالله
بن الرشيد فقد سبق المهاجمين الى « مفتول » (برج) من مفاتيل القصر ، فرأى
فيه رجلاً اسمه سويد ، كان اميراً في جلاجل بسدير ، وكان قد جاء يسلم على
الامام تركي دون ان يعلم بما حل به ، فرحب به مشاري وانزله ذاك البرج
في القصر .

قال عبدالله يخاطب سويداً : وما دخلك انت بال سعود ؟ فاجابه سويد :
اني مغضوب . فقال عبدالله : اذا جئتك بالامان من فيصل اترمي لنا جبلاً
لنصعد الى القصر ؟ فقال سويد : اني من رجال تركي وساساعدكم على شرط ان
يعطيني فيصل الامان ويهيني ثمن الداهنة (١) .

(١) الداهنة هجرة من حجر الرُوقه وهم فخذ من عنيه

تواثق الرجال ورمى سوهد بجبل فصعد ابن الرشيد الى القصر وصعد وراءه عشرون من جنود فيصل، فتصادموا ورجال مشاريه وتجالدوا، فجرح عبدالله في يده جرحاً بليغاً شوها . ولكنه ورجال فيصل استولوا على القصر وحاقوا بمشاري ومن معه فقتلهم .

سر فيصل خصوصاً بشجاعة عبدالله بن الرشيد . وعندما راى جراحه قال له : لك مني ما تريد . فقائ عبدالله : اطلب منك ان تأمرني في حائل وان تكون الامارة لي ولعائلي بعدي . فاجاب فيصل طلبه ، فكان عبدالله هذا مؤسس امارة بيت الرشيد . وسنعود الى ذكره وذكرها في فصل آخر .

يقسم عهد فيصل الى دورين ، الاول يتدى في توليه الامارة بعد قتل ابيه ، وهو دور الاضطرابات والفتن ، وينتهي بعد تسع سنين في تسليمه الى القائد خورشيد باشا . وكان قد عاد من مصر خالد بن سعود احد الذين اجلاهم ابراهيم باشا ، وهو حائز على نقه محمد علي ومحبوب من المصرين . بل جاء خالد مع خورشيد ليسانده في الاستيلاء على نجد والقضاء على فيصل . فعندما قرب الجيش من الرياض رحل فيصل الى الدلم في بلاد الخرج لانه لخلاف كان بينه وبين اهل الرياض لم ير من الحكمة ان يحاصر فيها .

كان اهل الدلم اصداقاً لفيصل مخلصين فاجأ اليهم ، فنقبه خورشيد بجيشه وحاصره هناك . قد ثبت فيصل اربعين يوماً في الدفاع ، ولكنه عندما اشتد الحصار ، خصوصاً على اهل الدلم ، ظهر في مظهر من كرم الاخلاق يندر مثله في المتحاربين . اجل ، قد عرض على خورشيد ان يسلم نفسه بشرط ان يعفو القائد عن الاهالي ويؤمنهم على ارواحهم واموالهم .

قبل خورشيد ، وسلم فيصل في ٢٣ رمضان من هذه السنة (١٠ ديسمبر) ما كان معه من عتاد الحرب الى اهل الخرج ، ثم سلم نفسه الى القائد ، فبر بوعده اذ عفا عن الاهالي . وقد احسن معاملة فيصل فاستصحبه الى مصر ، وولى مكانه خالد بن سعود .

وخالد هذا هو اخو عبدالله من جارية حبشية . كان متوقد الذهن ، رقيق



العرب (المدنة) فوق القليب (البئر) ارفع المياه

الشعور ، مسترسلاً في اللهو واللذات . نشأ في ذرا محمد علي فتصير ، وجاء يحكم في نجد حكماً عصبياً ، فنفر النجديون منه وعدوه اجنبياً . ثم اجتمعوا على خلعه نخلعوه بعد ان قاوموه سنتين ، فتولى الامارة بعده عبدالله بن تليان بن ابراهيم بن تليان بن سعود وكان مستبداً عادلاً . بيد انه ارهق الناس بالضرائب فلم يصبروا على حكمه اكثر من سنة . ولكنهم لم يخلعوه كما فعلوا بسلفه خالد . فقد صدف ان فيصلاً ، الذي اطلقه محمد علي من السجن في هذه السنة ليعيده حاكماً الى نجد ، وصل الى القصيم يوم كان عبدالله بن تليان محاصراً عنيزة ، فدعا للطاعة فاجابه عبدالله انه لم يحكم نجداً الا بالنيابة عنه . وكانت خدعة منه يتوسل بها الى القبض على خصمه .

٥١٢٥٧
٢١٨٤٢

سار فيصل مخدوعاً الى عنيزة ، ولكن القدر والاه . فقبل ان يدخل المدينة جاءه رجل يعلمه بنية ابن تليان ، فأخذ للامر اهبتة ، ودخل برجاله ليلاً وهم ينادون ان الحكم لفيصل . ضجت عنيزة لهذه المفاجأة وخذل اهلبها ابن تليان ففر هارباً الى الرياض ، فتعقبه فيصل وحاصره عدة ايام ، ثم صفع عنه واعطاه الامان . خرج ابن تليان من القصر شاكرًا حامداً وليكنه بعيد ذلك اصيب بمرض اودى بحياته .

استقام الامر لفيصل . فبايعه اهل نجد وتمتعوا بالنعيم الجملة في عهده الذي استمر في الدور الثاني اربع وعشرين سنة . حكم فيصل حكماً عربياً سعودياً ، مثل ابني عمه عبد العزيز وسعود ، فاقام العدل ، وعزز الامن ، واعاد الى نجد شيئاً من اليسر وسالف المجد . بل الى ما وراء نجد ، فقد بسط سيادته على الشطر الاكبر من شبه الجزيرة ، فدانت له الاحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجيل والقصيم . دانت له حبا لاكرها .

٥١٢٥٨
٢١٨٤٢

ولكن الدولة العلية ، او بالحري الحكومة المصرية ، لم تهمل امره كل الامل . وبما انها تكبدت الخسائر الفادحة في حملاتها السابقة على اهل نجد ، رأت من الاوفر والاسلم ان تسيّر قواتها على من يدين لابن سعود في عسير . وما كانت تهامة باسوغ لقمة من نجد .

قد سير عباس الاول عشرة الاف جندي نظامي الى جبال عسير في هذه السنة ، فزالهم هناك العربات يقودهم عائض ابن مرعي رئيس الك عائض ، وهزمهم شر هزيمة ، فتهقر من سلم منهم الى تهامة . كانت الغلبة في هذه الحرب لآل عائض وبالتالي للامام فيصل . الا ان فيصلاً كان يتعاشى ما استطاع سفك الدماء . عندما حاصرت جنوده برده كانت خطته العسكرية ان يمدد الحصار فيحمل الاهالي على التسليم بدون قتال . وقد استنجد اهل القصيم يومئذ بالامير طلال بن الرشيد فلم ينجدهم خوفاً من ابن سعود . ثم استنجدوا بامير مكة فابي كذلك . ثم ارسلوا يفاوضون الحكومة المصرية فنفضت يدها منهم . مما يدل على ان فيصلاً كان عزيز الجانب رهيباً .

وكان محبوباً ولا غرو . فقد جمع في سياسته بين الشدة واللين ، فكان كريم الاخلاق ، قوي الارادة ، سمحاً حليماً ، محباً للعلماء ، رؤوفاً بالناس ، محسناً اليهم ، حربصاً على مصالحهم .

جاء بلغراف^(١) نجداً في عهده فساح في الجبل والقصيم ، ونزل من برده الى العارض عن طريق سدّير ، فاقام في الرياض وضواحيها خمسين يوماً ، ثم رحل الى الاحساء ومنها الى الخليج . كان بلغراف شديد اللهجة في انتقاده الوهاية والوهايين ، بل كان متحاملاً . وقد جاء البلاد العربية من قبل نابوليون الثالث ، كما جاء قبله بخمسين سنة باديا الاسباني (علي بك) من قبل نابوليون الاول ، مستكشفاً مستخبراً . وللأثنين غرض سيامي يتقدم الغرض العلمي . بيد ان بلغراف ، على ما كان من الشدة والنفرة في انتقاده اهل نجد المتعصبين (وهو الانكليزي اليهودي اليسوعي^(٢) المتساهل) قد انصف الامام فيصلاً . فقد قال يصف حكمه : « ان القوافل تجتاز القصيم وسدير والوشم

(١) William Gifford Palgrave [١٨١٦ — ١٨٨٨ م]

(٢) ولد بلغراف عبرانياً — اسم أسرته كوهن — فصار بعدئذ مسيحياً ، ثم ابا يسوعياً ثم سياسياً ملحداً . وكان في سورية مع الابهاء اليسوعيين يدعى الاب ميخائيل . اما رفيقه بركات وترجانه في البلاد العربية فهو الذي ارتقى بعدئذ الى السدة البطريكية الكاثوليكية فصار البطريك بطرس الجريجيري وكان مشهوراً .

ومقاطعات نجد الاخرى آمنة، بفضل الحكم الوهابي، شر البدو وتعدياتهم. ويسير
التجار والحجاج والفلاحون في البلاد بأمن وسلام» .

ولكن عهد فيصل السعيد لم يكن اطول عمراً من عمره . فبعد وفاته في

٢١ رجب (١١ ديسمبر) من هذه السنة ، تنازع انجاله الملك كما ستري
[١٢٨٢] وأضاعوه . انجاله ، وهم عبدالله ومحمد وسعود وعبد الرحمن منلوا
[١٨٦٥]

الدور الاخير المحزن من رواية آل سعود الملاي بانواع الحوادث التاريخية .

بعد ان نهك الترك والمصريون اهل نجد بحملاتهم المتعددة ، وبددوا
صفوف وحدتهم القومية والدينية ، عادت الى الوجود تنكاً الجراح تلك العداوات
القديمة لآل سعود اي عداوات القبائل . فانتقضت قحطان ، وعصت العجمان ،
وتمردت عنزي ، وثقلت مطير ، وتذبذبت عتيبه ، وصال بنو مرّة ، وتمر بنو
خالد . ناهيك بالاخوة وابناء العم من البيت نفسه ، وقد قام بعضهم على بعض
يتنازعون السيادة ، فكانوا في حروبهم مغنماً لهذه القبائل النازعة الى الغزو
المستزرقة منه .

قامت القبائل توالي هذا الامر وتناوى الاخر اخاه او ابن عمه طمعاً
يكسب ، او شفاءً لغيل ، او حباً بسيادة يحققونها في انفسهم . وكان عبدالله قد
حمل على العجمان لتعديهم على الحجاج فكسروهم في وقعتين قرب الكويت ، فرحلوا
شمالاً وتحالفوا ورؤساء المنتفق على اهل نجد .

ثم اجلى عبدالله بعض العجمان الى وادي الدواسر . فلما قام سعود ينازع
اخاه الامارة بعد موت ابيهما ، لجأ الى ابن عائض في ابها فرده خائباً لان آل
عائض في تلك الايام كانوا مواليين لآل سعود . عاد سعود بن فيصل من ابها
الى نجران وكان العجمان هناك ، فاجتمعوا حوله ينصرونه على اخيه ، وانضم اليهم
عدد كبير من الدواسر وبني مرّة . هذي هي بداية الحرب السعودية التي اشتركت
فيها قبائل نجد ، فكانت يوماً لهم ويوماً عليهم — وكانت في الحالين على آل
سعود . هي الحرب الاهلية التي استمرت متقطعة اكثر من ثلاثين سنة
فاستثمرتها الدولة العثمانية ، وكانت في النهاية المغنم الاكبر لامراء بيت الرشيد .

ولكن ابن الرشيد كان لا يزال في بداية الحرب يدن لإبن سعود . وعند ما خرج عبدالله الى وادي الدواسر غازياً سار معه الامير متعب بن الرشيد الذي قتل بعد تلك الغزوة ، فتولى اخوه بندر الامارة بعده وأقره فيها الامير عبدالله . وكان محمد بن فيصل مع اخيه عبدالله على اخيه سعود ، فاحتربوا في وقعة المعتلا ، فخرج سعود وانهمزم ، ثم سار ، بعد ان داوى جروحه عند اهل مرة « الى عمان يستنجد صاحبها فلم ينجده . وراح من عمان الى البحرين فلباه شيخها . ثم حالف العجمان في الاحساء واعاد الكرة على اخويه محمد وعبدالله ، فالتحمت جنود الاخوة عند ماء يسمى جودة ، وكانت الغلبة لسعود . قال ابراهيم بن عيسى : « والسبب في ذلك ان بعض جنود محمد وهم سبيع خانوه وانقلبوا على اصحابهم ينهبونهم » . قد قتل اربعمئة من جنود الفريقين في وقعة الجودة ، وأسر محمد فاعتقل في القطيف . ثم دعا سعود اهل الحساء للمبايعة فجاءوه على عين جودة مبايعين .

بعد وقعة الجودة احتل مدحت باشا ، يومئذ والي بغداد ، الحساء وذلك بمساعدة عربان الكويت الذين جاءوا بجراً الى العقير وبراً الى القطيف بقيادة الشيخ مبارك الصباح . وفي احتلال الحساء في هذه السنة قطع مدحت الصلة بين نجد وعمان ، ووسع ثلثة العداء بين سعود واخويه ، فاطلق محمداً من سجنه في القطيف ، ووعد عبدالله بان يعينه « قائماً ولاية نجد » . واكن عبدالله خشي الخدعة — قيل ان مدحت كان ينوي القبض عليه — ففر هارباً الى الرياض ، فاستقبله اهله مرحبين مهلدين .

ولكن سروره لم يدم طويلاً . فقد زحف سعود في السنة نفسها اي سنة ١٢٨٨ هـ الى الرياض ، فدخلها ظافراً ونهب رجاله المدينة . ثم كتب الى رؤساء البلدان ان يقدموا اليه للمبايعة فجاءوا يبايعون . اما عبدالله فكان قد جمع بدو قحطان وانسحب الى وادي حنيفة ، فتعقبه سعود بجيش من آل مرة ، والعجمان ، وسبيع ، والسهول ، والدواسر . وبعد وقعة في البرة انهزم عبدالله وعاد الى الحساء .

قد كانت هذه السنة (١٨٧١ م) والتي تليها سنتي قحط في نجد ، فجاءت
 المجاعة تنجد الحرب على اهله . نعم قد توالى التكببات وتعددت ، فمن لم يميت
 بالسيف مات جوعاً . وكان الناس يأكلون جيف الحمير ويحرقون جلود الابعار
 ويدقونها ، بل كانوا يدقون حتى العظام ويأكلون مسحوقها .
 لم يصف الجو والحال هذه حتى لسعود ، فقد قام اهل الرياض عليه في هذه
 الآونة فأخرجوه ، بعد ان أمّثوه على حياته ، من المدينة . ثم تولى الحكم فيها
 عمه عبدالله بن تركي .

رحل سعود الى الدلم بالخرج ومنها الى الاحساء يستنهض العجمان وآل مرة
 على الترك ، فاجتمع حوله جيش من تلك البوادي وهجموا على الحساء ، فخرج
 الترك اليه في الحوية وبادروه القتال فهزموه . على ان الفشل لم يكن ليثني هذا
 السعودي عن عزمه . فقد عاد يقطع الدهناء الى الافلاج ، وحمل على اخيه الآخر
 وابناء عمه هناك ، فانتصر في وقعة الدلم التي فر منها محمد بن فيصل هارباً ، وأسر
 فيها عبدالله بن تركي الذي مات بعد ايام قليلة في السجن .

استمر النصر بعد ذلك حليفاً لسعود . فخارب اهل ضرمة وهزمهم ، ثم اهل
 حريملا فادخلهم في طاعته ، ثم اعاد الكرة على الرياض ، وكان اخوه
 عبدالله قد عاد اليها ، فخرج واهلها عليه ، فاحتربوا في الجزعة وكانوا
 مهزومين . ارتحل بعد ذلك عبدالله ومعه بعض خدامه الى ناحية الكويت ،
 فاقام على ماء الصبيحية هناك عند بادية قحطان . ودخل سعود الرياض ثم امر
 رؤساء البلدان ثانية ان يقدموا اليه وبياعوه ففعلوا .

سنة واحدة استقام الامر فيها لسعود بن فيصل فتنفس الصعداء وقال
 للحرب استريحني . ولكن ابن الامام فيصل الرابع وهو عبد الرحمن قام يخطب
 ودها فبادرت اليه . وكان قد نهض بجلف من العجمان وآل مرة يريد اخراج
 الترك من الحساء ، فهجم عليهم هناك وكاد يظفر ببغيته لولا نجدة جاء بها ابن
 السعدون من العراق ، فكسرت العجمان وشتت شملهم . عاد عبد الرحمن الى الرياض

فالفى سعوداً في القصر مريضاً ، وقد توفي في هذه السنة ، فتولى
 الامارة بعده ، وكان اخواه عبدالله ومحمد اذ ذاك مع بادية عتيبة .

جاء محمد بجيش من عتيبة يحارب عبد الرحمن فحشد عبد الرحمن جيشاً من
 اهل الرياض والخرج وبوادي العجمان ومطير ليحارب محمداً . وقد التقى الجيشان في
 ثرمدا ، فكانت هناك وقعة تلاحا صالح بين الاخوين . اما ابناء سعود فقد كانوا مع
 عبد الرحمن في هذه الوقعة ، ثم اتقلبوا عليه ، فراح يقصد اخاه الاكبر عبدالله
 وهو يومئذ في بادية عتيبة ، فآكرمه وعاد واياه الى الرياض لمحاربة ابناء اخيها
 الثائرين . على انه لم يدركوهم في المدينة لانهم كانوا قد انسحبوا منها وارتحلوا الى
 الخرج فاقاموا هناك .

صفا الجو لعبدالله ، او بالحري صفا الجوفي بيت انجال الامام فيصل ،
 فكان الاخوان محمد وعبد الرحمن مطيعين لآخيها الامام . ولكن ابناء سعود
 ظلوا عاصين متمردين . وهناك غيوم اخرى اخذت لتلبد في الافق الشمالي .
 حدثني جلالة الملك عبد العزيز قال : « لم يستقم الامر لعبدالله لثلاثة اسباب :
 اولاً — وجود ابناء اخيه في الخرج يحرصون القبائل عليه . ثانياً — مناصرته
 لآل عليان امراء القصيم السابقين على اعدائهم آل مهنا امراء الحاكين في
 ذلك الحين . وكان هذا جهلاً من عبدالله لانه في وقت ضعفه ليس من الحكمة
 ان يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم . ثالثاً — ظهور محمد بن الرشيد
 الطامع بحكم نجد . فقد تحالف مع آل ابي الخليل (من آل مهنا) وكانوا كلهم يداً
 واحدة على ابن سعود .

النزاع الذي اشار اليه جلالة الملك يستوجب الشرح . ورأس هذا النزاع
 برودة التي كانت في الماضي ماء لآل هذا آل من شيوخ عنزي . فاشتراها منهم
 سنة ٩٥٨ هـ راشد الدرربي المنقري التميمي من آل عليان ، ثم عمرها وسكنها
 ومن معه من عشيرته ، فاستمرت رئاستهم فيها الى ان تغلب عليهم آل مهنا من
 عنزي في آخر القرن الثالث عشر للهجرة .

ولكن آل عليان ظلوا يدسون الدسائس لآل مهنا ويستنجدون بهذا وذاك

عليهم ، فافضى العداة الى قتل مهنا ابي الخليل في عهد عبدالله ، فكتب اولاده الى الامام يشكون الامر اليه ، فلم يسمع شكايتهم . بل انحاز كما قال جلالة الملك الى آل عآيات . اما آل مهنا فاستنجدوا ابن الرشيد الامير محمداً ، فجاء هذا بريده ، وطلق يحفر تحت سيادة ابن سعود فيها .

وعندما حدث الخلاف بين الامام عبدالله وبين اهل المجمعه فآدى الى الحرب كان محمد بن الرشيد قد اتفق واهل ذاك البلد على ان يكون حليفهم ١٢٩٩هـ ١٨٨١م وحاميتهم ، وان يكونوا من رعاياه ، فاستنجدوه عندما بلغهم خبر قدوم عبدالله بن فيصل ، فبادر الى نجدتهم بجيش مؤلف من بواديه شمر وحرب . وعندما وصل الى بريده انضم اليه اميرها حسن آل مهنا ابو الخليل ومعه جند من القصيم . ثم زحفوا الى الزلفى ، وكان عبدالله ومن معه من اهل المحمل وسدير والوشم وبادية عتيبة قد عسكروا في ضرمة ، فلما علموا بتحالف ابن الرشيد وابن مهنا وزحفها الى الزلفى انسحبوا من ضرمة وعادوا الى الرياض .

دخل ابن الرشيد المجمعه وامر عليها احد رجاله ، فكانت بعد فوزه في القصيم الخطوة الثانية في استيلائه على نجد .

اعاد الامام عبدالله الكرة على المجمعه فاستغاث اهله بامير الجبل ابن الرشيد وامير بريده ابن مهنا فاذا بهم ، فآدى ذلك الى وقعة بينهم وبين الامام ، كانت الغلبة فيها لابن الرشيد الذي كتب بعد ذلك الى رؤساء البلدان في الوشم وسدير يدعوم اليه في الحمادة فكانت الوقعة فجاءوه طائعين ، فعزلهم من وظائفهم وامر في كل بلد من بلدانهم واحداً من رجاله . وكانت وقعة الحمادة الخطوة الثالثة في استيلائه على نجد .

بعد هذه الوقعة بعث الامام عبدالله باخيه محمد رسولا الى ابن الرشيد فاكرمه وتفاوض واياه . وقد عاد محمد من حائل يحمل الى اخيه من امير الجبل هدية وتعهداً بان يترك له بلدان الوشم وسدير ، فبادر الامام الى عزل من اراد عزله في تلك البلدان ، فزاد ذلك في الشقاق والتخاذل ، اذ لم يستقم نفوذ ابن سعود فيها ، ولا تقلص نفوذ ابن الرشيد .

اما اولاد سعود بن فيصل الذين نزحوا الى الخرج فقد قام منهم محمد بنصر عمه عبدالله ، فحشد جيشاً من عتبية وراح يطلب الخصم الجديد ابن الرشيد ، فالتقى به عند ماء يسمى عروى فنازله هناك وكان هزوماً . هذي هي بداية العداء بين ابن الرشيد وبين اولاد سعود بن فيصل .

واكنهم لم يكونوا يداً واحدة على خصمهم . فقد قاموا في هذه السنة على عمهم عبدالله يحاولون انتزاع الحكم منه ، فقبضوا عليه والقوه في السجن ، فجاء ابن الرشيد يقطف على عادته ثمار الخلاف . جاء فرعاً كما ادعى وكان قد كتب الى رؤساء البلدان في نجد يشجب عمل اولاد سعود ويدعو لنصرة عمهم عبدالله . فلبى الناس دعوته ، ومشوا معه الى الرياض ، فخرج اليهم عند ما دنوا منها وفد للمفاوضة يرأسه عبد الرحمن بن فيصل ، فقال ابن الرشيد : ما قصدي والله غير ان اخرج عبدالله من السجن وان تكون الولاية في بلدكم اكم يا آل سعود . ثم عاهدهم على ذلك .

اما اولاد سعود بن فيصل فلما رأوا اتحاد الناس عليهم طلبوا من ابن الرشيد الامان فأمّنهم على دماهم واموالهم ، فعادوا الى الخرج . وبعد ان دخل ابن الرشيد الرياض واستولى عليها ظهر في مظهر الفاتح القهار ، اذ اطلق عبدالله من السجن وارسله واخيه عبد الرحمن وعشرة اخرين من آل سعود اسرى الى حائل . ثم اقام سالم السبهان (بيت السبهان اخوال بيت الرشيد) اميراً في الرياض .

وبعد خمسة اشهر جاء سالمًا وفد متظلم من الخرج الذي كان اهله قد اختصموا وابناء سعود بن فيصل ، فراح سالم يحسم الخلاف هناك . وقد حسمه حسماً تستحيل عنده المماودة ، اذ انه قتل ابناء سعود محمداً وسعداً وعبدالله " اولئك الذين امنهم ابن الرشيد على حياتهم ، واجلى اهلهم الى حائل . ضج الناس وقاموا يحتجون على السبهان ، فعزله ابن الرشيد وامر مكانه فهاد بن رخيص من كبار شمر .

وفي السنة التالية مرض عبدالله بن فيصل في الجبل فاذا له ولاخيه

سعود ابن راح اسمه عبد العزيز وقد كان وقتئذ مع المجاوين في حائل .

عبد الرحمن وامرئيهما بان يعودوا الى الرياض . وقد عاهد عبد الله على ان يكون اميراً في بلاده . ولكنه توفي في ٢ ربيع الثاني (٢٦ نوفمبر) من هذه السنة بعد وصوله الى الرياض ، فكتب عبد الرحمن الى ابن الرشيد يخبره بذلك ويسأله ان يعزل عامله حسب العهد المذكور ، فكان جواب ابن الرشيد ان يعزل فهاد بن رخيص وعين مكانه سالم السبهان ، اي انه نكث عهده . وفي ١١ ذي الحجة من هذه السنة بلغ عبد الرحمن ان ابن السبهان قادم ليسلم عليهم سلام العيد ويقبلهم . فاحتاطوا للامر . وعندما وصل السبهان امر عبد الرحمن بان يجمع آل سعود لياقي عليهم كلاماً من ابن الرشيد ، وكان في نيته ان يفتك بهم فيذبحهم جميعاً . على ان السعوديين سبقوه الى شبه ما كان يبطن ، فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا عدداً منهم .

بلغ خبر هذا الحادث اهل القصيم ، وكانوا قد اختلفوا وابن الرشيد ، فكتبوا الى عبد الرحمن يعاهدونه على الطاعة والتعاون . وعندما مر ابن الرشيد ببلادهم وهو قادم الى الرياض ليثبت ابن السبهان في مركزه ، وقفوا له في الطريق وصدوه ، فعلمهم بالوعود—وعد بان يعطيهم بادية مطير «والخوّة» التي كانت تقرض على الحجاج—فرضوا بذلك ونكثوا عهدهم مع ابن سعود عبد الرحمن .

زحف ابن الرشيد الى الرياض بجيشه فحاصرها اربعين يوماً . ثم دعا اهلبا للصالح نخرج اليه محمد بن فيصل والشيخ عبدالله بن عبداللطيف (من آل الشيخ^(١)) ومعهما ابن عبد الرحمن عبد العزيز الذي كان يومئذ في الحادية عشرة من سنه ، فتفاوضوا مع ابن الرشيد وتصلحوا على ان تكون الامارة في العارض لعبد الرحمن بن فيصل . الا انه كان صلحاً مموهاً لان ابن الرشيد لم يتمكن في الحصار من فتح المدينة ، ولا تمكن اهلبا من رده عنها .

اما اهل القصيم فعندما عاد الامير محمد الى الجبل طلبوا منه ان يبر بوعده فسوف وتردد ، فنهضوا ثانية عليه وحشدوا قواتهم للحرب . وما كان هذا الامير السعدي ليرد طالباً ، فقد استنفر قبائله وتلاقى واهل القصيم في القرعا ، فتصادموا

١٣٠٨ هـ
١٨٩٠ م

وٹناوشوا في العشر الاول من جمادى الاولى من هذه السنة وكانت الغلبة لاهل القصيم ، فاقترح بعض رجال ابن الرشيد ان يخرجوا من ذلك المكان كأنهم متهمون ويسيروا الى البادية حيث لا « ضلعان » — تلال — ولا « مزابن » — اماكن يكن فيها — فيظن العدو انهم انهزموا ، فيتقاهم ، فيقطعون ساقته بالخليل . قال الراوي : « واهل القصيم اناس تتجاعتهم كثيرة ورأيهم قليل » فلما رحل محمد بن الرشيد صاحوا : انهزم ، انهزم ! ولحقوه ، فبعدوا عن مراكزهم ومواشيهم ، فهجمت عليهم الحيل ، فاجتزت مؤخرهم . وكانت الهزيمة عظيمة . قيل انه قتل الف رجل من اهل القصيم في تلك الوقعة التي تدعى وقعة المأيده والتي كانت الخطوة الكبرى النهائية في استيلاء ابن الرشيد على نجد .

لم يقم لآل سعود قائم بعدها . فقد كان الامام عبد الرحمن خارجاً برجاله من الرياض لينجد اهل القصيم ، ولكنه عندما علم وهو في منتصف الطريق بوقعة المليدة ، عاد الى الرياض ، فأخرج حريمه واولاده منها وارتحلوا الى الحساء التي كان يومئذ عاكف باتسا متصرفها .

وكان طيب الجيش هناك سابقاً لبنانياً هو الدكتور زخور عازار الذي اتدبه المتصرف ليفاوض ابن سعود ، وپعرض عليه شروط الدولة . فاجتمع الدكتور زخور على عين النجا قرب المبرز في جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ (يناير ١٨٩١ م) . بالامام عبد الرحمن وكان معه ابنه الصغير عبد العزيز . وقد عرض عليه ولاية الرياض بحكم من قبل الدولة ، اذا اعترف لقاء ذلك بسيادتها ، ودفع بمنابة الخراج شيئاً ، الف ريال او اقل مثلاً ، في السنة . فرفض الامام عبد الرحمن قائلاً ان بعد ذبح بندر بن الرشيد^(١) نفلت العشار فصارت خائنة بعضها لبعض ، وللأمرء الحاكمين كذلك . وانه لا يستطيع والحال هذه ان يثق بها وينكل عليها .

وكان صاحب قطر قاسم بن تاني خارجاً يومئذ على الدولة فشاع ان الدكتور زخور يسعى في عقد اتفاق بين ابن سعود وابن تاني لخراج الترك من الحساء .

(١) ذبحه عمه الامير محمد وذبح اخوته الاربعة الاخرين كما سيجي في ما يلي .

فأوقف خمسة عشر يوماً في المهفوف ثم استدعي الى بغداد وكان بعد التحقيق -
يربثاً . ولكنه مع ذلك ابي ان يعود الى منصبه .

اما الامام عبد الرحمن فبعد تلك المفاوضات رحل واولاده الى الكويت ،
فمنعهم الشيخ محمد الصباح الحاكم يومئذ من الدخول اليها ، فعادوا الى البادية
واقاموا بضعة اشهر مع العجمان . ثم أتوا قطر فأقاموا فيها شهرين . وكانت
الدولة لا تزال تبغي عقد اتفاق مع ابن سعود لتأمين حركاته وسكناته ، فارسل
متصرف الحسا يستدعيه اليه فلبى الدعوة . وقد تم بعد ذلك الاتفاق على ان

تدفع الدولة الى الامام عبد الرحمن ستين ليرة مشاهرة - وقلما
كانت تدفعها - وان يقيم وعائلته في الكويت . فقبل ابن الصباح

اذ ذاك ان يتوطنوا بلاده .

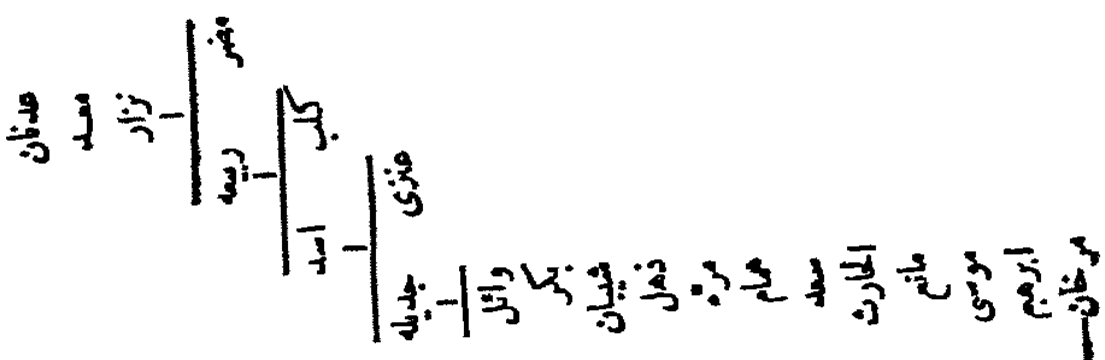
سيرة

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن

آل فيصل آل سعود

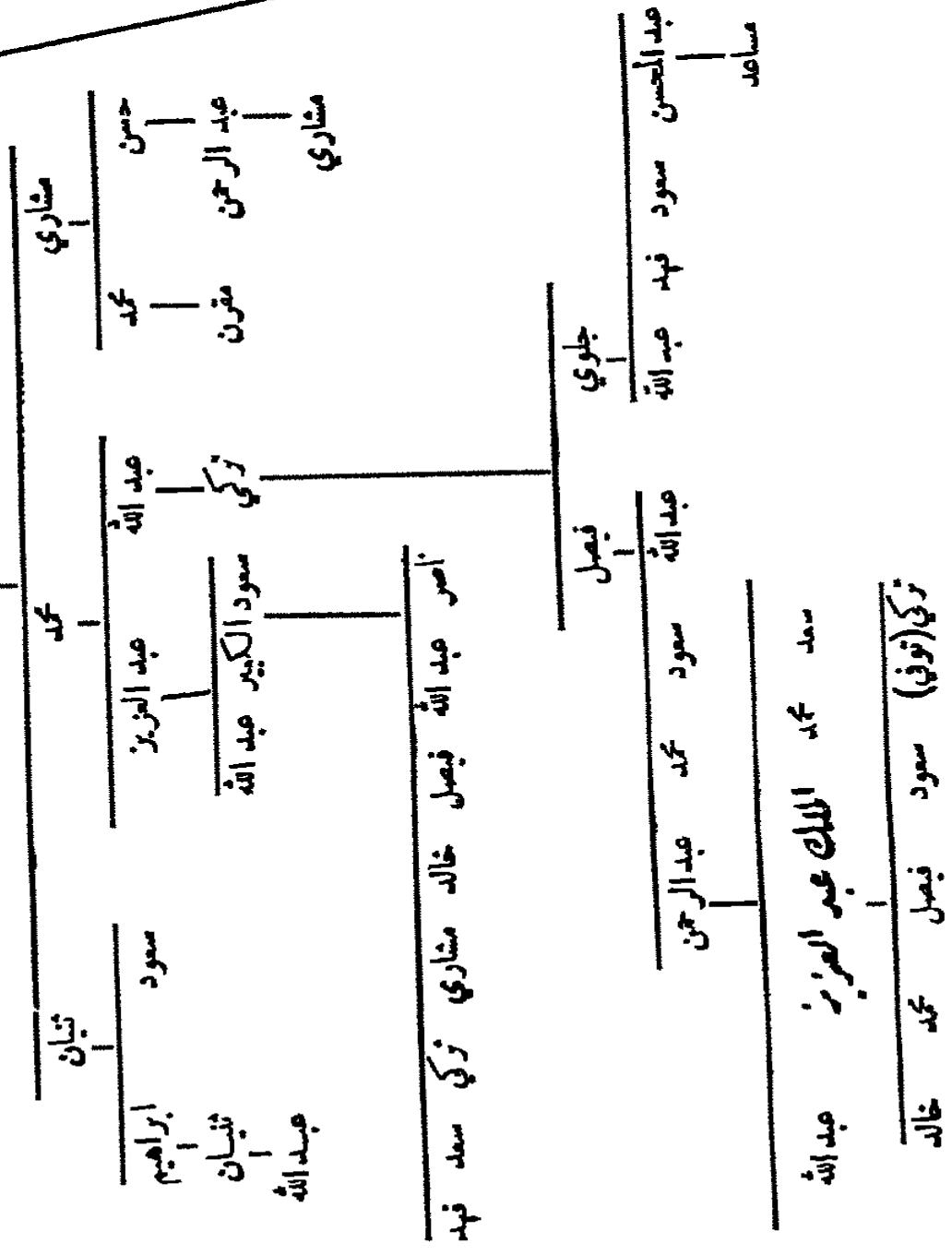
ولد في { ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٢ هـ }
{ ٢ ديسمبر ١٨٨٠ م }

نسب آل سعود



مقرن

سعود بن محمد بن مقرن بن كرفاه



تهيد

بعض الامراء الذين كانوا سائدين في الشطر الشرقي
او في قم منه من شبه الجزيرة يوم كان
ابن سعود متقياً في الكويت

الشيخ مبارك الصباح • امير الكويت (١)

كان حاد المزاج ، شديد البأس ، كثير التقلب . فيه شيء من
الاسد واشياء من الحرباء . بدوي الطبع ؛ حضري الذوق ، تارة
يجبه الخضم وطوراً يجامله . وكان كريماً جواداً ؛ بل كان مسرفاً .
يسترسل الي الترف والبذخ ، ويقدم بعد حبه للمجد والسيادة ،
نواعم العيش ونوافله على كل شيء . سواها .
اما سيف مبارك فكان مثل سياسته ذا حدين . قتل اخويه
محمدآ وجراًحاً طمعاً بالامارة ، وحباً بالمجد ؛ فكان اميراً مجيداً . هو
من اولئك الحكام المتفردين بالحكم الذين يرهقون الامة بالضرائب
ليحوكوا لها حللاً من الفخر والعز باهرة .
شيد قصوراً في الكويت وهدم قصوراً في السياسة . كان

(١) تولى الامارة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) توفي ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م)

يلقب بـ « الحواقة » من حاق ومرادفاتهما مثل دار ولف ، اي ما يراد به السير على عكس الخط المستقيم . نصف عمله سر لا يدركه سواء ، والنصف الاخر خدعة باهرة ؛ او خدعة مضحكة ، او خدعة كشيقة مدلهمة .

لاعب العشاير وغالبها ، وما كان دائماً من الفائزين . أجزل لها العطاء ، فاخذت ماله وهداياها ، ودعت لاعدائه .

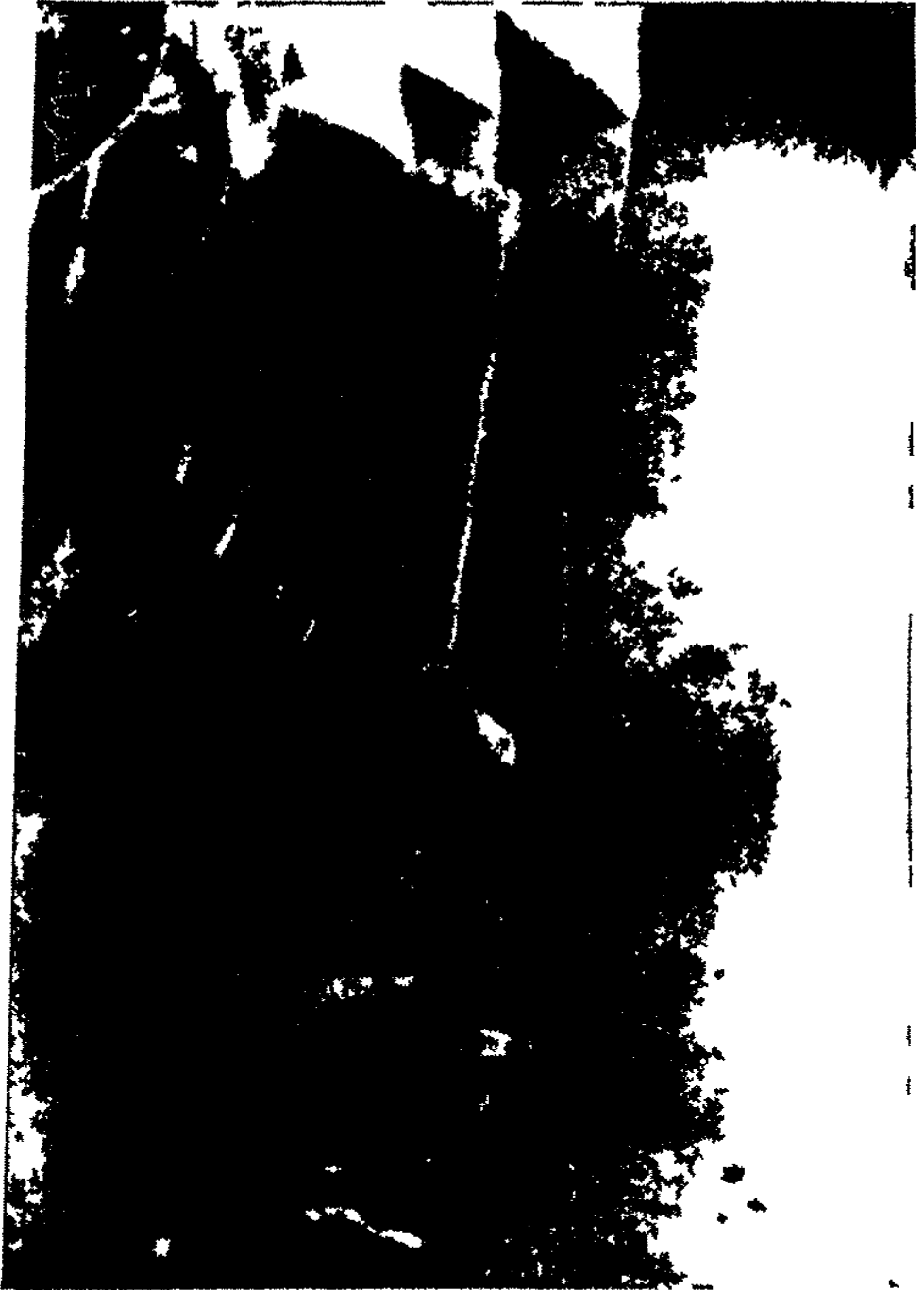
خطب الدولة العلية ولاهر غير الحب والاخلاص - تقسم بالله العلي العظيم اننا مخلصون للدولة ونفديها بدمنا - فكتب كتابه طيبها ، ففتحت له قلبها المحنط المضمخ بالطيب . ثم انقابت عليه .

غازل الدولة البريطانية ، فبادرت اليه ولهانة ويدها على قلبها المقفل بعشرة اقفال ، ثم بنت لها حصاناً في ظلال قصوره .

احب آل سعود فطوقهم بذراعيه -- انتم اعز من اولادي - ثم ضرب بهم عدوه ابن الرشيد .

احب العجمان ، ثم حاربهم ، - فحزمكم كالخطب بالله ونحرقكم ونحرق دياركم - ثم اشعلهم حرباً على ابن سعود .

ولكنه احب الامير خزعلآ حياً جماً ، صافياً ، فبنى له قصرآ في الكويت ، وبنى خزعل مبارك قصرآ في الحمرة ، فكان الاثنان يجتمعان على ضفاف قارون او على شاطئ ، اخلبج ليقتضيا اياماً وليالي بين سرب من القيان والراقصات ، ولسان حالهما يقول : بعدآ .
للسياسة والحروب .



٩٧ - ٩٦

الملك عبد العزيز بين مدافعه

الامير محمد به الرشير . امير نجد . (١)

كان امير الحاج العراقي يوم كان بندر ابن اخيه طلال متولياً
الامارة . وعند ما قام بندر واخوه بدر على عمهما متعب فقتلاه
رحل محمد عمهما الثاني الى الرياض ، ولاذ بالامام عبد الله بن سعود ،
فوفق الامام بينه وبين ابني اخيه . وكان بندر قد تولى الامارة ،
فآمن عمه محمداً على حياته ، فعاد الى حائل واستمر اميراً للحاج .
ولكنه طمع بامارة اكبر منها ، فقام بعد ثلاث سنوات يحقق
مطامعه . بل قام كما قيل يثار لـ اخيه ، وقيل انه قام يرد السيف
الذي ذبح اخاه وكان يومئذ مستلاً عليه . على ان القول الذي لا
ريب فيه هو ان سيف الامير محمد تقاضى خمسة رؤوس بدل الرأس
الواحد . فقد قتل بندراً واخوته الاربعة ابناء اخيه طلال .
يا لك من قنبرة بمحجر . خلا لك الجو فيضي واصفري
صفر الامير محمد للقبائل فلبته مختارة او مكرهة ، فكُتب
له النصر في حروبه كلها . ولكنه قال في خطبة خطبها في ساحة حائل
يبرر قتله ابناء اخيه :

« يا مسلمين ما قتلتم والله الا خوفاً على هذه (وضرب رقبتك
بيده) هموا بقتلي فسبقتهم ومنعتهم . وهل تظنون ان من ذبح
اخي متعباً يعفو عني ؟ » .

تولى الامير محمد الامارة فكان كبيرها ، وكبير شمر ، بل

(١) تولى الامارة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) توفي ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)

كبير العرب في ايامه . فقد استولى على بلاد نجد كلها حتى وادي
الدواسر، وكان في حكمه عادلاً بل كان حليماً حكياً . على ان البدو
كانوا يسخرون ، فقد قالوا ان الامير محمداً لا يحسن الحكم لانه لا
يكتر من قطع الرؤوس . كأن كبير بيت الرشيد آلى على نفسه بعد
ذبحه ابناء اخيه الخمسة ألا يقطع رؤوساً الا في الحرب .

اما في السياسة فلم يختلف كثيراً عن زميله « حوآقة »
الكويت . ولكنه كان ابعـد نظراً واسد رأياً منه ، فيقدر الناس
بعقولهم ، ويعاملهم بموجب ذلك .

قد كان للامير محمد طرائق ثلاث في التغلب والاستيلاء هي
الكرم ، والسيف ، والارهاب . فيستميل اليه من يستطيع استمالتهم
بالهدايا ، ويمتشق الحسام على من لا تغرهم هدايا ، ويمشي الى غرضه
على ظهور اولئك الذين ينشون سطوته . قد كان ولا غرو مهايماً ،
ولكنه على الاجمال لم يكن محبوباً .

الامير عبد العزيز بن عبد العزيز الرشيد (١)

حدثني اعرابي من شمر قال : كان عبد العزيز جالساً للناس في
الفلاة يوماً من الايام فأحس بشيء يلذعه في ظهره ، فخاف ان تكون
حشرة لا تستحق الاهتمام ، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله .
ثم دخل الى الخيمة وطلب احد عبيده ، فرفع العبد ثياب عبد

(١) تولى الامارة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) توفي ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م)

العزیز فاذا ما بين كتفيه عقرب كبير يقرص جلده . صاح العبد
مذعوراً ، وخشي ان يمس العقرب ، فتناوله عبدالعزیز بيده ورماه
خارج الخيمة . ثم امر العبد ان يذرع على مكان اللدع رماداً حامياً
ففعل ، ونام الامير بعد ذلك كأن لم يكن شيئاً .

قد سمعت غيرها من القصص التي تدل على ان عبد العزيز
الرشيد كان جباراً ، وقد كان في الحرب فارساً مغواراً . قال فيه
القائد التركي الفريق صدقي باشا : « هذا فارس كعلي » . ولكنه لم يكن
كعلي في غير ذلك . ولا اظنه سمع بالبيت القائل :

« الراي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني »
طمع بالاستيلاء على الكويت ، وهو يبغى منفذاً على الخليج ؛
خاصطدم هناك بالشيخ مبارك ، فظهرت الصدمة عدواً آخر ، عدواً
جديداً له ولييته ؛ هو سميّه عبد العزيز بن سعود ، فخاربه ،
فخضى في الحرب نجبه ، بعد ان خسر نصف ملكه .

الشيخ فزعل بن مرداؤ . امير الحمرة سابقاً .

راجع الفصل الخامس من القسم السادس من كتاب « ملوك العرب » الجزء
الثاني صفحة ١٧٠

الشيخ عيسى ال خليفة . امير البعريه .

راجع الفصل السادس من القسم السابع من « ملوك العرب » الجزء الثاني
صفحة ٢٣٥

الشيخ قاسم بن ثاني . امير قطر .

ولد سنة ١٢١٦ هـ وتوفي سنة ١٣٣١ فيكون قد عاش مئة وخمس عشرة سنة ، قضى معظمها في اكثار النسل الانساني . فقد تزوج على ما قيل بتسعين امرأة وبعده من الجوارى عديد . وكان له من الاولاد والاحفاد وابناء الاحفاد ذكوراً واناثاً ما نضرب صفحاً عن عددهم فلا تنتهم بالمبالغة . ولكنه كان اذا ركب يركب ستون فارساً في موكبه من صلبه .

لم يكن الشيخ قاسم ، او جاسم كما تلفظ هناك ؛ سيداً على غير عشيرته يوم كانت قطر تابعة لحكومة البحرين . فقام ، وكان يومئذ قد تجاوز الخمسين من سنه ، يدعو العشائر كلها الى الاستقلال فلبت دعوته . وبعد وقعات بحرية وبرية مع اهل البحرين ، وكسرات وغلبات ، حازت قطر استقلالها . وكادت تستولي على البحرين .

من عجائب السياسة في الخليج انه كان للانكليز يد ، ولنا ان نقول يد سلبية ، في استقلال قطر . اي ان حكومة بريطانيا العظمى ارسلت عليها سفينة من سفنها الحربية ، فضربت الزبارة عاصمتها بالمدافع ومنعت القطارنة عن التوسع والاستيلاء . ثم ارضتهم بان فصلت شبه جزيرتهم عن جزائر آل خليفة .

اما الترك فقد حاربهم ابن ثاني فكسروهم في وقعات عديدة ، وذبح عدداً كبيراً منهم ، ولكنه لم يتمكن من اخراجهم من الحساء . والحق يقال ان الحرب لم تكن من الاوليات في حياة الشيخ جاسم ،

ولا همه ان يكون له صفحة ذهبية، او بالحري قرمزية، في التاريخ . بل كان همه الاكبر اكثار النسل الانساني كما قلت . وهمه الآخر ان يحسن تجارة اللؤلؤ (كان له خمس وعشرين سفينة للغوص) وان يجمع المال من هذي التجارة ويبدله في سبيل البر والاحسان . ومن احسانه انه كان ولوعاً في جمع العبيد وعتقهم . قيل انه عتق في حياته اكثر من خمسين عبداً، وان مماليكه الاحرار اسسوا بلدة في قطر سموها السودان .

ومن دواعي احسانه الورع والتقوى . فقد كان حنبلي المذهب، متصلباً فيه، يصرف واردات اوقافه على الجوامع والخطباء . بل كان هو نفسه يعلم الناس الدين، ويخطب فيهم خطبة الجمعة . اصف الى الورع والتقوى اذن فصاحة اللسان، والى الفصاحة العلوم الدينية والفقهية، والى العلوم الضمير الحي واليقين، والى ذلك كله الثراء والجود، فيكون المجموع رجلاً ولا كالرجال، عاش قرناً ويزيد في قطر، فكان اميرها، وخطيبها، وقاضيا، ومفتيها، والمحسن الاكبر فيها .

الاب المجهول

ولد في الرياض عاصمة ملك اجداده، فرأى عمومته يتنازعون الملك ويتحاربون، ورأى العدو على ابواب العاصمة وهو يطمع بالاستيلاء على نجد اجمع، ورأى اباه يجارب في الوقعة الاخيرة

ويستسلم الى الله . ثم سمعه وهو جالس الى جنبه في الحساء يرفض شروط الدولة العلية ، فسُدَّت امامه الابواب كلها الا الباب الى الصحراء ، فلجأ الى خيام الشعر وهو مثل اصحابها لا يملك فتراً من الارض ، وليس له غير تلك الثقة الوطيدة العالية ، الثقة بالله ، التي هي كنز الاعرابي الاكبر .

ثم سكن الاب الكويت ، وصار الصبي شاباً ، فكانت الذكرى الاليمة رفيقة افكاره وسميرة احلامه . قرأ شيئاً من العلوم هناك ، وهو يفكر في الملك المفقود . جلس امام البحر وهو لا يدري اذا ركبته الى اين تحمله الاقدار ، ثم نظر الى البادية وهو يهجس بالملك المفقود . عاشر الامراء والعلماء ، وجلس ساكناً متأديباً في مجلس الشيوخ ، وهو يحلم بالملك المفقود . فتح الكتاب ثم القاه جانباً ، وهو يرمق السيف بنظرة كلها شوق وامل .

عاش مجهولاً في الكويت ، مجهولاً الا في الاسم والنسب ، وفي ما يبدو للعين المجردة . فقد كان الناس يعرفون ان ذاك الشاب القوي البنية ، الطويل القامة ، البراق العين ، هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود . وما كان كبار القوم فكراً وفساسةً ليعرفون اكثر من ذلك . بل كانوا كلهم في ظلال سور الغيب . كالاطفال . جهلوا ما كان يحمله حتى اقرب الناس الى عبد العزيز ، حتى ابوه وامه . جهلوا ما كان يحمله التاريخ . جهلوا ما كان يحمله الشاب المجهول نفسه . جهلوا ما لم يكن يعلم به غير الله .

الفصل الاول

وقعة الشريف

ما كاد الشيخ مبارك الصباح يجلس على العرش الملطخ بدم اخويه حتى قامت عليه الاعداء من كل جانب، واهمهم من غير الحكام خال ابناء المقنولين يوسف آل ابراهيم كبير تجار اللؤلؤ في ايامه واغناهم . فقد بذل يوسف ثروته كلها ، ووقته وجهده ، وجازف بحياته ، طالباً الانتقام . ثم سافر الى قطر والى البصرة والى حائل والى الحجاز يحرض الامراء والحكام على الشيخ مبارك ^(١) .

وكان يومئذ الشيخ قاسم بن ثاني ناقماً على مغتصب الحكم في الكويت فنصح ليوسف ان يذهب الى حائل مستنجداً بابن الرشيد . وقد كتب صاحب قطر كتاباً الى الامير محمد يزين له احتلال الكويت ، وبعده بالمساعدة المربية . على ان ابن الرشيد ، وهو يومئذ كبير العرب ، عقلاً وحنكةً واقتداراً ، لم تسفزه كلمات ابن ثاني ، ولا استغوته اموال ابن آل ابراهيم . قيل انه اوصى وهو على فراش الموت ابن اخيه عبد العزيز الذي تولى الامارة بعده الا يطمح ٥١٣١٥
١٨٩٧م بانظاره الى الكويت ، والا يباشر صاحبها العداة .

والكن الامير عبد العزيز لم يحفظ وصية عمه . وعندما جاءه يوسف آل ابراهيم وأحد الموتورين خالد بن محمد يحرضانه على مبارك نهض الامر وشرع يشن

(١) قد رويت الحادث وبيئت اسبابه في الفصل الثاني من القسم السادس من ملوك العرب ، وما قلت ان القتل كان بالسيف فكتب احد ادباء الكويت مقالا يشير فيه الى بعض الاغلاط ويصلحها . فقال ان القتل كان بالبندقية . تعددت الاساب والموت واحد .

ثم قال متقدي ان يوسف آل ابراهيم لم يسافر الى الاستانة بعد حادث القتل وانكته سافر الى الحجاز يحمل الهدايا الثمينة الى شريف مكة ليتخذة عوناً في تحريك نفس السلطان على الشيخ مبارك . تعددت الاسفار والوطر واحد .

الغارات على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء .

قد كان الشيخ مبارك عالماً بالقصد الاكبر من هذه الغارات ، وبما تقدمها من المؤامرات عليه ، فأرسل رسله الى العراق مستنجداً بالدولة . ولكن يوسف آل ابراهيم كان قد سبقه الى ذلك ، فأقنع اولي الامر بما بذنه من المال ، فأرسلت حملة مؤلفة من اربعة طوابير الى الزبير لتهدد صاحب الكويت . بيد انها أبطأت جداً في السير — ظلت ستة ايام في الطريق بين بغداد والزبير — وقيل ان الحكومة تعمدت هذا الابطاء املاً بأن يقضي الامر قبل وصول الحملة ، وطمعاً بالمزيد مما كان يبذله بدون حساب خال المتورين .

وايكن مباركاً لم يفشل كل الفشل في العراق ، فقد حالفه سعدون باشا

ابو عجمي رئيس عشائر المنفق وخرج معه بعدئذ على ابن الرشيد .

اما حلفه الاكبر ، وان كان يومئذ تليل ذات اليد ، فهو صاحب نجد السابق الذي كان عنده في الكويت ، اعني به الامام عبد الرحمن آل سعود . فقد تعاهد الاثنان ان يكونا يداً واحدة على ابن الرشيد . وبعد ذا التعاهد خرج عبد الرحمن بجيش من الكويت وأغار على عشائر قحطان في روضة سدير .

اما التبغ مبارك فكان قد رمى بشبكتين في بحر السياسة دفعاً للحرب واستعداداً لها ، اذ ارسل الى ابن الرشيد يفاوضه بالصلح ، وكتب الى بعض الرؤساء من اهل نجد يستنهضهم على ابن الرشيد . وكان الامام عبد الرحمن قد غزا غزوته وقفل راجعاً ، فارسل اليه يأمره بان لا يرجع الى الكويت ، ولم يأذنه عند ما قرب من المدينة بالدخول اليها ليشاهد عائلته . قد كان للشيخ مبارك في ذلك مأرب سياسي ، ولكنه عندما علم ان ابن الرشيد رفض التوسط بالاسم جهز جيوشه وخرج يقودها بنفسه ، ومعه اخوه حمود والامام عبد الرحمن آل سعود وابنه عبد العزيز . اما ابو عجمي السعدون فكان قد خرج بعشائره يطارد ابن الرشيد الذي كان قد وصل في اغارته الى اطراف العراق . والظاهر ان الغلبة في الواقعة الاولى كانت على ابي عجمي فارسل يطلب النجدة من الشيخ مبارك الذي كان اذ ذلك في الجهري ، فبادر الى نجوته .

زحف الى السماوة حيث كان ابن الرشيد . ولكن حكومة البصرة مانعت في سيره عند ما وصل الى ما بين الزبير والخيمسية ، فاستغرب مبارك الامر ، وطلب مقابلة الوالي فوافاه الى قرب الزبير . وبعد المفاوضة أذن لاخته حمود وعبد الرحمن ابن سعود ان يطاردا ابن الرشيد ، فلما وصل بالجيش الى عين صيد رحل الامير الشمري من السماوة .

ولما عاد حمود وعبد الرحمن شرع مبارك يعد العدة للغزوة الكبرى غزوة نجد . فاستنفر القبائل فلبته مطير باجمعها ، ولياه العجمان وآل مرة وغيرهم من بوادي الجنوب . ثم جاء ابو عجمي السعدون بعشائره من الشمال . ناهيك بان بعض ازعماء من اهل نجد كانوا قد كتبوا اليه يعدونه بالمساعدة فانضم عدد منهم الى جيشه ، وفيهم آل سليم امراء عنيزة وآل مهنا امراء بريدة .

زحف هذا الجيش ، وعدده نحو عشرة الاف ، يقوده الشيخ مبارك . فقطع الصمان ثم الدهناء ونزل على ماء دونها يعرف بالشوكة . وهناك اذن عبد العزيز بن عبد الرحمن ، اجابة لطلبه ، بان يسير بفرقة من هذا الجيش ، الف رجل من البادية ، الى الرياض فيستولي عليها .

اقترب الجيشان في الشوكة ، فزحف عبد العزيز سعود جنوبا بغرب الى عاصمة اجداده التي وصلها بعد يومين وكان في باكورة غزواته موفقاً . فقد احتل المدينة ما عدا الحصن الذي تحصنت فيه حامية ابن الرشيد ، فعزه على حفر نفق اليه ، وبانثر ورجاله العمل .

اما مبارك فكان قد احتل بلدانا عدة في نجد بدون قتال . بل كان اهلهما يرحبون به املهم ان حليفه ابن سعود . اما ابن الرشيد فكان قد تقهقر وهو لا يريد ان ينازل جيشاً اكبر من جيشه . وظل يتقهقر حتى جر العدو الى قلب القصيم فوقف له عند الطرفية التي تبعد خمسة عشر ميلاً من بريدة الى الشمال .

وفي جوار هذه القرية ، في مكان يدعى الصريف ، في ٢٦ ذي القعدة من هذه السنة (١٦ فبراير سنة ١٩٠١) انتابك الجيشان وتلاحما طيلة ذلك النهار فكانت الوقعة من اعظم وقائع العرب الحديثة ، ودارت فيها الدوائر على ابن الصباح

وحلفائه . خسر الشيخ مبارك عدداً كبيراً من قومه ، وشيئاً كثيراً من عتاد الحرب ، نعاد ومن تبقى من الجيش منهزمين الى الكويت .
 وكان الظافر قاسياً عتياً ، فقد امر بقتل الامرى اجمعين . ثم زحف الى البلدان النجدية التي كانت قد سلمت الى صاحب الكويت ، فنكل برؤسائها ، ونزع السلاح من اهلها ، وضرب عليهم الضرائب الفادحة .
 اما عبد العزيز بن سعود فلما علم بوقعة الصريف اخلى الرياض ، التي احتلها اربعة اشهر فقط ، وعاد برفاه الى الكويت ، فاستولى بعد ذلك ابن الرشيد كل الاستيلاء على نجد اجمع . ولكن هذا الاستيلاء لم يدم طويلاً لان وقعة الصريف كانت فريدة في نتائجها وعواملها ، هي وقعة كان الظافر فيها مغلوباً . هي اول خطوة باهرة في سقوط ابن الرشيد عبد العزيز ، كما ان حملة عبد العزيز بن سعود على الرياض هي اول خيبة في فتوحاته .

الفصل الثاني

امتلحاح الرياض

بعد وقعة الصريف واستتباب السيادة الرشيدية في نجد شد الظافر ثانية على ابن الصباح ، فنزل الحفر الماء المعروف الكائن في منتصف الطريق بين القصيم والكويت^(١) . وراح يوسف آل ابراهيم يشحذ بالاصفر الرنان عزم الدولة او بالحري عزم اولي الامر من رجالها في العراق .

وكانت شكوى الموترين ابناء اخوي الشيخ مبارك قد وصلت الى الاستانة ففتحت لها السياسة اذنها وبريطانية العظمى وتثني وراء السوار . قال السفير الكلمة التي طالما اصاخ لها الباب العالي فأنذر صاحب الكويت . نعم ، انقلبت الدولة العلية على الشيخ مبارك ، وهو الذي ساعدها لتستولي على الحساء ، فديرت الى الكويت باخرة حربية .

وكان ابن الرشيد قد زحف الى اطراف البلاد وهم بالهجوم على الجهرى ، تلك البلدة الكائنة وراء الخليج على ضفة الجون الغربي ، على مسافة خمسة عتير ميلاً من العاصمة . احاط الاعداء بالشيخ مبارك ، حاقت « بالحواقمة » الاخطار . ولكنه لم يفقد من عزمه ودهائه شيئاً . فعند ما رأى نفسه وبسلاده في شبه الحصار فتح قلبه للدولة الاخرى الراسية بواخرها الحربية عند التناطىء الفارسي من الخليج . ارسل الى ابي شهر يستنجد الانكليز ، فجاءه بعد ثلاثة ايام مركب حربي ورهى في مياه الكويت عشرين يوماً .

تلبد جو السياسة في بغداد والبصرة ، فابتسم مبارك وهو يجيز الحملة الثانية على ابن الرشيد . بل ضحك وهو زاحف الى الجهرى ، والمركب الحربي سائر في

(١) راجع الفصل السابع عشر « الحفر » من القسم الخامس (الجزء انسان) من

« ملوك العرب »

مرأى من الجيش اليها — اتبعون حصاري برأ وبجرأ ؟ ها اناذا جتكم بجرأ وبرأ بالقوات التي لا تغلب .

ولم يطلق المركب الحربي مدفعاً . الا ان الربان اذن ببعض المدافع الرشاشة فانزات في الزوارق الى البر ومعا ضباط علموا الكويتين استخدامهما . ثم خطر في بال ذاك الربان الذكي ان يهرب العربان بالاسهم النارية ، فارسلها ليلاً في الفضاء وكان لها التأثير المطلوب . قيل ان ابن الرشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء .

بعد هذا الحادث وتلك الاسهم النارية ادرك الامير الشمري انه بدون مساعدة الدولة مباشرة لا يستطيع الاستيلاء على الكويت . عاد اذن بجيشه الى الحفر ، وشرع يفاوض الترك في بغداد . فلما علم الشيخ مبارك بذلك اراد ان يشغله بنجد وراء الدهناء .

وكان السعد في وجود آل سعود بالكويت خادماً لمبارك . هوذا عبد العزيز وهو يأتي ان يقف في الغزوة عند خيبتة الاولى . هوذا عبد العزيز وهو منذ رجوعه من الرياض يلح على والده ليستأذن من الشيخ مبارك باعادة الكرة على ابن الرشيد ، فاذن الشيخ حياً وكرامة .

واكن الغزوة يكون جماعة . والجماعة - اربعون رجلاً من عائلة آل سعود وخدامهم السابقة - حاضرون ، لا يلزمهم غير الركائب والبنادق والارزاد ، وني من المال . اجاب الشيخ مبارك الطلب فاعطى عبد العزيز اربعين ذولاً ، وثلاثين بندقية ، ومئتي ريالاً ، وبعض الزاد .

كان عبد العزيز في الواحد والعشرين من سنه عندما خرج

١٣١٩
١٩٠١

 بهذه الشزيمة من الكويت . خرج " ينحر " - يقصد -

البوادي على يزياد في الاقل عدد رجاله . ينحروا العنجان فتردد الرؤساء فيهم ولكن كثيرين من العامه انضموا الى غزو ابن سعود . وكذلك آل مرة وسبيح والسهول ، فاشتد ساعد عبد العزيز . اصبح معه بدل الاربعين ذولاً الف ذول واربعمئة خيال .

هو جيش في البادية يذكر . ركب القائد الشاب على رأسه يقطع الصمات والدهناء فوصل الى مكان يقال له العرض بنجد وغزا هناك عرب فخطان الذين كانوا تابعين لابن الرشيد ، فاصاب منهم مغنماً كبيراً ، وساد الى ناحية الحساء . عند ما علم ابن الرشيد بهذه الغزوة هجم في اطراف الكويت على قبائل عربيدار^(١) ليظهر انه لا يبالي بمثل هذا العدو .

ولكن ابن سعود بعد ان موءن جيشه في الحساء خرج غازياً مرة اخرى ، فوصل الى سدير ، فاغار هناك في مكان يدعى 'عشيرة على قبيلة من قحطان واخرى من مطير فاخذهما ورجع بالغنائم فنزل ثانية في اطراف الحساء . وكان جيشه يزداد في كل غزوة حتى اصبح الف وخمسة مائة ذلول وسنة خيال .

اما ابن الرشيد فعاد بجيشه الى الحفر . ولما بلغه خبر غزوات ابن سعود الموفقة ارسل رسولاً اسمه الحازمي الى الشيخ ناسم بن ثاني يستنهضه على هذا العدو الجديد . ثم كتب الى حكومة البصرة لتوعز الى حكومة الحسا بطرد ابن سعود من تلك النواحي وبتحريض البوادي عليه . اجابت الحكومة طلب ابن الرشيد ، فشرد خوفاً منها ومنه اكثر من الف هجان ومئة خيال من جيش ابن سعود ، فلم يبال بذلك لانه لم يكن ليركن الا لرجال الاربعة الاولين .

غزا بما تبقى معه الغزوة الثالثة فوصل الى جنوبي نجد واغار هناك على قبائل من الدواسر فلم يصب مغنماً كبيراً . ولكنه عاد الى ناحية الحسا . وكان وقت الشتاء فتمفرق البدو طالبين المرعى لمواشيهم . لم يكن ليربطهم باين سعود الاحب الكسب ، فمن اين له والحال هذه ان يكرههم على البقاء .

اربعون رجلاً ظلوا اربعين بعد ان ذاقوا حلاوة النصر ومر الفشل والخسران . ولم يكن لعبد العزيز الشاب ما يشحذ عزمهم ، ويفتح لاملمه ولو كوة من النور . استمر ابن الرشيد يحرض الترك وصاحب قطر عليه ، فكتب اليه والده والشيخ مبارك يسألانه ان يرجع الى الكويت فاجب . وعندما اشتد عليه ضغط الحكومة ، حكومة الحسا ، فرّ ورجاله هاربين جنوباً فوصلوا الى مكان بين حرّض وواحة

(١) يطلق هذا الاسم على خليط من العرب لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل

جبرين ، واقاموا هناك شهراً .

وكان ابن الرشيد لا يزال في الحفر وهو يستنجد الاتراك في احتلال الكويت ، ويستحثهم على عدوه الجديد بل على آل سعود كلهم . فقطعت الدولة معاش كبيرهم ، وسدت ابواب الحسا على صغيرهم ، وهم ابن الرشيد ان يحصر هذا الصغير سمياً في تلك الواحة القصية على حاشية الربع الخالي ^(١) .

تشتت جيش عبد العزيز ، وتزعزت اماله ، فنهض يائساً يضرب الضربة الاخيرة ، وهو يرجو ان تكون القاضية اما عليه واما على خصمه . اعتزم الهجوم ثانية على الرياض فاما ان يستولي عليها واما ان يقتل في سبيلها . وكانت قوته يومئذ ستين رجلاً لا غير ، اي انه لم يبق معه من ذلك الجيش الذي بلغ عدده الفين غير عشرين مقاتلاً . وكان في الرياض قلعتان الواحدة ضمن الاخرى شيدهما ابن الرشيد واقام فيهما تسعين من رجاله يرأسهم امير اسمه عجلان .

خرج ابن سعود والستين البسلاء من مراحهم بين حرّض وجبرين في ٥ رمضان ووجهتهم الرياض ، فوردوا ليلة العيد ابا جفان ، وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ سوال الى حدود الرياض ، ونزلوا في الساعة الثالثة عربية (التاسعة ليلاً) في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة

ترك عبد العزيز عشرين من قومه هناك كجيش احتياطي ، وتقدم بالاربعين الاخرين ، وفيهم اخوه محمد وعبد الله بن جلوي امير الحسا اليوم . فلما وصل الى البساتين خارج السور اقام اخاه محمداً ومعه ثلاثون رجلاً هناك ، ومشى بالعشرة الباقين الى غرضه . ولكنه لم يتمكن من الدخول الى الحصن الخارجي اي حصن السور الا من البيت المحاذي وهو لفلاح يتجر بالبقر .

قرع عبد العزيز الباب فاجابت امرأة تقول : من انت ؟

عبد العزيز : رجل من رجال الامير عجلان اريد من رجلك ان يشتري لنا

(١) واحة جبرين هي على مسافة مئة وستين ميلاً من الحسا جنوباً ومئة وخمسة وسبعين ميلاً من الرياض شرقاً بجنوب

بقراً صباح الغد .

الامرأة : مُخسئت يا شبه الرجال — ما جئت تبغي البقر يا فاجر بل جئت تبغي الفساد .

عبد العزيز : لا والله ليس هذا مأربي . بل ابغي صاحب هذا البيت فاذا لم يخرج الي الان فالامير يقتله صباح الغد .

سمع الرجل هذا التهديد فجاء يفتح الباب ، وكان عبد العزيز يعرفه من الهجوم الاول في السنة الماضية ، ويعرف حريمه وفيهن من كنّ خادمت سابقاً في بيت سعود . فلما خرج امسكه بيده قائلاً : اذا تكلمت قتلتك في الحال . فصاح النساء وقد عرفنه : عمنا ، عمنا عبد العزيز ^(١) .

عبد العزيز : لا بأس عليكن اذا سكتن . قال هذا وقد ادخلهن الى غرفة واقفل عليهن الباب .

ثم تسلق الجدار الى البيت الاخر عند الحصن فاذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد ، فلفهما بالفراش وحملها الى غرفة صغيرة ، فاودعها هناك واقفل الباب .

اطمأن من عبد العزيز الببال ، فارسل يطلب اخاه محمداً والباقيين فجاءوا دون ان يشعر احد بهم واجتمعوا كلهم في ذاك المكان .

وكان البيت الاخر الى جانب الحصن للامير عجلان ، وفيه احدى نساءه وهو يزورها تارة في الليل وطوراً في النهار . مشى عبد العزيز وعشرة من رجاله الى ذاك البيت ، فدخلوه طافوا بغرفته ، فوجدوا في احداها اثنين نائمين على فراش واحد ظنهما عبد العزيز الامير عجلان وامرأته .

دخل متسللاً ومعه رجل يحمل سراجاً . فلما دنا من الفراش رفع الغطاء فاذا هناك امرأتان ، فأيقظهما ، فاستوتا جالستين دون ان يعراهما شيء من الخوف . وكانت الواحدة منهما امرأة عجلان والاخرى اختها امرأة اخيه .

عرفت امرأة عجلان الرجل فبادرته بالقول : انت عبد العزيز . فاجابها :

(١) في بعض اقطار البلاد العربية كنجدة والحجاز ينادي الخادم سيده : عمي

تعم . فقالت : من تعي ؟ فأحارها : ابي روحك . فقالت وهي تقسم بالله : اني
أحب ان تقتل كل من في البلد من تتمر الا روحي . ولكي احتسني عليك معهم ،
احتسني ان يقتلوك يا عبد العرير .

عبد العرير : ما سألتك عن هذا الامر . انما تريد ان تعرف متى يخرج
عجلان من الحصن الداخلي .

امراة عجلان : لا يخرج الا بعد طلوع الشمس ساعة .

عبد العرير : هذا كل ما نعيه مكن ، ولا نأس عليك اذا مكنت . قال
هذا وهو ورحاله يسوقون الامراتين وثقية النساء الى عرفة واحدة ، محسوسين
فيها . ثم كسروا الباب الذي يوصل الى البيت الذي كذب فيه ثقية الرجال
فدخلوا منه ، واحتتموا كهم في بيت عجلان .

وكانت الساعة النامة عرية (الناية بعد نصف الليل) فاستراحوا ، واكلوا
التمر ، وسروا القهوة ، وباموا تميلا . ثم سرعوا عند اساق الحجر يدبرون
طريقة للبحوه على الحصن الداخلي . وبعد قليل منح داك الحصن فاحرح بعض
العبيد الخيل الى الشمس . فلما راي عبد العرير الواسة مفتوحة حرح عاديا ،
فسمع من رحاه حمسة عشر رجلا فقط .

وايق ان الامير عجلان كان قد حرح من الحصن عند هجومهم سايه وهو
قاده الى بيته . فلما رآهم عراه الدهش والرعب فكص ورحاله على اعقابهم وهم
يعنون الرجوع . ولكن الوانة الا الخوحة (الباب الصغير ميبها) كانت قد
اقفلت ، وبين كان ورحاله يدخلون من داك الواب اطلق عبد العرير المدقية
عليه فاصاه ولم يقتله . ثم ادركه وقد صار يصعه داخل الوانة فامسكه برجله
وسحبه الى الخارج فتصارع الاتان برهة .

اما الرجال الذين كانوا قد دخلوا الحصن فصعدوا الى احد الابراج المشرفة
على السوق ، وترعوا يطلقون النار من المصاليات على رجال ابن سعود ، فحرحوا
اربعة منهم وقملوا امين .

تراجع الهاحمون الا عبد الله بن حلوي فكان اول من دخلوا الحصن ، وراح



الامير سعود ابن الملك عبد العزيز

يعدو وراء عجلان الذي كان قد تمت من عبد العزيز، فرماه بالرصاص فخرًا
لوجه قتيلاً .

نادى عبد العزيز برجاله واسنفرهم فاقنفوا اتر عبد الله . هجموا على الحصن
هجمة واحدة ، فصاحوا بمن فيه وفكوا بهم ، فقلوهم الا عشرين رجلاً كانوا قد
تحصنوا في حبة منه . ولكن عبد العزيز آمنهم على حياتهم فسلهوا .

وبعد سقوط الحصن في الخامس من شوال ١٣١٩ (١٥ ايار سنة ١٩٠٢)
والاستيلاء على الرياض باتمر الامير السعودي التاب بباء السور الحديد القائم
اليوم حول اقسام متهدمة من السور القديم ، فتم باؤه في نحو خمسة اسابيع .

الفصل الثالث

الحرب في الحرج

لم يحدث احتلال الرياض امراً جديداً في السياسة الدولية اي بين الدولة العلية والحكومة البريطانية . فظلت الاولى مذبذبة مراغة ، واستمرت الثانية مراقبةً ومن وراء الستار حاكمةً بامرها .

اما الشيخ مبارك فقد كان احتلال الرياض برداً وسلاماً على قلبه . ولم يكن عكس ذلك ظاهراً في ابن الرشيد . فقد سمع الخبر غير مكترث به وضرب له الامثال فقال : ارنبة محجرة واهلها مقيمون ، اي انه يستطيع اي يوم شاء ان يخرج ابن سعود من الرياض . لذلك لم يتزحزح من الحفر فاقام هناك اربعة اشهر يفاوض الترك في بغداد وهو يعال النفس باحتلال الكويت .

وكان الترك يرحبون برسله وهداياهم ، ويمدونهم بالمساعدة ويتقاعسون . انت تذكر ان الحملة التي ارسلوها مرة على الشيخ مبارك ظلت ستة اشهر في الطريق من بغداد الى الزبير . وقد اشرت الى السبب بل السببين في ذلك . فاهيك يانه لم يكن للدولة آتئذ في ابن الرشيد الغرض الذي ولدته الحوادث في ما بعد . بل كانت اميل الى مبارك وهو على البحر منها الى امير في داخل البلاد العربية .

وايكن مباركاً والى الانكليز ، ودعاهم الى بلاده ، فاستحق لذلك اهمال الدولة بل تقمتها . وبما انها كانت عاجزة عن اظهار تلك النعمة في مظهر من القوة يليق بعظمتها ، فقد اكتفت بان تظهر ولاءها لابن الرشيد ، وتأذن له بان يفاوضها في محاربة ابن الصباح . وقيل ان الحكومة البريطانية كانت تضغط عليها لتمنعها من مساعدة ابن الرشيد مساعدة حربية . ولا غرو ، فالسبب في ذلك — السبب المعروف — هو انها بعد ان استقرت في الكويت ، وتطاهدت

روابن الصباح ، أصبحت حاميةً لبلاده .
 الشيخ المبارك المسعد ! قد حماه الانكايذ من البحر ، وحماه ابن سعود الشاب
 من البر . كيف لا وهو يشغل عنه عدوه ابن الرشيد . — ولدي عبد العزيز
 تولاك الله ، وعافاك ، وقواك ، وجعل النصر دائماً اخاك ! ارسل مبارك يهنئ
 ولده ويبارك له . ثم بعث اخاه سعد بن عبد الرحمن بالنجدة التي طلبها .
 ومشى عبد العزيز الى غرضه فاستولى اولاً على النواحي الجنوبية اي الخرج
 والحوطة والحريق والافلاج والدواسر . اما النواحي الشمالية ، مثل الشعيب
 والحمل والوشم وسدير ، فظلت في حوزة ابن الرشيد مع انها كانت موالية لابن
 سعود .

في اوائل هذا العام اغار عبد العزيز مرتين على قبائل من قحطان
 كانت نازلة حلبان^(١) في اطراف نجد فأخذهم . ولكنه مرض
 في الغزوة الثالثة وهو على ماء الحسي شمالي الرياض . ثم خرج اخوه محمد غازياً
 لفتح من عتية يرأسهم ابن ربيعان وهم في مكان قرب الشعري^(٢) .
 اما عبد العزيز بن الرشيد فلما يش من مفاوضات الترك وبان له من امر
 « الارنية المحجرة » ما لم يكن ليخطر في باله ، امر بشد الرجال واسند (العرب
 يقولون سند) عائداً الى حائل ، فعبأ جيشاً جديداً من شمر والقصيم وسدير
 والوشم ، وزحف به في ربيع الاول من هذا العام قاصداً الرياض .
 فلما علم ابن سعود بذلك ارسل الى ابيه في الكويت يقول ان الحرب قائمة ،
 وان الاستيلاء على الرياض يقتضي ان يكون هو اي الامام عبد الرحمن فيها .
 جاء الوالد مسرعاً ، ولم يمنعه الاسراع من ان يغزو في طريقه قبائل من الظفير
 وشمر المواليين لابن الرشيد . وخرج عبد العزيز ورجاله فساروا مسافة ثلاثة ايام
 ليستقبلوا الامام الذي عاد الى الرياض عودة الظافر ، وكان قد خرج منها منذ

(١) العرب يلفظونها آخيليان

(٢) الكمي يدرك القاري . شيئاً من مشقات النزوح عند العرب يجب ان يعلم مقدار
 المسافات التي يقطعونها قازين . فالمسافة بين الرياض مثلاً ووادي الدواسر هي نحو ثلاثمائة
 ميل اي مبر خمسة عشر يوماً ، ومثل ذلك تقريباً بين الرياض والشعري .

احدى عشرة سنة مهاجراً .

ثم حدث خلاف بين الاب والابن نادر المثال . فقد ارسل عبد العزيز من القصر الى الوالد في بيته يقول : الامارة لكم وانا جندي في خدمتكم . فجمع الوالد العلماء واعلمهم بالامر ، ثم ارسل الى ابنه الصغير يقول : اذا كان قصدك في استدعائي الى الرياض لأتولى الامارة فيها فهذا غير ممكن ، ولا اقبله مطلقاً ، ولا أقيم في المدينة اذا الحجت به .

تدخل العلماء في الامر فقالوا لعبد العزيز : على الابن ان يطيع اياه . وقالوا لعبد الرحمن : انت كوالد عبد العزيز رئيس عليه ، وبالتالي على اهل نجد . فقال عبد الرحمن : ولكن الامارة له

فقال عبد العزيز : اني قابلها بشرط ان يكون والدي مشرفاً على اعماله دائماً فيرشدني الى ما فيه خير البلاد ، ويردعني عما يراه مضراً في مصالحها . كذلك تمت البيعة لعبد العزيز . وكان يومئذ سميه ابن الرشيد نازلاً في رغبة من بلدان المحمل ، وقصده محاصرة الرياض ، فأرسل سالم السبهان بجيش من قحطان الى ضربه ايهمم عليها من الجنوب الغربي ، وأمر الحازمي مندوبه في الحسا بان يستنهض العجمان وآل مرة بمؤازرة الحكومة فيهمون من الشرق الجنوبي .

واكن ابن سعود ارسل اخاه محمداً وابن عمه عبدالله جلوي الى تلك النواحي الجنوبية يستنجدان الدواسر وآل مرة ، فظفروا بما لم يظفر الحازمي والترك اعوانه . وقد علم ابن الرشيد ان كثيرين ممن كان يظنهم من اتباعه قد انضموا الى ابن سعود ، فاقام شهرين في رغبة واسبوعين في الحسي ، وهو يعجز عن الهجوم على الرياض . ثم رحل الى الحفر ايحول دون تموين العدو من الكويت .

اكل امير من امراء العرب دائرة استخبارات ، واكنه هناك يسعون الاشياء باسمائها الحقيقية . قال السلطان عبد العزيز : « فلما علم ابن سعود من جواسيسه ، ان ابن الرشيد ينوي ان يصادر الارزاق التي تجيء الى نجد من الكويت والحساتذاكر ووالده فعقدت النية على حيلة تقربه منهم فيتلاحون واياه .

ويقضون عليه او في الاقل يحولون دون تنفيذ خطته» .

خرج عبد العزيز من الرياض ووجهته الجنوب ، وراح شمالاً الى مناخ ابن الرشيد آمن اشاع ان ابن سعود خائف من خصمه وانه فر هارباً . فلما سمع ابن الرشيد ذلك شد الرحال مسرعاً ودرهم^(١) فنزل على ماء بنبان^(٢) ولم يكن بينه وبين الرياض غير عشرين ميلاً او اقل . ثم جاءه الخبر اليقين وهو ان الرياض محصنة وان ابن سعود في حائر سبيع بالخرج ، فامسى في حيرة مزعجة ابته عليه التقهر وحالت دون الهجوم .

وكان لابن سعود سرية في الدلم عاصمة الخرج بقيادة احمد السديري ، فأمره ان يتأهب للزحف معه الى الرياض اذا هجم ابن الرشيد عليها . اما اذا تجنبها ومشى الى الخرج فاهل الرياض يتقفونه بالسلاح وعبد العزيز يفزع الى السديري في الدلم . بعد هذا التدبير وكمل ابن جلوي بمن كان معه من الجنود فاقامهم في عليته ، وهو ضلع حصين بين الحريق والحوطة ، قارب منها . ثم ارسل اخاه سعداً الى الحريق يستنجد اهلها ، وراح هو للغاية نفسها الى الحوطة ، فبلغه في اليوم الثاني هناك خبر هجوم ابن الرشيد على الدلم — طاح في الشرك الذي نصب له ! فبادر ابن سعود الى ذلك المكان .

جمع جيوشه من اهل الحوطة والحريق فلغوا مع من كانوا في ضلع عليته الف وخمسمئة مقاتل . اجتمعوا في ماوان على مسافة عتس ساعات من الخرج واسبروا فوصلوا الى الدلم قبل انبثاق الفجر . وكان ابن الرشيد قد نزل في نعبان على مسير ساعنين من البلدة ، فلم يدر بدخول ابن سعود اليها . على انه في عصر ذلك النهار ارسل سرية مستكشفة فخرجت لها خيل ابن سعود ، فتهاجم الفرسان وتطاردا ، فانهزمت خيل ابن الرشيد .

كثيراً ما تكون الحرب عند العرب مناورات ومجاولات ، وهم قلما يسارعون الى الملحمة التي تطيح فيها الرؤوس . ولكنهم يسرون اليها على طرفتهم سير

(١) درهم يدرهم من اصطلاحات اهل نجد والدرهم سير سريم بين الحبيب والتارة.

(٢) بنبان هو على مسير سبع ساعات شمالي الرياض بينها وبين الحسي .

الهون ، وهم يغزون ، ويعتزون ، ويناوشون ، وبنقهقرون . اما ان الحرب خدعة فكلهم يعرفون الآية ويؤمنون بل يعملون بها .
في فجر اليوم التالي راح ابن سعود بكن لابن الرشيد ، وكان قد علم ان من عادته ان يخرج وبعض رجاله صباح كل يوم ، فيطوفون في البساتين يرعون ابلهم ويقطعون النخيل . وكان ابن الرشيد أحس ان خصمه في الدلم فلم يخرج كما عادته بأكرأ ، فارسل ابن سعود خيالة مستكشفين ، فعادوا يقولون انه متحصن في نعبجان . ولم يكن لابن سعود ان يهجم عليه في النهار ، لان خيله قليلة ولأن الهجوم يبعده عن الحصون .

على ان الكشافة لم يصدقوا اميرهم الخبر لانهم لم يصلوا جنباً او جهلاً الى مكان الاستكشاف . فبعد ان عاد ابن سعود الى البلدة بلغه الخبر ان ابن الرشيد قد خرج على عادته يجول في النخيل ، فبادر بقسم من جيشه اليه . وكانت المواجهة الاولى بين العزيزين خارج الدلم وسط النخيل . تواجهوا واحتربا ، فكانت الوقعة شديدة ، واستمرت ست ساعات حتى غروب الشمس . ولكنها لم تسفر عن شيء كبير . فقد اسر رجال ابن سعود جماعة من رجال ابن الرشيد يدعون باهل لبده فحصرهم في القصر ، ففروا منه في المساء . وطارد ابن سعود ابن الرشيد فنقهقروا الى معسكره .

لم تكن الذخيرة متوافرة عند ابن سعود فنهدت او كادت في تلك الوقعة ، فارسل يطلب قسماً من الحوطة . اما ابن الرشيد فشد في اليوم التالي الرحال وسار جنوباً الى اسفل الخرج ، فنزل السايمية التي تبعد ست ساعات عن الدلم ، فتنقاه ابن سعود بعد وصول الذخيرة ونازله في السايمية فاخرجه منها . ولكنه لم يتمكن من تعقبه فادراكه ، لقله خيله وركائبه ، ولكثرتها مع ابن الرشيد . فقد كان جيش الشمري مؤلفاً من اربعة الاف ذلول واربعمئة خيال ، بين ان الجيش السعودي لم يكن يتجاوز الالفين ولم يكن فيه غير اربعين من الخيل . ومع ذلك فقد انهزم ابن الرشيد في الخرج ، وثبتت سيادة ابن سعود فيه ، بل في النواحي الجنوبية كلها .

الفصل الرابع الاستيلاء على القطيف

لم يغير فوز ابن سعود في الخرج موقف الترك تجاه ابن الرشيد وابن الصباح ، فظلوا يجتفون هذا ويعلمون ذلك بالعود . ومع ذلك فقد عاد ابن الرشيد الى الحفر بعد تلك الهزيمة واستأنف الغزو ، فاغار على عرپيدار قرب الكويت ، وعلى سبيع في الدهناء ، وعلى عتيبة قرب الارطاوية ^(١) . ثم باشر محاصرة الكويت فارسل الشيخ مبارك يعلم « ولده » عبد العزيز بذلك ويستنجده . والدهر في الناس قلب ٠٠٠٠ فقد صار منجداً من كان بالامس مستنجداً .

وكان عبد العزيز بعد شهر اقامه في الرياض قد غزا عرب مطير في الصمان ، وعتيبة في عرق رغبة بين الوشم وجبل طويق . مما يدل على ان النزعات او المصالح بدأت تشق القبائل فصار قسم منها يدن لابن سعود ، وقسم لابن الرشيد ، فيغير هذا على عتيبة مثلاً السعودية ، ويغير ذاك على عتيبة الموالية لابن الرشيد .

ابي عبد العزيز دعوة الشيخ مبارك فسار فزعا الى الكويت بجيش لا يقل عن العشرة الاف ، وهو الذي خرج منها باربعين ذلولاً اجرب منذ سنين . فرحبت الكويت به وهلمت له ، وانضم منها الى جيته ما كان قد جنده مبارك بقيادة جابر بن الصباح . ثم خرج الاثنان جابر وعبد العزيز غازبين طالبين ابن الرشيد .

زحف هذا الجيش الجرار المؤلف من قبائل الحساء كلها — من العجمان وآل مرة وبني خالد وبني هاجر والعوازم والمناصير وسبيع والسهول — البالغ

(١) لم تكن تاسست هناك البلدة او الهجرة التي تدعى بهذا الاسم.

عدده اربعة عشر الفا ، منهم اربعة الاف خيال ، ووجهتهم الحفر . ولكنهم
أخبروا في الطريق ان ابن الرشيد قد عاد الى بلاده ، فهجموا لذلك على مطير
في الصمان ، فذبحوهم عن بكرة ابيهم ، وغنموا اموالهم وارزاقهم كلها — ذبحناهم
واخذنا حلالهم ! (امتعتهم)

على ان حلاوة هذا النصر لم تدم طويلاً . فقد بلغهم عند ما وصلوا الى ماء
طوال الخبر اليقين وهو ان ابن الرشيد — الذي يحسن مثلهم الحدة — لم يرجع
الى بلاده ، بل زحف الى الرياض ببغي محاصرتها . وقد مر في طريقه بعبان
من السهول فضربهم وضمهم الى جيشه ، ثم تقدم مسرعاً وهو ينوي
ان يفاجيء العاصمة بالمهجوم ليلاً عليها . فلما دنا منها عسكر عند ضلع
يدعى ابا أم خروقي ^(١) دون ان يعلم بذلك احد من اهل المدينة . ولكنه ~~تأخر~~
مشى اليها ، واصبح في ظلال نخيلها ، نرد رجل من السهول المكرهين ودخل
يصيح بالناس : العدو قرب منكم ! العدو عند السور !

نهض اذ ذاك الامام عبد الرحمن باهل الرياض للدفاع ، فخرجوا على ابن
الرشيد ونازلوه خارج السور ، فردوه خائباً ، فنقل بعد ذلك معسكره من بخروقي
الى نخيل بعد ساعة عن المدينة ، واقام هناك ثلاثة ايام دون ان يأتي بحركة .
ثم بلعه ابن عبد العزيز بن سعود زاحف الى القصيم ، فشد الرحال مسرعاً
ومشى الى الوتم عن طريق ضرمة . وكان الامام عبد الرحمن قد ارسل سرية ^(٢)
بقيادة مساعد بن سويلم فاستولت على الحمل والشعيب ، ثم زحفت الى شقرا التي
كان فيها امير لابن الرشيد اسمه الصويغ . فلما دنا مساعد من البلد رحل الصويغ
الى ثرمدا ، فاستولى مساعد على شقرا برضى اهلها . ثم هجم على ثرمدا فادرك
الصويغ فيها ، فقتله ، والنى القبض على العنقري اميرها وارسله الى الرياض .
ولم يكن ابن الرشيد بطيئاً في تعقبه ابن سويلم . فقد هجم عليه في ثرمدا

(١) اهل نجد يلفظونها بخروقي . وهذا الضلع هو على مسير ساعة من الرياض وفيه
قار يخرج اليه الملك للترهة .
(٢) السرية من مئة الى الخمسة خيال .



الامير فيصل ابن الملك عبد المزيور (في الوسط) عندما زار لندن المرة الاولى ١٢٠ - ١٢١

فأحرقه بها ، فراح يتحصن في شقرا ، فثقفاه وحاصره فيها .
 أما عبد العرير بن سعود فقد عاد بعد عروة مطير إلى الكويت ، فحماه وهو
 هناك الدشير من والده يخبره بهزيمة ابن الرشيد في هجومه على الرياض ، فاطمأن
 بالله واهتم في نقل عائلته التي كانت لا تزال في الكويت فعاد بها إلى نجد .
 وما كاد يصل إلى العاصمة حتى علم أن ابن الرشيد محاصر لثقرا وفيها مساءد
 بن سويلم ، فاستراح يوماً واحداً وتشد للشد . ولما وصل عبد العرير إلى حريملا علم
 ابن الرشيد بذلك فملك الحصار ورحل إلى العاط (١) .

استمر عبد العرير راحقاً إلى شقرا فاحتلها . ولكن سرية ابن الرشيد بقيادة
 حمد العسكر أمير المحمعة كانت لا تزال في ترمدا ، فأرسل عليها عبدالله بن
 حلوي ، فأعطى عبدالله أهل البلد الأمان ، فأبوا إلا القتال ، وقتلهم ودحرم . أما
 السرية فتحصنت في القصر ، فأمر عبدالله بمهاجمتها ليلاً ، فكانت السيحة أن
 قتل عدد منها ، ولاد الأحرار بالمرار .

عندما سلمت ترمدا إلى عبدالله بن حلوي رحل ابن الرشيد من العاط ورحلته
 القصيم . وأجكه ترك مرتين في سدير ، الواحدة في المحمعة والأخرى في
 الروضة ، فأرسل عبد العرير سرية عليهما بقيادة حاله أحمد السديري ، فأرأت
 سرية الروضة مدحرتها وأسوات على البلد . تمتت في سدير طاهرة ، فأسولت
 على بقعة يداه ما عدا المحمعة التي حافظت على سادة ابن الرشيد فيها ، وقد
 دافعت عنها دفاعاً شديداً . ولكن عبد العرير قمع يومئذ بما حار من النصر فترك
 مريبين آخرين ، الواحدة في الروضة والباية في حلال ، وأمر السديري في
 شقرا ، ثم عاد إلى الرياض .

كل هذه الحوادث — هذه العروات والعارات — حدثت في سنة واحدة بعد
 سقوط الرياض . ولم يكن عبد العرير وسمته السديري إيستريجاناً الا قليلاً في
 الفترات القصيرة التي هي هذبات اضطرابية .

عاد ابن سعود بعد فوره في الوتر وسدير إلى الرياض . ولم يكدم يتم الشهر

(١) العاط من بلدان سدير وهي - بعد عن المحمعة قاعدة تلك الناحية عشرين ميلاً

هناك حتى جاءته اخبار ابن الرشيد وفيها انه خرج من القصيم غازياً ، وقصده الهجوم على عتيبة وقحطانات (بعد استيلاء ابن سعود على سدير والونم اصبحت هاتان القبيلتان من قبائله) فحاصر التويم قرية من قرايا سدير .

خرج ابن سعود مسرعاً من الرياض ، وكان قد امر اهل الوشم بان يبادروا مع احمد السديري الى انجاد سدير . فلما وصل الى ثادق علم ان ابن الرشيد لم يقز بشيء في غزوته وحصاره ، بل انه انهزم وشرق ، فنزل ماء شمال الارطاوية . اما الجمعية فعادة سدير فكانت لا تزال في حوزته وله سرية فيها .

سار ابن سعود من ثادق الى جلاجل فاقام فيها عشرين يوماً وهو يعد القوة للحرب في القصيم . فبلغه وهو هناك ان ابن الرشيد قد عاد الى تلك الناحية ماراً بالزلفي ، فزحف بجيشه الى الجمعية ، واتفق واهلها على التسليم اذا هو استولى على القصيم .

قد كان جيش ابن سعود مؤلفاً يومئذ من سبعة الاف من المتاة واربعمئة ذلول لا غير ، فمضى به الى الغاط ثم الى الزلفي ، فكتب من هناك الى الشيخ مبارك يسأله ان يرسل اليه من كان عنده من اهل القصيم ، مثل آل الخليل وآل سليم ، وما يستطيعه من المدد ، فارسل مبارك اولئك الذين لا ذوا بالكوبت بعد وقعة المليذا ومعهم مئتان من الرجال فقط .

وكانت تلك السنة قليلة الامطار ، فضاقت العيش بسكان الزاني وبالتالي بالجيتس ، فصاروا يأكلون حتى رؤوس النخل اي لديها . لم يكن بالامكان السير الى بريدة لقلة الزاد والركائب ، ناهيك بالطريق وليس فيه بلد يأوون اليه . أضف الى ذلك ان ابن الرشيد كان مسئولياً على القصيم اجمع . فماذا عسى ان يفعل ابن سعود ؟ قد كتب الى بعض الموالين له هناك يطلب منهم ان يؤمنوا سرديات تهجم على بعض البلدات تمهيداً لدخوله — نفتح له الباب — فلم يلبوه . ولما تيقن انه لا يستطيع الهجوم على القصيم ، ولا البقاء في الزاني لشدة القحط ، وضيق العيش فيها ، عاد الى الرياض .

اما ابن الرشيد فرحل من القصيم قاصداً البطينيات عله يظفر هناك ببعض

عربان ابن سعود ، فاقام على ذلك الماء عشرة ايام وارسل اربعمئة من رجاله بقيادة ماجد آل حمود بن الرشيد الى جهة عنيزة ، وثلاثمئة بقيادة حسين بن جراد الى السر . ثم انحدر الى اطراف العراق ليستنفر شمرأ هناك ويستنجد الاتراك . فلما علم ابن سعود بارتحال ابن الرشيد الى العراق شد مسرعاً من الرياض ، وواصل السير بالسري ، فالتقى في ١٨ ذي الحجة من هذا العام بحسين بن جراد في السر ، وبادره القتال ، فقتله واكثر من معه ، وغنم اموالهم وارزاقهم كلها .

تدعى هذه الواقعة بوقعة ابن جراد . وقد كان من نتائجها انها قسمت قبائل حرب المقيمة بين السر والقصيم ، والتي كانت كلها تابعة لابن الرشيد ، فانحاز قسم منها بعد الواقعة الى ابن سعود .

عاد بعد ذلك عبد العزيز الى الرياض ، فاقام فيها شهر ذي الحجة ، ثم مشى في آخر الشهر الى الغرض الاكبر ، فارسل الى اهل القصيم في شقرا يأمرهم بان يوافوه الى نادق لانه يريد ان ينحدر الى الكويت .

شاع هذا الخبر ، فترك عبد العزيز ثقل احماله في قصر الجرففة من قصور الوشم ، وراح بجيشه يدرهم قاصداً ماجد بن الرشيد في القصيم . فلما وصل الى ماء الشريمية في وسط النفود علم بعض من كان معه من البادية انه يريد ابن الرشيد فشردوا ، فما بالى ابن سعود بذلك . بل استمر مسرعا ، فضل الدليل وتاهوا في النفود طيلة ذلك الليل ، ثم خرجوا منه فاذا بكشافه لماجد على حواشيه .

نزل ابن سعود في ذلك النهار قصر الحميدية من قصور عنيزة ، على مسير اربع ساعات منها ، وتقدم ساعة الغروب فوصل الى نخل من نخيل المدينة ، فعسكر هناك ، وامر من كان معه من اهل القصيم ، وفيه آل سليم ، ان يهجموا على اهل عنيزة في تلك الليلة . قد كان يومئذ بعض الزعماء فيها ، مثل آل يحيى وآل بسام ، مع ابن الرشيد وعندهم سرية من سراياه رئيسها فهد السبهان . اما ماجد فكان نازلاً قرب المرابط وهو باب من ابواب المدينة .

عند ما هجم اهل القصيم على عنيزة اصطدموا بطلائع ابن الرشيد من اهلها

ومن شمر ، فتلاحم الفريقان ، فقُتل فهيد السيهان وما سأمت رجاله ، فطلب
السعوديون المدد ، فأرسل عبد العزيز مئتين من رجاله بقيادة عبدالله بن جلوي .
وكان عبدالله قد اشتهر بالبسالة والبطولة ، فلما سمع اهل عنيزة بالنجدة التي جاء
يقودها سلموا حالاً الى آل سليم .

اما ابن سعود فركب بعد ان صلى الفجر على راس سرية من الخيل و«نحر»
المكان الذي كان فيه ماجد بن الرشيد . فلما رأى ماجد خيل ابن سعود لاذ
بالفرار ، فتعقبه واستولي على مركبه ، بعد ان قتل اكثر قومه وفيهم اخوه عبيد .
ثم عاد ماجد ومعه بضع وعشرون من الخيل والركائب ، وفيهم نفر من آل
سعود الذين كانوا منفيين في حائل ، جاء بهم ليرد العدو المنتصر لانه اذا
عرفهم ، وهم من آل سعود ، قد يمتنع عن القتال فلا يُقتل احد منهم . ولكن
عبد العزيز عند ما عرف اهله — قد دُعوا منذ ذلك اليوم «العرايف»^(١) —
امر بعقر خيلهم ليتمكنوا من خلاصهم . وكذلك كان . فقد فازوا يومئذ ،
بعد عقر الجبل اثناء المعركة ، بسعود بن العزيز وسعود بن محمد وفيصل بن سعد ،
تخلصوه من القتل ومن الاسر .

وفي ٥ محرم من هذه السنة (٢٣ اذار) بعد اندحار ماجد بن
الرشيد وفراره الى حائل ، تم فتح عنيزة ، فدخلها ابن سعود ،
واقام فيها بضعة ايام . ثم شد على بريدة فسلم اهلها . ولكن امير ابن الرشيد
والحمية فيها تحصنوا بالقصر فحاصروهم ابن سعود فثبتوا شهرين في الحصار ، ثم
سلموا في ١٥ ربيع اول ، فتم في تسليمهم الاستيلاء السعودي على بريدة وعنيزة ،
وبالتالي على القصيم اجمع .

(١) اذا خسر البدو في الغزو جاهلهم سم استعادوها فهم يسونها العرائف — مفردا
عرافة — اي المعروف . فاطلق ابن سعود الاسم على ابناء عمه هؤلاء .

الفصل الخامس

البكيرة

ان اطول وادي في البلاد العربية هو وادي الرثمة الذي يمتد شرقاً من حرة
تخير الى الرّس ، ثم شرقاً بشمال الى البصرة . وهذا الوادي يخترق بلاد القصيم
بين عنيزة وبريدة ، فيشطرها شطرين ، الشطر الغربي الشمالي والشطر الجنوبي
الشرقي . وفي الشطر الاول بين بريدة والرس بضعة بلدان منها البكيرة .
والشيحية والحبرا التي يهمننا الان ذكرها .

في ذاك المنعطف من الوادي تنازع ابن سعود وابن الرشيد السيادة في
القصيم . في تلك الزاوية التي يمتد ضلعها بضعة وخمسين ميلاً من الرس الى
بريدة ميدان القتال الهائل الذي سنروي خبره الان . هناك احترب الفريقان
ومع احدهما عساكر الدولة العلية واطوايها واقتتلا في وقعات عدة تعرف عند
اهل نجد بوقعة البكيرة ووقعة الشنانة .

ذكرنا في الفصل السابق ان عبد العزيز الرشيد بعد توزيع قواته في نجد
والقصيم سافر الى العراق ليستنفر عرب شمر هناك ويستنجد . الاتراك . وكان
الدولة ادركت آجلاً حقيقة الحال في نجد ، وأوجست خوفاً من امتداد سيادة
ابن سعود في البلاد ، فأصاحت هذه المرة لابن الرشيد وأمدته بنجدة مؤلفة من
احد عشر طابوراً ، واربعة عشر مدفعاً ، وشيء كثير من الذخيرة والمونة والمال .
وقد صادر ابن الرشيد جمال « العقيلات »^(١) لتحمل هذه الجيوش والمعدات
الى القصيم . أضف الى ذلك ان عدداً كبيراً من بادية شمر نفروا الى نجدته .

عندما سلمت السرية التي كانت محاصرة في قصر بريدة أمن ابن سعود
رجالها على حياتهم وأذن لهم بالرجوع الى بلادهم . وقد اتفق ان ابن الرشيد كان

(١) العقيلات اسم يطلق على قبار القصيم خصوصاً من يتجرون بالجمال فيجبتون بها
من نجد الى بر الشام .

قد وصل يومئذ بجيشه الى القصيبة ، فالتقى هناك باولئك الرجال رجاله وهم عائدون الى حائل ، فاخبروه بما جرى وان ابن سعود في برده . فاستمر ابن الرشيد سائراً لم يهجم على المدينة من الجهة الغربية ، ونزل القرعا على مسافة خمسة عشر ميلاً منها . اما ابن سعود فقد احل برده عندما علم بذلك ونزل البُصر خبياً من خبواب القصيم ^(١) فنقل ابن الرشيد من القرعا الى جهة من البكيريه ، ثم نقل ابن سعود الى الجهة المقابلة لها .

وفي ذلك اليوم بل في الليلة الاولى من هلال ربيع الثاني من ١٣٢٢ هـ [١٩٠٤ م] هذه السنة اصطدمت الجيوش صدمة شديدة هائلة ، فالتحموا وتجالدوا بضع ساعات وكانت خسارة الفريقين عظيمة .
قد تواجه في تلك الليلة عسكر الدولة ، وفيه كثيرون من السوريين ^(٢) والعراقيين ، بعسكر ابن سعود الحاص اليه باهل العارض ، فأطلقت البنادق والاطواب ، ولعلت في نور الهلال الضئيل السيوف ، وكانت المذبحة هائلة . فقد قتل من جيش ابن سعود تسعمئة وفيهم ستمئة وخمسون من اهل الرياض ، وقتل من جيش الدولة نحو الف وفيهم اربعة من كبار الضباط ، وخسر اهل حائل نحو ثلاثمئة وفيهم اثنان من بيت الرشيد هما ماجد بن حمود وعبد العزيز بن جبر .

وفي تلك الواقعة أصيب عبد العزيز بن سعود بشظايا قنبلة في يده اليسرى ، ووقع ابن الرشيد من فرسه فطاحت الفرس فوقه فألمته ولم تقعه . اما اهل القصيم وعرب مطير فقد هجموا بقيادة عبد العزيز جلوي على جناح العدو فبعجوه ، ثم اغاروا على بادية شمر فغنموا ارزاقها . ولكن التمهريين كانوا قد هجموا على معسكر ابن سعود فنهوه . واحدة بواحدة . لم تمل كفة الميزان كثيراً ان في

(١) الحب منخفض من الارض بين كتب من الرمال فيه ماء وتخييل

(٢) اخبرني تحسين باشا الفقير انه كان ضابطاً في تلك الحملة فحارب ابن سعود في وقعة البكيرية . ومن غرائب الاتفاق والتاريخ انه بعد عشرين سنة حارب ابن سعود ثانية في الحجاز . فقد كان تحسين باشا قائدا للجيش الحجازي او بالحري قائد الفرقة السورية الفلسطينية التي كانت تدعى فرقة النصر — فرقة النصر التي لم تنصر

الغنائم وان في القتلى الى احدى الجهتين في هذه الواقعة الكبيرة . على ان قوات ابن الرشيد على رغم الخسارة ظلت متماسكة .

قال السلطان عبد العزيز : « رحت انا وعشرين من الخيالة — اخذ الترك خيامنا وهجم البدو على الترك فاخذوا خيامهم وهربوا » .

فسألت عظمتة : « الى اين رحتم ؟ »

فاجاب ضاحكاً : « انهزمتنا — هربنا . »

على ان اهل القصيم ، عندما عادوا من اغارتهم على بادية شمر ، جاءوا مركز ابن سعود فوجدوا فيه المدافع وثلاثة مئة من عساكر الترك فتواقعوا واياهم وقتلواهم ، فغنموا المدافع وظلوا في البكيرية . ولكنهم عندما طلبوا عبد العزيز ولم يجدوه هناك حملوا الاسلحة الخفيفة وسادوا الى بلادهم اي الى بريدة وعنيزة .

اشكل الامر على عبد العزيز ، فأحب ان يمتحن اهل هاتين المدينتين ليتأكد اذا كانت لهم رغبة حقيقية في محاربة ابن الرشيد ، فارسل اليهم يقول : اثبتوا في مكانكم واني مستفزع اهل نجد وراجع اليكم . فكتبوا اليه وكان اهل عنيزة اتد لهجة يقولون : اذا انت رحلت فلا يستقيم امر بعدك . واذا رجعت الينا فنحن نعاهدك في السراء والضراء — تقدم انفسنا واموالنا واولادنا بين يديك . اي والله ، نحمي اوطاننا او نموت جميعاً .

رجع ابن سعود الى عنيزة فخرج اهلها اليه يستقبلونه معتزين ، واخرجوا الخدراوات فرحين به مزغردين ، ثم عززوا قولهم في ما قدموه من مال ورجال للحرب .

عند ما بلغ اهل نجد خصوصاً بوادي عتيبة ومطير هذا الخرجوا كلمة متطوعين مجاهدين ، فاجتمع لدى ابن سعود في ستة ايام اتساع عشر الف مقاتل ، فبادر بهذا الجيش الى البكيرية بهجمه على ابن الرشيد فيها . ولكن ابن الرشيد كان قد رحل منها في اليوم السابق وهجم على الحبرا وفيها مرية لان سعود .

دافع اهل الحبرا مع الخنود الحامية دفاعاً شديداً ، وبالرغم عن

المدافع التي ظلت تطلق قنابلها على البلد طيلة ذاك النهار لم يسلموا . ولكنهم
وقعوا في قبضة عدو جديد فعلموا لأول مرة ما هو الهواء الاصفر
(الكوليرا) وكان قد سرى اليهم من جيش ابن الرشيد ، بعد ان تفشى فيه من
اختلاطه بعسكر الدولة . وقد قيل ان الهواء الاصفر لم يكن معروفاً قبل ذلك
الحين بنجد .

عند ما علم ابن الرشيد بزحف ابن سعود الى البكيرية التي كانت المركز العام
للجيش ، وفيها مون وذخائر كثيرة ، ارسل اليها مرياته الكبرى — الف وخمسة
خيال — بقيادة سلطان بن حمود الرشيد ، فتصادموا وخيالة ابن سعود — ستمئة
وخمسين — عند انبثاق الفجر قرب البكيرية ، وكالت الهزيمة على الرشيديين .
ثم دخل ابن سعود البلدة وفتك بحامية ابن الرشيد فيها ، فقتل اكثر من المئتين ،
وانهزم الباقون فلاذوا بالفرار . ثم طاردت خيله خيل ابن الرشيد حتى الخبرا ،
فرحل ابن الرشيد منها الى الرس ، فهجموا على بواديه وغنموا عدداً كبيراً من
الابل . ثم تقدموا الى الرس وكان ابن الرشيد قد نزل الشنانة على مسافة ساعة
جنوباً منها .

نصب هناك مدافعه وشرع يضرب الرس كما ضربها ابراهيم باسا في طليعة
القرن الماضي ، فدافع اهلها على عادتهم حتى الرمق الاخير . قتل اميرهم ولم يسلموا
قد اقام ابن سعود ثلاثة اشهر في الرس ، منذ منتصف ربيع الثاني حتى منتصف
رجب ، بينما كان ابن الرشيد في الشنانة ، وهم يتناوشون وبتهاجون وبتطاردون كل
يوم ، فمل اهل نجد هذه الحال وخافوا ان يسري الهواء الاصفر اليهم ، فرفعوا
اصواتهم متذمرين ساكين .

سهم ابن سعود الشكوى فأرسل رسولاً من كبار بربرة اسمه فيهد الرشودي
الى ابن الرشيد يدعوه للصلح ، فضحك ابن الرشيد وقال — متهاكاً متهدداً : من
يغني حكم نجد لا يتضجر . وهل يصلح من بده قوة الدولة ؟ لا والله — لاصح
قبل ان اضرب بربرة وعنيزة والرياض ضربة لا تنساها مدعى الدهر . وانتم
يا اهل القصيم لا يغرنكم ابن سعود . لا يغرنكم شاب طائش يبغي الدراهم ليأخذها

لامه الفقيرة .

رجع فهد الرشودي يحمل هذا الكلام الى ابن سعود ، فلقاءه في مجلسه دامع العين ، وحنمه قائلاً : « والله يا اهل نجد ما رأيت هناك الا ظالماً عتياً كفرعون ، ولا يبغى لنا غير ما كان من فرعون لبني اسرائيل » .

وكان الرشودى رجالاً حصيفاً رصيناً يحترمه الناس ، فأثرت كلماته فيهم تأثيراً شديداً . ولكن بادية ابن سعود كانت قد تفرقت ، ولم يبق لدية غير ثمانئة من الحاضرة وثلاثمائة من رؤساء القبائل . اما السبب في تفرق البدو فهو انهم كانوا قد ملوا الحالة كما اسلفنا القوال ، وكان فوق ذلك وقت الربيع فذهبوا يرعون مواشيهم . ولم يكن لابن سعود ان يكرههم على البقاء لانهم لم يكونوا من الجند ، بل من اوائك الذين يجيئون الامير متطوعين متكسبين .

على ان هذه الحال لم تنحصر في بادية ابن سعود فقط ، بل كانت قد ظهرت كذلك في عسكر ابن الرشيد . فقالت البادية تحاطبه : « هلكت مواشينا وهلكت اولادنا جوعاً ، فاما ان نرحل جميعاً فتمشي وراءك ، واما ان نرحل نحن وتركك وراءنا » . فأجابهم ابن الرشيد : « وكيف نرحل ولا ركائب عندنا لعساكر الدولة » (١) فقال رجال شمر : « كل قبيلة منا تقدم الركائب لقسم من العسكر » . فقبل ابن الرشيد وامر ان توزع امتعة العسكر اجمالاً على شمر . ولكن عندما اعتزموا الرحيل هجم ابن سعود عليهم بخيله ليحول دون ذلك ، فتصادموا وثارعوا من صلاة الفجر حتى غروب الشمس . خرج ابن الرشيد مع ذلك من الشنافة . وكانت البادية التي ارتحلت قبله ، قد تركته وراءها ، فراح ابن سعود بطارده الى ان اذنت الشمس بالمغرب . نصب ابن الرشيد خيامه اذ ذاك خدعة للمبيت ، ففدع ابن سعود ورجع بخيله بعد ان اقام هناك بعض الحرس والكشافة . عندئذ شرع ابن الرشيد يتأهب للرحيل .

قد كانت خطة عبد العزيز الحربية انه ينهاك خصمه بالمفاجئات والمناوشات

(١) قيل ان ابن الرشيد خسر في وقعة البكيرية والمناوشات التي تبعتها نحو عشرة الاف من الجال .

فيضربه بعد ذلك الضربة القاضية . عندما عاد مساء ذاك اليوم الى الرس جاءه وهو جالس الى العشاء احد الكشافة يقول : رحل ابن الرشيد . فقام ورجاله عن العشاء وسارعوا الى الخيل يتقفون العدو ، فأوا عندما قربوا منه سواداً ظنوه غناً فاغاروا عليها ، فاذا بها عسكر الترك . وكان قد جن الليل ، فنازلوهم ساعة ، دون نتيجة تذكر ، ثم عادوا الى الرس .

اما ابن الرشيد فكان قد نزل الجومعي ، ودنا من قصر هناك يعرف بقصر ابن عقييل فيه سرية لابن سعود ، فهم في صباح اليوم التالي بالهجوم عليه . ولكن ابن سعود قبل رجوعه الى الرس الليلة السابقة ترك حراسه وكشافته حسب العادة في مكان معلوم ، ومعهم رجال من اسرته زودهم بهذه التعليمات : اذا رحل ابن الرشيد وقرب الخنق (درب بين جبلي أبان) فارتحلوا المحبوسين وانتم ثقفوه لظلوا علمين بمسيره . اما اذا مشى الى قصر ابن عقييل فعليكم انتم يا اهل سعود ان تسبقوه الى القصر لتشجعوا اهله وثقولوا لهم اننا مسارعون الى انجادهم . زحف ابن الرشيد الى القصر الذي لم يكن يخشى عليه الا من المدافع لانه حصن منيع ، فسبقه بنو سعود اليه ، وكانوا قد ارسلوا يخبرون عبد العزيز . وصل ابن الرشيد فنصب في الحال مدافعه كلها وشرع يضرب القصر . وعند ما علم ابن سعود بالحصار بعد ظهر ذاك النهار صاح بوجه قائلاً : « انهزم ابن الرشيد ونريد ان نعمل مناورة خارج البلدة » . فاستبشروا وخرجوا للمناورة ، فكتف النقب اذ ذاك عن قصده الحقيقي — امرهم بالزحف الى قصر ابن عقييل ! فترددوا لانهم لم يكونوا متأهين للرحيل . لم يكن لديهم شيء من الماء والزاد . وقد كانت الساعة الاخيرة من النهار والمسافة امامهم لا تقل عن العشرين ميلاً .

خطب ابن سعود فيهم محرراً مستنهضاً ثم قال : « انا واحد منكم ومثلكم . انتم ماتون وانا امشي . انتم حفاة وانا والله لا اتنعل . وهذا نعلي وهذا ذلولي . قال ذلك وهو يضع النعل في الخرج ويلقي بجبل الذلول على غاربه . ثم مشى امامهم حافياً ، فمشوا وراءه متحمسين . وعندما وصلوا الى القصر قبل نصف

الليل بساعة ارادوا ان يهجموا على ابن الرشيد في ذاك الحين ، فمنعم عبد العزيز لانه كان عالماً بما حل بهم من التعب والجوع ، فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة .
اما ابن الرشيد فبعد ان شغل مدافعه بضع ساعات دون طائل شد في صباح اليوم التالي للرحيل ، فتركه ابن سعود يرحل ابله ويحتمل اطوابه . وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك خرجت الخيل للمفاجأة ، ومشى الجند السعودي من القصر وراءها ، فادركوا العدو في وادي الرثمة .

اناخ ابن الرشيد هناك وجمع جيوشه . ثم نصب المدافع وبني بيوت الحرب (١) فتهاجم الفرقان ونقارعا حتى منتصف النهار ، وكانت الغلبة اذ ذاك لابن الرشيد . وكان ابن سعود عندما رأى جانحه اليمين متقهقراً هجم بقومه هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب ، فاشتد الضرب والطعان ، فوأت عساكر الترك الادبار . ثم انهزم ابن الرشيد وفر ورجاله هاربين .

اراد ابن سعود ان يتعقبهم ولكن الحملات واموال (٢) البادية حالت دون ذلك فشغلوا عنهم بها . شرعوا ينيبون وظلوا كذلك حتى جن الليل . ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث والرابع ، بل استمروا عشرة ايام يجمعون مما ترك ابن الرشيد وعسكر الدولة في ساحة القتال من الامتعة والذخائر ، والاسلحة والمون ، والفرش والثياب ، ناهيك بالابل والغنم . وقد وجدوا بين تلك الاحمال صناديق من الذهب حملوها الى عنيزة مقر ابن سعود فوزعها مثل بقية الغنائم على وجاهه ولم يأخذ منها شيئاً انفسه . انها لغيرمة عظيمة . فقد كانت قسمة الواحد من الذهب والجمال فقط تراوح بين المئة والمئة والخمسين ليرة عثمانية وبين العشرة والعشرين بغيراً .

هذي هي وقعة التنانة والاحرى ان تدعى بوقعة وادي الرمة (١٨ رجب ١٣٢٢ ٢٩ هـ سبتمبر ١٩٠٤ م) وهي القسم الثاني من مذبحه البكيرية التي قضت على عساكر لدولة وأغنت اهل نجد .

(١) بيوت الحرب هي بيوت من الشعر تنصبها القبائل لترمز عن قمارها والذود عنه .
(٢) المال عند اهل البادية هو الانعام والجمال . ويطلق ايضاً على المواشي كلها .

الفصل السادس

الوزارک بقاوضوه وبقرجهوه

قد نكبت الدولة نكبتين في البلاد العربية في هذه السنة (١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م) الاولى في نجد، والثانية في اليمن . ومن غريب التقادير ان الامام يحيى الشاب في صنعاء وابن سعود الشاب في القصيم كسرا الجيوش « المنصورة » كسرات شنيعة ، ورفعا للسيادة العربية اعلاماً لا تزال تحفق في صماء الاستقلال . اما نكبة الدولة في صنعاء فتختلف شكلاً عن نكبتها في القصيم . هناك كلن جيشها محصوراً ، وهنا تشدت ما تبقى من الجنود بعد الوقعة الاخيرة فكانت حالتهم محزنة . فقد فر بعضهم مع ابن الرشيد ، وهام الآخرون في الفياض كالسائمة ، ومنهم من لجأوا الى ابن سعود فأوأمهم وكساهم واعطاهم الامان . اما ابن الرشيد الذي فر هارباً الى الكهفة — قرية من قرى حائل — فقد ارسل يستنجد الدولة مرة اخرى . وكانت الدولة كمن خسرت في المقامرة فغامر بقسم اخر من ماله املأ باسترجاع الخسارة . وقد غامرت بقسم كبير هذه المرة فارسلت احد رجالها الكبار المشير احمد فيضي باشا الذي اشتهر بشجاعته وبحسن سياسته ، وشفعنه برجل اخر الفريق صدقي باشا المتصف ببعد النظر وطول الاناة . جاء الاول بثلاث طوابير وخمسة اطواب من بغداد ، وجاء الثاني من المدينة بطابورين ، فالتقوا وعسكروا قرب القصيم . لم تكن نقصد الدولة الحرب ، ولكنها وقد رغبت في المفاوضة من اجل السلم ارسلت هذه القوة من جندها لتعزز جانبها . وكانت قد بعثت الى ابن سعود بواسطة الشيخ مبارك تقول انها تريد ان نفاوض اباه الامام عبد الرحمن ، وطلبت ان يوافي والي البصرة الى الزبير . اجاب الامام طلب الدولة ، فسافر الى الكويت ، ومنها والشيخ مبارك الى

الزبير ، فاجتمعا هناك بالوالي ، وبعد المفاوضات في امور نجد والقصيم قرروا ان يكون القصيم على الحياض ، اي ان يتكون منه مقاطعة مستقلة تقوم حاجزاً بين ابن الرشيد وابن سعود ، وان يكون للدولة فيه مركز عسكري ومستشارون .
لم يوافق الامام عبد الرحمن على هذا القرار . الا انه قبل ، اكراما للشيخ مبارك ان يعرضه على اهل نجد . ولكن اهل نجد لم يقبلوا البتة ان يكون القصيم على الحياض ، ولا ان يكون فيه حامية للدولة .

عند ما علم ابن سعود بعودة ابيه خرج يلاقيه الى الحسي ، فاجتمع به هناك وسار واياه الى شقرا ، فاقام الامام فيها واستمر عبد العزيز سائراً برجاله الى القصيم ، فنزل العباد التي تبعد خمسة وعشرين ميلاً عن بريدة الى الجنوب . وكان فيضي باشا وصدقي باتسا قد اجتمعا بابن الرشيد فتفاوضوا واختلفوا . اراد ابن الرشيد ان يضبط على اهل نجد ، وان يأخذ اهل القصيم بالسيف ، تخالفه المتير ولسان حاله يقول : الرأي قبل شجاعة الشجعان .

عاد ابن الرشيد بعسكره الى الكهفة حانقاً ، وركب المتير على رأس جنوده قاصداً القصيم ، فلما وصل الى بريدة ابى اهلها ان يدخل المدينة . ولكن واحداً منهم هو صالح الحسن من آل ههنا ارسل اليه رسولين هما ابن عمر ومحمد آل علي ابو الحليل يقول انه واتباعه يطلبون حماية الدولة والاستقلال .

ولكن اهل بريدة وعنيزة وتوابعها من القرى لم يقبلوا بالسيادة او بشبه السيادة التركية ، فارسلوا الى ابن سعود يستشيرونه في المقاومة . وكان فيضي باشا قد ارسل رسولاً الى الرياض يقول ان الدولة لا تبغي محاربة اهل نجد وانه جاء مسلماً . ثم ارسل الى ابن سعود في العباد يؤمته قائلاً : انني لا اريد الا السلم . ولست محققاً مقاصد ابن الرشيد . وقد سأله ان يلزم مكانه ويرسل اباه عبدالرحمن ليوافيه الى عنيزة للمفاوضة . فقبل عبد العزيز بذلك ، وامر الناس بان يخلدوا الى السكينة ، فلا يأتون عملاً عدائياً اثناء المفاوضات .

ركب الامام عبد الرحمن من شقرا الى عنيزة وسار فيضي باتسا جنوباً فنزل على مقربة منها . وقد تواجه الاتمان في المدينة ، فطلب المشير ان يكون للدولة

مركزان عسكريان الواحد في بريدة والثاني في عنيزة ، وذلك مؤقتاً ، الى ان يتم الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد . ولكن اهل المدينتين ، الا صالح الحسن واتباعه ، رفضوا هذا الطلب ، فرأى الامام ان يقبلوه مؤقتاً ، واقنعهم بذلك . وكادت تتم المفاوضات على هذه الصورة لو لم تحمل دونها حوادث صنعاء اليمن . فقد كان الامام يحيى الشاب وعربانه قد شدوا نطاق الحصار على المدينة هناك ، وفيها ستون الف من الترك العسكريين والمدنيين ، وليس عند الدولة قريباً من مكان النكبة اقدر واشجع من فيضي باشا توكل اليه انجاد ابناءها المشرفين على الموت . لذلك صدر الامر الى احمد فيضي بالاسراع الى اليمن ، فترك القصيم ومتساكله لصدقي باشا يحملها بالتي هي احسن .

تولى صدقي قيادة الجيش ونقل الى الشيعية فعسكر فيها . ولكنه لم يرد «التي هي احسن» في بيت المتنبي او في عكسه . فلا «الرأي قبل شجاعة الشجمان» ولا «الشجاعة قبل الرأي» اسنفته او هزت منه جارحة للعمل .

اقام صدقي وجنوده في الشيعية لا محاربين ولا مفاوضين ، بل اقاموا هناك متفرجين ، وقد استأنف ابن سعود وابن الرشيد القتال .

الفصل السابع

كبريت الشيخ مبارك

بعد المفاوضات في السلم واثناها سرت الى اهل القصيم روح التقاق
والفوضى ، فكان فربق منهم مع الدولة ، وفربق مع ابن سعود ، واخر مع ابن
الرشيد ، فعاد عبد العزيز لي الرياض وظاهر امره انه نقض يده من هؤلاء
الناس المتذبذبين . عاد وهو يقول انه تركهم بين عدوين يجاملانهم ويشدان
النير على رقابهم .

ولكن الفربق الاكبر ارسل الى الشيخ مبارك الصباح يسأله ان يتوسط بين
ابن سعود واهل القصيم الذين لا يبغون سيادة غير سيادته . وكان عبد العزيز
قد احس بانقلاب في سياسة الشيخ مبارك ، فاغتمه الشيخ هذه الفرصة ليظهر
انه الصديق الذي يرعى العهود ، فكتب الى « ابي عبد العزيز » يشير بالعود
الى القصيم ، وبالغفوة عن اهله لانهم مخلصون له ، ولا يبغون في البلاد غير السيادة
السعودية .

ولكن رسل الشيخ مبارك كانت يومئذ « تدرهم » الى عبد العزيز الاخر
حاملة كتب التودد والولاء التي اسفرت عن صلح بين الاميرين الصباحي
والرشيدي ، عقد في آخر سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ان لهذا الصلح سببين :
الاول هو ان الدولة العلية كانت ناقمة على الشيخ مبارك ، وكانت يوسف آل
ابراهيم ، عدوه الألد ، مسنحراً في عدائه . فسعى الشيخ في استرضاء الدولة لينصره
على يوسف ، وكان من مساعيه هذه انه صالح حليفاً لابن الرشيد . اما السبب
الثاني لهذا الصلح فهو ذلك الشاب الظافر « ولده » عبد العزيز ، وكان قد بدأ
يخشى امتداد سيادته في نجد ويخشى كذلك نتائجها في الكويت . كيف لا وسيد
نجد ، اذا ما استولى على القصيم واجتاز الحفر ، لا يقف عند حد دون الخليج . ان

عمل الشيخ مبارك اذن هو من باب الدفاع عن النفس .
ولكنه ، وهو الداهية ، و « الحواقة » وصاحب السيف ذي الحدين ، ضرب
ضربات عدة صادرة ، بل كباكبوات مضحكة . فقد كتب مرة الى سلطان
بن حمود الرشيد يقول ما معناه :

« اني متكدر جداً من اعمال ابن سعود ، وقد جرت الامور في نجد على
غير ما اشتهي . اما الان فانا واياكم عليه ، والكويت وحائل شقيقان ، ومصالحة
البلدين واحدة ، ولكم مني ما تشاءون من المساعدة الخ » .
وكتب الى ابن سعود يقول :

« اولدي يا اولدي . انا معك في كل حال وحين . قواك الله وتولاك ،
لا تترك هذا الكلب ، فخل الشول ، ولا تدعه يستريح ، ولا تصالحه . وانا
أبوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد » .

كذلك كان يحاول ان يضعف الاثنين في اغراء الواحد بالآخر وتحريضه على
خصمه . ولكن كاتب الديوان المبارك لم يكن موفقاً في تلك الساعة ، ساعة
كتب الى « الخصمين » فقد ارسل كتاب ابن سعود الى ابن الرشيد ، وكتاب
ابن الرشيد الى ابن سعود ! (١)

عندما استأنف الاثنان القتال جاء نجاب من الشيخ مبارك يحمل الى
ابن سعود كلمة وجيزة قاسية كتبت على قصاصة من الورق ، وفيها ان سيعلن
الحرب عليه اذا كان لا يعيد « منهوبات » ابن الرشيد . والمنهوبات هذه غنمها من
بعض قبائل العراق رجل من الظفير اسمه علي الضويحي ، وقد كان من انصار
ابن سعود ، فليس للشيخ مبارك حجة في تدخله بامر . ولكنه بعد العثرة التي
كان الكاتب سببها حاول على ما يظهر ان يصلح الامر مع امير حائل فلم يسعفه

(١) وقد كان مبارك لدهائه يلبس لكل حال لبوساً . بل زاه وهو يحرض ابن الرشيد
على ابن سعود يحرض ابن سعود ايضا في نفس الوقت على ابن الرشيد ، تاريخ الكويت ،
الجزء الثاني - صفحة ١٢٦

القدر لان الامير واسفاه كان قد قتل في المعركة كما سيجيء في الفصل التالي .
 لله انت ايتها الاقدار ! فهل تحاولين ان تغلي الشيخ مبارك ؟ انه لا يُغلب .
 فقد تجاهل قتل ابن الرشيد ، وكان قد بلغه الخبر بعد كتابة ما تقدم ، فارسل
 نجاباً اخر الى « اولدي عبد العزيز » يحمل كتاباً طويلاً عريضاً جاء فيه :

« اني لك دائماً يا اولدي يا عبد العزيز ، انا ابوك وعونك ، وعضدك .
 ولم اصالح ابن الرشيد الا لاقهر الترك . ولكنني مستعد ان امدك بما تحتاج
 اليه من المال والرجال المال مالك ، يا اولدي يا عبد العزيز ، والحلال حلالك » .
 وكان ابن سعود اطلع على الحقيقة في حديثه مع النجاب زيد المعرقب الذي
 كان من رجائيل الشيخ مبارك .

قال عبد العزيز يخاطب النجاب : « والدي الشيخ مبارك اخبرني انه امرك
 بان تكتم خبر قتل ابن الرشيد » .
 فاجاب النجاب : « ما نام الشيخ والله من شدة الفرح عندما وصله الخبر » .

وكانت ساعة في معسكر ابن سعود مضحكة ، فكتب الى « والده » يعلمه
 بوصول الكتاب الاول وفيه التهديد بالحرب ، والكتاب الثاني وفيه التعطفات
 الطيبة ، ثم اخبره بذبجة ابن الرشيد ، وختمه بقول الشاعر :
 اذا كنت في كل الامور معاتسا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

الفصل الثامن

زجة ابيه الرشيد

قد الممت في ما تقدم الى الخلاف الذي كان متأصلاً في برهدة بين آل مهنا وآل عليان الاسرتين اللتين تنازعتا السيادة هناك . وقد ظهر هذا الخلاف في اشدّه يوم قتل مهنا ابو الخليل في اول عهد الامام عبدالله بن فيصل ، فشكى اولاد مهنا الامر الى الامام ، فلم ينصرهم على اعدائهم آل عليان . وظل الغل كامناً على ما يظهر في آل مهنا الى الوقت الذي نحن فيه من هذا التاريخ ، فتجسم في صالح الحسن الخارج على ابن سعود عبد العزيز .

وشرع صالح يتزاف الى الترك لتحقيق مآربه . بل اتخذ تلك الخطّة السياسية التي نلون بالوان الحوادث والاحوال ، فاغضب ابن سعود وابن الرشيد معاً . وعند ما ارتحل ابن سعود من القصيم ، وظاهر امره التخلي عن اهله ، كان قصده الحقيقي ان يدع صالحاً وشأنه ، فيكون له من خطأه وعجزه التأديب الاكبر ، فيتأكد هو واتباعه انهم لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم اذا شهر ابن الرشيد عليهم الحرب .

وقد كان وقتئذٍ في قطر ثورة اهلية ، او بالحري فتنة اثارها على الشيخ قاسم بن ثاني اخوه احمد ، وهو يعني انتزاع الملك من يده . وكان كذلك القتال محتدماً بين العجمان وآل مرّة ، فنصر الشيخ قاسم العجمان ، ونصر اخوه احمد اعداءهم ، فاشتدت الحرب بين الاخوين والقبيلتين ، فارسل الشيخ قاسم يستنجد ابن سعود ، فانجده جناً وكرامة . هي الفرصة التي اغتنمها عبد العزيز ليعبد قليلاً عن نجد ، فيخلو الجوالا بن الرشيد لينتقم من اهل القصيم .

وقد صح حدسه . فعند ما سارع الى نجد ابن ثاني ارسل ابن الرشيد سرية يقودها صالح العذل ومعه حسين العساف الى الرّس ، فاستولت عليه ،

فاجتمع بعض اهل القصيم في الشقة للدفاع ، وقد انضم اليهم عدد من العربان . ولكن ابن الرشيد فاز في هجومه عليهم فذبح اكثرهم ، وحاصر البقية في تلك القرية ، فضج القصيم وادرك صالح الحسن واتباعه ان ليس في امكانهم الدفاع عن انفسهم . بل ادركوا ان لاخلاص لهم الا يعون الله ثم بابن سعود ، فارسلوا يطلبون من الشيخ مبارك التوسط بينهم وبينه كما جاء في الفصل السابق .

اما الحرب في الحساء وقطر فقد كانت الغلبة فيها اول الامر لآل مرة واحمد بن ثاني . فلما وصل ابن سعود حمل على القبيلتين معاً حملة شعواء فنفس الشيخ قاسم الصعداء ، وفر اخوه احمد الى البحرين .

ثم بلغت ابن سعود اخبار القصيم ، فعاد مسرعاً الى نجد . وارسل اخاه محمداً على رأس سرية تغزو قبائل ابن الرشيد ، فهجمت السرية على حرب وعادت فنزلت وادي السر .

اما صالح الحسن فارسل اخاه مهنا الى اهل عنيزة يرجوهم ان يرسلوا معه احد وجهائهم ليعاونه في استرضاء ابن سعود . وقد كانت هذا الوفد في الرياض يوم وصل اليها عبد العزيز عائداً من الحساء ، فاستقبله مرحباً به ، وعفا عنه وعن اصحابه . ثم توجه الى القصيم . واكنه لم يكن في ذلك الحين قادراً على محاربة ابن الرشيد لسببين ، اولهما المحل في تلك السنة ، وثانيهما تفرق البادية ايتهموا بمواشيهم .

عند ما علم ابن الرشيد بقدومه ابن سعود خرج من منزله في البقيعة فانار على الحميدان من عرب مطير واخذهم . ثم عاد فنزل القصيبة (١) وتكررت غزواته على قبائل ابن سعود وهو يتنقل من القصيبة الى الاجفر (٢) ومن الاجفر الى البشوك (٣) . اما ابن سعود فقفل راجعاً الى نجد ليستنفر العربان من عتبية ومطير الاديين ، فجمع جيشاً منهم وعاد به الى القصيم ، فاحسن عند وصوله ان صالح ابن احسن

(١) القصيبة هي على مسير اثني عشرة ساعة من بريدة الى الشمال .

(٢) الاجفر هو بين القصيم وحائل في منتصف الطريق .

(٣) البشوك هو شرقي حائل على مسير خمسة ايام منها .

يسعى سرآ في مصالحة ابن الرشيد . وقد جاء مع ذلك، ومعه قوم من اهل بريدة،
يتضم الى ابن سعود .

قبل ابن سعود صالحاً على علاته ، وهو عالم بما خفي من امره، ونزل الاسياح
بجيشه الذي اصبح مؤلفاً من البادية والحضر ، فاقام هناك عشرين يوماً، وقد ثبت
صالح طيلة تلك المدة في ولائه . ثم وسوس في صدره ذلك الذي يوسوس في
صدور الناس ، فهم بان ينسحب وقومه من الاسياح ، فيبقى ابن سعود وعربانه
وخدمهم فلا يقدرّون على ابن الرشيد اذا اغار عليهم .

ولكن ابن سعود احسّ بما كان يجول في صدر صالح ، فنقل من الاسياح
الى الزلفى^(٤) ليبعد عن القصيم . فلما وصل الى مكان اسمه البنجية استأذنت
صالح بالرجوع الى بريدة ، فاذن له بالرغم عما بدا من خيائه .

عاد صالح الى بريدة وسار ابن سعود الى الزلفى يجمع الرجال لجيشه . ثم
رحل منها فنزل غديراً بالقرب من الارطاوية ، فانضمت اليه قبائل مطير التي
يرأسها فيصل الدويش . قد بلغه وهو هناك خبر الصلح الذي تم بين الشيخ
مبارك الصباح وابن الرشيد . ولم يكتف الشيخ مبارك بذلك بل كتب الى
صالح الحسن يخرّضه على مثل عمله .

عاد ابن سعود مسرعاً الى القصيم في شهر محرم من هذا العام ،
ومعه جيش لا يتجاوز الالف وستمئة مقاتل ، منهم الف
ومئتان من اخفر واربعمئة خيال من البادية . وكان ابن الرشيد نازلاً الثويرفي
بعقلة الزاني ، وهو مكان وعمر كثير الرمال ، فسرى اليه فلم يدركه هناك .
وكان البوء من ايام الربيع العاصفة الماطرة التي لا يستحبها العرب في الغزو
او في الحرب . فقد يدنو المتحاربون بعضهم من بعض دون ان يشعروا بذلك ،
فاذا ه فجأة في الهلكة الكبرى .

مشى ابن سعود ورجاله حتى اصيل اليوم التالي لذلك الاسراء ، فوقفوا اذ ذاك لانهم

(٤) الاسياح عيون عند العروض على مسافة اربعين ميلاً من بريدة شرقاً بشمال
والزلفى تبعد خمسين ميلاً عن الاسياح الى الجنوب .

لم يستطيعوا لشدة الامطار والرياح ان يواصلوا السير . وكان ابن الرشيد يتراجع ليصل الى الشقة ، فيجتمع هناك بصالح الحسن الذي جاء مصالماً مناصراً .
عاد كشافة ابن سعود يخبرون بان العدو هو على مسير ساعتين منهم وقد نزل روضة مهنا .

الى الروضة اذن ! مشى عبد العزيز ورجاله على الاقدام كي لا يشعر العدو بقدمهم . ولكن بعض كشافة ابن الرشيد رأوهم فبادروا الى اميرهم بالخبر .
استيقظ عبد العزيز بن الرشيد وشرع يجمع جيشه الذي كان مؤلفاً من ستمئة من الحضرة والف ومئتين من خيالة البدو .

وصل عبد العزيز بن سعود الى ساحة القتال ، فهجمت رجاله على من تحفز من رجال ابن الرشيد ، فتصادم الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل في ١٨ صفر (١٤ نيسان) من هذه السنة ، فنقهر الرشيديون ، فاحتل السعوديون مراكزهم .
وكان عبد العزيز الرشيد راكباً حصانه يدور في معسكره مستنهضاً محرضاً .
فلما وصل الى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده ظن انها لا تزال هناك ، فصاح بجامل البيرق يحرضه على الهجوم :

« من هان يا الفريخ (اسم صاحب البيرق) من هان يا الفريخ » !

واين الفريخ ؟ قد نقهر واسفاه مع المنقهرين ، فخل محله بيرق ابن سعود — « من هان يا الفريخ » !

عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا : ابن الرشيد ! ابن الرشيد !
ثم تكلم الرصاص .

أطلقت البنادق السعودية على الامير التائه ، فخر صريعاً وفيه بضع وعشرون رصاصة .

— « وهذا سيفه وهذا خاتمه بالأمام » .

...

كان عبد العزيز بن متعب بن الرشيد في الخمسين من سنه يوم ذبح هذه الذبيحة في روضة مهنا بالقرب من برودة . وتدعى الرقعة بذبيحة ابن الرشيد .

متعب سراح من كانوا مأسورين من آل سعود في حائل ، فجاءوا بربدة واقاموا فيها .

بعد عقد تلك المعاهدة واجلاء صالح الحسن عاد عبد العزيز الى الرياض ، وما كاد يستريح من الاسفار حتى جاءه مخبر يقول ان الاتراك في اطراف القصيم يحاولون استمالة بعض البادية اليهم ، وان ليفصل الدويش بدأ في المسئلة .
شدّ عبد العزيز على الدويش ، بعد ان تحقق خيائته ، فاغار على بعض قبائله واخذها . ثم عاد الى بريدة وأظعن من كان فيها من آل سعود ، اي امرى حائل الذين هم ذكرهم ، الى الرياض ، ولم يبق معه هناك غير حاشيته ، فاطمان اهل القصيم ، خصوصاً المناوئون منهم . ولكن امراً جديداً ازعجه ، وهو ان ابن الرشيد كان يفاوض الاتراك في الشيحية ويزين لهم الانسحاب منها الى حائل ، وقصده في ذلك ان يأخذ ما كان معهم من عناد الحرب والذخيرة . كأنه يقول اعطونا سلاحكم اذا كنتم لا تمارون .

ولا كانت الدولة راضية عن صدقي باشا وخطنه — لا حرب ولا سلم ولا مفاوضات — فأمرت كبيراً اخر من كبار جيشها وساستها هو سامي باشا الفاروقي ، الذي كان يومئذ في المدينة ، بالسفر الى حائل للمفاوضة مع ابن الرشيد . جاء سامي باشا واجتمع بالامير متعب في سمير ، قرية من قرى حائل ، فانفق واياه على ان يكون القصيم في حوزة الدولة . ما خسرا ابن الرشيد شيئاً في هذا الانفاق لانه وهب ملكاً لم يكن يومئذ له .

ثم جاء سامي باشا الى القصيم ايفاوض الفريق الثاني وقد ظنه كالاول ، فعزل صدقي باشا وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشيحية ، وارسل الى ابن سعود يطلب مقابلته ، فوافاه الى البكيرية ، ولكن المذاكرة كانت منكرة . فقد اصطدمت في الجلسة الاولى الارادتان ، والتهمت الدرغان التركية والعربية . لم يكن الفاروقي لين العريكة ، ولا ابس للحالة ابومها .

قال بجاطب ابن سعود : «واكن اهل القصيم يريدون ان تكون السيادة في بلادهم للدولة» . فحابه ابن سعود قائلاً : «ليس لاهل القصيم رأي في الامر ،

من رجاله لينبئه ، فيكون متأهباً ، بانه هاجم عليه في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر . وما كان جاداً في ما فعل . ولكنها تهويله جاءت بفائدة . فقد ارسل الباشا ثلاثة من ضباطه مع رجال ابن سعود مسترضياً ، فجاء الضباط يقولون ان الباشا وعسكره ضيوف عليكم واحسبوهم في معيتكم .

صفا الجو ، او ان الرياح سكنت اكراماً لرمضان ، فصام ابن سعود في عنيزة ، ولكنه علم يوم العيد ان ابن الرشيد يواصل السعي في استقدام عساكر الترك الى حائل . فجهز لحينه حملة من اهل القصيم ونزل الى البكيرية . ثم ارسل الى الفاروقي بلاغاً — وكان هذه المرة جاداً — يخبره بواحد من امرين ، اما ان ينقل بجيشه في خمسة ايام الى وادي السر (فيحول بعده عن القصيم دون المفاوضات وابن الرشيد) واما ان يرحله ابن سعود من نجد ، فيرسل الجنود العراقية الى العراق والجنود الشامية الى المدينة . واذا رفض احد الامرين فهو هاجم عليه لا محال .

عند ما علم الجنود ، خصوصاً الضباط بهذا البلاغ ، قاموا يطلبون من سامي باشا الاذعان ، بل طلبوا منه ان يرحلهم الى بلادهم ، وقد هدده البعض بالقتل اذا لم يفعل ، والبعض قالوا انهم سينضمون الى جيش ابن سعود .

قبل الباشا بترحيل الجنود ، ولكنه اشترط ان يضمن عبد العزيز سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق الى المدينة والى بغداد . قبل عبد العزيز بذلك ، واشترط ان ينقل الجنود العراقيين الى بربرة فيبقون فيها الى ان يصل سامي باشا بجنوده الى المدينة ، لانه خشي ان يسير الباشا الى حائل فينضم الى عسكر ابن الرشيد وبعيد الاثنان الكرة عليه .

وقد كان عبد العزيز صريحاً على عادته ، فقال للفاروقي : « اذا سرتم الى المدينة رأساً رحلنا جنود العراق ، واذا حدثم عن الطريق ذبحناهم . وسنكون عاملين بمسيركم » .

ثم دعا عبد العزيز للسماط شيوخ حرب ، التي كانت قد حملت عساكر المدينة عندما جاءوا الى نجد ، وبعد الطعام خاطبهم قائلاً : « انتم جئتم بالترك من المدينة

وانتم مرجعوم ان شاء الله . وستبقون عندنا الى ان يصلوا سالمين » .
 حمل عربان حرب العساكر وامتعنتهم وعتادهم على الجمال وارتحلوا ، وبعد
 اسبوعين جاء ابن سعود بنجاب يقول انهم اجتازوا الحناكية ورحلتهم المدينة ،
 فامر اذ ذاك ان تجهز الركائب للعساكر الذين في يريدة ، فرحلوا آمنين شاكرين
 الى العراق .

وبعد شهرين ارسل السلطان عبد الحميد يشكر الامير عبد العزيز بن سعود
 على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة ، ويسأله ان يرسل احد رجاله
 لمقابلته . فارسل صالح العذل ومعه اثنان اخران الى الاستانة ، فنزلوا ضيوفاً على
 الحضرة الشاهاية ، وُمنحوا الالقاب والنياشين ، وسمعوا من الوزراء كلاماً سياسياً
 لم يجيبوا عليه بشيء ولا أثمر بعدئذ شيئاً للدولة .

اتيح لي الاجتماع بصالح باشا العذل يوم كنت في الرياض ، فالفيته شيخاً
 جليلاً يحمل في ايام السلم عصا من الشوحط ، ومثل اكثر اهل نجد لا يكثر
 الكلام . اجتمعت به في مبخروق يوم خرج عظمة السلطان للنزهة وكنا في
 معيته . وكان عظمته قد حدثني عن ذلك الوفد فرغبت في التعرف الى احد
 رجاله ، ففاجاني عند ما كنا جالسين في ذلك الغار قائلاً : « هذا صالح العذل »
 ثم ناداه : « يا باشا ياماها تعال تعرف الى الاستاذ » . جاء صالح بيتسم وجلس
 مثانا على الارض ، فسألته اذا كان قد سر في اقامته بالاستانة ، فاجاب موجزاً :
 « ما سررنا بشيء مثل سرورنا يوم رحلونا منها » .

الفصل العاشر

بنة الظافر

بعد ترحيل عساكر الدولة الى المدينة المنورة والى بغداد خرج علي ابن سعود -
اثنان من رؤساء مطير هما فيصل الدويش ونايف بن هذال فتحالفوا وامير يسي
بريدة وحائل عليه .

ولكن اهل بريدة ظلوا اجمالا مواليين . وقد كان لعبد العزيز في تلك المدينة
زوجة يزورها من حين الى حين ، فلما بلغه خبر خروج ابن الدويش وابن هذال ،
وهما من اتباعه ، سارع الى القصيم متحققا متأهبا معا ، وارسل عندما قرب من
بريدة الى شلهوب^(١) احد خداسه فيها يخبره بقدومه ذلك النهار .

وكان قد عسكر في غدبر قرب الشقة^(٢) يدعى المغر فشاعت اشاعة ان ابن
الرشيد هاجم تليه هناك . خرج عبد العزيز بنفسه مستكشفا ، فلم يجد ما يشغل
البال او يستحق الاهتمام ، فعاد الى معسكره ينأهب لزيارة المعزبة^(٣) ، وكان
النهار قد شد للرحيل .

لبس عبد العزيز الفخر ما لديه من الثياب ، فبدت خلال العباءة كأنها من
نسيج الشمس الغاربة . زبون (انباز) من الكشمير الثمين ، فوقه رداء من قماش
آخر هندي تترج الوانه الزاهية بعضها ببعض ، وفوق الاثنيين ، بين عباءة الوبر
والرداء ، « كرك » (معطف) مزركش بالقصب .

خرج الظافر ينلأ لأ وبنوح طيبا ، كأنه ظفر بالشمس فسائها بهاءها ،
وغتم ازاهر الارض فبطان بها عباةته ، فسرى تحت جناح الليل تحف به سمة

(١) هو هو الشلهوب الذي صار بعدئذ امير المال والتموين في سلطنة نجد . راجع

« ملوك العرب الجزء الثاني صفحتي ٨٨ و ٨٩ .

(٢) الشقة قرية من قرى بريدة على مسير ساعتين منها .

(٣) المعزبة ، وهي شامة في نجد ، والمعزبة امرأة الرجل .

من الخدم ، ويمشي منية قلبه جيش من الشوق . ولكنه عندما دنا من بربرة ، ولم يكن بينه وبين تلك المنية القصوى غير مسير نصف ساعة ، التقى بومول من خادمه شلهوب جاء يقول ان محمداً ابا الخليل (امير بربرة) قد اقل القصر وهو متأهب للحرب .

وكان الليل حالف ابا الخليل ، فقصف في تلك الساعة الرعد ، ولعلع البرق في السماء ، فهطلت الامطار ، وهبت الرياح ، وامسى الظافر حائراً باثراً ، لا يستطيع الدخول الى بربرة ، ولا الرجوع الى معسكره وقد بعد عنه مسافة ثلاث ساعات .
يا لها من ليلة عاصفة ماطرة ، ليلة ظلمتها دامية . ويا لها من خيبة ليلها اشد من تلك العواصف والظلمات ! لم الظافر فرسه وقد قفل راجعاً ، فسمع بعد قليل كلباً ينبع ، فساقتها نحو الصوت ، فاذا هناك بيت من الشعر ، فترجل امامه يعني ملجأ من المطر الهطال .

وما كان البيت غير خيمة صغيرة طولها ستة اذرع وعرضها نصف ذلك ، وفيها طائفة من البشر والمعزى . تكلم عبد العزيز : «يا اهل البيت نحن ضيوفكم» . فاجابوه ولم يعرفوه : «اهلاً ومرحباً . ولكن البيت ضيق وذا الليل يسود الوجه» . لم يقبلوا غير واحد من الربيع ، فظل الخدم خارج الخيمة .

دخل عبد العزيز فرأى هناك عشرة انفار ، كبار وصغار ، فيهم عجوز مريضة وشائب مجنون ، فجلس على رحلٍ قرب الباب وقد ضمّ يديه بين جنبيه ، وهو يرتعش من المطر الذي اخترق ثيابه . وكانت الجديان ، وهو في تلك الحال ، نثب على كتفيه ، والمعزى تبول امامه ، والمطر يصب من سقف الخيمة ، والمريضة في الزاوية تن ، والمجنون يصيح ، والصغار يبكون ، والكبار السلمون من علل الحياة يتصاحبون .

جلس على ذاك الكور ، في تلك الخيمة ، وهو يتأمل حالتها وحالته ، ويود لو كان ابو الخليل تحت سنايك ذاك الليل ، او في مجاري السيل ، او في مخالب العاصفة ، او تحت ذاك السقف الزارب بين العجوز المريضة والشائب المجنون . هي ايلة الظافر ! وعندما اسفر الفجر ركب فرسه وعاد الى الشقة ليبيس

ثيابه وينظفها . وقد امتست ، وهي مثقلة بالماء والوحل والاقذار ، أكره لديه من أبي الخليل . فلما وصل الى تلك القرية رأى جدران بيوتها تنهار من شدة السيل والامطار ، فأمر بيت الامير ، وكان لا يزال يملك غرفة ذات سقف وفيها نار مشبوبة ، فشكر الله على ذلك .

بعد ان يبس عبد العزيز ثيابه ، وازال منها الاوحال ، ركب يقصد بريدة ، فلما وصل الى القصر وجده مقفلاً . قرع الباب فسئل : من انت ؟ فاجاب : « انا ابن سعود » ، فلم يسمع من كانوا داخلاً الا ان يفتحوا .

وعند ما واجه ابا الخليل رآه يرتعد خوفاً فسأله قائلاً : « ما بالك قبح الله وجهك » فاجابه : « اقتري الناس علي . هم يكذبون والله في ما يقولون » . فقاطعه عبد العزيز قائلاً : « اسكت ! ما بين امرك الا انت » .

لم يقل أكثر من ذلك . وقد اقام يوماً في بريدة مستطلعاً الاخبار فتحقق خيانة رؤساء مطير ، وسارع الى محاربتهم ، فاضطر اثناء ذلك ان يصلح اعداءه في بريدة ، فعفا عن زعيمهم ابي الخليل محمد .

سألت عظمة السلطان وهو يملي علي اخبار هذه الحوادث : « وكيف تعفو عنه بعد تلك الليلة المشومة ؟ » فاجاب فوراً : « مكره اخوك لا بطل »

الفصل الحادي عشر

تهدرت الاعراض

حالت في حائل الاحوال ، فجرى الدم في بيت الرشيد ، وتولى الامارة سلطان بن حمود ، احد الاخوان الثلاثة الذين قتلوا ابناء عبد العزيز الثلاثة اي الامير متعباً واخوه^(١) . وقد باثر سلطان حكمه بالمخاتلة ، فارسل نجاباً الى عبد العزيز بن سعود يطلب الصلح ، وارسل في الوقت نفسه يخطب ود اهل نجد والقصيم ويستنصرهم عليه .

وبينما كان نجاب السلم عند ابن سعود جاءه رسل من الزعماء في تلك النواحي ومن بعض رؤساء البادية يحملون الكتب التي كتبها اليهم امير حائل الجديد . غضب عبد العزيز وهم بطرد النجباء ، فاوقفه والده الامام واثار عليه بقبول ما جاء من اجله ، فقبل بذلك مشروطاً على سلطان الشروط التي اشترطها على سلفه متعب اي ان امارته تنحصر في حائل والجبيل ، وسيادة ابن سعود على نجد والقصيم .

عاد رسول السلم الى سيده ، وراح ابن سعود غازياً بعض القبائل ٥١٢١٥
٢١٩٠٧ المنقلبة في الجنوب . ثم جيش جبئنا من بادية مطير ومن الحضرمي وزحف به الى اطراف القصيم لانه علم ان سلطاناً اخذ بشروط الصلح . سار عبد العزيز الى بريدة فاجتمع هناك بعض الزعماء وفيهم ابو الحليل محمد ، فاشاروا عليه ألا يصلح ابن الرشيد . قالوا ان الحرب اولى ، وان ابن الرشيد لا يركن اليه .

وكان عبد العزيز قد تحقق ذلك من كتب سلطان الى رؤساء اهل نجد والقصيم ، فلم ييامره الريب في اخلاص هؤلاء الزعماء وفيهم من اصدقائه السابقين (١) في الفصل الثاني والثلاثين ذكر هذه الذبحة وتفصيلها .

شيخان من مطير هما فيصل الدويش ونايف الهدال . لذلك زحف الى حائل غازياً .
ولكنه لم يتوفق في تلك الغزوة ، كما انه لم يتوفق في وضع ثقته بالدويش
والهدال ، اذ بعد ان علما بفشله تعاهدا وابا الخيل على ان ينصرا ابن الرشيد عليه .
عندما تحقق عبد العزيز ذلك — عند ما ادرك ان قد نفلت مطير من يده
وخرجت بريدة عليه — راح يستنجد عتيبة عدوة شمر ومطير ، فافلح بعض
سعيه . وعندما هجم سلطان على قافلة له كانت خارجة من القصيبة ، فاخذها
وامن رجالها ثم قتلهم ، شد عبد العزيز عليه ، فلم يدركه لانه كان قد عاد الى
حائل .

عرج ابن سعود على بريدة وارسل منها الكشافة فالتقوا في الطريق برجل
رابهم امره فقتلوه ، فوجدوا معه كتاباً من محمد ابي الخيل الى سلطات الرشيد
يعاهده فيه على ابن سعود .

تعددت الاعداء والخيانات . واكن خيانة فيصل الدويش انارت في عبد
العزيز اسد الغضب والحنق ، فراح يدبر وسيلة للانتقام . وكان من تدبيره انه
اذن لعرب عتيبة بالرحيل ليقال انهم خذلوه . ثم صالح اهل بريدة وعفا عن
زعمائها كما اشرت في الفصل السابق .

ولكنه عندما اذن لبوادي عتيبة بالرحيل ضرب لهم موعداً في مكان يدعى
الجملة ، فاجتمع بهم هناك ، واغاروا بغتة على الدويش في جهة سدير ، فلاذ
بالجمعة التي كان فيها يومئذ حامية لابن الرشيد ، فادركوه ورجاله في بساينها
وقتلوا بهم ، فهزموهم شراً هزيمة ، وغنموا اموالهم كلها .

بعد هذه الواقعة التي جرح الدويش فيها جاء كبار مطير مستسلمين
مستغفرين فاعطاهم ابن سعود الامان . ثم عاد الى الرياض . ولم يكد يتم الشهر
هناك حتى جاءته الاخبار مثبتة خيانة ابي الخيل الذي كان قد عقد وابن الرشيد
عبد الصالح والولاء .

استنفر ابن سعود بوادي قحطان وعتيبة ، ورفض من جاء ينضم الى جيشه
من مطير النابيين واهل بريدة لانه لم يكن ليثق بهم . اما ابن الرشيد فكان قد

غزا بعض عربان ابن سعود فلم ينل منهم مغنا . بل غشى جيشه الظمأ فمات عدد كبير من رواحله وخيله ، فعاد الى الجبل ونزل الكهفة .

اما ابو الخليل فاستمر عاصياً طاغياً ، بالرغم من عفو ابن سعود وبالرغم من توسط ابن سليم امير عنيزة . وكان من رجال مطير «التائبين» ما توقعه عبد العزيز فانضموا وطاقية منها الى جيش ابن الرشيد ، الذي جاء الى برهدة فنزل على المياه في جوارها .

اما عربان ابن سعود ، قحطان وعتيبة ، فانحدروا بلبونه ونزلوا العرض ، ثم اجتمعوا بمن نفروا اليه من الحضرمي بوادي السر وزحفوا شمالاً يقصدون برهدة . تصافت القبائل ، فكانت شمر وحرب ومطير مع ابن الرشيد وكانت عتيبة وقحطان مع ابن سعود .

وهناك اخر من الامراء انصار ابن الرشيد لا يستهان به ، الا وهو الشيخ مبارك الذي كان مخلصاً لكاتب ديوانه في الاقل فلم يعزله بعد تلك الزلة . وقد جاء ثانية بمثاها . ففي الكتب التي وصلت الى عبد العزيز من «والده» في الكويت كتاب الى سلطان الرشيد ، أرسل خطأ الى خصمه ، وفيه يجرسه على ابن سعود ويأج عليه بالانفاق واهل القصيم .

كتب عبد العزيز الامر ونقدم بجيشه من السر الى المذنب ، فجاءه هناك رجل يدعى عبد العزيز بن حسن من اهل القصيم ، ولكنه كان من خفية ابن سعود ، فاخبره ان الشيخ مبارك ارسل يتوسط بالصلح بين اهل القصيم وابن الرشيد . لم يكن عبد العزيز يحتاج الى هذه البيئات في انقلاب «والده» ابن الصباح عليه ، وقد تعددت امثال فعلته هذه الحرباوية . ولكن عذر صاحب الكويت في ذلك انه كان ينشد دائماً التوازن في نجد ، ويسعى في تحقيقه والمحافظة عليه ، لانه اذا اختل التوازن اختلت في رأيه الشؤون كلها ، وفيها شؤون الكويت .

تقدم ابن سعود الى عنيزة فعلم ان معسكر سلطان هو خارج برهدة على مسير ساعة من قصرها ، فسرى يريد الهجوم عليه ، فعلم سلطان بذلك ، وتقل الى

قرب القصر .

لحق به ابن سعود فتناوش الفريقان مراراً دون ان يتمكن بعضهم من بعض . على انه في احدى الغارات كبت فرس عبد العزيز فوقع وقعة مشومة ، فكسر عظم في كتفه اليسرى وأغمي عليه .

وكان فيصل الدويش قد جاء ابن الرشيد فزعاً فأنزل اهله الطرفية^(١) ونقدم بجيامة ورجاله الى بريدة . فلما دنا من عسكر ابن سعود خرجت اليه سرية فنازلته وهزمته ، فقتلت عدداً من رجاله وغنمت كثيراً من الابل . ثم ثقفت من نقهقروا ، وهجمت بعد ذلك على الطرفية فذبحت اهل الدويش واستولت على البلد .

اما عبد العزيز فعاد بعد وقعته يتبع السرية التي هزمت الدويش ، فوصل العصر الى الطرفية وعسكر فيها ، ولم يشعر حتى الليل بالم في كتفه شديد حرمة النوم واقعده .

دعا قواده وهو في تلك الحال فحاطبهم قائلاً : « ابن الرشيد واهل بريدة هاجمون عايكم هذه الليلة فتأهبوا وكونوا متيقظين . بشوا الحرس والكشافة في الطرق ، وحصنوا القصر » .

وكان قد انتصف الليل عند ما جاء رجل من بريدة يقول ان ابن الرشيد ورجاله قد خرجوا وهم يريدون المهاجمة .

لم ير القائد الذي باغته الخبر ان يزعج عبد العزيز به وهو في تلك الحال ، خصوصاً وان الجيش كان مستعداً للدفاع .

ولكن امرين افسدا ذلك الاستعداد . فقد تأخر ابن الرشيد فنامت الجنود ، وقد سلك الى الطرفية طريقاً غير الطريق المعروفة ، فلم يشعروا الا وهو ورجاله في وسط المعسكر .

هجمت البادية من جهة عليه ، وهجم اهل بريدة من الجهة الاخرى ، وهم يبنون احتلال القصر . ولكن الحرس افاقوا الحامية فصادتهم وصدتهم عن الدخول .

(١) الطرفية هي على مسير اربع ساعات ونصف ساعة من بريدة الى الشمال .

اما ابن الرشيد ورجاله فتقدموا هادئين لياغتوا السعوديين وهم نيام . ولكن بعضهم استيقظوا ، فتصادموا والمهاجمين ، وتضاربوا بكمااب البنادق ، ثم بالسيوف ، فسالت الدماء وعلت الاصوات . — على المشركين ! على الخونة !
أطلقت عندئذ البنادق فهب العسكر كله للقتال ، الذي استمر حتى الفجر ، فبدأت اذ ذلك المياه الجارية بين النخيل وقد احمرت من دم القتلى .

— « صبحناكم لا صبحتم العافية » .

هي الكلمة التي كان يرددها السعوديون عندما ثقفوا الرشيديين المنهزمين .
قُتل في هذه الواقعة التي تدعى بواقعة الطرفية (٥ شعبان ١٣٢٥ = ١٤ ايلول ١٩٠٧) ثلاثون من رجال ابن سعود وثلاثمائة من رجال ابن الرشيد . وقد كان الفضل في هذا النصر للحضر في الجيش السعودي . اما البوادي فشردوا ، ثم عادوا بعد بضعة ايام .

الفصل الثاني عشر

كسرة ابي الخليل

قلت في ما تقدم ان ابا الخليل من آل مهنا الذين كانوا متأمريين في بريدة ،
وانهم كانوا معادين لآل سعود منذ عهد الامام عبدالله بن فيصل عم عبد العزيز .
اما اهالي بريدة ، او الاكثرية فيهم ، فكانوا يشكون حكم آل مهنا ويودون
التخلص منه ، بل كانوا متقلبين ، متذبذبين . لم يستطيعوا ان يقاوموا اميرهم
ابا الخليل ، ولا ان يعاونوا عدوه ، فكانوا يوماً معه ، ويوماً عليه ، باطناً او ظاهراً ،
شأن المستضعفين المستنصرين . وكانوا في انقلابهم وتلونهم اسرع من اميرهم
واسبق ، فقد طالما خدع ابن سعود ، وابن الرشيد ، وابن مهنا نفسه بما كانوا
يظهرون او يبطنون .

بعد وقعة الطرفية عاد الى بريدة من سلموا من اهله وفر ابن الرشيد وباديته
الى حائل ، فزحف ابن سعود في اليوم التالي ليلتبع البريديين ، فاغارت كوكبة
من الخليل على المدينة وغنمت المواشي التي كانت خارج السور . ثم نزل في الزرقاء
شمالاً واباح لعسكره القرى التي ساعدت اهل بريدة ، فجاء اهله في اليوم التالي
يطلبون العفو فعفا عنهم .

اما اهل بريدة فظلوا عشرين يوماً داخل البلد كأنهم في حصار ، فلم يخرجوا
لا مواليين ولا معادين . واكن فريقاً منهم ارسل يخبر ابن سعود سرّاً ان ابا
الخليل مستول على المدينة بمن معه من رجال ابن الرشيد ، وانه اذا هو انسحب من
جوارها يتبع لهم ان ينهضوا على اميرهم وجيشه الشمري .

وكان هؤلاء الشمريون قد عابوا سلطان الرشيد في انهزامه وفراره الى
حائل ، وطلبوا منه ان يعود فعاد ودخل بريدة ليلاً . فلما علم ابن سعود بذلك
مشى الى عنيزة فنزل على مسير ساعة من بريدة ، ففاجأت خيالة ابن الرشيد

رعاة له فأخذوهم . وقد حدث يومذاك قتال اشتركت فيه البدو ، فقطعت الحضرم ساقهم اي حمتها .

ان الحضرم في الجيوش العربية كالجنود النظامية . اما البدو فبدوهم ، وامرهم عجيب ، قد اسلفت القول ان بوادي ابن سعود شردوا في وقعة الطرفية ، ثم عادوا اليه . ومن عاداتهم ان يبيثوا ويروحوا ، ان يجاربوا ويشردوا كما توحى اليهم النفس او ترشدهم الحوادث .

وفي القتال امام بريدة هجم جيش البادية فاحتاط ابن سعود للامر بان جعل الحضرم في مؤخره ليمنعه من الفرار اذا احس بالهزيمة . ولكنه كان في ذلك اليوم منتصراً فراجع قوم ابن الرشيد ودخلوا البلد .

استمر ابن سعود في سيره جنوباً فنزل عنيزة ، ثم نقل الى البكيرية ، ثم الى الرس ، يجمع اليه المقاتلة من الحضرم . اما سلطان الرشيد فعاد الى الجبل ، وقد ترك اخاه فيصلاً في بريدة ليكون عوناً لابي الخليل على اهلها ، بل ليظل بعيداً عن حائل . ولكن فيصلاً اخلف وطاغية مهتماً بهجره ، وعاد الى الجبل فاجتمع باخيه الامير الحاكم واغضبه ، فارسله الامير بمهمة الى الجوف ، وقصده الابعاد . وكان ابن سعود قد نقل من الرس الى جهة عنيدة ، فنزل هناك في جبل يدعى سواج وهو يتربقب الفرص للهجوم . فلما علم بما جرى بين فيصل واخيه سلطان سارع الى الجبل جبل شيمر . واكن البدو ، وهو في منتصف الطريق ، هجروه ، فاستمر مع ذلك سائراً ، ونزل بقومه على ماء سقف ، فوجدها هناك قبائل من حرب ، فاغاروا عليهم وغنموا كثيراً من اموالهم .

لم يتوفق عبد العزيز في زحفه الى الجبل ، فعاد الى الرياض . ثم رجع في الشهر التالي الى القصيم ، فلاقاه جاسوس من بريدة ليخبره ان اهلها مستعدون اذا وصل اليهم ، ان يهجموا على ابي الخليل .

لمز ابن سعود حصانه ، وراح يبيشه مسرعاً ، فوصلوا الى المكاتب المعين للاجتماع خارج البلد فلم يجدوا احداً هناك .

لله انتم يا اهل بريدة ! عض عبد العزيز على نواجذه وعاد الى عنيزة ، وجاءه

بعد سبعة ايام رسول منهم يقول انهم متأهبون للهجوم ، فزحف زحفة ثانية كانت كالاولى عقيدة الفشل .

ولكنه نزل الاخضر ، على مسير ساعة ونصف ساعة من المدينة ومشى اليها بالجنود مرتين على «الانصار» يخرجون اليه ، فلم يخرج احد منهم .

ثم بلغه ان سلطان بن الرشيد زاحف من الجبل لينجد اهل بريدة ، اى الرشيد بين فيها ، فشد ابن سعود وبادر اليه ، ليصده عن ذلك ، فعلم عندما وصل الى كهفة ان الخبر مكذوب . وكان برغش بن طوالة ، من رؤساء شمر ، نازلاً ماءً فهد بالقرب من جبل سلمى هناك ، فسرى يريد الهجوم عليه . فلما رآه ابن طوالة مقبلاً ساعة الفجر اركب الحريم على الخيل سافرات فحئن يلاقينه مستعطفين . ثم جاءه برغش طالباً العفو ، بل جاء يعاهده على الولاة واقسم بالله ان سيكون على الدوام من رعاياه المخلصين .

قد كان ابن طوالة رسول السلم ايضاً بين ابن سعود وابن الرشيد ، فجددت المعاهدة السابقة التي خرقها مرة سلطان ولم يتقيد دائماً سلفه متعب بشرروطها . ولكن ابن سعود لم يتخددع . وما اراد في ذاك الحين غير حياذ ابن الرشيد ، ولو الى حين ، فينشط انصاره من اهل بريدة ويمكثونه من ابي الخيل .

عاد عبد العزيز ، بعد ان صالح ابن الرشيد ، الى البكيرية ، فعسكر فيها وسار بنفسه الى عنيزة مستخبراً ، فأخبر عندما وصلها ان اهل بريدة مستعدون الاستعداد التام هذه المرة للهجوم .

بادر عبد العزيز الى حصانه ، وعدا به عائداً الى البكيرية ، فقطع بساعتين ونصف ساعة مسافة خمس ساعات من السير ، وامر عند وصوله ، بالزحف السريع الى بريدة ، فرحف الجيش في ذاك النهار ووصل الى المدينة عند غروب الشمس .

— واين الرجال؟ اين من هم مستعدون الاستعداد التام للحرب؟ الحق يقال ان السيادة كل السيادة كانت لمحمد ابي الخيل . ولم ينفر الى ابن سعود

ليلثدي الا عشرة من الانصار ، فكان الاتفاق بعد المفاوضة السرية ان يفتحوا له باب السور وقت صلاة العشي . ولم يكلفهم أكثر من ذلك .

امر ابن سعود . سريتين بالتقدم ثم بالدخول الى البلد ، اذا ما فتح الباب ، فيسيرون تَوّاً الى البيوت القريبة من القصر المقيم فيه ابو الخليل ويحتلوها .
فتح باب السور ، وكان الناس في الصلوة ، فدخلت السريتان ، واحتل البيوت المذكورة ثلاثمئة من الفرسان .

كان ابن سعود ساعتئذ واقفاً عند الباب فارسل فرقة عددها خمسمئة رجل لتحتل ابراج السور القريبة منه .

ثم خطب في الباقي من جيشه قائلاً : « اننا هاجمون على هذا البلد ، فاحذروا ان آذوا من لا يعترضونكم ، او تسيثوا اليهم بشيء . حاربوا من حاربكم ، وسالموا من سالمكم . اما البيوت فلا تدخلوها . واما الحرم فمن اعتدى عليهن فيدي عليه . »
دخل ابن سعود على رأس جيشه يقصد من تقدمه من الفرسان . وما كاد يخرج الناس من المساجد حتى علت في المدينة صيحات الحرب .

اشتبكت الجنود برجال ابي الخليل ، واستمر القتال طيلة ذلك الليل ، فقتل من المهتدين عشرة ومن السعوديين خمسة لا غير . وجاء رؤساء بريدة عندما اسفر الفجر يطلبون العفو ، فعفا الظافر عنهم بشرط ان يسلم المقاتلون السلاح ، فسلموها قبل الضحى .

وكن ابا الخليل ظل محاصراً يوماً وليلة . ثم طلب الامان فأمّنه عبد العزيز على حياته ، وتركه يذهب حيث يشاء ، فرحل الى العراق .
وفي كسرة محمد آل عبدالله ابي الخليل ، في ٢٠ ربيع الثاني من هذا العام (٢٣ ايار) دخلت بريدة للمرة الثانية في حوزة ابن سعود .

الفصل الثالث عشر

الوقارب والغارب

ما سلط الله على العرب غير انفسهم . فقد طالما نكثوا العهود فراراً من تبعه او خسارة ، وقد طالما استحلوا ، في سبيل السيادة ، دم ذوي القربى . لا نعود الى الماضي مستشهدين بالتاريخ ولنا في هذا الزمان الامثال والبيئات . فقد ذبح الشيخ خزعل اخاه ، والشيخ مبارك اخوه ، وبندر بن الرشيد عمه ، ومحمد بن الرشيد ابناء اخيه الاربعة ، وابناء عبيد الرشيد اولاد عمهم الثلاثة — كل ذلك طمعاً بالسيادة .

وقد قتل في هذه السنة من هذا التاريخ سعود بن عبيد الرشيد اخاه سلطاناً وتولى الامارة بعده . ثم ارسل الى عبد العزيز بن سعود يعرض عليه الصلح فصالحه على ما صالح اخاه وابن اخته سلفاه .

من نوادر الله في خلقه ان يقوم في العرب ، في زمان تعددت فيه هذه الجرائم الفظيعة ، من يسلك الى السيادة مسلك الشجاعة والشرف ، فلا يسلط عليهم غير سيف الحق ، ولا يجازي طغيانهم وخياناتهم ، اذا ما تابوا ، بغير الحلم والاحسان . ولكن تاريخ آل سعود المعروف هو ابيض الحاشية ، فلا يدنس دم ذوي الارحام .

استمرت الاضطرابات والفتن في حال ، فنكت ابن الرشيد العهد ، وعاد البيتان الى الحرب — الى الغارات والغزوات . اما سعود بن عبيد ، الذي لم يملك غير سنة وشهرين ، فقد قبل كما هو قتل اخاه . ثم بعث من تولى الامارة من آل سبهان ، اخوال بيت الرشيد ، بوفد الى عبد العزيز ، فلم تسفر المفاوضات عن صلح او شبه صلح ، فاستأنف البيتان القتال .

خرج صاحب حال فزل التعيبة واثار على قبيلة من مطهر السعودية فقتل



١٦١ - ١٦٠

الحرم الشريف • والكنية

فزعها واصاب منها مغنا . وخرج صاحب نجد يطلب خصمه على ذاك الماء فلم يجده ، فاغار على قبائل حرب وشمرو وغنم اموالهم ، ثم عاد الى الشعبية فاقام هناك يوماً « بخمس الاخماس » اي يقسم الغنائم .

علم صاحب حائل بوجود ابن سعود في الشعبية فزحف اليه ، وعلم ابن سعود بذلك فمشى حتى وصل الغروب الى مكان في النفود يدعى الاشعلي فنزل هناك ، وشرع يتأهب للحرب ، فاخرج البدو من المعسكر ، ابعدهم عنه . واخرج الحضرم الى رأس النفود فتحصنوا فيها ، فامست الحيام خالية . ثم امر بان لا تعقل الابل التي غنموها من شمر وحرب في الغزوة الاخيرة . والقصد في ذلك ان يستغوي بها بوادي العدو . ان الطمع غريزة في البدو ، فم اذا رأوا الابعر تاردة يتبعونها ليغنموها . والابعر اذا سمعت تطلق البنادق ، ولم تكن معقولة ، تفر هاربة .

انتصف الليل فهجم امير حائل على مخيم امير نجد الفارغ فذهب رصاصه سدى ، وفرت الابل فلحقها البادية . وقد شردت كذلك تحت جناح الظلام بادية ابن سعود ، فلم يبق غير الحضرم في الجيشين .

ارسل عبد العزيز سرية لمناوشة من هجموا على المخيم ثم الانسحاب ففعلت ، فظنوه معها وظنوه مهزوماً . ولكنه كان ورجاله كامنين في رأس النفود ، فاغاروا عند انبثاق الفجر في ٥ ربيع اول (٢٩ اذار) من هذا العام عليهم . وكانت هذه المفاجأة خاتمة وقعة الاشعلي ، وكان في الحاتمة نصر لابن سعود مبين . خسر الرشيديون عدداً كبيراً من رجالهم ، وكثيراً من رواحلهم ، ما عدا ما كانوا قد غنموه في الليلة السابقة ، ونقهروا عائدتين الى الشعبية .

اما ابن سعود فسار بجواضره الى قبته ، وكانت بواديه قد شردت كما قلت ، فتبع وقعة الاشعلي هدنة كان الضيق من قلة الامطار سببها ، فلم يستطع احد من الفريقين مواصلة القتال .

ولكن ابن سعود خرج من قبته غازياً بعض عربانه العاصين في اعالي نجد ، على طريق المدينة ، وعاد الى القصيم فأمر فيه ابن عمه عبدالله بن جلوي وانحدر

الى الرياض ، فلما قرب من العاصمة التقى برسول من ابيه جاءه يقول : « جنبوا جنبوا . الفتنة مشتعلة في الحريق بين الهزازنة » .

والهزازنة اي آل هزّان من عنزي وهم اقارب لآل سعود — اقارب ابعدون . كان قد قتل بعض منهم في تلك الفتنة ، فارسل الامام عبد الرحمن مربية قبضت على القتلة وسلمتهم الى اخوان المقنولين فقتلوه . ولم تخلُ الفتنة من مآرب سياسية ، فعاد الهزازنة بعد رجوع السربة ، يشعلون نارها ، فاعتدوا على آل خثلان ، فذبحوا منهم شيخين طاعنين في السن ادعوا انها اشتركا في قتل اخيهم الكبير محماس . اثار هذا الادعاء الكاذب غضب الامام عبد الرحمن ، فأمر ابنه عبد العزيز ان يحمل عليهم في الحال . — جنبوا الى الحريق — جنبوا !

طلب عبد العزيز فرصة يومين ليزور اهله في العاصمة فكان له ذلك . وفي اليوم الثالث نزل الى الحريق ، ودعا الهزازنة لحكم الشرع فابوا ، وهم حقيقة لا يربدون الخضوع لحكم ابن سعود . ثم دخلوا حصنهم وتحصنوا فيه ، فحاصرهم شهرين وما انفك يدعوهم لحكم الشرع وهم متمردون ، وفي ذاك الحصن منيعون .

عندئذ اقدم ابن سعود على عمل يعد حتى في غير البلاد العربية كبيراً ، فأمر رجاله بحفر نفق يوصلهم الى الحصن ، فباشروا ذلك وكان طول النفق عندما تم اربعين باعاً . ثم عزم ان يشعل فيه البارود فينسف الحصن نسفاً ، ولكن نساء المحصورين واولادهم كانوا ساكنين في بيوت فوق ذلك النفق ، فارسل عبد العزيز يندرهم ويؤمنهم على حياتهم اذا هم اخلوها . ولما كان المحاصرين ابوا واستمروا متمردين . فارسل اليهم رسولا يقول : « اذا كنتم لا تخرجوا حريمكم واطفالكم فانتم المسؤولون عن حياتهم امام الله » .

ظن المحاصرون في بادئ الامر ان ابن سعود يهول عليهم بنفق وهمي ، فلما تأكدوا الحقيقة سلموا لتسلم عيالهم .

عاد عبد العزيز الى الرياض ومعه زعماء آل هزّان الا واحداً منهم استأذن بالسفر الى حوطة بني تميم لاشغال له هناك فأذن بذلك . ولكن اخاه راشداً أحد المدين سلموا كتب يشير عليه بالفرار وانه لاحق به ، فوقع الكتاب بيد

عبد العزيز وكانت النتيجة ان صاحبه اصبح سجيناً ، بعد ان كان ضيفاً مكرماً ، في الرياض . (١)

مُختمت سنة ١٣٢٧ بعضيان الهزازنة وهم كما قلت اقارب آل سعود
 ١٣٢٨ هـ
 ١٩١٠ م
 الابدون ، وُفتحت سنة ١٣٢٨ بخروج «العرائف» وهم اقارب
 آل سعود الادنون . بل هم الذين كانوا اسرى في حائل ، فجاء بهم ماجد
 بن الرشيد الى عنيزة ليقاتلوا اهلهم ، فخلصهم عبد العزيز من الاسر ومن القتل ،
 فقاموا بعدئذٍ بمجازون عمله بالعصيان .

قد يكون بين فتنة الهزازنة وخروج «العرائف» صلة سرية ، او ان الواحدة
 أوحى الاخرى . وجاء فوق ذلك الجذب يزيد بشدائد هذه السنة التي كانت
 تدعى «الساحوق» فغسر ابن سعود مبلغاً جسيماً من الاموال الابل والمواشي —
 ولم يكن لديه ما يمكنه من الحرب والغزو .

عقد مجلس للمذاكرة بخصوص «العرائف» فقال احد الحضور يخاطب
 عبد العزيز : « ادعوم اليك للجواب ، فاذا ابوا اضربهم » ، قد عقب على هذا
 الرأي آخرون . واكن عبد العزيز لم يستحسنه فقال : « اذا دعوتهم الي فقد
 يحدث بينكم وبينهم قتال ، فاكون ذابحاً لذوي القربى وهذا مكروه عندي .
 دعوم . كفانا الله شرهم » .

رحل «العرائف» ، وهم تسعة ، ورجاجيلهم وخدمهم الى الحساء فزلوا على
 العجمان اخوالهم . واكن العجمان اعتدوا على بعض عشائر الكويت فنهبهم ،
 فهددهم الشيخ مبارك ، فاتجروا الى ابن سعود . بل جاءه كذلك كتاب من الشيخ
 مبارك يسأله فيه ان يسعى في ارجاع تلك المنهوبات .

اما ابن سعود فكان قد كتب الى ابن الهذال رئيس العمارات وابن الشعلان
 رئيس الرولا ، والعتيرتان من عزي ، يستنجدهما على ابن الرشيد ، فاجاباه الى

(١) جاء راشد بعدئذ الى الحجاز وبقي فيه حتى بعد نكبة الحسين فكان مشمولاً بحلم
 عبد العزيز ومكارمه . وكان ابنه عبدالله قد صحب الملك علياً الى جده فاقام فيها اثناء الحرب
 ثم فر الى مكة قبل السليم فاجتمع بابيه الذي هو اليوم قائد القوات البدوية هناك .

ذلك وُضرب الموعد للاجتماع . ولكن المشاكل تعددت في الحساء ، وهي مرتبطة بعضها ببعض ، فظن عبد العزيز ان التوسط بين مبارك والعجمان يحل مشكل « العرائف » ، فبادر الى تلك الناحية . وقد كان في عزمه ، بعد حسم ذلك الخلاف وحل ذلك المشكل ، ان يستأنف السير ليجتمع بالهذال والشعلان فيشدون جميعاً على ابن الرشيد .

اما الشيخ مبارك فعندما علم بخروج آل سعود « العرائف » وانهم جاءوا الحساء ارسل نجاباً الى عبد العزيز يستأذنه بان يدعوهم الى الكويت فيسعى فيه فيصلح بينه وبينهم . قبل عبد العزيز ولسان حاله يقول : نصلح بينه وبين العجمان فيصلح بيننا وبين العرائف . وجزاء حسنة حسنة مثلها . اما « العرائف » فقد قبل اثنان منهما دعوة مبارك ، وجاء اثنان الى عبد العزيز مستغفرين مستأمنين فأعطاهما الامان .

واكن صاحب الكويت لم يقدم على ذلك العمل لقاء ما جاء ابن سعود الى الحساء من اجله . بل كانت هنالك امر آخر يسوجب المعروف . ان القاريء الذي سار معنا من بداية هذا التاريخ يدرك شيئاً من غواض الشيخ مبارك السياسية ، وهو قلما كان يقدم على عمل لا امر في شطر منه في الاقل . اما السر في توسطه بين « العرائف » و « ولده » عبد العزيز سعود فهو ان رئيس عشائر المنتفق في العراق سعدون المنصور كان قد جهز حملة عليه — حملة كبيرة لا يستطيع مقاومتها ناهيك بغلبتها — فأسلف عبد العزيز المعروف ، ثم ارسل يستنجده على السعدون —

المستجير بعرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

الفصل الرابع عشر

الشيخ مبارك بتب

لا بد وقد وصلنا الى هذا الحد من تاريخ ابن سعود عبد العزيز ان نعيد شيئاً حديث العهد من تاريخ الانقلاب العثماني . فقد دك حزب الاتحاد والترقي عرش عبد الحميد ، واعاد الدستور الى الامة ، واسس فيها حكومة نيابية . ولكنه بعد ان تبوء عرش السيادة استبد واستأثر فغدا كل واحد من زعمائه عبد حميد رهيباً .

وقد اغضب الحزب العرب خصوصاً فقام منهم من اسسوا حزب الائتلافيين ليطالب باللامركزية صوتاً لحقوق العناصر الغير التركية . ثم قام في البصرة جماعة يرأسهم السيد طالب النقيب والشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح يؤسسون فرعاً لهذا الحزب . بل كان من مقاصد تلك النهضة طرد الاتحاديين واستقلال العراق فيحكمها احد اولئك الزعماء . اثار عملهم غضب الحكومة فأمرت سعدون باشا الاتحادي بتجهيز حملة من العشائر على الشيخ مبارك لانه اكبر الثلاثة ، ولانه في نظر الدولة ذو سوابق سياسية .

على ان الزملاء الذين كانوا قد وعدوا الشيخ بالمساعدة خذلوه فامسى منفرداً في الورطة ، فارسل يستنجد ذاك الذي شب وترعرع في ظله . ارسل يستنجد من كان يسميه « اوّليدي » وقد صار زعيماً للعرب كبيراً . ولكن هذا الزعيم كان يومئذ في ورطة اشد من ورطة « والده » مبارك . ومع ذلك فقد مشى الى الكويت بجيش صغير من العربان ، وفيهم بعض العجمان . عندما وصل عبد العزيز كان الشيخ مبارك قد جهّز ما عنده من قوة لمحاربة السعودون فاشار عليه بالترصب وقال : « ليس بيننا وبين الرجل خلاف حقيقي

يوجب الحرب ، واني ارى مسالته اولى . المسئلة طفيفة ، وانا اتوسط بينكم وبين السعدون .»

شق على الشيخ مبارك ان يسمع مثل هذا الكلام ، فازدرى نصيحة «ولده» الذي طالما امداه بالنصائح وكان عوناه في الشدائد .

مبارك : «انت اولدي وهل يقبل الولد بأن يهان ابوه .»

عبد العزيز ، وقد عراه شيء من الخجل : « لا والله . ولك ما تريد . اني ملبى الطلب ان شاء الله ولكنني اسأل والدي ان يمهلي لاستنجد اهل نجد . ليس معي الآن غير مئتين من رجالي . اما العشائر فلست مركنا اليها في القتال .»

مبارك : « اني اجند من الكويته الجنود الكافية ، ولا ابني منك غير

القيادة .»

عبد العزيز : « اذا انت باشرت التجنيد فابن سعدون قريب منا وعالم باخبارنا واعمالنا كلها . فهو اذ ذاك يتأهب لنا . ولا ريب عندي ان «شواوي» (رعاة) المنتفق كلهم يلتفون حوله . امهلي قليلاً سلمك الله . ومن رأيي ان تسير قوة صغيرة مع احد انجالك فتبعد عن اطراف الكويته ، وتربص للهجوم على ابن سعدون يوم تفرق عشائره . وسننال مراننا منه بحول الله .»

ما راق هذا الكلام الشيخ مبارك فأصر على تجنيد الجنود وعلى خروج

ابن سعود معهم ، ففعل مكرهاً . اما جيش الكويته الذي كان رئيسه جابر بن مبارك فقد كان مؤلفاً من الفين من الحضرة ، واكثرهم من

الشبان الناضرة وجوهم ، النادرة شجاعتهم ، واربعة الاف من البادية ، ومئة وخمسون فارساً . أضيف اليه عربان ابن سعود والمئتين من رجاله فيبلغ عدده كله نحو سبعة الاف .

لما بعد هذا الجيش مسافة يوم من الكويته جاء رجل من كبار عرب الظفير

يدعى الضويحي ليسأل ابن سعود ان يتوسط بينهم وبين ابن الصباح . وقد أكد له ان السعدون وعرب الظفير يقبلون بذلك .

عرض عبد العزيز الامر على جابر الصباح فأجابه قائلاً : « اني لا اعهدك

جباناً» . فغضب عبد العزيز وقال : «سترون غداً . غداً تظهر الجبانة فتعرفون اين هي» .

استمروا ذلك اليوم سائرين ، فواصلوا السير بالسري ، وكان سعدون باتسا قد علم بزحفهم فامرهم كذلك بعشائره يريد الهجوم . وقد كان عدد جيشه يوازي جيش الكويت ، بيد انه كله من عشائر المنتفق والظفير والبدور وغيرها ، واكثره من الخيالة .

نام عربان سعدون في الطريق ، واكنهم عندما احسوا بقرب الكويتيين افاقوا وتراجعوا الى مقر القيادة كي لا يتصادموا واياهم ليلاً .

ولما اصبح الصباح تكلم عبد العزيز : « اسمع يا جابر . من رأيي انت تأمر البدو بالاغارة على سعدون وجماعته ، فنبعدهم عنا ، ونشغل العدو . اني والله في ريب من امرهم . اما اذا سيرتاهم امامنا فنأمن خيانتهم » .

لم يستحسن جابر هذا الرأي . واصر على ان يكون الهجوم عاماً ، فقال عبد العزيز يخاطب اخاه الاصغر سعداً : « اني لا اري غير الهزيمة لهذا الجيش . قف معي وقومنا على حدة لنتمكن عند الحاجة من الدفاع عن انفسنا . اليوم يوم دفاع يا سعد لان هؤلاء الناس لا رأي لهم ، ولا هم يقبلون النصيحة » .

عند ما رأى جابر ان ابن سعود وقومه اعتزلوا الجيش لامهم قاتلاً : « انتم اخواننا والاخوان في الحرب لا يحجمون » . فنجل عبد العزيز وامر اخاه بالاشراك في الهجوم .

وكانت الفاتحة للخييل ، فاغارت خيالة ابن الصباح ، وهم مئة وخمسون ، على خمسة مئة من فرسان السعدون . فكر هؤلاء عليهم كرات سريعة سديدة هائلة ، فانهمزوا هزيمة شنيعة ، وانهمز معهم جابر وجيشه بدون قتال ، ولم يبق مع ابن سعود الا عشرة فقط من الخيالة رجاجيله . اما البقية ففروا مع الفارين ، وقد تركوا وراهم كثيراً من الحلال والمال -- من الامتعة والابل والخييل -- فكانت لجيش السعدون هدية من جيش الكويت . وقد دعيت هذه الواقعة ، التي جرت في صباح اليوم الاول من جمادى الثانية من هذا العام (١٠ حزيران ١٩١٠)

بوقعة هدية .

لحق عبد العزيز بجابر وقومه المنهزمين فادر كهم في عصر ذلك النهار وقال يهون الامر عليهم : « هذه عادات الرجال والحرب سجال » . ولكن الشدة انستهم اليهم . فبينما هم سائرون ضلوا الطريق ، وكان قد ادر كهم فوق الهزيمة الجوع ، ولم يكن لديهم شيء من الزاد . ثم جاءتهم رحمة الله فالتقوا باباعر شاردة من حملة ابن سعود ، وهي تحمل شعيراً ، فاطعموا الخيل احمالها ، ونحروها ليطعموا انفسهم . وقد رافقتهم الرحمة في اليوم التالي ، اذ علم فيصل الدويش بقربهم منه فجاء باهله يلاقيهم ، فنصب الخيام واطافهم تلك الليلة ضيافة كبيرة ، ثم نحر لهم ثانية في الصباح . ان بعد العسر يسرا . ولكنهم لم ينسوا تلك الهزيمة ، بل تلك الهدية — « هدية والله ، اخذنا للسعدون هدية » .

اما الشيخ مبارك فعند ما بلغت اخبار تلك « الهدية » خرج الى قصره « السرّاه » يداوي كلومه ، فجاءه ابنه جابر و« ولده » عبد العزيز يهونان الامر عليه . واكنه عقد النية على استنصار اهل الكويت ثانية — « سأجمع والله خمسة اضعاف هذا الجيش ، وساحرق المنتفق فلا يبقى منها غير الرماد ! » .

خطر لعبد العزيز خاطر يمحو فيه كلام ذلك الغضب . كان « العرائف » قد رحلوا من الكويت — « العرائف » الذين استدعاهم مبارك ليصلح بينهم وبين ابن سعود — فارتأى ان يجهّز احد اولاد الشيخ بجيش صغير فيسير عبد العزيز معهم ويتاع انهم ساروا يطلبون « العرائف » ، فيبلغ سعدون الخبر ، فيسرح عربانه ، — « فنعيد الكرة اذ ذلك عليه ، ونحن مدركوه بحول الله » .

رفض الشيخ مبارك ثانية ان يعمل برأي عبد العزيز . وكان ابن الرشيد قد هجم يومئذ على ابن الهذال وابن الشعلان ، وهما حليفان لابن سعود كما تقدم ، فأخذهما في حجة يمه على حدود العراق ونجد . فقال عبد العزيز يستأنف الحديث : « اذا كنت تصر على تجنيد جيش كبير ، فانا اترك عندك رعاياي من عرب مطير واعدود الى بلادي لان ابن الرشيد ، بعد انتصاره على الهذال والشعلان ، لا بد ان يزحف الى القصيم . واخشى ايضاً ان يقوم « العرائف »

بجركة في الرياض فيتفام الامر علي . ولا اظنك تريد لي ذلك » .
 كان قد أمل الشيخ مبارك ان يغلب السعدون ولو بعون ابن سعود المعنوي ،
 فندم لانه لم يقبل بنصيحته ، فلا يعرض به في مواقف الخطر يوم ضعفه .
 ندم لانه لم يهول به تهويلاً على العدو ويزدخر الرجل لساعة قوته في الحرب .
 ولكنه ، وقد ادرك هذه الحقيقة الان ، رفع الحجاب عن نفسه المتألمة عند
 استماعه كلمات عبد العزيز الاخيرة — « اذا رميتني اليوم يا ولي فليس لدي احد
 ينهض بي ، فيتمكن مني العدو . انا والدك يا عبد العزيز ، ولي عليك حق
 المساعدة ، والبلد بلدك وله عليك حق الدفاع . . . ابقَ عندي ولا تخرج مع
 الجيش — ابقَ عندي فانسلي بوجودك معي » .

اجل ، قد تجلت له الحقيقة التي حججها عنه في اول الامر الوهم والغرور ، وهذه
 الحقيقة هي ان مجرد وجود ابن سعود عنده مفيد . فطلب منه ذلك وكان في
 طلبه بليغاً ووديعاً .

— « ابقَ عندي ثلاثة اشهر فقط » .

قال عظمة السلطان لمؤلف هذا التاريخ : « استحييت منه بعد هذا الكلام

وبقيت » .

وكان مبارك اثناء تلك الثلاثة اشهر مطمئناً فليهاجه السعدون . واكن
 فوائدهم عند قومه مصائب . فقد كان ابن سعود في قاق دائم ، لان ابن الرشيد
 كما تقدمه غلب حليفاه الهذال والشعلان ، والعجمان تأمروا و « العرائف » عليه ،
 و « العرائف » أسندوا عاندين الى الرياض ، ومنهم من كتبوا الى الشريف
 حسين في مكة يستنجدونه على عبد العزيز . اصف الى ذلك ان القبيظ كان يومئذ
 شديداً ، فتفرقت البوادي وراحت تنشد المياه .

ثم حدث حادث بينه وبين بعض عربان مطير اعتدوا على عرب من قحطان
 وسبيع ولاذوا بابن الرشيد ، فاراد عبد العزيز تدبيرهم عندما جاءوا الى اطراف
 الكويت ، فتصدى له الشيخ مبارك ، فكتب اليه يلومه قائلاً : « كان الاجدر
 بك ان تساعدني عليهم وهم من قبائلي العاصية » .

اشتعل الغضب في صدر مبارك — وما كان اسرع اشتعاله — فخرج من الكويت الى معسكر ابنه جابر ، فاجتمع هناك بعبد العزيز ، وكانت اول كلمة منه مرادفة للاهانة والطرده . قال الشيخ « اظنك يا ابن سعود تبغي اهلك » . فأجابه بكلمة واحدة: « نعم » . وخرج من ذاك المجلس كما دخل مبارك اليه مكتئباً متغيظاً .

انها لايام عصبية في تاريخ عبد العزيز ، تعددت فيها الاعداء والاطهار ، وهجرته بواديه ، وكان جزاء معروفه الاهانة وغمط الجميل . وهناك الطامة الكبرى ، هناك العسر المالي الذي تدر مثله في العشر السنوات الماضية من حياته . المال ! قد كان في حاجة شديدة الى المال . وانه ليدهش القارىء مقدار حاجته وهو حاكم نجد وكبير العرب . حاول ان يستدين من اهل الكويت ، فاعتذروا خوفاً من مبارك . ثم ارسل الى نسيبه ووكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل يطلب منه الفين ليرة — الفين فقط — ويقول له ان يقبض القيمة مما تبقى عند الدولة من معاش الامام والده .

الفصل الخامس عشر

الشريف حسين بشعر الورداه

من تهكم الزمان ، وقد والى المتعديّ عليه من الناس ، ان يجيئه في اليوم العصيب بما لا ينفعه من نوافل الحياة ، بل بما يزيد في عسره وحزنه .
كان السلطان عبد الحميد قد منح الامير عبد العزيز ابن سعود لقباً ونيشاناً من اعلى درجات المجد عنده ، فصارت الجرائد في بغداد وفروقت نعتيه بالنعوت الضخمة بعد ان كانت ، في ايام نصره وعزه ، تتحامل عليه .

— غزا الامير الخطير عبد العزيز باشا سعود القبائل « المخلة براحة اهل السبيل فكسب شكر اهل الجميل » . بعد ان غزا الامير الخطير والزعيم الكبير عبد العزيز باشا سعود قبائل مطير وحرب توجه قاصداً الرياض « ليجم نفسه حيناً من الزمن لامر ذي بال »

والحقيقة اولى ان يقال . فقد عاد عبد العزيز من الكويت في اواخر هذا العام راكباً . مطية الافلاس ، يحف به جيش من الغم ، وصاحب بيرقه يدعي اليأس . فتصالح وابن الرشيد — مكره اخوك لا بطل — لكي يتمكن من استخدام ما تبقى لديه من قوة في مقاومة « العرائف » اقاربه .
وقد ارسل اخاه سعداً الذي لم يكن يتجاوز السبع عشرة من سنه الى عتبية يستنجد رجالها لهذه الغاية .

ولكن عتبية ولت وجهها شطر مكة ، فانحازت الى الشريف حسين ، مضيف بعض « العرائف » ومكرمهم ، اكراماً لابن سعود ! — « ليس بيننا وبين ابن سعود ، ايها النجيب ، غير ما يوجبه حسن الجوار وهذا لا يخفى على نباهات كالات نجاتكم » .

لم يكن والحق يقال ، بين الحسين وابن سعود عداً في تلك الايام يجر الى .

الحرب او يقضي حتى بالغزو . ولكن الشريف كان موالياً للاتحاديين ، ساعياً في اكتساب ثقتهم ، طامعاً بالسيادة له ولائجاله . وكانت الحكومة قد فقدت الثقة ببيت الرشيد بعد ان تعددت فيه الجرائم العائلية السياسية ، فادارت بنظرها الى الحسين وهي ترجو ان يستميل في الاقل ابن سعود اليها . ولا ريب ان الشريف وعدها باكثر من ذلك .

خرج الحسين من الحجاز بجيش من البدو والحضر في رجب من هذا العام ١٢٣٠ هـ ونزل الكويبية « ديرة » عتبية . وراح سعد « ينحر » تلك الديرة ١٩١٢ م للغاية التي ذكرت ، فلما وصل الى اطراف الكويبية خرج اليه فصيلة من خيالة عتبية ، فظنهم جاءوا يلاقونه ، ويرحبون . ولكنه ، عندما دنوا منه ، ادرك قصدهم الحقيقي . لم يكن معه غير اربعين رجلاً فركب وعشرة منهم الخيل وقفوا راجعين ، فالحق اهل عتبية بهم ، وهم يؤمنونهم قائلين : « نحن خدامكم ، قفوا ولا تحافوا » . صدقهم سعد ، ولم يصدقهم رجاله . فوقف بالرغم عن تحذيرهم ، فقبض بنو عتبية عليه واخذوه اسيراً الى الشريف حسين .

وكان عبد العزيز قد تأهب لمحاربة « العرائف » بالحريق عندما اتصل به هذا الخبر ، فترك اربعمئة من رجاله بقيادة فهد بن معمر في الخرج ، وكر راجعاً يستنجد اهل نجد ، وينقذ اخاه .

اما الشريف فبعد ان امر سعداً رحل من الكويبية شمالاً فنزل الشعري ، ثم زحف من الشعري شرقاً فنزل ماء قريباً من الوشم . ولكنه عندما علم ان ابن سعود قد وصل بجيشه الى ضرمه تراجع غرباً فنزل على ماء يدعى العرجاء وارسل يستنجد ابن الرشيد . فكتب وكييل الامارة زامل السبهان الى عبد الله بن جلوي امير القصيم يومئذ يقول : « ان بيننا وبين الشريف معاهدة تضطرننا الى مساعدته » . اما عهد الصلح بينهم وبين ابن سعود فان هو الاقصاصة من الورق .

لم يكن الشريف يقصد من هذه الحرب بل هذه المناورات ، غير ازعاج ابن سعود واكراهه في ما يريد . وقد كتب اليه ، وهو يفر ويكر من ماء الى ماء

يؤكد ذلك . — اذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والخيام وعدنا باخيك سعد الى مكة فيبقى عندنا الى ان تطلب الصلح .

اما الصلح فشروطه بيد الشريف حسين . ومن غرائب الانفاق ان خالد بن لؤي امير الخُرمة كان يومئذ الواسطة بين الاتنين . وخالد هذا واهله ، وان كانوا من اشراف الحجاز ، هم منذ القدم على ولاء آل سعود . فقد تمذهبوا بالمذهب الوهابي في ايام سعود الكبير وظلوا متمسكين به محافظين عليه .

جاء خالد الى عبد العزيز يعرض شروط الشريف . ولم تكن غير شروط الدولة التي كانت تطلب ان يعترف بسيادتها ولو اسمياً في نجد او على الاقل في القصيم ، وطلبت فوق ذلك ان يدفع ابن سعود شيئاً من المال ، عربون التبعة ، كل سنة . انه لامر مضحك عجيب . ابن سعود يستدين من نسيبه ووكيله في البصرة ما يسد به حاجاته ، ويحيله على الدولة ! والدولة تسعى بواسطة الشريف ان تدخل ابن سعود في تبعتها فتتقاضاه بدل ان تدفع له المسانحات .

جاء خالد يحمل شروط الصلح . وخالد وان كان بدوياً هو على شيء من الذكاء والدهاء . اسمعه يخاطب عبد العزيز فيقنعه .

— « اسمع يا عبد العزيز انا اذاعك . لا عاية للشريف سيثة . لا والله . ولكنه يبي (يبغى) يبتض وجهه مع الترك . فاكتب له ورقة نفعه عند الترك ولا تضرك . وانا اتكفل برجوع سعد ، واتكفل ان الشريف لا يتدخل في امور نجد — هذا اذا كنت لا تتجاوز الحدود . اما اذا هو اعتدى عليك فانا خالد بن لؤي اعاهدك عهد الله عليه ، فاكون معك والله كما كان آباي مع آبائك وكما كان اجدادك مع اجدادي » ! .

قبل عبد العزيز بتوسط خالد وكتب له « قصاصة ورق » نفع الشريف عند الترك ولا تضرك كاتبها . فقد تعهد فيها ان تدفع بلاد نجد للدولة ستة الاف مجيدي كل سنة —

وما كانت غير قصاصة من ورق .

الفصل السادس عشر

العرائف والهزازنة

يذكر القارمى ، ان اولاد سعود بن فيصل ، الذين احتربوا وعمهم الامام عبدالله ، كانوا مقيمين في الخرج فصار لهم في تلك الناحية اشباع وانصار . ويظهر ان النزعة الى العصيان ظلت تنقد في صدور اولئك السعوديين الذين اسرهم يومئذ ان الرشيد وخلصهم من الاسر ابن عمهم عبد العزيز . والآن ، عندما عادوا من الكويت والاحساء ، نزلوا الى الخرج يريدون الاستيلاء عليه .

ولكن اهل تلك الناحية ، واميرهم اذ ذاك فهد بن المعتمر ، صدوهم عن ذلك ، وطردوهم في اليوم الثاني بعد وصولهم ، فرحلوا الى حيث اتقدت منذ سنتين فتنة الهزازنة — الى جهات الحوطة والحريق .

اما الهزازنة الذين كانوا اسرى في الرياض فكان عبد العزيز قد اطلق سراحمهم ، واذنهم بالرجوع الى بلادهم ، اكراماً لامير قطر قاسم بن ثاني الذي توصل من اجلهم . فعندما جاء «العرائف» بعد ان طردوا من الخرج ، رحب الهزازنة بهم ، وتعاهدوا وايامهم ، فتوحدت القوتان والمقاصد .

وكان قد انضم اليهم اناس اخرون في الحوطة ، فمشوا معهم الى الحريق ، ثم هجموا على القصر هناك ، وفيه سرية لابن سعود ، فحاصروه سبعة ايام واستولوا عليه .

اما ابن سعود فعندما عاد من القصيم ، بعد ان صالح الشريف حسين وخلص اخاه سعداً من الاسر ، جاء توأاً الى ناحية الحريق الذي كان قد استولى عليها العرائف والهزازنة ، ومعهم جمع كبير من البادية .

ان الحريق كائنة في وادي بين حبلين وليس لها غير طريق واحد ، فاسرعه فيه عبد العزيز ليدخل البلدة ايلاً على حين غرة . وعندما وصل في اليوم التالي

الى قصر قريب منها نزل هناك وامر جيشه ، الذي لم يكن يومئذ غير الف ومئتين من الحضرم ، ان يعسكر ويستعد لحصار طويل .

ولكن خيالة العدو في جولة من الجولات اصطدمت بفصيلة من خياله فكانت الشرارة التي اضرمت نار الحرب .

هجم حضر عبد العزيز هجمة واحدة على الحريق ولم يقفوا حتى استولوا عليها وعلى بلدة اخرى اسمها مفيجر ، فشرد آل سعود «العرائف» على خيلهم ، والتجأوا الى اهل الحوطة فردوهم خائبين ، فرسلوا اذ ذاك الى الافلاج .

وكان في السبيح هناك اخوهم فيصل ، وفي ليلا^(١) احمد السديري من قبل ابن سعود ، فاحترب الاثنان قليلاً قبل وصول «العرائف» .

اما عبد العزيز فبعد انتصاره في الحريق زحف جنوباً فنزل نعام ، قرية في الطريق ، واراد الجيش ان يهجم على الحوطة فيكتسحها فابى ذلك قائلاً : «لا اسعى في خراب بلدين من بلادى في يوم واحد . ساقدم لاهل الحوطة الصلح واعطيهم الامان . لعل الله يهديهم سواء السبيل» .

اما الامان فظفروا به شكراً لعالمهم ورؤسائهم الذين خرجوا الى عبد العزيز وقد عقدوا المحارم في رقابهم . واكن اهل الحوطة برابرة قتلة لا يضعون على الرقاب ، ولا يفهمون في العقاب ، غير السيف . ومع ذلك فقد صفح عبد العزيز . مشروطاً ان يدخل بجيشه البلد ، فدخل ظافراً ، ثم زحف الى الافلاج .

وبئذ هو على ما في الطريق جاءه رسول من اميره السديري يقول ان حين وصول العرائف الى السبيح علم اهل البلدة بما جرى في الحريق ففروا هاربين . وقد تركوا فيها امنعتهم واموالهم ، فغنها السديري عند احتلاله تلك الناحية .

ولكن سعود بن عبدالله ، احد «العرائف» وعبد العزيز الهزاني الذي فر هارباً بعد فتنه الهزازنة الاولى ، ومعهم ثلاثون رجلاً ، هجموا على السبيح ، بعد ان هجروا اهلها ، دون ان يعلموا بما جرى في الحريق ، فقبض السديري عليهم كلهم والقاهم في السجن .

(١) ليلا قاعدة الافلاج ، والسبيح بلدة من بلدانها فيها مياه جارئة

وصل عبد العزيز ، فاطلق سراح سعود بن عبد الله ، وخيره في امرين ،
البقاء عنده او الالتحاق باخوانه ، فاختار البقاء (هو سعود العرافة الموجود الان
في الرياض وسعود الى ذكره) ولكن الذين شردوا من العرائف ، الا واحداً
كان قد سار الى الحسا ليستنفض البادية هناك ، رحلوا الى مكة ولاذوا
بالشريف حسين .

اما الهزاني وجماعته المأسورين فقد عفا عبد العزيز عن راشد^(١) منهم وامر
بقتل الاخرين . هي المرة الاولى التي حلت القسوة محل الحلم في حكمه . ولا
غرو ، فقد سبق منه الاحسان ، وتكررت منهم الاساءة .
ووضع الندي في موضع السيف بالعلی مضر^٢ كوضع السيف في موضع الندي

(١) راجع الحاشية في صفحة ١٦٣

الفصل السابع عشر

لا نصر ولا انكار

لم تُنجُ البلاد العربية مما اعترى حكومة الاتحاديين من عوامل الضعف والفساد ، فذهبت هيبة السلطتين المدنية والعسكرية ، وضعت الثقة بأولي الامر من الترك كانوا او من العرب . على ان العصية في بعض القبائل حالت دون التفكك في الامارات والاحكام . فقد راودت حكومة المدينة عريان الحجاز ، وساومت حكومة بعداد عشائر العراق ، وتاركت حكومة الحساء رؤساء البدو المجرمين ، ولكن شمر ظلت الركن الاوطد لابن الرشيد ، ومطير العضد الاكبر لابن الدويش ، والمنتفق القوة الثابتة لابن السعدون ، وظلت الظفير كتلة واحدة بيد ابن سويط .

بيد ان شيوخ هذه القبائل كانوا يوماً احلاقاً بعضهم لبعض ويوماً اعداء . فقد تصالح متلاً وتحارب السعدون وابن سويط مرتين في مدة تصفية ، وكان ابن الرشيد صديق الاثنين اليوم وعدو هذا او ذاك منهما غداً .

اما ابن سعود فخاله في سنتي ١٣٢٩ و ١٣٣٠ (١٩١١ و ١٩١٢ م) حارب المصارع الذي يستوي واقفاً قبل ان تلمس يده الارض . وبكلمة اخرى قد كان ، على ضعفه ، القوة الوحيدة التي لم تستطع الاخصام ان يغير هدفها او ان تلصقها بالحضيض — بل كان ، على ضعفه ، يضرب في فترات النفوس الضربات المدوخة ، وفيها البرهان ان هناك قوة ، وان نهكت ، لا تغاب .

فقد مر وهو عائد من الافلاج بقبائل من الدواسر عاصن فاد بهم ، ثم ساو الى الحساء ، بعد ان استراح بضعة ايام في الرياض ، فضرب العاصين من العجمان هناك واحسن التأديب^(١)

(١) التأديب هو العقاب والرامة ويكون غالباً بدون حرب

وبينا هو في جهات الحساء ، سمع الشيخ مبارك يستغيث . فقد جاءه وفد من الكويت بكتاب من «والده» مشفوع بذلولين ، وجاء في الكتاب : « اني مرسل اليك ذلولي » وقد كنت اركيهما الى الغزو . وانا الان عاجز عن الركوب والمغازي . . . انا والدك يا عبد العزيز ، والدلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي وهما يطلبان منك ان تأخذ بثأر والدك من ابن السعدون . »

فاجاب عبد العزيز ان مشاكلة كثيرة ، وعشائره متقلبة ، فيخشى الحيوانات بعد ان اجتمع له الامر في بلاده . وهو يضطر والحال هذه ان يستخدم كل ما لديه من قوة في معالجة مشاكلة الداخلية ومنها في ذلك الحين مسألة تركي بن سعود العرافة الذي انحدر الى الحساء من الخرج ، كما قلت في الفصل السابق ، يستنهض العجمان . وقد انضم اليه آل سفران فخذ منهم .

لم يهم الشيخ مبارك ذلك ، فرفض عذر عبد العزيز . ولكنه كان يحسن التأوه والاستغاثة ، فكتب تانية الى «اولدي» : « انا اصيح واناديك وانت يا ولدي تصم اذنك . امثل ذلك يعامل الوالد ؟ اتهجرنى يوم شدي فيساعد هجرك العدو علي ؟ اسمعني يا ولدي يا عبد العزيز اسمعني اصيح واناديك الخ . . . »

سمع عبد العزيز فاستنفر عشائره ليلبي النداء ، ومشى بعد ذلك بجيش مؤلف من الف وخمسة من الحضرة وخمسة الاف من البدو ، يصحبه اثنان من ابناء الصباح هما سليمان الحمود وعلي الخليفة . راح ينقم « لوالده » من ابن السعدون وابن سويط .

وكان قد اعلم الشيخ مبارك بمسيره وانه سينزل الحفر . ولكن العدو اثناء ذلك اقسام قسمين ، فاحترب اهل الظفير واهل المنتفق بعد ان كانوا متحالفين . ولذلك اسباباً عربية وتركية . اما العربية فهي مألوفة وتكاد تكون طبيعية ، واما التركية فمنشأها النزاع بين الاتحاديين والائتلافيين . وقد كان هذا النزاع يمتد الى العشائر بواسطة رؤسائها ، فيتذرعون به ليثأر بعضهم من بعض ، ونذر فيهم من ليس له ثأر على الاخر .

علم الشيخ مبارك بما جرى بين عدويه . وبما ان حمود بن سويط كان اميل الى الائتلافيين منه الى خصومهم ، فقد كتب اليه يخبره ان ابن سعود ذاحف عليه ويحذره منه . انه لا انقلاب سريع ، مدهش ، منكر . علم به عبد العزيز آسفاً متجملاً ، وعلم كذلك ان القصد منه ان يسترضي مبارك ابن سويط ويستعين به على الاتحادى سعدون .

ولكن الخبر اشعل الحمية في رجال ابن سعود ، فتادوا بالهجوم على صاحب الكويت : « هو عدو لنا يا عبد العزيز . بل هو عدو الله . كيف يطلب منك الهجوم على ابن سويط ثم يخبره بذلك ليكون على حذر . رخص لنا فتجريه الدماء كالانهر في اسواق الكويت ! »

سكت عبد العزيز روعهم قائلاً : « قد قمنا نحن بما علينا . اما هو فقباحة عمله عليه » .

ولكن ابن سويط لم يشأ ان يعاديه ابن سعود فارسل اليه يطلب العفو ، قعفا عنه . ثم توجه الى ناحية الزبير فورد كابدة ووجد هناك اغناماً كثيرة لابن السعدون فعنمها كلها . واستمر سائراً الى سفوان^(١) فلاقاه في الطريق رسول من والى البصرة ومعه وفد من اهل الزبير ، فاکرموه وقدموا له الهدايا الثمينة من الحكومة ومن الاهالي . وبكلمة اخرى جاءوا خائفين مستعطفين ، فامر ابن سعود جيوشه بان لا يتعدوا على احد وان لا يؤذوا احداً في اطراف الزبير والبصرة . ثم جاءه الى سفوان عبد العزيز الحسن من قبل الشيخ مبارك بمهمة جديدة . قد كان لمبارك عدد من «الشواوي» اي رعاة الغنم في تلك الانحاء لا يأخذ منهم ذبيحة^(٢) وهم يوماً من رعايا العراق ، ويوماً من رعاياه ، فكتب الى عبد العزيز يقول : « اريد منك ان تهجم على هؤلاء الشواوي وتأخذهم او تأخذ خيولهم وسلاحهم » . لم يخف على عبد العزيز القصد من ذلك . فقد اراد مبارك ان

(١) كابنة وسفوان ما ان في الطريق الى البصرة على حدود الكويت ونجد .

(٢) ويقال الذبيحة والميعة ، فالميعة من ماحه عند الامير اي شقم له . والذبيحة اي عدد

من الانعام يقدمها البدو للامير في سبيل الشفاعة .

يسترضيه ، و اراد من جهة اخرى ان يحرك عليه حكومة العراق . ولكن
 عبد العزيز لم يمكنه من تحقيق قصده بل قصده .
 قفل من سفوان راجعاً الى الكويت ، فرفض قومه ان يرجعوا معه : — « لا
 ندخلها والله غير محاربين » . ابى عبد العزيز ذلك عليهم ، فمشوا معه طائعين حتى
 وصلوا الى الجهري ، فنزلوا فيها ، وقد جاء الشيخ مبارك يسلم على « ولده » فاعتذر عما
 بدا منه دون اسهاب في التصريح ، وقبل عبد العزيز العذر دون معاتبة .
 ثم سار يقصد الى الحساء ، وكان قد كثر فيها وفي جوارها الاشقياء ، فبلغه
 وهو في الطريق ان العجمان العاصين هجموا على عرب من عربان فيصل الدويش
 واخذوا عدداً كبيراً من الابل ملك رجل من الموصل اسمه « ذو النون » كان في
 خيافة ابن سعود ، فسارع عبد العزيز الى مقاتلة المعتدين .
 ولكنه اخبر انهم على ماء قريب منه ، فراح يطلبهم هناك ، فادركهم واخذهم
 جميعاً . ثم علم انهم غير المذنبين ، وانهم ابرياء ، فاعاد اليهم كل ما أخذ منهم
 وأخلى سبيلهم .
 اما المذنبون ورئيسهم تركي العرافة ، فكانوا قد النحأوا الى حكومة الترك
 في الحساء ، فاخبروها ان « ذا النون » من رعاياها من الموصل ، فارسلت الحكومة
 تمنحج على ابن سعود ، وتمحذره من التعرض لقبيلة العجمان . فاجاب ان في تأديبه
 هذه العشيرة خيراً للناس وللحكومة .
 ولكنه لم يتأ يوماً ان يغضب الترك في الحساء فتركهم وشأنهم .

الفصل الثامن عشر الأتراك والوحدة العربية

خبطت حكومة الاتحاديين في دياجي الاثرة خبط عشواء ، وتلطخت ايديهم بدمائها بدم الايرباء ، فتفرت منها كل العناصر الغير التركية ، بل هاجت عليها حجة عاقلة من الاتراك انفسهم ، ولكنها لم تظفر بشيء يذكر . ولا ظفرت الحكومة بامنية من امانيتها القومية او الوطنية . فقد حاولت تترك العرب فباق بها الفشل ، وحاولت استرضاءهم بعد ذلك فكانت كالناخ في الرماد .

قد افضت تلك السياسة الى الحرب الاولى بعد الدستور ، بل الى الحسارة الاولى من الممالك العثمانية . انتصرت ايطاليا ، وذهبت طرابلس ١٩١٢م الغرب . ولكن الذي يهمننا في هذا الصدد هو ان اميراً من امراء العرب اى السيد الادريسي كان حليف الاجانب على الاتراك ، وظل الامراء الكبار الاخرون ، ما عدا الشريف حسين ، على الحياد في تلك الحرب .

حتى ان الامام يحيى عدو الادريسي ظل ساكناً ، فلم يغتنم الفرصة للفتك بالادارسة واتباعهم . وحل ما كان من « اخلاصه » للدولة انه ادن لعساكرها ان تيجاز بلاده لتسقط على الادريسي من الجبال فتجتز ساقه جيشه . ثم طلبت حكومة الاتحاديين المساعدة من ابن سعود ، وتعهدت ان تقدم له كل ما يحتاج اليه من السلاح والذخيرة والمال ، فما لبى الطلب . وقد كتب الى الحكومة كتاباً يقول انه عربي فلا يحارب من اجل الدولة العرب ، وانه والادريسي على ولاء ، وان البلاد في كل حال بعيدة عنه فلا يتمكن من محاربة اهلها .

عادت الحكومة فطلبت منه ان يخلص الاحساء بعسكر عربي لحماية تلك الناحية و بالحري لحماية الترك فيها ، فرفض ذلك ايضاً .

ثم كتب اليه والي البصرة سليمان شفيق كالي باشا ، الذي كان حاكماً عسكرياً في عسير (١٩٠٨-١٩١٢) يسأله رأيه في امراء العرب ، وفي شقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية . فكتب ابن سعود اليه جواباً صريحاً فيه البرهان على انه كان منذ ذاك الحين يفكر في الوحدة العربية . والى القارى . خلاصة هذا الجواب . قال ابن سعود يخاطب والي البصرة :

« انكم لم تحسنوا الى العرب ، ولا عاملتموهم في الاقل بالعدل . وانا اعلم ان استشارتكم اياي انما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي . وهاكم رأبي ، ولكم ان تأولوه كما تشاءون .

انكم المسؤولون عما في العرب من شقاق ، فقد اكنثيتم بان تحكوا وما تمكنتم حتى من ذلك . قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته ، وقد فاتكم ان صاحب السيادة لا يستقيم امره الا بالعدل والاحسان ، وقد فاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون اذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم . اردتم ان تحكوا العرب فتقضون اربكم منهم فلم تتوفقوا الى شي من هذا او ذاك . لم تنفعوهم ولا نفعتم انفسكم .

وفي كل حال انتم اليوم في حاجة الى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في اموركم الجوهرية . اما ما يختص منها بالعرب فاليكم رأبي فيه : اني ارى ان تدعوا رؤساء العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، الى مؤتمر يُعقد في بلد لا سيادة ولا نفوذ فيه للحكومة العثمانية لتكون لهم حربة المذاكرة . والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف . ثم تقرير احد امرين ، اما ان تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد ، واما ان تقسموها الى ولايات ، فتحددون حدودها وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفواً من كل الوجوه ، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات .

و ينبغي ان تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً ادارياً وتكونوا

انتم المشارفين عليها . فاذا تم ذلك فعلى كل امير عربي ، او رئيس ولاية ، ان يتعهد بان يعضد زملاءه ويكون واياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده ، او اخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم .
 هذي هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ، ويكون فيها الضربة القاضية على اعدائكم » .

قد استحسن والي البصرة هذا الرأي فارسل به الى الاستانة . ولكن اولي الامر هناك لم يستحسنوه ، بل سفهوه قائلين : « يريد ابن سعود ان يجمع كلمة العرب بواسطتنا ولخير نفسه » .

وكانت سياستهم مبنية على ظنهم ، فشرعوا يقاومون فكرة الوحدة سراً وعلناً ، بمساعدة عمالهم مباشرة وبواسطة بعض امراء العرب . وقد كان يومئذ جمال باشا في بغداد ، والشريف حسين في مكة ، وابن الرشيد في حائل في مقدمة من يسمعون كلمة الاستانة ويطيعون .

طلق الشريف حسين يجرىض على ابن سعود القبائل ومنهم عتيبة . ثم جهز جيشاً لراشد المزاني ، ^(١) الذي كان قد لجأ « العرائف » اليه ، وسيره على الحريق . وقد امد « العرائف » كذلك في محاربة نسيبهم صاحب نجد . فارسل عبد العزيز صالح باشا العذل الى الشريف ومعه هدية من الخيل وكتاب جاء فيه : انا نستغرب منكم هذا العذل وبيننا وبينكم معاهدة .

وكان جيش ابن سعود قد اغار على نجد من عتيبة المتشيعة للعرائف ، فغضب لذلك الشريف ورد صالح العذل حائباً ، ورد فوق ذلك الهدية . فخرج العرائف على ابن سعود . وقد ختمت هذه السنة بخيانة مطير ورئيسها فيصل الدويش الذي استغواه عجمي السعدون واستنهضه وعربانه على محاربة الظفير . اما اليد الخفية في هذه الخيانة فيد الترك ، واما الصوت فصوت المتتركين يومئذ من العرب .

الفصل التاسع عشر

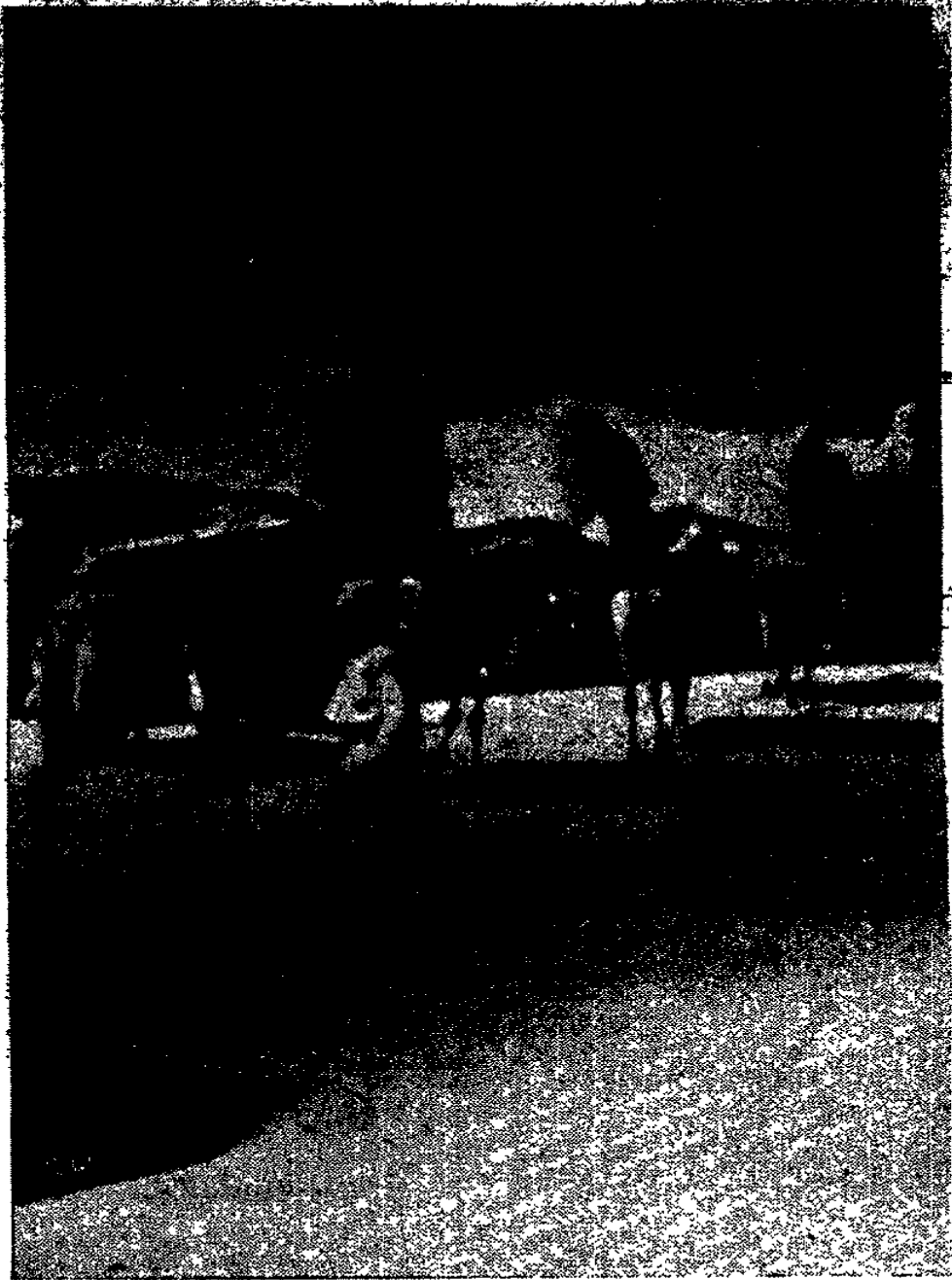
فتح الحساء

ان خلاصة ما تقدم في ما يخص بالترك هي انهم كانوا في عهد الدستور يتأوتون العرب ، وبالاخص من حاول ان يجمع كلمتهم ويوحد سياستهم ، اسيه ابن سعود . فقد حرضوا عليه الشريف حسين ، وابن الرشيد ، وابن السعدون ، واستغفوا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير ، ناهيك بالعجمان في الحساء ويحرب في اطراف الحجاز .

اجل قد بلغت العداوات في بداية هذا العام . اشدها ، فسارع ١٢٣١ هـ عبد العزيز الى تحقيق ما كان يبغيه . خرج في شهر ربيع الاول من الرياض ورحلته الحساء ، فنزل على ماء الخفس حتى آخر الشهر ، واغار اثناء ذلك على عربان من بني مرة مذنبين فأخذ مواشيهم . على ان الغرض من هذه الاغارة لم يكن محصوراً بظاهره .

تقدم بعد ذلك الى الحساء ، فارسل الاتراك يستطلعون خبره وقصده ، فقال : « انما قصدي الامتياز » (شراء الامتعة والزراد) والحقيقة هي انه ابتاع ما كان في حاجة اليه للجنود ، وعاد الى الرياض تاركاً عسكره في الخفس . وفي ذلك الحين وصل الى عاصمة نجد ، قادماً من الشام بطريق الجوف ، رجل انكليزي اسمه ليتشمن^(١) فسأله ابن سعود : « وما القصد من سياحتك ؟ » فاجاب قائلاً : « اني جغرافي واريد ان تساعدني لاجتياز الربع الخالي من واحة جابرين الى عمان » .

(١) هو Col. Gerard Leachman الذي عين بعدئذ مستشاراً في حكومة العراق وقد قتل هناك بين فالوجه وبعداد في ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٠ ، قتله عمداً وانتقاماً خميس بن ضاري العمود من قبيلة زويم .



الثقاديف لنقل الحجاج الى مكة والمدينة . وقد اخذت تحمل معها السيارات

عبد العزيز: « ان قدومك الينا على هذا الوجه خطأ ، فلا علم لنا به ولا معك
توصية من الحكومة البريطانية » .

ليتشمن : « اني رجل انكليزي طالب علم ، وانتم مشهورون باكرامكم
الانكليز خصوصاً العلماء منهم » .

لم يتأكد عبد العزيز حقيقة ما ادعاه الرجل ، بل ظن انه يتجسس للترك .
وبما انه كان قد اعتزم الهجوم على الحساء ، وكان قد خامر الترك بعض الريب في
امره ، رأى ان يستخدم هذا الجغرافي لازالة ذلك الريب ، فيطمئن من الخصم
البال ، ويسير هو مطمئناً الى غرضه .

لذلك قال : « لا يستطيع ان يجيب طلبك غير الترك في الحساء ، فارى ان
تذهب الى المتصرف هناك . وانا اكتب اليه بخصوصك » .

ومما قاله في كتابه : « ان هذا الرجل مجهول لدينا ، وهو واصل اليكم فلكم
في ما ينبغي الرأي الموفق ان شاء الله » .

رحل ليتشمن ، وبعد قليل شد ابن سعود راجعاً الى معسكره في الخفس .
فكان اول ما باشره ان سعى في ابعاد العجمان لانهم ذوو مطامع سياسية في الحساء
وقد لا يوافقون على احتلالها . وبما انهم وعرب مطير « قوم » اعداء سيرهم الى
الشمال لمحاربتهم لانهم انضموا الى عجمي السعدون .

ثم زحف الى الحساء فالتقى في الطريق بنجباء من حكومتها يحمل كتاباً
اليه من المتصرف وفيه الرجاء ان يعلمه من اية الجهات جاء الانكليزي الى
الرياض . فقا : « غداً ان شاء الله انا بنفسي اعلم
المتصرف » .

ذكرت اهم الاسباب التي حملت ابن سعود على فتح الحساء . وهناك
سبب آخر لا يقل اهمية عما تقدم منها ، فقد عجل في الاقل بنتيجتها . كان جمال
باشا — جمال المشانق السورية بعينه — يومئذ والياً في بغداد ، وكان يجامل
ابن سعود ويتظاهر بصداقته ، فوعده بالسعي في حسم الخلاف بينه وبين الشريف
حسين ، وسأله ان يرسل مندوباً الى بغداد للمذاكرة في هذا الامر .

ارسل ابن سعود رجلاً من رجاله العصريين هو احمد بن ثنيان^(١) . ولكن جو السياسة العربية تغير اثناء ذلك ، فسطع فيه نور ابن الرشيد ، وكان النور شبيهاً بوهج الاصفى الرنان . جذب الجمال الى ابن الرشيد ، وعند ما وصل ابن ثنيان الى بغداد وجده غير جميل ، وسمع كلاماً لا جمال فيه ولا حكمة .

« ابن سعود لا يعرف مقامه ، وقد غره ان صفع عنه المشير فيضي باشا . فاذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة ، فان في امكاني ان اخترق بلاد نجد من الشمال الى الجنوب بطابورين — بطابورين لا غير » .

عاد احمد يحمل هذا الكلام الى عبد العزيز ، فكتب عندما استمعه كتاباً الى جمال ارسله بواسطة وكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل ، وفيه هذه الكلمة :

« قلت انكم تستطيعون بطابورين ان تخترقوا بلاد نجد من الشمال الى الجنوب . ونحن نقول ان سنقصر لكم الطريق ، وذلك قريب ان شاء الله » .

ثم كتب الى عبد اللطيف المنديل : — « اذا سالك الترك هل انت مندوب ابن سعود فقل لهم : اني عثماني » . وقد اشار بذلك خشية ان يلحق به ضرر بعد الهجوم على الحساء .

ولكن عبد اللطيف باشا لم يعمل باشارة موكله ، فلم ينكر انه نجدى او وكيل ابن سعود . وقد قال للاتراك : « قد جهلتم قدر هذا الرجل ، وها هو الان يعرفكم بنفسه » .

وصل ابن سعود الى اطراف الحساء ، ولم يكن له فيها معاونون غير وكلائه ابناء القصيبي ويوسف بن سويم . فسألهم ان يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت^(٢) ففعلوا ، واعلموه بما هناك من الصعوبات ، لعلو السور ، ووجود الحرس فارسل اليهم يقول : « اننا هاجمون في هذه الليلة ، وكل صعب مسهل بحول الله » كان عبد العزيز قد نزل على عين من عيون الاحساء تبعد ميلاً واحداً من

(١) توفي في الرياض سنة ١٩٢٣

(٢) الكوت جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية .

المهفوف . وفي الساعة الثالثة ليلاً (١٠ افرنجية) في ٥ جمادى الاولى من هذه العام (١٣ نيسان ١٩١٣) خرج من المعسكر بستمئة من رجاله وخطب فيهم قائلاً : « اننا هاجمون على الترك في الكوت ، واننا منتصرون باذن الله . امشوا كانكم بكم الى غرضكم ، ولا تضجوا . اذا كلمكم احد فلا تجيبوه . حتى وان ضربتم بالبنادق ونحن في الطريق ، فلا تضربون . اما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم . ولكن البيوت لا تدخلوها ، والنساء لا تدنوا منهن » . قال ذلك ومشى امامهم . ساروا على الاقدام ، وهم يحملون جزوع النخل والحبال ، فلما وصلوا الى السور قسمهم ثلاث فرق فقال للفرقة الاولى : « انتم تسرون الى الباب الجنوبي فتقبضون على الحرس وتستولون على الباب وما يليه » . وللفرقة الثانية : « وانتم تسرون الى السرايا دل المتصرف فيها فتأمرونه » . وللفرقة الثالثة : « وانتم تنفرون في ابراج السور . هذي هي اوامري فاعملوا بها ، ولا تتعدوها » .

باشرا ناس حزم الجزوع بالحبال ، فصنعوا منها سلماً تسلقه عشرة من ذوي الشجاعة والاقدام . ثم رموا بالحبال الى العساكر فصعدوا ساكتين ونزلوا الى الكوت متسللين ، والحرس يسألون : من انتم ؟ فلا يجيبهم احد . وكانت كل فرقة عند اكنة لها داخل السور تسير الى الجهة المعينة ذاك . ولكن هذا العمل لم يتم دون ان يحدث ضجة في الحصون وفي المدينة . افاقت العساكر والاهالي من النوم ، فاستولى عليهم الخوف والذعر ، وهم لا يدرون من الهاجمون . علت الاصوات ، وأطلقت البنادق ، فامر اذ ذاك عبد العزيز احد رجاله ان يصعد الى السور ويعدو عليه منادياً : « الملك لله ثم لابن سعود ، من اراد العافية يلزم مكانه » .

نادى المنادي بذلك فاستبشر الناس ، وكانوا يهتفون كبارهم وصغارهم : اهلاً وسهلاً ! سمعاً وطاعة ! بل جاءوا بالمياه الى العساكر كنههم اخوانهم وقد عادوا من سفر .

اما عبد العزيز فكان لا يزال خارج السور ، فاراد ان يتسلقه ، فابى عليه

ذلك من تبقى معه من الجنود ، فهدموا جانباً منه ، فدخل ودخلوا معه . وكان للحرس قد لجأوا الى القلعة ، واهل الكوت ، بعد ان سمعوا صوت المنادي ، قد خرجوا من بيوتهم ، فجاءوا يرحبون بابن سعود ويعاهدونه على الطاعة والولاء . ثم جاء عندما اصبح الصباح من تبقى من الاهالي — جاءوا يبايعون مثل من تقدمهم — فاکرم محسنهم وعفا عن مسيئتهم .

كل ذلك والاتراك تلك الليلة في حصونهم قابعون . وقد كان لهم اربعة في الهفوف وخارجها ، اثنان داخل الكوت ، وحصن الى الجنوب ، وآخر الى الشمال في المبرز . فعندما ابلج الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع من تلك الحصون طلقات افصحت عن الذعر الذي كان مستولياً عليهم . فلا اضروا باحد ، ولا ووتعوا احداً .

وعند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود باسير من الترك وهو ضابط طاعن في السن ، فارسله عبد العزيز رسولاً الى المنصرف والى قائد الحامية . — « قل لهم يسلموا اذا كانوا يبغون العافية ، ونحن نؤمنهم ونرحلهم الى بلادهم . اما اذا ابوا فليستعدوا للقتال سنهاجمهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد الليلة البارحة » .

قبل المنصرف والقائد الامان ، ثم سلمت الحامية التي كانت عددها الف ومئتي جندي ، فاذن عبد العزيز حتى بسلاحهم قائلاً : « لا تنزع من الجندي العثماني سلاحه » . اما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون .

ثم جهزهم بالركائب ، ورحلهم وعائلاتهم . الف ومئتا جندي بعيالهم وامتععتهم ساروا من الهفوف الى العقير وليس معهم من يخفرهم ويؤمّن طريقهم غير رجل واحد من رجال — ان سعود هو احمد بن ننيان مندوبه السابق الى جمال باشا . وعندما وصلوا الى العقير جهزهم احمد بسفن نقلهم الى البحرين .

بعد احتلال الهفوف ارسل عبد العزيز سرية الى القطيف بقيادة عبدالرحمن بن سويد ، فلما وصل الى تلك الناحية بادر اهلهما الى التسليم . ولم يكن للترك في القطيف غير شرذمة من الجنود ، ففروا في السفن هاربين .

اما العساكر الذين كانوا في الحساء فعند وصولهم الى البحرين وجدوا من يزين لهم الرجوع الى العقير، ويشجعهم عليه، عالم يسترجعون القصر^(١) هناك . وقد ظفر فريق منهم بركب لآل بسام كان يحتمل تمراً فركبوا فيه وعادوا الى العقير، فجهدوا ليلاً على القصر، فردتهم الحامية خائبين . ثم هجموا على مركزين آخرين، كان في الواحد منهما ثلاثون رجلاً فهزمتهم الاتراك واحتلوا مركزهم . بلغ الخبر عبد العزيز وهو في الهفوف، فشد الرحال وسارع الى العقير، فوصلها في الساعة الثانية من الليل . ولكنه كان قد سير كوكبة من الخيل، فوجدت عند وصولها ان السرية التي كانت في القصر قد هجمت على الترك في المركز الذي احتلوه فهزمتهم وأسرت منهم ثلاثين .

اخلى عبد العزيز سبيل هؤلاء في اليوم التالي ولركبهم البحر .

ثم كتب الى الشيخ عيسى آل خليفة امير البحرين والى الوكيل السياسي لبريطانية العظمى هناك يلومهم على ما بدا منهم فقال : « ايليق بكم تحريض العدو علينا ونحن اصدقاءكم . فاذا كنتم لا تلافون مثل هذه الاعمال وتمنعونها فالتبعة في ما قد يعقبها هي عليكم » .

جاءه الجواب دون ابطاء، وفيه ان العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة، وقد رجعوا الى العقير دون علم من الحكومة او الوكالة . اما الحقيقة فهي ان آل خليفة والوكيل الانكليزي خشوا ان يتقدم ابن سعود الى داخل الخليج في فتوحاته، فاقدموا على عمل كان التسرع فيه أظهر من العدا .

(١) القصر مقر الامير هو غالباً الحصن، او الحصن هو غالباً في القصر .

الفصل العشرون

المفاوضون بسافوره والشيخ مبارك بنعمر

ان على الخليج الى الشرق والجنوب من البحرين رأساً من الارض محاذياً
لشاطيء العقير هو قطر ، كان صاحبه الشيخ قاسم بن ثاني ، شيخ الامراء يومئذ
سنًا وحاهًا ، قد احترب والترك مراراً وحاول عبثاً ان يخرجهم من الحساء .
فعندما فاز ابن سعود بذلك عراه ولا غرو هزات شتى ، منها الخوف على امارته ،
وقد اصحح الفاتح جاره الادمي ، فكتب اليه في شوال (ايلول) من هذا العام
كتاباً شديد اللهجة يحذره ويهدده . وما كان منه غير ذا التهديد . فقد حاصره
بعد اسبوع عدو الحياة الدنيا الحصار الاخير ، فسلم الشيخ قاسم
صاغراً ، وكان من الظافرين بالرحمة الابدية . اما خلفه فقد كان
حكياً فوالى ابن سعود .

وكان عبد العزيز قد توجه الى القطيف ينظم شؤونه . فأمر هناك عبد
الرحمن بن سويلم وامر في الحساء عبد الله بن جلوي ، رجلين من كبار رجاله ،
وهما حتى اليوم يحكمان في تينك الناحيتين .

ثم عاد في خريف هذا العام الى الرياض وقدم من البصرة عبد اللطيف باشا
المنديل مندوباً من الحكومة العثمانية للتوسط بالصلح بينها وبين فاتح الحساء ،
فقبل عبد العزيز التوسط ، واجل النظر في المسئلة الى الربيع .

وكان الانكلز قد بدأوا بمفاوضته ايضاً ، وبطلبون منه ان يأذن بالاجتماع ،
فرجع الى الحساء في ذي الحجة ، واجتمع في العقير بالوكيل السياسي للبحرين
ومعه رجل آخر اسمه شيكسبير ، سنعود الى ذكره .

اما اجتماع العقير هذا فلم يسفر عن شيء للتاريخ ، الا انه مهد السبيل الى
مقاومة النفوذ الالماني في تركيا بعد ان تلاشى فيها النفوذ الانكليزي ، ذلك

النفوذ الذي كان في المقام الاول منذ حرب القرم . خشت انكلتبره على طريق الهند ، فعندما علا نجم ابن سعود ، وظهرت شوكته ، طفقت تخطب وده وتسمى في عقد اتفاق واياه ليكون لها عضداً على الخليج ، فيقف سداً منيعاً دون ذلك النفوذ الالماني الذي كان قد خيم في العراق .

عاد عبد العزيز الى الرياض فبلغه خبر دسيسته في القطيف فارسل مرية اليها ، ثم سار بنفسه الى تلك الناحية ، فنزل في الجبيل . وقد ١٣٣٢ هـ
١٩١٣ و ١٤٤٠ م جاءه وهو هناك كتاب من الشيخ مبارك الصباح يخبره ان احد كبار الترك قدم الكويت ، ومعه هدية من انور باشا لابن سعود واجازة للتوسط في الصلح .

ثم جاء عبد اللطيف المنديل ليخبر عبد العزيز ان قد تألف للمفاوضات وفد يرأسه السيد طالب النقيب وفيه ياور من ياورية السلطان . تعدد الحاطبون فاضطرب « الوالد » مبارك ، فكتب الى « ولده » يطلب ان يكون الاجتماع في ظله بالكويت ليكلأه بنظره ، ويمده بارشاده — « من حتي عليك يا ولدي ألا تقبل وساطة هؤلاء الا في بلدك الكويت » .

ولكن « الولد » كان قد شبع من كلامة « الوالد » وارشاده . ومع ذلك فقد اجاب بعض طلبه فسار الى جهة الكويت ونزل الصبيحية ، على مسير يوم من العاصمة . كتب « الوالد » ثانية يلح بالتقدم اليه ، فاجابه عبد العزيز : « اني الآن قريب من الكويت فليتقدموا الي » .

وبينا هو في الصبيحية كتب اليه الوكيل السياسي لبريطانية العظمى في الكويت يستأذن بالمقابلة ، فضرب له موعداً في مآح ، واجتمع به هناك . جاء الوكيل في السيارة وجاء سائقها بكتاب من مبارك يقول : « كن صلباً معه يا ولدي (اي مع الوكيل) فلا تمكنه من شيء ولا تعطه الجواب الشافي » .

ثم ير « الولد » بأساً في مجاملة « والده » هذه المرة لانه لم يكن قد قرر خطته السياسية تجاه الترك والانكيز ، فقال الوكيل : « لا يمكن ان تقرر شيئاً اليوم . ولكن والدي مبارك الصباح ينوب عني » .

عاد الوكيل غضباً الى الكويت ، وركب ابن سعود ضاحكاً فعاد الى معسكره في الصباحية .

وفي اليوم التالي وصل وفد السيد طالب ، ووصل نجاب يحمل كتاباً من «الوالد» — من مبارك الخائق الحاقد ، اللاتم الشاتم . وقد كان ناقماً على الوفد لانه لم يُنتخب لرئاسته ، فكتب الى عبد العزيز يحذره من « هؤلاء الكذابين المكارين الخداعين . كن صلباً معهم يا ولدي ، ولا تمكنهم من شيء ، ولا تصدق ما يقولون . انهم كذابون خداعون » .

كان الشيخ جابر بن مبارك يومئذ عند ابن سعود فاطلعه على كتاب ابيه وقال : « تراه يحذرنى من الانكايذ ، ويحذرنى من الاتراك . وهل في امكاني ان احارب الاثنيين ؟ » فاجاب جابر : « انظر الى ما فيه مصلحتك واترك الناس » . عقدت جلسة المؤتمر الاولى وكان الشيخ جابر وآخرون من رجال مبارك حاضرين ، فرمى عبد العزيز قبلة من قنابله السياسية ، زعزعت المؤتمر وكادت تبدد شمله . قال يخاطب رجال الوفد : « الاتراك كذابون خداعون ، وانا لا اركن اليهم في المفاوضات . فاذا كنتم تبغون مصلحتي فدونكم والدي مبارك . هو الوسطة بيني وبينكم ، ولست قابلاً بغير ذلك » .

عقدت هذه الجلسة في الصباح ، فتبعتها جلسة اخرى في ذاك اليوم بعد العشاء . ولكن الفترة بين الجلستين كافية لتثير بركاناً من الغضب خصوصاً في رئيس الوفد السيد طالب ، ومزاجه مزيج من اليارود والكبريت . اظنه نام القيلولة ذاك اليوم ثم صلى المغرب استعاذة وصبراً . ثم ضحك ضحكة طالماً أضحكه بعدئذ ذكرها .

كانت جلسة المساء خصوصية فلم يحضرها غير رجال الوفد . وقد اطلعهم عبد العزيز قبل افتتاح الجلسة على كتاب الشيخ مبارك ، فكانت الضحكة وكان العجب . ثم بانثروا المفاوضات الولاية . طلب الوفد ان يكون للدولة معتمدون في القطيف وفي الحساء فأبى ابن سعود وطلب ان تكون العلاقات ولائية فقط ، وان تساعد الدولة لقاء هذا الولاة بالاسلحة والذخيرة والمال . بعد اللتيا

المفاوضون يتسابقون والشيخ مبارك يتمتر ١٩٣

والتي قبل الوفد بذلك وقرروا ان يظل هذا الاتفاق سراً الى ان يقره
الباب العالي .

عاد رجال الوفد الى الكويت فاحسن الشيخ مبارك استقبالهم . وعندما سألهم
عما جرى اخبروه بما قاله ابن سعود في الجلسة الاولى ، فقال : « نصحتكم فما
انتصحتم . قلت لكم ان الرجل سفيه عيار^(١) ولا يملك قياده احد غيري » .
وبعد يومين ادب عبد الوهاب آل قرطاس في البصرة مأدبة للوفد حضرها
الوالي شفيق كالي باشا ، والشيخ خزعل ، والشيخ مبارك . وكان الحديث في
الوفد وابن سعود .

قال الشيخ مبارك يخاطب الوالي : « ألم اقل لكم انكم لا تلمحون الا اذا
انتدبتموني انا للتوسط بينكم وبين ابن سعود ؟ وما طلبت ذلك منكم والله الا
لامرين . اولاً لكي اقوم بخدمة للحكومة العثمانية . وثانياً لكي استر على ابن سعود
لأن السفه لا يعقل ما يقول » .

فاجاب الوالي : « رأيتك هو الصواب ، ولكن الامر انفرط » .

ثم قال مخاطباً رئيس الوفد : « وما قواك انت يا طالب ؟ »

السيد طالب : « اقول ما قاله الشيخ مبارك . فلو كان حضرته معنا لما فشلنا » .

وحان بعد اسبوع حين الضحكة الاخرى التي ذبحت الشيخ ، اذ جاء من

الباب العالي الى والي البصرة برقية فيها التصديق على ما تقر في مؤتمر الصبيحية^(٢)
مقروناً بالشكر لابن سعود ، وبالنيشان العثماني الاول .

حمل السيد طالب تلك البرقية وسارع الى الشيخ مبارك الذي كان يومئذ

في الفيلية ، فقال بعد السلام : « ابشر يا شيخ ابشر . قد انفق ولدك مع
الحكومة » .

مبارك مدهوشاً : « ومتى كان هذا » .

(١) السفه الجاهل . والعيار من يركب هواه ولا يزر نفسه واللفظتان شائتان في
البلاد العربية بمعناهما الفصيح .

(٢) قد حالت الحرب العظمى دون تنفيذ هذا الاتفاق .

- طالب متهانفاً : « الامر قضي بليلة » .
- مبارك متغيظاً : « كلها من مساعيك يا خبيث » .
- طالب في لهجته السابقة : « تعلم الولد الخبائثة من ابيه » .
- مبارك وقد اشتعلت النعمة في عينيه : « سلط الله عليك يا خبيث ! اليك عني » .
- ضحك السيد طالب وهو يعيد قراءة البرقية .
- وبعد ذلك ارسل مبارك رسوله عبد العزيز آل حسن الى ابن سعود يهنئه ويطومه لانه لم يخبره بالانفاق ، فكتب عبد العزيز اليه يقول :
- « اني ابنك وقد اهنت نفسي في القدوم من الجليل الى الكويت . وما ذلك الا حباً بك وعملاً بارادتك . ولكن كيف استطيع ان ارضي والدي وهو يأمرني بأن لا اتفق والانكليز ، وان لا اتفق والترك . فاذا بين لي حضرة والدي الطريق الثالث اسلكه راضياً شاكراً ، ولكني اسأل والدي الآن كيف استحسن ذاك الكلام في ولده على مائدة ابن قرطاس » .
- فكتب مبارك معترداً على عادته فقال : « لا تصدق يا وليدي اكاذيب اللعين طالب ، واكد يا وليدي اني اريد ان اتظاهر امام الاتراك بالبعد عنك والجفاء لادرك لك الغاية التي تنشدها » .
- فاجابه عبد العزيز : « والحمد لله ان الامور كانت على ما يرام ، فليهنأ الوالد بعز ولده والسلام » .

الفصل الحادي والعشرون

هدمة اليهود ومفرقة الوفود

هي الحرب العظمى ! ومع ان الذي هدمته في البلاد العربية لم يكن غير
اليسير في بادية الاطلال فلا بد ، ونحن نكتب تاريخاً عربياً ، من ان نقف عنده
وقوف الاثري فنكشف النقاب من اجل التاريخ عن شيء من ادفانه .
جاءت الوفود وراحت الى الحساء والكويث ، فتفاوض المتفاوضون ، وثنافس
المخاطبون ود ابن سعود . على انه لم يتجسم من النتائج ما يستحق الاسم
والتسجيل غير ذلك الاتفاق الذي تم في الصبيحية واقره الباب العالي .
والغريب العجيب من امر ذلك الباب العالي هو ان يمينه — اذا اذن
البيانيون بالاستعارة — لم تعلم بما كانت تعمل يسراه . او ان رجاله في
العراق كانوا في واد ، ورجاله في الحجاز في آخر ، بل كان الفريقان في عزلتين ،
عزلة تبعد زملاء بعضهم عن بعض ، وعزلة تبعدهم كلهم عن النور الاعلى ، نور
ذلك الباب المشهور . فتعددت الوفود ، في باب ابن سعود ، وعقدت عهود
ناسخة لعهود . ولكن الحرب العظمى ، لحسن حظ الدولة العليسا ، هدمت الناسخ
والمسوخ ، ومحت بطلقة نار ، كلام الليل وكلام النهار .
وها كم الحوادث شهوداً . قبل ان يجتمع وفد السيد طالب النقيب بابن سعود
في الصبيحية اجتمع سعود بن الرشيد بوالي البصرة شفيق كالي باشا قرب الزبير
وتم الاتفاق بينهما على ان تساعد الدولة في محاربة ابن سعود . وقد قدمت لابن
الرشيد عشرة الاف بنديقية ، وكثيراً من الذخائر ، وشيئاً من المال .
لم يعلم ابن سعود بهذا الاتفاق الا بعد رجوعه الى الرياض ، فكتب الى
ابن الرشيد يذكره بعهد الصلح الذي بينهما ، ويعيب عليه انفاقه والاتراك .
فاجاب ابن الرشيد : « اني من رجال الدولة ، ومصالحتي واياك لا تكون الا ان

رضت الدولة بها « . فعد عبد العزيز ذلك خيانة منه وكتب اليه يقول : « اذا كنت مصرّاً على نكث العهد فالمقاومة اولى » .
وما خطر في باله عندما كتب هذه الكلمة ان اوربه كانت يومئذ ترددها وقد قامت الدول هناك بعضها على بعض بالسلاح .
شبت الحرب العظمى ، فسارع عبد العزيز ، عندما اتصل به خبرها ، الى مراسلة امراء العرب — الشريف حسين ، وابن الرشيد ، وابن الصباح — في الموضوع ، فارسل التجابة يحملون كتاباً منه هدا فخواه :
قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب ، فارى ان نجتمع للمذاكرة علناً ننفق فننقذ العرب من احوالها ، ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا .

بعد ان بعث الرسل بهذا الكتاب جاء السيد طالب من قبل الاتراك ثانية — جاء يسترضي ابن سعود ، فاجتمع به في القصيم .
ولكن الانكليز كانوا اثناء ذلك قد اخلوا البصرة ، فجاء الملازم شيكسبير الذي كان قد اجتمع بابن سعود سابقاً في العقير ، يحمل في حقيبته نفوساً لا قيد يقيدها غير المصلحة البريطانية واقترانها بمصلحة نجد .
ثم قدم من المدينة وفد عثماني آخر يحمل الى ابن سعود عشرة الاف ليرة ويتزاف منه بواسطة صديقه محمود شكري الالوهي احد اعضاء الوفد .
ثم خرج من الحجاز الامير عبد الله ابن الشريف حسين ، وفدّاً من والده لانظر في المسئلة التي كتب عبد العزيز بخصوصها ، فاجتمع على الحدود بمندوب ابن سعود واقترق الاثنان كما اجتمعوا دون ان يقررا شيئاً . والحقيقة ان الشريف كانت يتحين الفرص للهجوم على ابن سعود تنفيذاً كما قيل لتلك المعاهدة التي وصفها الامير خالد بن لوي في قوله : « اكتب له ورقة نفعه عند الترك ولا تصرفك » .

اما ابن الرشيد فقد جاوب بصراحة يقول : « اني من رجال الدولة ، فاحارب اذا حاربت واصالح اذا صالحت » .

وكتب الشيخ مبارك يعلم «ولده» بان اللورد هاردنغ (Lord Harding) حاكم الهند قادم الى البصرة ، — «ومن رأيي يا ولدي ان تقدم انت اليها للمفاوضة» .

ذهبت الدعوة للتفاهم ادراج الرياح ، فعاد ابن سعود الى الوفود يعمل بما قضت المصلحة والاحوال ، فرد وفد الآلومي رداً حسناً . وقد قال للسيد محمود : «انها كما ترى . فلا يمكنني مقاومة الانكليز بعد احتلالهم البصرة» .

وكان السيد طالب النقيب ، بعد ذلك الاحتلال ، يخشى الرجوع الى بلده فتوسط عبد العزيز من اجله ، فهاذن الانكليز . وقد عاد كما عاد الآلومي خائب الامل . اما الضابط الانكليزي شيكبير فبقي في البلاد العربية ، وبني فيها ، كما سننصح في الفصل التالي ، الى الابد !

الفصل الثاني والعشرون

يوم جراب

مُحسر اللثام عن مقاصد الاخصام ، فأمدَّ الترك ابن الرشيد ، وأمدَّ الانكليز ابن سعود . بل مُعد الاول ، وقد تحالف الترك والامان ، مع الدول الوسطى ، ومُعد الثاني مع الاحلاف . هي الحقيقة السياسية ، وقد كانت ذات قيمة في تلك الايام .

اما الحقيقة التاريخية فهي ان ابن سعود اقام في البدء على الحياد ، فلم يجادب الحسين كما اراد الترك ، ولم يشترك في محاربة الترك بالعراق كما اراد الانكليز ، ولا منع رُسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال الى اخوانهم الاتراك في اليمن . هي الحقيقة كلها ، فلم يكن ليهمه يومئذ غير امير الجبل الذي نكث عهد الصلح واستعان بالدولة العثمانية على امير نجد .

وقد تأهب الاثنان في وقت قصير للحرب ، فلم يتجاوز جيش كل منهما الثلاثة الاف مقاتل . كان مع ابن سعود نحو الف من الحضرة ، اكثرهم من اهل العارض الاشداء البسلاء ، وثلاثمئة خيال من المعجمان ، ما عدا البادية ، ومدفع واحد لا غير . وكانت مع ابن الرشيد ستمئة من الحضرة والف فارس من فرسان شمّر . وقد رافق جيش ابن سعود الضابط الانكليزي شيكسبير^(١) الذي اشرت اليه في الفصل السابق .

لم يكن عبد العزيز ليستحسن ذلك ، وقد قال له : « ليس من رأبي ان تمشي معنا ، واني افضل ان ننتظرنا في الزاني ، فنعود ان شاء الله اليك » . فاجاب شيكسبير : « لا يجوز ان يقال ان رجلاً انكليزياً قرب من ساحة القتال بين ابن سعود وابن الرشيد ورجع جباناً وخوفاً » .

الح عبد العزيز في النصيحة ، فألح شيكسبير في الاستئذان ، وركب مع الجيش الى ساحة القتال — الى جراب .

قد كان هذا الضابط الشاب انكليزياً قحاً ، شديد التمسك بعادات اجداده و ثقايلد امته في اي مكان كان . فلم يتنازل في البلاد العربية عن شيء منها . هو الرحالة الانكليزي الوحيد ، على ما اظن ، الذي ابى ان يبدل — برنيطته مثلاً — بالكوفية والعقال ، ولا جامل العرب في داخل البلاد بغير العباءة التي كانت تستر ثيابه الافرنجية .

ولكن البرنيطة ! — ركب في جيش ابن سعود وهو لابسها وحامل بين امتعته آلة التصوير .

شيكسبير في جيش الاخوان ! وقد سمعهم يعتزون وبتنخون .

اهل التوحيد ! اهل التوحيد !

اهل العوجا ! اهل العوجا !^(١)

وكانت شمّر قد اخرجت عمّارياتها^(٢) الابكار الحسان ، يشجعن الرجال ، وهم يرددون نخوة شمّر المشهورة :

سناعيس ! سناعيس !^(٣)

سار الجيشان في فيافي القصيم يطلب الواحد الاخر ، وكان سيرهما في صباح

اليوم السابع من ربيع الاول من هذا العام (٢٤ يناير) في شمس
٥١٣٣٣
٢١٩١٥ كانوا المدفئة المنشطة ، فاصطدمت الاصوات في جراب قرب الظهر

(١) العوجا اسم من اسماء العارض. والاعتزاز يكون في ترداد اسماء الاباء والاجداد او اسم القبلة او البلد او ما يرمز الى مفخرة .

(٢) من عادات العرب التي ابطلها ابن سعود ان كل قبيلة تنتخب في الحرب بنتاً من بناتها الابكار تسمى العمارية فتركب في المودج ، او تقف فيه ، ساقرة مرخية الشعر . وتتقدم قومها الى ساحة الوغى منتخبة منجبة .

(٣) سناعيس جمع سنعوس هي النخوة العمومية ، تم البدو والحضر ، وهناك نخوات اخرى خاصة باهل حائل منها : اهل لبد. واهل ملحان . واهل السودان ، والسود كثيرون في حائل . والملحان يدعون بصبيان الحزرة لانهم كانوا من خاصة آل الرشيد .

قبل ان تصطدم الفرسان .

اهل العوجا ! اهل العوجا !

سنا عيس ! سنا عيس !

وكان اهل العوجا ، اي اهل التوحيد ، يرددون ايضاً كلماتهم المشهورة :

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

فيجبهم العمّاريات الشمرّيات كلّ بالعزوة او النخوة الخاصة بقبيلتها .

تصادمت الابطال وثقارعت ، في ظهر ذاك النهار ، وتطاردت وتراجعت ،

فكانت الغلبة في بادىء الامر لابن سعود .

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

وكان رصاص اهل التوحيد يقع امام الشمرّيات ، الواقفات فوق اسنمة

الجمال ، فيصحن بالرجال : الى القتال ! ويهتفن هازجات :

يلّي يتمنى حربنا غوت يا غاوي الدليل

كم واحد من ضربنا دمه على الشلّفى يسيل

احتده القتال ودوت البنادق ، فاصيب شيكسبير برصاصة اودت بحياته .

وكان فرسان العجمان قد تراجعوا خيانة وهم يصيحون صيحة الانهزام ،

فاظارت اذ ذاك بادية ابن الرشيد على جناح اهل التوحيد الايسر فدحرتة ،

وغنمت امواله .

اما بدو ابن سعود ، واكثرهم من مطير ، فقد اثاروا اثناء ذلك على جيش

ابن الرشيد ومخيمه ، وكانوا كذلك من الفائزين الغانمين .

هو يوم جراب الذي كان على اهل التوحيد واهل شمر على السواء ، ولم يكن

فيه ظافراً غير البدو من الفرّيقين ، فقد اثاروا ، فغنموا ، فشرّدوا .

الفصل الثالث والعشرون

العجمان

من الاغلاط السائرة بين عامة العرب ان العجمان من العجم . وفي بلاد فارس ايضاً ، على شاطئ الخليج الجنوبي ، من يقولون هذا القول . اما الحقيقة فهي انهم من قبائل اليمن ، من عرب قحطان ، وهم ينتسبون الى همدان^(١) .

كان العجمان في الماضي يسكنون نجران . ثم ارتحلوا شرقاً فوصلوا في ايام الامام تركي الى الاحساء ، فاحسن اليهم وانزلهم « ديرة » بني خالد هناك . وعندما تولى فيصل الامارة عاملهم مثل معاملة ابيه لهم ، فابطرتهم النعمة واستفحل امرهم ، فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج . هم موصوفون بالكر والغدر . ولكنهم شديدو الشكيمة وذوو عصبية يندر مثلها في العشائر . عصوا الدولة العثمانية فتركتهم وشأنهم ، وكثيراً ما كان عمالها في الحساء يشاركون رؤساءهم الغنائم . ومع ذلك فقد كان العجماني يسلب جندي الدولة فرسه ويدخل بها الحساء اينعلها .

عصوا كذلك الشيخ مبارك الصباح ، فخاربههم ، واسترضاهم ، ولم يتمكن من كبح جماحهم ، ولا من كسب ولائهم . ولكنهم والوا ابن سعود ، ثم حالفوا ابناء عمه العرائف عليه . خانوه وحاربوه ، وغلبوه في بادىء الامر . ومع انهم اصغر القبائل عدداً ، فلا يبلغ المقاتلة فيهم اكثر من خمسة آلاف ، فقد تفوقوا عليها كلها ونازعوا حتى بني خالد السيادة . قال الشاعر :

وقد قسموا الاحساء جهلاً بزعمهم لعجمانهم شطر وللخالدية شطر
المان العرب ! هم يدعون بهذا الاسم لشدة عصبيتهم وبأسهم وثفانيتهم بعضهم
في سبيل بعض . اذا سئل الواحد منهم : انقبل الخير من الله يروحك ، يجيب

(١) جددهم مذكر بن يام بن أصا بن رافع بن مالك بن جشم بن خيوان بن همدان .

قائلاً: « لا اقبل خيراً لا يكون للعُجمان كافة » .

وقد جاءهم ابن سعود ، عدو البادية و صديق العرب ، بالخير العميم ، فرفضوه . حراراً في بادية امرهم ، بل امتشقوا الحسام عليه كما قلت ، ثم زرعوها ذلك الخير فآثر في الصّرّار قطب ديرتهم الان . ولكنهم قبل ذلك زرعوها المكر والخيانة والعصيان . والتاريخ شاهد عليهم خصوصاً في وقعة جراب وفي الحساء .

بعد تلك الوقعة التي لم يفز فيها غير البدو من الجيشين عاد ابن سعود الى القصيم ، وابن الرشيد الى جبل شمر . وكان من الاثنين ان ادّب الواحد منهما عربان الاخر ، فغزا ابن سعود قبائل من شمر وحرب ، وغزا ابن الرشيد قبائل من مطير ، وكان التوفيق حليف الغزوتين .

على ان عبد العزيز لم يقنع بما ناله من البادية ، فراح يطلب خصمه الذي كان قد رحل مع رجال شمر الى العراق ثم عاد منه . لكن العجمان اثناء ذلك اعتدوا على عشائر ابن الصباح فنهبوا مواشيهم ، فكتب الشيخ مبارك الى عبد العزيز يطلب منه تأديب المذنبين ورد المنهوبات ، فادركه النجاش في شقرا . واليها ايضاً جاء رسول من ابن الرشيد يطلب الصلح فجددت المعاهدة السابقة . ثم ارسل عبد العزيز ابن عمه ناصرأ الى الشيخ مبارك بكتاب هذا فخواه :

لست يا مبارك بصديق صدوق . قد انالني من العجمان اكثر مما انالك . فصبرت وتجملت . ونحن الان في وقت القيظ . ولا نتمكن من شدته ان نسير بجيش الى ديرة العجمان . والامر الثاني هو اني في ريب من صلح ابن الرشيد ، فاخشى نكث العهد اذا انا غادرت نجدأ ودخلت في حرب والعجمان . والامر الثالث نفقات هذه الحروب وقد تكاثرت عليّ فضاقت في سبيلها الاسباب . والامر الرابع يا حضرة الوالد هو اني اخشى ان يلجاء العجمان بعد الحرب اليك فتقلب علي كما فعلت يوم سعدون والظفير . ومن رأيي في كل حال ان نؤجل المسئلة الى فصل الصيف .

فكتب مبارك الى « ولده » ان الامر لا يؤجل ، واصر على استرجاع المنهوبات ، فاجابه عبد العزيز ان العجمان لا يرجعون ما ينهبون الا مكرهين —

الا يجرب — خصوصاً وانه ، ابي مبارك ، مسلفهم الاساءة . ثم قال :
 « فاذا عزمت على محاربتهم تعطيني عهد الله وميثاقه ان تعينني بالمال
 والرجال . وان لا تسلك في سياستك معهم مسلماً غير مسلكي ، ولا تستقبلهم
 اذا لجأوا اليك ، ولا اتوسط بالصلح بيني وبينهم » .
 عاهده الشيخ مبارك على ذلك — عهد الله ! فمضى عبد العزيز الى الحساء
 بفرقة صغيرة من الحضرة والبدو في صيف هذا العام ، وكان العجمان ،
 عند ما علموا بقدومه قد رحلوا تجاه قطر . فحشد جيشاً من اهل
 الحساء وزحف جنوباً متقنياً اثرهم .

٥١٣٣٣
٢١٩١٥

قد كان الحر شديداً فلا يستطيع المشي ناهيك بالقتال نهراً . ولم يكن
 لديهم رواحل ، فامروا ماشين فوصلوا الى مكان يسمى كنزان كان العدو معسكراً
 فيه . وكانت اشجار النخل في الليل تبدو كأنها بيوت من الشعر ، فشرعوا
 يطلقون عليها الرصاص . سكت العجمان وراء ذلك النخيل حتى اسرف اهل
 الحساء ذخيرتهم على الاشجار . ثم خرجوا من مكانهم ، فلقوا بهم وهاجمهم من
 وراء ، فتلاحموا واستمروا طيلة ذلك الليل في عراق كانت العماوة فيه شجاعة ،
 وكانت الفوضى اخت الهول وسيدة الظلام .

جرح عبد العزيز في تلك الليلة ، وقُتل اخوه سعد ، ودارت الدائرة على
 رجاله ، فعادوا منهزمين الى الحساء ، فنقض العجمان ونزلوا قرب المقوف
 فحاصروها ثلاثة اشهر .

كتب عبد العزيز الى ابيه ليستنفر اهل نجد ، والى الشيخ مبارك يستنجده .
 فسارع اهل نجد للنجدة بقيادة محمد بن عبد الرحمن ومعه احد العرافة سعود
 بن عبد العزيز الذي فر سابقاً من الخرج وانضم الى ابن الرشيد وحارب معه في
 وقعة جراب . فلما رأى ابن عمه عبد العزيز في تلك المحنة استفزته الحمية فعاد اليه
 تائباً مناصراً .

ولكن اعداء ابن سعود الاخرين تحفزوا للوثوب عند ما سمعوا بجرب العجمان ،
 فنكث ابن الرشيد عهد الصلح ، ومشى الى يريدة يريد احتلالها . اما الشريف

حسين ، الذي كان قد امعن في مفاوضاته والانكليز ليدخل الحرب العظمى مع الاحلاف ، فلم يسره هذه المرة عمل ابن الرشيد ، فارسل عليه ابنه الامير عبدالله . زحف الامير الى نجد . ولكنه علم وهو في الطريق بروجوع ابن الرشيد من يريده مدحوراً ، فتوقف في سيره وعاد مطمئن البال الى الحجاز .
 اما الشيخ مبارك فقد ابطأ في ارسال النجدة التي طلبها عبد العزيز ، فكتب اليه ثانية يذكره بالعهد ، فجهز اذ ذاك ابنه سالماً واثنين آخرين من اولاده بقوة صغيرة — مئة وخمسين رجلاً من الحضرميين من البدو — فجاءوا الى الحساء وانضموا الى جيش ابن سعود .

قلت ان العجمان حاصروا الهفوف ثلاثة اشهر ، اي مدة الصيف . والحقيقة انهم تزاو في اماكن تكثر فيها وتخرج مجاري المياه ، فلا يستطيع المهاجمون الوصول اليهم . ولكنهم في آخر ذي القعدة رحلوا منها ، فشد اذ ذاك عبد العزيز عليهم .

امر اخاه محمداً وسالم الصباح وجنودهما ان يبقوا في مراكرهم ، وزحفوا ليلاً بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع . أسروا ماشين لان أكثر الابل كانت قد أرسلت الى نجد لقلعة المرعي في الحساء ، فادر كوا العجمان في الصباح ، واطلقوا المدافع عليهم . ثم هموا بالهجوم ، فسارع اولئك العربان الى ركائبهم وفروا هاربين تجاه الكويت ، فلم يتمكن رجال ابن سعود ، ولا ركائب لديهم ، من اللحاق بهم . عاد عبد العزيز الى مقره فأمر اخاه وسالمًا حليفه بمطاردة العجمان . فجمع الاثنان رجالهما ومشوا كلهم طائعين متآلفين . ولكنهم ما لبثوا ان تفرقوا . ادر كوا العجمان — نعم ادر كواهم ، فكان الانقلاب وكانت الحيانة . انفق ابن الصباح واولئك العشائر العاصية ، وهجر حليفه ابن سعود .

لله درك يا مبارك . قلت ان اعماله آية في التعرج والغموض . نصفها سر ، ونصفها خداع . فقد ارسل يستنجد ابن سعود على العجمان وقصده ان يزرع العداء بينهما فيتمكن هو من الاستيلاء على الاحساء . هذا هو السر . وقد جاء ابن سعود منجداً فغلبه العجمان ، فاستنجد بابيه مبارك فارسل اليه سالماً وبقية

اولاده—العائلة كلها— وهو يقول في نفسه : جاءت الساعة— ستُحقق الامال .
تصادم ابن سعود والعجمان وشارك حلفاؤه المباركون في القتال ، ثم انقلب
سالم فجأة فصالح العجمان واعلن حمايته عليهم . هذه هي الخدعة . وكان مبارك
قد كتب الى ابنه عندما علم انه اشترك في القتال مع ابن سعود يؤبسه ويقول :
« ارسلتك مراقبا لا مقاتلا . . . اذا غلبهم ابن سعود فتحن معهم يا وريدي .
واذا هم غلبوه فلا تردهم عنه ، ولا تساعدهم عليه » . وقع هذا الكتاب بيد
العجمان فكتموه . بانت الخدعة ولكن السر ظل سرا .

عند ما انقلب ابن الصباح على ابن سعود ارسل محمد بن عبد الرحمن يخبر
اخاه عبد العزيز ويستأذنه بالهجوم على العدوين العجمان والمباركين ، فاجابه قائلاً :
« لا نفعل . كيف نكون حلفاء في اول النهار واعداء في آخره والناس لا يعرفون
حقيقة الحال » .

ثم كتب الى مبارك يشكو اليه خيانة سالم ويقول : « لم اقدم اكراما لك على
تأديبه » . فكتب الشيخ المريدي يذكره بان بينه وبين العجمان صداقة قديمة .
ثم قال : « طلبت منك ان تسترجع مني ياتي من العجمان ولم اقل لك حاربه
واطردهم من ديارهم » .

قرأ عبد العزيز كتاب مبارك وهو يحده غيظاً ، فهنف مردداً تلك الكلمة
التي يأخذها من فاتحة القرآن اذا هو اعلان الحرب :— اياك نعبد واياك نستعين!—
صبرنا على مبارك صبراً جميلاً ، واحتملنا منه شيئاً كثيراً ، وفادينا من اجله بالمال
والرجال ، وما نحن والله بصابرين الى الابد — اياك نعبد واياك نستعين !

شد عبد العزيز الرحال وزحف مسرعاً يريد مهاجمة العجمان وابن الصباح ،
وكان ذلك في محرم ١٣٣٤ (نوفمبر ١٩١٥) .

ولكنه حين وصوله الى معسكر اخيه محمد واستماعه الكلمة الاولى التي فاه
بها النجباء الذي كان قد وصل من الكويت ، وقف مذهوئاً محزوناً . — انا لله
وانا اليه راجعون . مات الشيخ مبارك !

الفصل الرابع والعشرون

الانكليز والعرب

عندما انضمت الدولة العثمانية الى الدول الوسطى في الحرب العظمى شرع الانكليز يفاوضون امراء العرب ليدخلوهم في تلك الحرب مع الاحلاف ، او ليضمنوا في الاقل حيادهم . وقد كانت المفاوضات مستمرة في سنة ١٩١٥ بين عدن وجيران ، وبين القاهرة ومكة ، وبين ابي شهر والرياض ، والغرض الاكبر فيها هو محاربة الترك في شبه الجزيرة وصدوم عن تأليف كتلة عربية يقفون بها في وجه بريطانيا العظمى هناك فيقطعون عليها طريق الهند .

وقد كان السيد محمد الادريسي اول من لبي الدعوة فخالف الانكليز في ابريل من سنة ١٩١٦ وحمل على الترك في عسير . ثم ابن السعود فعقد واياهم معاهدة بعد ستة اشهر اي في ديسمبر . ثم الشريف حسين الذي اتفق وعميد بريطانيا العظمى في القاهرة على البنود الخمسة المشهورة^(١) وذلك بعد شهر من تاريخ المعاهدة وابن سعود ، اي في ربيع اول ١٣٣٤ (يناير ١٩١٦) .

ليس من غرضنا النظر في هذه المعاهدات التي امست كلها في خبر كان . ولكننا نسأل القارىء ، لقصد في ما نحن بصدده ، ان يذكر هذه التواريخ ، ويذكر خصوصاً ان الاتفاق مع الشريف حسين لم يتم الا بعد الاتفاق مع الاميرين الاخرين .

عندما علم ابن السعود بوفاة الشيخ مبارك ، وتولي ابنه جابر الحكم في الكويت ، عدل عن مهاجمة العجمان وكتب الى الشيخ جابر يعزیه بابيه ، وينصح له الا ينهج على منواله في السياسة . وينا هو هناك ، اي في الطريق الى الكويت ، جاء رسول من الممثل البريطاني في خليج فارس^٢ ، السير برسي كوكس ، (Sir Percy Cox)

(١) ذكرت في «ملوك العرب» الجزء الاول ، صفحتي ٦٠ و ٦١

يرجوه ان يوافيه الى القطيف للمفاوضة في امور هامة . فتوجه عبد العزيز الى تلك الناحية واجتمع بالسر برسي في جزيرة دارين هناك . وكان همّ بريطانيا يومئذ ان تخرج التبرك من العراق وسورية بل من البلاد العربية وتؤمن لبواخرها وجنودها الخليج والبحر الاحمر . فاتخذت لتحقيق هذا الغرض طرائق شتى ، منها محالفة امراء العرب وامدادهم بالمال والسلاح على العدو .

سأل السر برسي كوكس ابن سعود عما يستطيع ان يؤديه من المساعدة لملاحف ، فاجابه : « اني اساعدهم بامر ين . اعاهدكم اولاً ان لا يجيئهم ضرر مني ما دامت المعاهدة بيني وبينهم مرعية الجانب ، واعاهدكم ثانياً ان لا انضم الى حلف عربي ضدكم . واتي اؤكد لكم ان العرب لا يجتمعون عليكم اذا لم اكن انا معهم . اني احب ان يجتمع امرنا على مساعدة الاحلاف ، — نعم ، وساكتب الى الشريف حسين بهذا الخصوص اذا احببتم » . ولكن ذلك الامر لم يتم كما سدرى ، فظل لذلك موقف ابن سعود موقفاً سلبياً .

ومن المسائل التي كانت حكومة بريطانيا العظمى تريد ان تستطلع رأي امراء العرب فيها مسألة الخلافة . فتكلم السر برسي عن انتقال الخلافة الى العرب ، واتخذ المجاملة سيلاً الى غرضه فعرض المنصب على ابن سعود قائلاً : « ان حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد في تحقيقه » .

لم يخف على عبد العزيز قصد المعتمد ، فقال « لا ذوق لي بالخلافة . واني لا اري من هو اجدر بها من الشريف حسين » .

اطمان بال الوكيل المحترم ، وارتاحت الوزارة الخارجية الى الخبر الذي يمكنها من اطلاق يد المعتمد في مصر . فكانت الخلافة الطعم الالذ في الصنارة التي رماها على شاطئ جدة ، فالتقها الشريف حسين وكان عظيمياً في الارض — مليكاً في مكة ، خليفة في عمان ، اسيراً في قبرص ! وكان ابن سعود في الارض حكيماً .

اما وقد وثبنا وثبة في هذا الفصل لا تجوز في اصطلاح المؤرخين ، فلا بأس

يوثبة اخرى مازلنا في امر الحسين . كلنا نذكر انه شرع يتكلم باسم العرب * بعد ان ابرم ذلك الاتفاق والمعتمد البريطاني في القاهرة ، ويدعي انه زعيمهم الاكبر . ثم جاء يوم التنويج او بالحري المبايعه فهلت جريدة القبلة وازدهت اعمدتها باللقب الجديد — صاحب الجلالة العظمى ملك العرب .

ليأذن القاري ، ان تقف مرة اخرى مستطردين . ليس الذنب في تفريق كلمة العرب ذنب الانكليز وحدهم كما يظن الناس . وها كم الحقيقة كلها . يجيئهم احد الامراء مدعيًا انه سيد العرب اجمعين ، وانهم كلهم اطوع له من ينانه ، فيسبرون الانكليز غوره ، ويتحققون صدق كلامه او كذبه ، ولكنهم يوالونه لانه على شيء من القوة .

ثم يجيئهم الآخر ودعواه اكبر من دعوى من تقدمه او مثلها ، وكذلك الاخرون ، فيضطر الانكليز ان يحددوا قوة الواحد اكرامًا للاخر ، فتكون النتيجة التقسيم والتفريق .

عند ما طفت جريدة القبلة تهلل لملك العرب ، وتهتف للمتخذ الاكبر ، استبشر غلاة القومية ، وزعماء النهضة العربية ، فرددوا الهتاف ولسان حالهم يقول : هوذا الزعيم الاكبر ، هوذا المنقذ الاعظم ! على انه ما كادوا يفرحون حتى جاءتهم الاخبار ان دول الاحلاف اعترفت بالحسين ملكًا على الحجاز — الحجاز فقط . فقالوا اذ ذلك : « هي ذي اوروبة عدوة النهضة . بل هي ذي انكلترة تفرقنا لتسودنا » .

والحقيقة هي ان ابن سعود في مفاوضاته والسربرسي كوكس بخصوص المعاهدة اشترط ان لا يتكلم الشريف باسم العرب ويدعي انه ملك العرب . فقابل الشرط جبنًا وكرامة ، وكان الاعتراف بالحسين ملك الحجاز — الحجاز فقط . اما وقد برأنا من هذا القبيل ذمة بريطانيا العظمى ، فيجب علينا ، من اجل التاريخ ايضا ، ان نسجل شايها فعلتها الكبرى في ابرام ذلك الاتفاق مع الحسين ، وقد وهبته فيه البلاد العربية كلها ما عدا عدن والبصرة . لا نظن القاري نسي التواريخ التي سألتاه ان يذكرها في مطلع هذا الفصل ،



الملك عبد العزيز والي بشاره المؤلف امام الطائرة بجده

او انه يذكر في الاقل ان الاماق الانكابري الحجازي أسره بعد عقد اعهادتين العربيين في حيران ودارين . وقد اعترفت الحكومة البريطانية ميها سيادة الاميرين السد محمد الادريسي والامام عبد العرير آل سعود ، كل في بلاده ، وسيادة من يتولى الحكم بعدهما من يتهما ، تم صمت حدود الملادين ، تمهدت بالدفاع عنهما ، اذا اعتدي عليهما . تم بعد هذه الصيات كبا ادخلت الملادين ، ملادي نجد وعسير ، في دولة عربية يرأسها الملك حسين .

لا حاجة الى القول ان تلك المفاوضات كانت مصرية ادلولا ذلك بما تمكنت من الخداع ، او ما كانت هي حادثة ميا . اما س . كلاءها السياسيين ومعتديها كوا حاملين عصبة اعمال معص ، فكانت هي اعمدوعة ، واما انها لم تهتم يومئذ بعير مصالحهما — الوقية الحماية — فهدت من احلها الجميع .

وكان اس سعود اتاء الحرب من اعمدوعين . وانكسه وهو الحكيم الذي لا يطمح الى غير ما يستطيع تحقيقه في زمن معلوم ، اعتد تلك المعاهدة الي استمرت مرعية سع سنوات اي من اداية سنة ١٩١٦ الى اداية سنة ١٩٢٣ .

عد عقد معاهدة دارين توسط السربرسي كوكس بن اس سعود ، اس الصالح في مسألة العجوز ، قتل عبد العرير اب يوقف حركاته احريية على تخطيطه ان يطرد صاحب الكويب العجوز من بلاده . وقد عمل تسع حارب بصيحة السربرسي ، حاب طلب اس سعود .

اما « العراف » ، الذين اخرهم لاعد سيهم الكبير ، فقد ادركوا ان احوالهم العجوز لم اصروه الا بشارت خصوصه ومعامع سياسيه حبه في الاحسا ، ادركوا كذلك ان اسد . اشته يع حبه في مسدته لهم اءاهما كالعجوز . وكان مطالبها السيسة كرهه اءاهم ، اسد . ذلك . ده ا تأسس الى عبد العرير ، وهم اليوم كاهم - سع . هتت . متيهم في الرياض .

الفصل الخامس والعشرون

هدايا وتصيف من بلاد الشريف

بعد عقد المعاهدة في دارين عاد ابن سعود الى الرياض وارسل رسوله صالح باشا العذلب الى الشريف حسين يخبره بما جرى بينه وبين الانكليز ، ويعرض عليه المؤازرة في مساعدة الاحلاف . وكان الشريف ، كما اسلفت القول ، لا يزال في طور المفاوضات والعميد البريطاني في القاهرة ، فعند ما علم بعقد المعاهدة وابن سعود خشي ان يتقدمه في الزعامة والنفوذ لدى الاحلاف ، فسارع الى قبول البنود الخمسة وتم الاتفاق سرّاً بينه وبين العميد .

ولكنه لم يعلن الثورة على الترك الا بعد اربعة اشهر (شعبان ١٣٣٤ — يونيو ١٩١٦) من تاريخ ذلك الاتفاق ، لاسباب ذكر بعضها ، ولم يذكر اهمها ، وهو ان نجله الامير فيصل كان لا يزال في الشام يخاف عليه من جمال باشا . لذلك كتب الى الجمال بعده بتجنيد فرقة حجازية للزحف مع جنود الدولة الى ترعة السويس ، وألح عليه في ارسال فيصل لهذه الغاية .

وقد كتب أيضاً عن ابن سعود خبر ذلك الاتفاق ، فاعطى رسوله صالح باشا العذلب جواباً نصفه شكر ، والنصف الآخر ايهام في ثوب المجاملة .

ولكن تلك المفاوضات السرية ، او في الاقل مجيء الرسل من بور سودان ورواحم ، أيقظ في دوائر الحكومة الحجازية عيون الرب والشبهة ، فادرك الوالي غالب باشا بعض ما كان يبطنه الشريف حسين ، وعقد النية على مفاوضة ابن سعود في الامر . ولكنه موّه قصده بالطريقة التي اتخذها اليه . فقد ارسل رسوله وهدية الى عبد العزيز بواسطة الشريف الذي ابقى الهدية عنده وأذن الرسول بالسفر الى نجد .

وكان ذلك الرسول يحمل كتاباً من غالب باشا هذا معناه :

« انك تعلم باعمال الشريف وانا الان ازيدك علماً . انه يفاوض الانكلاز وهو على وشك ان يخون الدولة ويفتح لاعدائها الحرمين . فاذا قدمت الى الحجاز اسلمك الحرم واساعدك بكل ما لدي من قوة » .

فارسل ابن سعود اليه هدية وقال في جوابه انه والحسين يدٌ واحدة . ولكن الهدية وصلت الى مكة بعد ان أعلنت الثورة فاستلمها الشريف حسين وابقاها عنده — « أكل الشريف الهديتين » كما قال عبد العزيز ، ونهض وانجأه على الترك طمعاً بالهدية الكبرى التي وعده بها الانكلاز .

أعلنت الثورة وطفقت ثوارد الى جده من بور سودان الامدادات الحربية والمالية . جاء الذهب بالصناديق ليستخدمه الشريف في تجنيد العرب وفي استمالة امرائهم ورؤسائهم الى النهضة . فارسل الى ابن سعود صرة في آخر هذا العام واتبعها في العام التالي بثلاث صرر مقدار الواحدة نحو خمسة الاف ليرة .

١٣٣٤ هـ
١٩١٦ و ١٩١٧ م

ولكنه لم يكتب اليه كلمة بخصوصها . « كان يجي . الرسول بهذا المال فيقول — من جلالة الملك . ليس الا » .

ولكن عبد العزيز ، عند ما تكررت تلك الهدايا المالية ، عقد مجلساً طلياً حضره والده الامام عبد الرحمن ورئيس قضاة نجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فأطلعهم على الامر وقال : « اذا كان القصد من ارسال هذا الذهب المساعدة في الحرب فاتقصد محقق ، لاني امرت اهل نجد خصوصاً اهل القصيم وعتيبة وحرب بمساعدة الشريف ، وامرتهم كذلك بالا يتعدى احدٌ منهم على من اراد ان ينضم الى جيش الحجاز » . فقال الامام عبد الرحمن : « لو كانت الشريف يبغى المساعدة فقط لكتب الينا بذلك . ولست ارى في قصده غير الخوف من ان نغتنم فرصة قيامه على الترك فنحمل عليه ، فاراد في ارسال الذهب تسكيننا » .

وقد كان رئيس القضاة من هذا الرأي ، فقال عبد العزيز : « يمكن ذلك . ولكني ساكتب اليه فاتحقق الامر . فاذا كان يبغى المساعدة ، وهو صادق في عمله وقوله ، ساعدناه باكثر مما تقدمه . واذا كان له قصد آخر اتبهننا اليه » .

وهاك خلاصة الكتاب كتابه :

يا حضرة والدي ، اننا وايك في هذه الحرب ، وثمرتها لنا ولك . فقد
مشت عرباننا وعشائرننا ، عملا باوامرتنا ، الى مساعدتكم . ولكني ابغي اكثر
من ذلك . واني مستعد ان ارسل اليك امد اخوتي او اولادي ليحارب
مع اولادكم . وفي ذلك الفوز الاكبر ان شاء الله قد يكون حدث بيننا
وبينكم سوء تفاهم في الماضي . فلا بد اذن من التفاهم والتأمينات . وذلك بان
تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك وتتضاعف من اهل نجد المساعدات .

عند ما وصل هذا الكتاب الى صاحب الجلالة زعجر في جريدة القبلة ،
وفي الديوان الهاشمي ، فسُمع صوته في نجد . قال عظمة السلطان : « لا اذكر من
جوابه غير هذه الكلمات : اما انك سكران يا ابن سعود ، واما انك مجنون .
افلا تعلم لاي امر قمنا واي غرض نبغي » ؟

كتب عبد العزيز الى الوكيل البريطاني في البصرة يطلب الاجتماع به في
القريب العاجل ، فاجتمعما في العقير . وبعد ان اطلع السر برسي كوكس على
كتاب الحسين قال : « لا تكترث به . نحن ضامنون استقلالك وتعهده بان
لا يتعدى عليك الشريف او غيره . وانت تعلم ان اية حركة على الشريف
اليوم هي علينا ومساعدة لاعدائنا واعدائك » .

وقد الح عليه في هذا الاجتماع ان يعطيه جواباً قاطعاً ان لا يكون بينه وبين
الشريف محاربة ، فوعده بذلك على شرطين ، اولهما ان لا يتدخل الشريف في
شؤون نجد ، والثاني ان لا يتكلم بامم العرب و يدعو نفسه ملك العرب . تعهد
السر برسي بذلك ، ثم دعا عبد العزيز لزيارة البصرة ، فاجى الدعوة ، وعرج في
طريقه على الكويت ليعزي آل صباح بوفاة كبيرهم الشيخ مبارك

الفصل السادس والعشرون

وقود الانكليز والعرب

في سنتي الحرب الاخيرتين بُلي الانكليز في البلاد العربية بأمرين خطيرين
الاول سياسي في الحجاز ، والثاني حربي في العراق ، فسعوا في معالجتهمَا واذلالها
ما استطاعوا سياسياً ومالياً .

وقد كانت مقاصدهم الحربية ثلاثة : اولاً ، ان يعقدوا حبل الولاة بين
الامراء احلافهم . ثانياً ، ان يحكموا نطاق الحصار ويشددوه على العدو من
الجهات العربية كلها . ثالثاً ، ان يستخدموا ما عند كل امير من قوى القتال ،
ويضيفوا ما امكنهم اليها ، في سبيل النصر .

قد امدوا الملك حسين بالاسلحة والذخائر والمال تحقيقاً للقصد الاخير ،
ولكنهم في اتكالم عليه كل الاتكال ايقظوا فيه روح الاثرة وشجعوها ، فنجم
عنها العداة لامراء العرب كاهم خصوصاً لابن سعود . وبكلمة اخرى ان
الانكليز في تعزيزهم القصد الثالث افسدوا على انفسهم القصد الاول ، فاصبحوا
عاجزين عن تحقيق القصد الثاني .

ولم يكن الملك حسين ايساعدهم في التغلب على الصعوبات ، ولا اذن بتنفيذ
تلك الخطة التي اتخذوها الى غرضهم الاكبر . فعندما جاء المستر ستورس ورفيقه
المستر هوغرث^(١) الى جده ، ليسافرا من قبل المعتمد البريطاني في القاهرة الى
الرياض عن طريق الحجاز ، لم يأذن الملك بذلك لان الامن كما ادعي كان مفقوداً .
والحقيقة هي انه كان يخشى ان ترجح كفة النفوذ في الرياض ، بل كان
يخشى ان يكون اتفاق الانكليز وابن سعود مضرراً بمصالحه ، او محققاً بانفاقه

(١) Ronald Storrs وقد عين بعدئذ حاكم القدس العسكري
D. G. Hogarth موهب كتاب « التغلغل في البلاد العربية »

وايام . لذلك لم يرضَ باي اتفاق بينهم وبين غيره من امراء العرب الا اذا تم ذلك الاتفاق بواسطته .

— « اتركوا لي ابن سعود — انا اعالجه — اقول — انا اعالجه لخيركم وخير

العرب »

وقد كان ابن سعود مثل الحسين من هذا القبيل ، اي انه حافظ على عهوده وبريطانية العظمي ، ولكنه كان يظن ان بينها وبين خصمه اتفاقاً سرياً ، ملحقاً للمعاهدة ، يضرّ به وبمصلحه . ولا نستغرب هذه الظنون عندما نذكر ما تقدم في الفصل الخامس والعشرين . فهل يصلح رسل التوفيق ما افسده عاقدو المعاهدات ؟

عندما اقلت في وجه وفد القاهرة ابواب الحجاز جاء الى الرياض في طليعة

هذا العام الهجري (نوفبر ١٩١٢) وفد من الكويت ومن البحرين ،

مؤلف من الوكيل السياسي الكولونل هاملتن والمسترفلي والكولونل

أون^(١) ، ليفاوضوا ابن سعود في الامرين السياسي والحربي اللذين تقدم ذكرهما ،

اي ليوقفوا بينه وبين الحسين ، وليستنهضوه على ابن الرشيد وعلى احلافه من

عشائر العراق .

وكان عبد العزيز قد علم بتوقيف وفد القاهرة في جده ، فطلب المسترفلي

ان يتوسط في الامر وتمهد اذا أُذن بالسفر الى الحجاز ان يعود عاجلاً ومعه

المعتمد البريطاني ، فاذنه عبد العزيز بالسفر ، وارفقه برهط من رجاله .

قد كان للمسترفلي قصد آخر في رحلته هذه ، وهو يلمح اليه في كتابه .

فلا بأس اذن ، خصوصاً ان تلك الحوادث اصبحت في ذمة التاريخ ، بالافصاح

عنه في كتابنا . من المعلوم ان الطريق الى نجد برآ من الحجاز هي اقصر جداً من

الطريق البحرية الهندية ، وقد كانت رغم ادعاء الملك حسين آمن منها في تلك الايام .

ومما لا يعلمه الناس ان المال الذي كان يُبذل في شبه الجزيرة كان يجيء عن

(١) Col. R. E. A. Hamilton يومئذ الوكيل السياسي في الكويت

H. St. John Philby مؤلف كتاب «قلب البلاد العربية»

Col. Cunliffe Owen

طريق مصر ، وان الحكومة الانكليزية في الخليج الفارسي كانت في حاجة الى قسم كبير ليصرف في اطراف العراق ونجد .

عاد الكولونل هاملتن والكولونل أون الى الكويت ، وسافر المستر فلي في الشهر الاول من عام ١٩١٨ الى الحجاز ، وهو متأكد انه سيعود في الطريق نفسها ومعه في الاقل المال الذي كان متوقفا في جده . قد ارسل معه ابن سعود كتابا الى الملك حسين مديجا ببراء اللطف والولاء . ولكن الحسين ، وهو المشهور بتصلبه ، ثغلب على اللطف فيه حتى وعلى والمواربة ، فتجهم المستر فلي ، ولم يلبس غيظه شيئا من زخرف الكلام او الابتسامة — « الرجوع الى نجد باحضرة النجيب هو غير ممكن الان — غير ممكن » .

اما رجال ابن سعود فاذن لهم بالرجوع الى بلادهم ، ولم يزودهم بكلمة لطف او عنف لعبد العزيز . « لا لزوم يا اولادي للكتابة . نحن نحل مشاكلنا بيدنا » كذلك عولج المشكل السياسي خلال الحرب ، فظل مشكلا بعدها .

اما المشكل الحربي فقد كان جله يخصص بمصادرة المون والذخائر التي كانت تصل الى الاتراك في بغداد وفي الشام عن طريق الكويت والبادية . وكانت الكويت الباب الاكبر للتهريب تقيئها المون ، الشاي منلا والارز والسكر ، من الهند والعجم فتباع باسعار باهظة ، وتسررب الى وكلاء الدولة او بالحري الى رؤساء العشائر ، فيهربونها الى الاتراك والالمان في سورية وفلسطين . ومن اولئك الرؤساء ماجد بن عجيل شيخ العبد ، اكبر قبائل شمر ، وضاري بن طوالة شيخ شمر العراق ، وعجمي السعدون رئيس المنتفق . فقد كان العدو في الشام وفي بغداد يحصل بواسطتهم ، مها كانت الاسعار باهظة ، على كثير من الارزاق والذخائر التي كانت تجيء الى الكويت للانكليز في جنوب العراق .

على الانكليز اذن ان يصادروا المهربين ، ويحكموا نطاق الحصار لمنع التهريب او تخفيفه ، فحاولوا لذلك حراسة خط يمتد من الكويت الى البصرة فالناصرية . ولكن الكويت نفسها كانت اضعف حلقة في سلسلة الحصار ، وكان حاكم

الكويت الشيخ سالم الصباح من كبار المستثمرين تجارة بلاده ، وبالتالي المستغلين عملية التهريب . ومع ان الكويت في حوزة الانكايذ فلم يتعمكنا من احكام النطاق الحربي عليها ، فاضطروا في النهاية ان يحددوا وارداتها فلا نتجاوز الكمية المعروفة قبل الحرب .

ومع ذلك فقد كان يتسرب الى العدو قسم كبير منها ، فبدلوا المال في العشاير للمصادرة ، واشتروا كبار المهربيين مثل ماجد بن عجيل وضاري بن طواله ترى البحث يجرنا الى مهمة المستر فلي الثانية . فقد عاد عن طريق الهند والبصرة في ربيع ١٩١٨ ، وخرج الى البادية ينشد المصادرين ، وفي قافلته جمال تحمل اكياساً من الفضة . وكان ضاري بن طواله قد انخرط في السلك الانكليزي لقاء مشاهرات معلومة ، ووظيفته مصادرة البضائع التي كانت تصل الى الشام بواسطة ابن الرشيد في حائل . ولكن ضاري شيخ من مشايخ شمر وشمر هي ظهر ابن الرشيد ، فهل يلاه اذا صادر اعداءه فقط ؟

جاءه فلي وهو في الحفر — جاءه يحمل النقود ، عاقدة العهود والناقضة لها . فشكى ضاري اليه خيق الحال ، وفقر الرجال — والحاجة يا فلي شديدة الى المال . أناخ فلي جماله ، جعل الله حاله ، فابتسم الضاري وقال : « والله يا فلي حنا رجالك » فقال فلي : « قوموا اذت وارحلوا معي الى ابن سعود » . فامثل ضاري الامر ، وشد الرحال ، فركب في موكبه ستون من رجاله . جاءوا والمستر فلي يتوددون الى ابن سعود ويقطعون له العهود . فاجتمعوا به على غدير يدعى الشوكي ، وانفقوا ان تكون المصادرة عامة بدون تمييز . واقسم ضاري مينا مغلظة ان شمر العراق تكون دائماً ابداً مغلظة للانكايذ ولا ابن السعود . ثم ارسل ماجد بن عجيل شيخ العبد رسله الى عبد العزيز يطلب الصلح فقال له : « اني اندركم يا اهل شمر . فاذا كنتم مخلصين لنا تعالوا اقيموا في كيدي . واما اذا كنتم تفاوضون الانكايذ وتساعدون الترك فانا عدوكم والله وقاهركم ان شا الله »

— « اما حائل يا مستر فلي فاذا تركتم امرها لي فانا اعالجه بالسياسة . واذا

الحتم فعليكم بالمدد» .

لم يكن المدد المقصود المال ، بل الاسلحة والذخيرة ، وهي يومئذ قليلة عزيزة . ثم قال عبد العزيز : « حائل في فكرنا دائماً . ولكن حائل جدار ونار . ترى الصحيح . ان ابن الرشيد محصن فيها وراء الجدران والمدافع » . عاد المستر فلي مع ابن سعود الى الرياض ، وكانت المفاوضات والمباحثات متواصلة . قال عبد العزيز : « اني قادر ان امنع ابن الرشيد عن محاربة الشريف وهذا جل ما تبغونه الان . ولكن العهد الذي بيني وبين شمر يوجب التريص . فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . فاذا رجع ابن الرشيد وكان حليفاً لنا ، فذلك خير . تحقق المقاصد بدون قتال . والا فتحاربه » .

اما العهد الذي اشار اليه فهو ان عبد العزيز ، بعد سفر فلي الى الحجاز ، شد على ابن الرشيد الذي كان يومئذ على الحجر عند الترك . ولكن مشايخ قبائله جاءوا ابن سعود يعاهدونه على الطاعة والولاء . ودليل صدقهم كما قالوا هو ان ابن الرشيد طلب منهم ان يحاربوا مع الترك الشريف فأبوا . وقد تعاهدوا وابن سعود انهم يندرون ابن الرشيد ، — « فاذا قدم من الحجر وكان معك يداً واحدة فنحن عشائره وعشائرك ، واذا رفض الرجوع فنحن معك عليه » .

لبث عبد العزيز ينتظر الجواب من مشايخ شمر . ولم ير ان يبقى المستر فلي اثناء ذلك عنده في الرياض ، فصارحه في الامر ، فرغب فلي في رحلة علمية الى وادي الدوامر . اذن عبد العزيز بذلك ، ورحلته مصحوباً برهط من المحافظة في شهر رمضان ، فعاد الى الرياض في الشهر التالي (صيف ١٩١٨) .

وكان قد جاء الجواب من ابن الرشيد يرفض مطالب رؤساء شمر ، فتد عبد العزيز يريد الزحف الى حائل ، وكان المستر فلي مرافقاً للجيش . ولكنه لم يكن مثل مواظنه المأسوف تليه شيكسبير الذي حضر معركة جراب وشارك في القتال — وفي الضحية .

تحلف فلي في القصيم ، وتقدم عبد العزيز بجيشه الى حائل . بيد انه لم يكن القصد يومئذ غير ان يشغل ابن الرشيد فيمنعه عن مناوشات العرب الذين كانوا

يحاربون مع الاحلاف في شرقي الاردن . فلما وصل الى ماء ياطب في اطراف حائل ، رأى جموعاً كبيرة من العربان وقد حالوا دون امنيته . ولكنه هاجمهم ، فاصاب منهم مغنياً ، وعاد فنزل على ماء آخر قريب من المدينة ، فخرج ابن الرشيد في آخر النهار يريد الهجوم عليه ليلاً . ثم عدل عن قصده وقفل راجعاً بدون قتال . كان قد بدأ الجنرال آلنبي في الهجوم العام على الترك في فلسطين وشرقي الاردن ، وكان الترك يستنجدون ابن الرشيد ، فعدل عن محاربة ابن سعود . من المؤلف في مثل هذه الحال ان ينهض الجيش المهاجم فيتأثر الجيش المنهقر ويمتدز ساقته . ولكن ابن سعود لم يفعل ذلك . بل عاد في اليوم التالي الى القصيم وقصده ان يجمع قوة أكبر من تلك التي كانت معه فيقسمها الى قسمين ، قسم لمنازلة عربان شمر وقسم لمهاجمة حائل . ولكنه مثل خصمه عدل ايضاً عن قصده . والسبب في الحالين هو ما أحرزه جيوش الاحلاف والعرب في هذا الشهر اذي القعدة — ايلول — من النصر في فلسطين وسورية ، فوصل الخبر كالبرق الى البلاد العربية .

دخل العرب الشام ظافرين ! فر الترك منهزمين ! فاز الاحلاف الفوز المبين
 سلم الالمان — عقد الصلح ! وما بال العرب لا يتعظون ويتصالحون !
 اتعظ العرب . فقد توقف في ذاك الحين ابن الرشيد وابن سعود عن القتال
 وعقدا فوق ذلك — مثل الاحلاف والالمان في فرساي — صلحاً صغير

الفصل السابع والعشرون

وقعة نربة ومفدماتها

بعد ان سلمت المدينة ^(١) كتب الامير عبد الله ابن الملك حسين الى امراء العرب يخبرهم بذلك وارسل الى ابن سعود الكتاب الآتي :

« الى حضرة المحترم المكرم الامير عبد العزيز بن سعود الفيصل .
وبعد فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو . واصلي واسلم علي خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين . ثم اخبرك بان الله فتح لنا ابواب مدينة خير البرية ، وان حاميتها قد أمرت ، واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف ، وجميع الاملاك والالات والادوات العائدة للحكومة الغابرة . كما ان فخري باشا ^(٢) قد اعتقل في بئر درويش . واما العساكر فبادرنا بنقلهم الى بلادهم . ولا يخفى على مدارككم بانه لم يبق والحالة هذه شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة ادامه الله وايده عن الالتفات لاصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للافساد والتخريب من العشائر التابعة لها . والسلام عليكم ورحمة الله » .

في ١٣ ربيع الآخر ١٣٣٧ قائد الجيوش الشرقية

الختم
الامير
قال اني
عبد الله

وقد كتب ابن سعود اليه كتاب تهنئة دعاه فيه للتفاهم بخصوص العشائر

(١) استمر حصار المدينة ثلاث سنوات ولم يسلم فخري باشا الا بعد اعلان الهدنة بشهرين اي في ١١ ربيع الثاني ١٣٣٧ (١٥ يناير ١٩١٩)
(٢) عينته بعدئذ الجمهورية التركية سفيراً لها في افغانستان

«وأكد له انه لا ينبغي غير السلم اذا كان هو من المسلمين . فجاءه الجواب الآتي :

« الى جناب سامي الرحاب الشهم الاوحد والهمام الامجد ، الامير عبد

العزيزين عبد الرحمن الفيصل السعود سلمه الله » .

وبعد الديباجة المفعمة بالتودد والتبجيل يقول :

« اني منكف (راجع) ان شاء الله تعالى الى الوطن في الاسبوع القادم

لا كون بخدمة صاحب الجلالة الهاشمية ادام الله نصره . واني ارجوكم ان

تبلغوا سلامي الى معالي والدكم الجليل والانجال والاخوان الكرام . ومن

لدينا حضرة صاحب السمو الملكي سيدي الامير علي نصره الله يهديكم

جزيل السلام » .

قائد الجيش الشرقي الهاشمي

في ٣ جمادى الثانية ١٣٣٧

الختم الامير

ومع هذا الكتاب كتاب مثله لهجة من جلالة الحسين ، و « ملحق خير »

من سمو الامير فيه ما يأتي :

« اني اخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون . ولا يجوز ان

يفرق بينكم وبين والدي امور البادية التي لا اهمية لها . . . وكيف يمكن ان

يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة والخزرة والبادية ؟ ها انا

متوجه الى مكة فارجوكم ان ترسلوا احد رجالكم وان ارتأيتم ان يكون احد

انجلكم فذلك اولى ، وانا كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع

سيدي الوالد » .

واكن احد العقيلات^(١) الذين كانوا في الحجاز جاء يخبر عبد العزيز ان

الامير عبد الله يتأهب للزحف الى تربة . ثم جاءه آخر يقول ان الامير خرج من

المدينة ووجهته تربة . فكتب عبد العزيز الى حكومة بريطانيا العظمى بواسطة

(١) العقيلات [راجع الشرح في صفحة ١٢٥] تجار من التقصيم وقد كان منهم عدد

في جيش الامير عبد الله

مندوبها في العراق يخبرها بمقاصد الملك حسين وقائد جيشه ابنه عبد الله . فقام .
الجواب ان ذلك من الاشاعات التي لا صحة لها .

كتب ابن سعود ثانياً يقول ما معناه : اني متحقق ما اخبرتم به وما اخبرتم
خوفاً او شكايةً بل لتكونوا عالمين بالحوادث وبما قد يعقبها . وكتب ثالثاً يخبر
المندوب السامي ان الامير عبد الله مشى بجيشه من المدينة ووجهته تربة . فلما
جواب الكتاب الاخير .

وكان قد جهز سرية . وثأفة من الف ومثي هجان بقيادة سلطان بن بجاد امير
القطيف فامرها اذ ذاك بالسير الى الخرمة وتربة للمحافظة على امالي تلك
الناحية ، وامر ابن بجاد والعالم المرافق السرية بأن تكون خطتها الدفاع لاغير .
ثم ارسل بعض العقيلات متجسسين ، وامرهم بان يخبروه خصوصاً بما يفعله
الامير عند ما يصل الى عشيرة . فاذا ترك عسكره هناك ودخل مكة كان في ما
كتب صادقاً ، واذا استمر سائراً كان جوابه خدعة .

زحف الامير عبد الله بجيشه من المدينة جنوباً الى عشيرة (١) فوافاه اليها
جلالة الملك والده . وبعد المفاوضات عاد الحسين الى مكة واستأنف عبد الله السير
جنوباً ، فخيم في شعب يدعى البدع في جبل حفان .

حدثني سمو الامير قال : « لم يكن من رأبي مهاجمة تربة . وقد حاولت ان
اقنع جلالة الوالد بالعدول عن عزمه . ولكنني كقائد الجيش الهاشمي مطيع
لاوامر مولاي . حتى اني كتبت اليه بعد ان تذاكرنا في عشيرة . واثبت في
البدع انتظار جوابه فلم يكن غير الامر بالزحف » .

وكان قد كتب الامير عبد الله في اوائل شهر رجب الى ابن عمه الامير
عبد الله بن محمد وهو يومئذ في الخرمة او في جوارها الكتاب الاتي :

« بعد السلام ورحمة الله وبركاته كتابكم وفق عائض بن جوهر وصل
وعلم مضمونه وعيال مهزيه الصغار نواخوا البارح على صاحب الجلالة

(١) هي على مسافة نحو مئتي ميل جنوبي المدينة وخمسة وسبعين ميلاً شرقي مكة

واخبرونا بالكون (الانارة) عليهم وبكسرة الوهايبة . ولا شك ان العرب اذا صدقوا اللقاء كسروا المنير عليهم . هذا امر ثابت . وحسب الرغبة امر صلح الجلالة باتقاذ ابن مهزي فاخترنا مئتين من الجعدة مع غالب بن عنيز يمسون غداً او بعده ان شاء الله . . . (كلمة مبهمة) امير الحرمه السيد غازي الحارث من السطوة في البلاد الان . فبعد وصولي بالقوة الكافية اليكم تردها بما تستحقه والتوفيق بيد الله . هذا ما لزم ودمتم ونحن على ممشى في هذين اليومين « .

الامير القائد

عبد الله

في ٣ رجب ١٣٣٧

مشى بعد كتابة هذا الكتاب من عشيرة الى جبل حضن نخيم في البديع . وجاء ابن سعود في اواخر هذا الشهر او في اوائل شعبان احد عقيلاته يخبره بذلك فكتب الى الامير كتاباً في ١٠ شعبان قال فيه :

« قد تحقق عندي خلاف ما اخبرتني به سابقاً اي انك عائد الى مكة المكرمة ، والظاهر انك مهاجم ثربة والحرمه . وذلك مخالف لما ابديتموه للعالم الاسلامي عموماً ، والعربي خصوصاً . واعلم رعاك الله ان اهل نجد لا يخذلون اخوانهم وان الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست بشيء . نعم وان عاقبة البغي وخيمة . خير لك اذن ان تعود الى عشيرة . وانا ارسل اليك احد اولادي او اخوتي للمفاوضة فتم الامور على ما يرغب به الفريقان ان شاء الله « .

الكتاب طويلٌ تدرك مباحثه من جواب الامير الذي فيه كل الخبر ، وهو في عنوانه يعود الى لهجة الكتاب الاول الرسمية .

« من عبد الله ابن امير المؤمنين الحسين بن علي الى حضرة امير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز سعود دامت كرامته .

وصلني خط الجناب الموقر المؤرخ . ١٠ شعبان فتلوته وفهمته ، فلما اجد فيه ما استغربته واستعذبتة . نقول اني بينا اكتب اليك مسالماً اجر

الاطواب على المسلمين ، وان مظهري هذا اثار ثائر الناس علينا . وانك ، دامت مدتك ، خرجت فزعا الى ان يأتيك مني الجواب . واليك به وهو ينطق بلسان صاحب الشوكة والذي وحكومته .

اولاً — اظن ان صاحب الشوكة سيد الجميع يرحب بكل من يطلب كتاب الله وسنة رسوله (ص) ويحيي ما احيا الكتاب والسنة ويميت ما اماته الكتاب والسنة لان هذا دأبه ودأب اجداده منه الى صفوة الخلق عليهم سلام الله .

ثانياً — لا اذكر ان احداً منا وقع على كتاب ذكر فيه انك او احد آل مقرون من الخوارج . او انكم لستم من ملة الرسول .

ثالثاً — كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة وعنى في الارض فساداً يستحق التأديب شرعاً ، تخصصاً واحداً كان او الف شخص .

رابعاً — اعلم وتيقن ان نيتنا نحوك ونحو اهل نجد نية خير وسلام . خامساً — اما قولك ان الناس نفروا جميعاً لحربنا اناهم قبل رجالهم فاذكرك بقول الله تعالى فان جاءونا (اي عرب بركة والروقة الذين انذرهم) بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبد العزيز قبل ان ينزل اجدادك بنجد . وان بقوا فلكل باغ مصرع وان الله مع الصابرين .

سادساً — تأمرني بالرجوع الى ديرتي من ارض هي لابي وجدتي . ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم ؟ جزيت خيراً . ولكن هل تذكر ان رجلاً من قريش ، ثم من بني عبد مناف ، ثم من بني هاشم ، جده الرسول وعلي ابن ابي طالب ، يقع له بالشنان^(١) ويروغ بمثل هذه الاقاويل ؟

سابعاً — نقول اني لو التمس رجلاً في نجد يرجع الحياة على الموت في سبيل الله لما اجدته . فكان الاوفى لهم اذن ان يأتونا ويجاهدوا الاتراك معنا عن بيت الله ومسجد رسوله حتى ينال الشهادة منهم من كتب له . ثم بعد ذلك تردون مينا النظر .

(١) اي بالشنان وهو يضرب لمن لا يتضمن لحوادث الدهر

ثامناً - أخبرتك في كتابي بفتح المدينة المنورة بانني متوجه الى الوطن
لتأديب العصاة ، وسألتك هل انت على عهدي بك ام تغيرت نياتك فجاءتني
نجاجيبك بجواب منك فيه الميل الى التقرب والمسالمية فرجوت خيراً وعززته
بالجواب الثاني . فجاء ثاني كتبك لي ومثله لوالدي ولاخي ملؤها المودة
المؤكدة باليمين وكل ذلك محفوظ . فما حملك الان على تغيير لهجتك ؟
امن اجل اننا نؤدب رعايانا ونصلح ما فسد في قبائلنا ؟

تاسعاً - ان كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فاردد الذين
امرتهم ببيع مواشيهم ، وبنيت لهم الدور (يريد الهجر) واخلى مكانك
الذي وصلت اليه وانحر (عد الى) ديرتك ولك علي ألا امس احداً من
اهل نجد بسوء .

اني مرسل اليك كتابي هذا مع احد نجاجيبك وهو القسماني وابقيت
الاخر ليأتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام .

في ٢٣ شعبان ١٣٣٧ القائد العام للجيش الشرقية الهاشمية
الامير الختم

تربة والخزومة لا بد عند هذا الحد من كلمة في هاتين البلدتين وقد اثارنا
الحرب بين نجد والحجاز . الخزومة هي على مسافة خمسين ميلاً من حَضْرَن الى
الشرق ، وتربة هي على مسافة خمسة وسبعين ميلاً منه الى الجنوب . وجبل حَضْرَن
هذا هو في التقاليد الحد الفاصل بين نجد والحجاز . فقد جاء في الحديث : من
رأى حَضْرَن فقد أُنجد .

من هذه الوجهة اذن تكون البلدتان في نجد . ولكن اصحاب السيادة فيهما من
اشراف الحجاز ، فادعى الملك حسين رعايتهم . ومن الوجهة الاخرى ان الاهالي
من بدو وحضر وفيهم الاشراف تمذهبوا في الزمن الغابر بالمذهب الوهابي ، فلهذا
السبب ايضاً يدعي ابن سعود انهم من رعاياه . وكلمهم بدو وحضر لا يتجاوزون
الخمس والعشرين الف نفس .



الامير عبد الله ابن الملك حسين امير شرقى الاردن

تعلا احزمة الكائنة في وادي سبيع ثلاثة الاف وحسمئة قدمه عن البحر
وعدد سكانها خمسة الاف ، تلتها من العيد المعوقين ، والتلت الآحر من عرب
سبيع^(١) اما الاسراف فلا يتجاوزون الملائمة عس . وكان اهميتها لاتناس عدد
سكانها لانها كانت في طريق التجارة بين نجد والحجاز ، بل هي محطة تجارية
لتجار الوشم والقصيم .

اما امير الحرمه الترمف خالد بن منصور . هو من بني اؤي اي من امارب
الملك حسين . وكفه من المتصلين في الوهاية . لذلك تصف الصلات بين
الترمف . بل اتمرت لخالد آرين ، فتمت حدثت حلاف بيها في سنة ١٣٣٦
حمل حلاله الملك على حس خالد ، فتمسعل في صدره النار الاول . وكفه عطاه
لحين يرماد السيا ، وراح يساعدا لأمير عبدالله في حصار المدينة
وهناك حدثت حلاف بينه وبين الأمير ، وتكررت الاساة التي لا يحال
اكرها ، فكله خالد مدراً ، معصب الأمير . صمعه بيده ، فسقي الرماد عن النار
الاول وانتهب مقروماً بالنار الثاني .

حاء حالي الى الرياض في آخر سنة ١٣٣٦ يجدر ان نعود من مساعي الحسين
ومحله عدله ويستنجده عليهما . وقد حدثت في السنة المائسة (١٥١١ م) ما
حقق قومه لان الامير ارسل اربع حملات على الحرمه تساة التمسك
وكان صيها كالماسل .

اما تره مسكيب من غرب الحوة ، وهم مثل حرمه عدل من لارب
يملكون اكبر صها ، وكهم له محصره عييد من اتبع من سعود وداياه
سعود الاول . لدا ان قسما منهم اصمعا في حنن حجاز في حرب اعلمى ،
تم اقلبوا على الحسين لاساب ديمة وماية فاي على سنة . يربها ، ويمكن
من ذلك الاعدان امه الحرب .

ومع ان تره قرية لا يتجاوز عدد سكانها المائة الاف هي دس همد لانها

(١) كانت سبيع قطع جهات الحجاز مطردتها عبية ، وحب الاقية هها هم سكان
الحرمه وية الى حواء نجد وامامت وحلفاءها السهول في حائر التي تدعى هناك حائر سبيع

في الطريق الى الطائف . هي باب الطائف من الوجهة النجدية ، وحصن الطائف من الوجهة الحجازية . ويتبع تربة «سهل شرقي» الى الشمال الشرقي من مستنقعات البقوم وعدد سكانها ثلاثة الاف من البادية . وحول هاتين القبيلتين السبيع والبقوم وقراهما تسرح وتمرح قبيلة عتيبة الكبيرة .

نعود الان الى الجيش الزاحف الى تربة ، فقد بالغ الرواة في تقديره ، فقال بعضهم انه كان مؤلفاً من سبعة الاف من النظام وثمانية الاف من البدو . اما الحقيقة فهي انه لم يتجاوز كله السبعة الاف ، منهم الفان من النظام والباقي من البدو .

وكنهه كان كافياً لغرض الامير . فقد دخل تربة بدون قتال يذكر ، دخلها في ٢٤ شعبان اي بعد يوم واحد من الكتابة الى ابن سعود . والذي ٨١٣٣٧ مكنه من ذلك هو انه كان قد استخدم بعض عربان البقوم في جبل ٢١٩١٩ حصن ايدخلوا البلدة مدعين انهم جاءوا يحذرون اهلهما من الامير ويستنهضونهم على محاربتة . بل قالوا للمدافعين انهم جاءوا يجاربون معهم ، فانزلوهم في الحصون مع من تحصنوا فيها ، فما لبثوا ان انقلبوا عليهم فاستولوا على اسباب الدفاع وصاحوا بالناس : الملك للشريف !

وفي تلك الساعة في صباح الرابع والعشرين من شعبان (٢٤ مايو ١٩١٩) دخل الامير بجيشه فصادف لاول الامر بعض المقاومة ، فأمر باطلاق المدافع والرشاشات على المقاومين ، فتشتتوا ثم فروا هاربين الى الحرّة جنوبي البلد . دخل الامير ظافراً فوزع جيشه في جوار تربة وحولها ، وكانت ساعة " لرجاله إباحية فنهبوا البلدة وافسدوا فيها ما شاءت الشهوات والاهواء . وقد امر في ذاك اليوم بقتل بعض المشايخ واثنين من التجار النجديين وبمصادرة اموالهم . ثم كتب من مخيمه في الجهة الغربية الى رؤساء البادية في تلك النواحي خصوصاً في رنية ، يخبرهم بما حل بتربة ، ويهددهم بمثل ذلك اذا كانوا لا يجيئون طائعين صاغرين . ومن هذه الكتب الكتاب التالي :

« قيادة الجيوش العربية
الشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم
من عبدالله ابن امير المؤمنين الحسين بن عون الى المكره فيحان بن صامل
اما بعد فاني احمد الله اليكم ثم اخبرك بانا وفقنا البارئ
سبحانه وتعالى فاطفأنا نار الخارجة التي في ترّبة ومزقناها كل ممزق وضررنا
اعناق ارباب الزبغ والنفاق ومن جملتهم الطعامة وابن مسيب نزل قريتكم .
وان هذه الفتنة التي اثارها خالد بن منصور بلا لازم ينعا ، اوحق يطلبه ،
وادخلكم فيها ، نأمركم بتركها والاسراع بالركوب الينا وكف كافة سبيع
اهل رنية بدو وحضر عن الاستمرار فيها . ونأمركم بجلب شيوخ الزكور
(قبيلة من القبائل) معكم الينا في ست ليال للاستئمان من سطوئنا . وان لم
تفعلوا فسأميل ميسنة البيرق المنصور عليكم مستعينا بالله تعالى مستنجداً عظيم
قدرته . ولا تكتم انذاري هذا عن كل صغير وكبير لاني سأسألك عنه
حين لا تنفعك الندامة والسلام على من اتبع الهدى .

في ٢٤ شعبان ١٣٣٧

القائد العام للجيوش

الشرقية الهاشمية

الختم

وفي كتاب الى ماضي بن قاعد ومحمد ابرق نقيش يقول :
« ما خفي عليكم ما حل بترّبة من ذبح الرجال ، وتدمير المال ، بعد ان
طغى اهلها وبغوا . وانتم يا اهل رنية بدو وحضر ان ما كفيتم طوارقكم
وركبتم الي في ست ليال مع شرفكم والا حزمتمكم حزم السلم وطردتم طرد
غرائب الببل (ابل) وعاقلكم يعلم جاهلكم . ولولا مشاري بن ناصر وغازي
بن محمد لكان صباحي يسبق كتابي اليكم . والسلام على من اتبع الهدى » .
استقر الامير ذاك النهار في الخيم المنصور ، وبعد ارساله كتب التهديد الى

رؤساء القبائل اذن لنجباء ابن سعود ان يعود بالجواب الذي ذكر . وكان قد علم بان السربة التي جاءت الى الحرمه اي جيش ابن محاد وخالد - قد مشت منها الى مكان يدعى القرنين ، وهو على مسير اربع ساعات من تربة ، فزود النجباء برسالة شفاهية ايضاً .

— « احذر الحوارح ومن التف حولهم في القرنين بما جرى . قل لهم اننا سنكفيهم مؤونة القدوم الى تربة — قل لهم ما حثنا تربة من اجل تربة والحرمه فقط . . سنصوم في الحرمه ان شاء الله وسنعيد عيد الاضحى في الحساء » .

ركب النجباء الظهر ، فوصل الى القرنين بعد صلاة العصر ، فاحاط به الاخوان مستحزين . تنق النجباء بجيه واخبرهم بما جرى ، وبما فاه به الشريف ، فما كاد يتم كلامه حتى صاحوا صيحة واحدة : اياك نعبد واياك نستعين ! وهم يريدون الهجوم . فسكن العالم والقائد روعهم . قال ابن محاد : « كيف نجاوز امر صاحب الامر ، فهو لم يأمرنا مير الدفاع » .

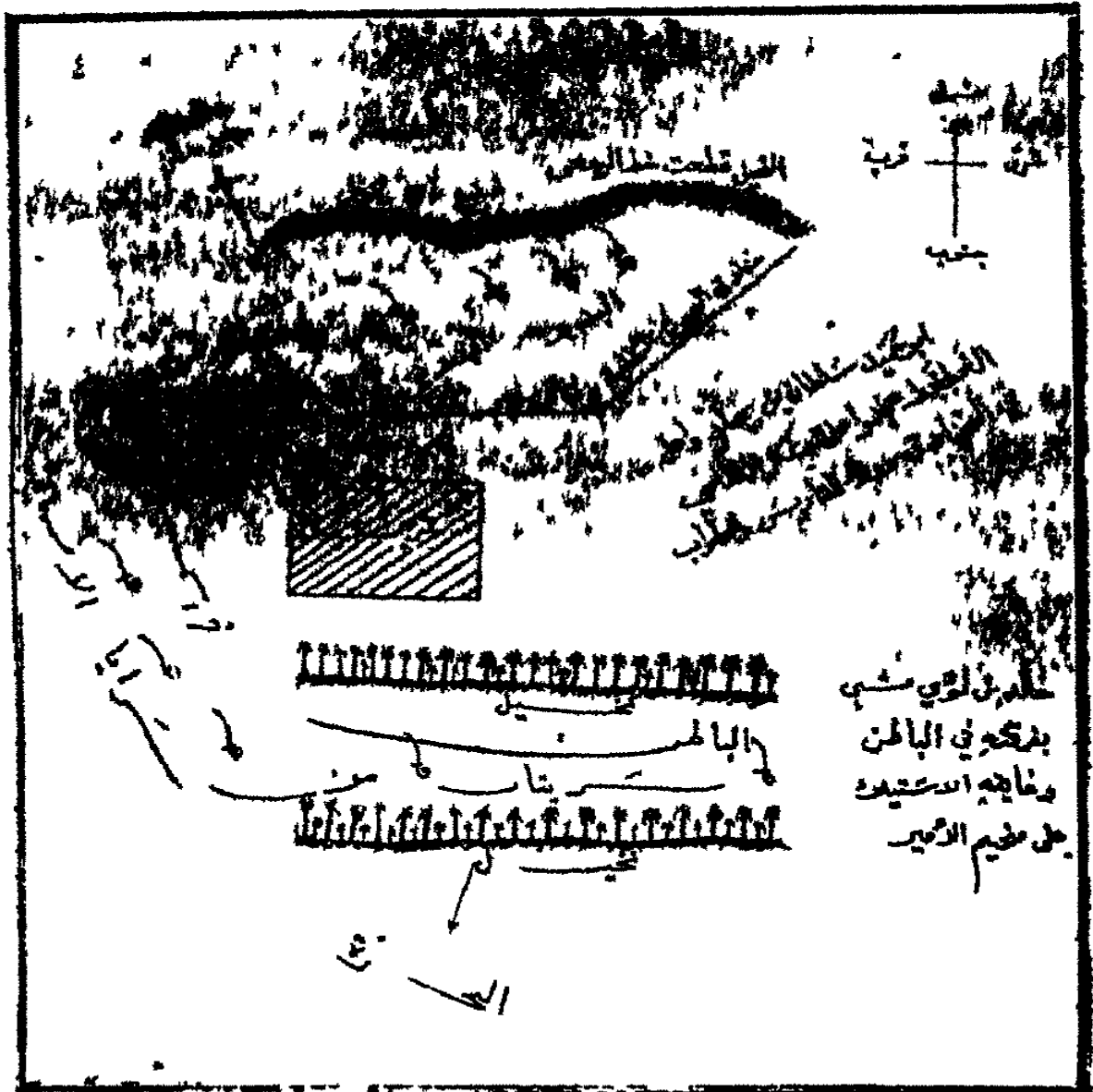
ولكنه كان قد سي كتاباً جاء من ابن سعود وفيه ما معناه : اذا جاءكم الخبر بمسير الشريف الى مكة فائزوا مساكم الي ان يأتكم مي امر اخر . واذا علمتم بانه تجاوز حدود تربة ماني اذك ان نضوا كتابه وقرأونه فنرون فيه رأيكم .

ما كانوا في حاحه الى استماع كتاب الامير وقد سمعوا كلامه من فم النجباء . ولكن العالم عمل بالامر العالي ، فصاحوا ، وهو يتلو الكتاب عليهم ، اياك نعبد واياك نستعين ! وشدوا في تلك الساعة الرحال .

« هت هبوب الجة ! اين انت يا باغيها ! »

متوا قبل صلاة المغرب ساعة وهم مع من انضم اليهم الف وحمسة مقاتل . قال الراوي وهو من اهل الحجاز : « جاء الامير عبدالله في داك اليوم رحل من السادية يقول : تحذر يا شريف . المتديية في الحرمه هاجمون عليكم . فغضب الامير وامر بقطع عقه » . وفي رواية اخرى انه امر دحناً كبير عيده بضربه ، فضربه حتى الموت .

في كلا الحالين نام الامير تلك الليلة خالي البال مطمئنا . وكان الاخوان قد علموا من رسول ابن سعود كيفية توزيع جيش الامير ، فاقسموا الى ثلاث فرق قبل ان يصلوا الى نخيل تربة ، اي فرقة الحياالة ، وفرقة خالد ، وفرقة ابن بجاد . وعندما وصلوا البلد في منتصف ليلة ٢٥ شعبان (٢٥ مايو) هجموا هجمة واحدة ساكتين مستشبهين .



بقدم خالد ورجاله ، وفيهم من تردوا من تربة ، فدخلوا الباطن وقصدوا الاستيلاء على محيم الامير . مساو وسلاحهم الابيض يابح في ظلام شتاف

فاصطدموا بالسرية الاولى من الجيش الحجازي وذبحوا رجالها كلهم . وكذلك الثانية . ثم هجموا على السرايا المقيمة عند مخيم الامير ففتكوا بها فتكاً ذريعاً . وهجم ابن بجاد برجاله ، وكلم من اهل الغطفط ، على الجنود النظامية وراء المتاريس والاطواب فكانت السيوف تشتغل كالمقاصل ، وكان ابن الغطفط يثب على المدفع فيذبح الضابط المقيد وراءه بالحديد . ولكن هول الفوضى والظلام كان افظع من التذبيح ، فبطش الجنود بعضهم ببعض وهم يظنون انهم يطشون بالاخوان .

اما فرقة الخيل فقد قطعت خط الرجعى خصوصاً على حرس الامير فلم ينبج منهم غير الامير نفسه وبعض الضباط ، ونجى ابن سعود الثاني . فر الامير عبد الله قبل ان يصل خالد ورجاله الى سرايا الخيم ، فثبت بعضهم في النضال ليردوا العدو عن تعقبه ، وسقط من حاول الفرار صرباً بين سنابك الخيل .

اما الذين نجوا من الذبح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار فقد التجأوا الى حصن من حصون البلد ، فهجم الاخوان عليهم في اليوم التالي ، وجعلوا خاتمة المذبحة كاولها ، تراكمت الجثث بعضها فوق بعض . وكان من اللاجئين الى ذاك الحصن الشريف شاكراً فكُتِب له النجاة ، ونجا معه شاب من الاشراف اسمه عون بن هاشم اجتمعت به في جده ، في رحلتي الثالثة اليها ، وهو يومذاك في العشرين من سنه . فقد كان عمره يوم شهد تربة خمس عشرة سنة . قال الشريف عون بن هاشم يحدثني عن هول ذلك اليوم : « رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل ، وبقيت سنتين عندما ارى الماء الجارية اظنها والله حمراء . ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل ان طحت من الشباك . ومن اعجب ما رأيت يا استاذ رأيت الاخوان اثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون الى القنال » .

لم ينبج من جيش الامير النظامي غير ستة ضباط واثني عشر جندياً . ولم ينبج من البدو غير من ساءموا او انضموا الى جنود خالد ، واكثرهم من عتبية ، وعددهم لا يتجاوز الالف . فيكون الموت قد نقاضى خمسة الاف نفس بشرية

جزاء جهل الانسان وغروره . بل خمسة الاف وخمسمئة ، لان الاخوان دفعوا قسماً من الضريبة ، فقد خسروا اربعمئة من رجال الغنظف ومئة من اهل تربة والخرمة .

قال الامير عبد الله في كتابه الاول الى ابن سعود يُنبئه بتسليم المدينة : «واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاملاك والآلات والادوات العائدة للحكومة الغابرة» — استولى عليها في ربيع الثاني ، ثم خسرها بعد اربعة اشهر فاستولى عليها ابن سعود !

ولكن ابن سعود لم يعلم بذلك الا بعد الوقعة بخمسة ايام . فقد كان قادماً من نجد بجيش عدده اثنتا عشر الف مقاتل ، فالتقى وهو في الطريق بين ماء القنصلية والخرمة بالنجباء الشارد فقص عليه الخبر .

استمر عبد العزيز سائراً الى الخرمة ومنها الى تربة ، فبكي عندما شاهد فيها حصاد الموت . وعندما صاح جنود خالد وابن بجاد : الى الطائف ! رخص لنا بالطائف . منعم قائلاً : « كفى الباغي جزاء بغيه » .

اقام عبد العزيز خمسة عشر يوماً في تربة . وقد جاءه في اليوم العاشر برقية من الحكومة البريطانية بانندن بواسطة وكيلها السياسي بمجدة آسأه فيها ألا ينقده الى الطائف . فعلت ذلك آكراماً للملك حسين واجابة خطابيه ، وكانت ابن سعود في نظرها كريماً .

الفصل الثامن والعشرون

البدو والهجر

قد شاهدنا للمرة الاولى ، في وقعة تربة ، روحاً جديدة في القتال ، روحاً
نجدية دينية مجسمة في الاخوان ، روحاً قهارة ، هي بنت الهول والاستشهاد ،
قلما تغاب او ترد . وفي كلمة كتبها الامير عبدالله الى ابن سعود سر هذه القوة .
قال الامير : « فاردد الدين امرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور » .

هي اول اشارة في هذا التاريخ الى الهجر . والهجر مهد الاخوان ، والاخوان
جيش ابن سعود الديني القومي ، جيش التوحيد .

وما هي الهجر ، وكيف أسست ، وما الذي دعا لتأسيسها ؛ ومن هم البدو
ومن هم الاخوان ؟ سنبدأ بحيين على هذه الاسئلة في كلمة على البدو ، فنطرق الى
الهجر واهلها . البدو منذ القدم غزاة ، عصاة ، عتاة ، ولهم غريزة دينية غدتها
الخرافات ، ومطامع تكاد تنحصر بالاقوات . فهم يسارعون الى القتال في سبيل
الله كما نفر النافر وضاق بهم العيش .

وكنهم في طاعتهم واخلاصهم ، وفي جهادهم وولائهم ، لا يهتمون فوق
طاقتهم ، وقلما يفادون بشي من اشياهم . يحاربون ، ويشردون ، ويخونون . وهم
وان غالوا في دينهم ، لا يثبتون ، بل انهم في الردة سرعون .

وقد رأى الرؤساء منذ القدم ، نظراً لغريزتهم الدينية وان تلونت ، ان يستلوا
عليهم سيف الالهية قبل السيف الذي يرى . دعاهم مسالمة فلبوه ، ثم دعاهم
الشيخ طاهر القرمطي فحاربوا معه كالبنيان المرصوص . ثم تشتتوا بعد كسرة
القراطة ، فجاءتهم من البصرة والنجف عقائد في الدين جددت في جمع شملهم
وتعزيز مذهبهم ، فبنوا القباب فوق القبور ، وعلقوا الرقاع على الاشجار — سبحان
من هو حديق للواحد القهار .

ثم جاء ابن عبد الوهاب يعلمهم ان التسييح لا يجوز لغير الله الواحد القهار .
جاء يعلمهم التوحيد واستعان على ذلك بسيف ابن سعود ، فقاموا يجاربهونه مع
ابن الدواس ، وابن العريعر ، وكانوا مدحورين . جمعهم ابن سعود تحت علم
التوحيد ، فوحدوا الله واقسموا ان لا شريك له . ولكنهم في كل اطوارهم بدو ،
والبدو مثل ذي الاجنحة طيارون . او ان لم مزية الزئبق ، فيجتمعون
ويفترقون ، وانت تلو الفاتحة . لا يحملون شيئاً في جيوبهم ، ولا في قلوبهم ،
بل لا جيوب لهم ولا قلوب . رفاقك في الطريق اليوم ، واعدائك غداً . ولا
اظنهم لولا الجنة والحوريات ، يخضعون لرب الكائنات . قد اكون مخطئاً بهننا
وه يكثرون من ذكر الله في كل حالاتهم .

وكن النبي نفسه انبيهم ولم ينفعهم التائب . فقد جاء في القرآن : قالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا .

اما الدين عندهم فكالرداء يلبسونه ردحاً من الزمن ، فيغسلونه مرة او مرتين
ثم يلبسونه مقلوباً ، ثم يبدونه وقد تمزق بند النواة — كيف تتوضأ ونحن نبغي
الماء للشرب ؟ ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان ! ولم الصلاة وليس لله وقت
ليسمعنا !

وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الامير او ذاك . فما الفرق وربك بين ابن
مقرن مثلاً وابن هاشم ، او بين ابن الصباح وابن الرشيد ؟ هم كهم عرب ،
يقيمون في بلاد العرب ، ويعزون غزو العرب ، ونحن ان حاربنا مع هذا او ذاك
عرب .

ما تغير البدو منذ ايام الرسول ، ومنذ ايام مسيلمة وابي طاهر . دينهم
حاجات ، لذلك الردات . وولاؤهم غايات ، لذلك الحيانات . وقد تبين لقارىء
هذا التاريخ في ما سردناه من حوادثهم ، وسجلناه من حروبهم ، انهم لم يتغيروا حتى
بداية القرن العشرين . فقد ظلما ارتدوا ، وخانوا ، وعادوا تائبين ، منذ ايام عبد
العزیز الاول الى ايام عبد العزيز الثاني . وهم كما وصفناهم لا يوالون طويلاً ، ولا
يعادون طويلاً . لا يثبتون ، ولا يسكنون ، ولا يستقيمون في مسراهم او

في مغزاهم .

البدو سيفٌ في يد الامير اليوم ، وخنجرٌ في ظهره غداً . مجاهدون اذا قيل غنائم ، متارضون اذا قيل الجهاد . وكذلك كانوا عند ظهور عبد العزيز الثاني وفي حروبه الاولى وغزواته . كانوا يحاربون ما زالوا آمنين على اموالهم وانفسهم ، ويفرون شاردين عند اول خطر يلوح . لذلك كان ابن سعود يقدمهم في القتال ويدعمهم بالحضر ، يحمي ظهرهم ليؤمن انقلابهم ونقمقرهم . فهم اذا ذاك اشداء ثابتون في النضال . وبكلمة اخرى هم شجعان اذا كان لهم ظهر . والا فالفائلة لنا والفرار علينا . جاء في امثال العرب : البدوي اذا رأى الخير تدلى واذا رأى الشر تعلّى . ولكن البدوي وحده يدافع عن نفسه وبعيره حتى الموت وان كان خصمه قبيلة باسرها . اما البدوي في الجيش فقد كانت مشكل ابن سعود الأكبر .

وقد حل عبد العزيز هذا المشكل بطريقة جديدة لم يسبقه اليها احد من ملوك العرب قديماً او حديثاً . فهو من هذا القبيل المصالح الأكبر في العرب . اجل قد حارب البدو وغلبهم كما فعل اجداده ، وادخلهم في دين التوحيد كما فعل اجداده ، ولكنه لم يقف مثلهم عند هذا الحد . قال : امسكوا الخوذة ، فقتلوا : الفلا منجى . وهاهنا نجوة التجلي . فقد تجلت لعبد العزيز الحقيقة التي خفت على سواه . وهذه الحقيقة هي ان البدو لا يثبتون ، ولا يطيعون ، ولا يخلصون — البدو هم بدو — لانهم لا يملكون شيئاً من الارض ، ولا يسكنون بيوتاً ثابتة . اذن ، سنعطيم ارضاً ونساعدهم في بناء البيوت . سننقلهم من البادية الى المدينة . سنقيدهم بالارض ، ونكبلهم بسلاسل التملك فننفعهم ، واذا اذنبوا نستطيع تأديبهم .

ان هناك كذلك الفكرة الدينية ، الفكرة الاولى في الهجر — والهجر جمع هجرة — والهجرة في القاموس ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال الى دار الاسلام . اما وطن البدو فالبادية ، والبادية مهد الشرك ، فالهجرة منها اذن هي الهجرة الى الله والتوحيد . وهي كذلك هجرة مدنية . فمن بيوت الشعر الى

بيوت من لبن وحجر ، ومن الفقر والغزو الى ارض لا تخون صاحبها اذا عمل بها
المحراث ، ومن الخوف والتحذر الى طأئينة لا تهجره ما زال عاملاً مفيداً
لنفسه ولبلاده .

الداعي الى الهجرة اذن ثلاث امور ، اي تعليم البدو الدين ، ونفعهم بارض
يحرثونها ، والاستيلاء عليهم . ليس من السهل ان يألف البدوي الزراعة وقد
كان دائماً يأنفها . كان سكان البادية يقسمون في الماضي الى قسمين البدو
والعرب . فالبدو غزاة ، والعرب رعاة ، ولا اكار بينهم ، ولا من يتنازل للعمل
في الارض .

باشر ابن سعود اصلاحه الكبير بالواسطة الدينية ، فكان يرسل المعاونة الى
البادية ليعلموا اهلها دين التوحيد والفرائض ، ويزينوا لهم هجر ما هم فيه الى ايمان
يستشعرون ، وبيت ياوون ، وارض يحرثون .
وقد استخدم في التحضير القوة المدنية ايضاً ، فكان السيف يتقدم المطوع
في بعض الاحابين او يتبعه كما تقتضي الاحوال . تجاوز التطور في البدو حده
الديني ، فصاروا يهجرون ما هم فيه ليس الى الله والتوحيد فقط ، بل الى الشريعة
والنظام ، وطاعة الحكام ، واحترام حياة الانام .

وكان ابن سعود يعين بقعة من الارض فيها ما - اقبيلة او اخذ منها فتزح
اليها وتبانر بناية البيوت فيها . بيد ان الصعوبة الاولى التي تغلب دعاة الهجرة
عليها هي الجمال . ومعلوم ان رزق البدوي اباعره ، فما زالت عنده ما زالت
البادية تستغوبه ، فيروح في ساعات الضجر طالبا الرزق حالاً او غزوا حيث
كان . لذلك جبر البدو على بيع جمالهم .

كان ابن سعود يساعد مالياً في بناء البيوت الجديدة . وقد أسست في سنة
١٣٣٠ اول هجرة لعرب مطير اي الارطاوية شرقي بريدة وقرب الدحناء . اما
تسميتها بالارطاوية فهو لان الأرتطى ، مرعى الابل المعروف ، يكثُر في جوارها .
ان هذه الهجرة لا كبر الهجر اليوم واهمها . وقد تبعها كل سنة هجر عدة لقبائل

ب وعتيبة وقحطان وغيرها ، حتى أصبح عددها سبعين هجرة ويزيد ^(١) .
على ان هذه الهجرة في بداية امرها اورثت ابن سعود مشكلاً آخر ، وهو ان
البدو بعد ان باعوا جمالهم وصاروا اخوان يتعصبون بالعصاة البيضاء التي تميزهم
عن الناس ، اقاموا في الهجرة لا يعملون شيئاً في ايام السلم غير الصلاة . غدت
بيوتهم مناسك ، وقد نزلوها ابتغاء وجه الله . هجروا البادية حقيقة الى الله
والتوحيد فاصبحوا عائلة على صاحب البلاد .

ولكن المصلح الكبير لا يعدم طريقة لنقذ اصلاحه من الخطر . فشحن
ذهنه واستعان على تلك الحالة بالعلماء ، فجاء العلماء بالتاريخ ، وباخبار السلف ،
فسلحوا بها المطاوعة ، فراح هؤلاء يجارون بها البطالة والكسل . راحوا يعلمون
المتحضرين ان الزراعة والتجارة والصناعة لا ثناني الدين ، وان المؤمن الغني خير
من المؤمن الفقير . — وهذا ابو بكر ، كرم الله وجهه ، كان يملك ثمانية الاف
رأس من الابل والخيول . فهل تزدرون ، ايها الاخوان ، ما كان يرغب فيه ابو
بكر ! وهل تشكّون في ان الله سبحانه وتعالى يفتح لكم ، اذا انتم زرعتم وتاجرتم ،
ابواب الثروة والجاه ؟

قد افصح المطاوعة في تحبيب العمل والمال الى الاخوان ، فشرعوا يزرعون
الارض حول الهجرة ويتاجرون . وقد نشأت بعض هذه القرى نشوءاً سريعاً فصارت
تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة . على ان الزراعة والتجارة لم تضعف في
ابناء هذه الهجرة ، في الاخوان ، روح القتال . بل علمتهم فوق شجاعتهم شجاعة
جديدة لا تعرف الخوف ، ولا تهاب الموت . وما الشجاعة هذه غير بنت الايمان
الجديد الي القوي . فان اخوان مطير في الارطاوية مثلاً ، واخوان حرب
في دُخنة ، واخوان عتيبة في الغطف ، لاشد جيوش ابن سعود بأساً ، وابسلم
نضالاً ، واسبقهم الى الاستشهاد . كيف لا وقد قلدوا في تحضيرهم سيفين ،
سيف الدين ، وسيف الثبات . انهم اليوم لغيرهم بالامس فلا يشردون ، ولا

(١) في الملحق لهذا التاريخ — في آخره — لائحة الهجرة كلها واسماؤها واسماء
عشائرها ، وعدد سكانها ، وعدد المقاتلة فيها .

يتراجعون، وقلما ينهزمون . انهم يحاربون حبا بالاستشهاد والجنة ، وحباً بالمحافظة على ما يملكون . صاروا يخافون النار ، ويخشون عاقبة الفرار .

لا . لم ثقل الهجر في اهلها غريزة الغزو ، ولا اضعفتها . بل شحذتها في سبيل الله ، وقيدتها بشروط تختص بتقسيم الغنائم . على ان توحيد السيادة العربية ، السائرة البلاد نحوها ، تضييق من طبعها مجال الغزو وتزيله في النهاية تماما . فلا تجد اذ ذاك العرب اعداء من العرب او عرباً مشركين للغزو والجهاد .

قلت مرة لعظمة السلطان : « وستكون الهجرة الثانية من الجهل الى العلم ان شاء الله ، فتؤسس المدارس ويتعلم الاخوان شيئاً من العلوم التي من شأنها ان تحسن الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد » فاجاب عظمته : « كل شيء يبجيء في وقته » .

اما سكان الهجر الان ، وهم الطبقة الاكثر عداءً ، فقد الفوا الزراعة واستعدبوا ثمارها . وهناك الطبقتان الاخريان اي التجار والمطاوعة . اما من الوجهة الحربية فالهجرة تقسم الى ثلاثة اقسام اخر لتلبية دعوات الحرب الثلاث ، اي الجهاد ، والجهاد مثنى ، والنفير . فالذين يلبون الدعوة للجهاد هم دائماً مسلحون وعندهم مطايا وشيء من الذخيرة . والجهاد مثنى هو ضعف الجهاد ، فيجيء كل مجاهد بآخر يردفه ذلوله . هم الذين يلبون الدعوة الثانية والاحرى ان يسموا الرديف . اما القسم الثالث من المذكور فهم الذين يبقون في ايام الحرب في الهجر ايداً وموا أعمال التجارة والزراعة ، ولا يدعون للحرب الا اذا اضطر صاحب البلاد الى الاستنفار العام . من حقوق الامام وحده ان يدعو الى الجهاد والجهاد مثنى . اما الاستنفار العام الذي لا يكون الا للدفاع عن الوطن ، فهو حق العلماء . واكن السلطان يكتب اليهم معلناً حاجة البلاد الى الدفاع ، فيبادرون الى استنفار الناس اجمعين ، البدو والحضر والمهاجرين .

قال عظمة السلطان محدثاً عن الاخوان : « يميؤننا في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون اليه من كسوة ورزق ومال . واكنهم في ايام الحرب لا يطلبون شيئاً منا . في ايام الحرب يتزتر الواحد منهم بيت الخرطوش ، وبادر الى البندق ، ثم

يركب اللؤلؤ الى الحرب ومعه شيء من المال والتمر، . . . القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا . . . كنا نمشي ثلاثة ايام بدون اكل . يأخذ الواحد منا تمرة من حين الى حين يرطب بها فمه . . . نعم كانت الحاضرة اثبت قدمًا واشد بأسًا من البادية . اما الان فالبادية المتحضرون ، اهل الهجرم في القتال اثبت من الحاضرة واسبقهم الى الاستشهاد .

ولكنهم في ما ظهر من بسالتهم ، وبطشهم ، وهول استشهادهم ، اورثوا عبد العزيز مشكلًا آخر كاد يفسد مشروعه الاصلاحى العظيم . فقد طغى الاخوان وتجبروا فضج الناس . راح الاخوان يجاربون من لم يتحضر من البدو فيكفرون ، وينهبون ، ويقتلون .

« انت يا بدوي مشرك — والمشرك حلال الدم والمال . انت يا ابا العقال من الكفار — انا اخو من طاع الله ، وانت اخو من طاع الشيطان » .
كذلك كان يسطو كل متعصب بالعصاة البيضاء على سواه من العرب ، فيعير ، ويسب ، ويسفك الدماء . وقد انتشرت من جراء ذلك الفوضى في البلاد ، وكاد ينقطع جبل الامن والسلا ، فعقد الاماء في سنة ١٣٣٧^(١) مؤتمرًا في الرياض للنظر في هذه الامور ، حضره كبار الرؤساء والعلماء ، وقرروا بعد البحث ما يأتي :

- ١ — الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم .
- ٢ — لا تفاوت بين لابس العقال ولا بس العامة اذا كان معتقدهما واحد .
- ٣ — لا فرق بين الحضرة الاولين والمهاجرين الاخيرين .
- ٤ — لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ودربه دربههم ، ومعتقده معتقدهم ، وبين ذبيحة الحضرة الاولين والمهاجرين .
- ٥ — لا حق للمهاجرين ان يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا كأن

(١) تدعى هذه السنة في نجد سنة الرحمة لان الوافة الاسبنيوية التي غزت العالم بعد الحرب لم تستثن حتى البادية . فقد مات في قلب البلاد العربية الوف من الناس وفيهم ابن السلطان البكر تركي واثنان اخران من اولاده .

يضربونهم ، او يتهددونهم ، او يلزمونهم الهجرة .
 ٦ — لاحق لاحد ان يهجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير امر واضح ،
 وكفر صريح ، وبدون اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي .
 وقد تضمنت هذه القرارات منشوراً^(١) من الامام والعلماء جاء فيه ما يأتي :

« ان معتقد المسلمين بدو وحضر واحد ، واصل المعتقد كتاب الله وسنة
 رسوله ، وما كانت عليه الصحابة ثم السلف الصالح ثم ائمة المسلمين الاربعة ،
 الامام مالك ، والامام الشافعي ، والامام احمد بن حنبل ، والامام ابو حنيفة ،
 فهؤلاء اعتقادهم واحد في الاصل قد يكون بينهم اختلاف في الفروع ،
 ولكنهم كلهم على حق ان شاء الله . »

وهذا الاصلاح العظيم ، اي تحضير البدو فيسلكون عاجلاً او آجلاً المسلك
 الاوسع الذي فيه المدارس والتمدين ، لم يسبق له مثيل في شبه الجزيرة منذ
 ايام النبي .

(١) في الملحق نسخة من هذا المنشور كاملة .

الفصل التاسع والعشرون

صلح صغبر

بعد ان نكب الملك حسين في تربة ، فحصر جيشه باجمعه ، فتح لابن الرشيد الشاب قلبه وخزنته ، ومستودع الذخيرة والسلاح في المدينة . فعززت جرادة القبلة اقوال الديوان الهاشمي : — عدوك عدونا يا ابني ، بل عدو العرب والاسلام . وهذا السلاح منا للحرب ، وهذا المال . اما الرجال ، فعندك شمر وفيها الاشبال . وكان سعود بن عبد العزيز الرشيد قد عقد وعبد العزيز بن سعود ، بعد المناوشات الاخيرة قرب حائل في الشهر السابق لهدنة الحرب العظمى ، صلحاً مميّناه صغيراً . والامير سعود هذا هو الذي فرّ به خاله ابن السبهان الى المدينة عند ما قتل اولاد عبيد اخوته الثلاثة . الحجاز اواه صغيراً ، والحجاز يمهده كبيراً بالسلاح والمال لمحاربة صاحب نجد .

وقد كان سعود بن عبد العزيز مثل اسمه عكس خصمه عبد العزيز سعود — عكسه في اصالة الرأي وبعد النظر . فلما جاءه من جلالته الحسين السلاح والمال ، وجبل الاقوال ، قبل في الحال .

اما ابن سعود عبد العزيز فكان قد ادخل خلال الحرب العظمى اسفين التوحيد في شمر فشقها قسمين . وعند ما باشره ابن الرشيد العداء كتب الى رؤساء تلك القبيلة كلهم ، الاصدقاء والمتذبذبين والاعداء ، يندرهم ويقول : « من كان معنا فليقدمه البناء ، ومن كان مع ابن الرشيد فليرحل اليه » . فكان الجواب من اكثر المقدمين انهم مقيمون على ولائه وسوف لا يلبون دعوة ابن الرشيد .

فلما ادرك الامير سعود ان قبائل شمر ليست معه بدأ واحدة ارسل الى عبد العزيز وفدأ يقول انه قد تسرع ، وانه آسف على ما بدا منه . بل انه راغب



الملك حسين والبلاد العربية
صورة رمزية نشرت في أوج العهد الهاشمي في الحجاز

في تحديد الولاء . فجدد عهد الصلح ، بالرغم عن اعتراض ١٢٣٨ هـ ١٩١٩ و ٢٠٢٠ م اهل نجد ، ولكنه لم يدم منذ ذاك الحين عامًا كاملاً ، ولم يكن ابن سعود المعجل في نقضه كما تدل على ذلك حوادث هذا العام . قد كانت السيادة في الحوف يومئذ للامير نوري التعلان ، فاثارت بعض اعماله الاهالي عليه ، فحاربوه وارسلوا يستنجدون ابن الرشيد .

انجدهم ابن الرشيد حباً وكرامة ، وهو مسرور بعذر يقدمه للملك الحسين — كأنه يقول : « اضطرتنا فتنة الحوف الى تأجيل الحملة على ابن سعود » — ومسرور بفرصة سانحة للاستيلاء على تلك الناحية .

متى سعود برحاه الى الجوف ، فاصطدم هناك بقوات لنوري يقودها ابنه نواف وعودي ابوتايه فنازلوه وعلبوه ، فارسل يستنجد شمر فلم يلبه في بادئ الامر رؤساؤها خوف بعضهم من ابن سعود ، ومحافطة من الاخرين على عهد الولاء واياه . على انهم ارسلوا اليه يستشيرونه في الامر فاجابهم : « اني على صلح وابن الرشيد فلا امانع من ارادوا ان ينجدوه » .

وكان ابن التعلان الشيخ نوري قد ارسل الى ابن سعود ، عند ما علم بما فعل اهل الحوف ، يستنجده على ابن الرشيد ، فكتب عبد العزيز اليه يقول : « اني صديق لك ولا ابن الرشيد ، فلست اذن مشاركاً في هذه الحرب . ولكنني اصح لك ان تتحصر في حصون الحوف ، وتتخذ خطة الدفاع ، فلا تتراجع ابن الرشيد ولا تتحارب في الخارج . لان حدوده مدبرون على القتال وهم قديمو العهد في الحروب ، وجمودك من البادية ، من اهل الليل ايل افلا يركن اليهم ، ولا هم في القتال اقران شمر » . ثم يعمل نوري بصيحة عبد العزيز ، فكثرت من الحامرس . اذ ادهم عند وصول محمات شمر هجم عليهم مكسروه . مكسرة ، واستولوا على الحوف .

وكن سعود ، ابن الرشيد ، الذي كان يومئذ في احادي والعشرين من سنة ، لم يعش بعد انتصاره على ابن التعلان سهراً كاملاً . فقد قتل بعد ان عاد اليه حائل . قتله ابن عمه عبد الله بن سلال ، الذي دُعي كذلك في اليوم نفسه

(في الفصل الثاني والثلاثون خبر هذه الفاجعة مفصلاً) وتولى الامارة بعده
عبدالله بن متعب بن عبد العزيز بن الرشيد ، فاركب الى ابن سعود رسل السلام
وهو يريد تجديد عهد الصلح والولاء .

كان اهل نجد يعارضون في اجابة طلب ابن الرشيد المرة السابقة ، فحاء عبد
العزيز هذه المرة يتدد في شروطه ويمجد فيها . قال لرسل حائل : « اني مجيبكم
في كل ما تطلبون ، ولكني الفت نظركم الى ما بدا من امرائكم السابقين ، وهذي هي
كتبهم الى الشريف ينكثون عهوداً بيننا وبينهم ويرموننا باشنع التهم . يقولون
اتنا خوارج ، واتنا . . . واتنا . . . انا الان على هذا : اما شؤون شمر الداخلية فلا
اتدخل فيها ، واما الخارجية فيهمني امرها . فقد طالما اضرت سياستها بنجد
ومصالحه . لا بد اذن من تنازلكم عن ادارة الشؤون الخارجية في شمر واعترافكم
لي بذلك . ونبغي ان يكون الاعتراف خطأ لينشر فيعرفه جميع الناس » .

عاد الوفد الى حائل يحمل شروط ابن سعود الى اهلها والى اولى الامر فيها .
اما اهلها واكثر المقدمين في شمر فاجمعوا على القبول . واما اولى الامر من آل
السهبان والرشيد ، وبعض الزعماء مثل عقال بن عجيل وضاري بن طواله ، ناهيك
بعبيد القصر والسيدة فاطمة السهبان جدة سعود — «ستي» فاطمة الحاكمة من
وراء الستار — فأبوا كلهم ان يدعوا لابن سعود وقالوا : الحرب ! فأعلنت
الحرب .

الفصل الثلاثون

الدخول في الكويت

بعد سحق الجيش الحجازي في ثرابة لان عود العجمان في الاحساء ، نجاء حشاخ القبيلة الى امير تلك الناحية عبد الله بن جلوس يطلبون منه التوسط بالصلح بينهم وبين ابن سعود . وقد كتبوا كذلك الى الامام عبد الرحمن ، فطلب من ابنه عبد العزيز ، بعد ان تحقق اخلاصهم ، ان يعفو عنهم ففعل . وهم منذ ذاك الحين مقيمون على الطاعة والولاء .

اما الحرب في جبل شمر فلم تستخدم نارها الا بعد سنة من اعلانها . وكان قد جهز عبد العزيز ابنه سعوداً بجملة على الجبل في صيف هذا ٥١٣٣٧ العام ، فوصل بها الى وادي التسعوية جنوبي جبل اجا واغار على عربان لابن الرشيد كانوا هناك فاصاب منهم مغتماً . ولكنه لقلة المرعى للركائب في الصيف في تلك النواحي ولقلة الارزاق للجيش لم يتقدم الى حائل .

وقد حدث في ذلك الحين حادث في نواحي الكويت شغل ابن سعود عن ابن الرشيد فاكتفى بارسال سرديات عليه للغزو والمناوشات . اما حادث الكويت فله اسباب سابقة لا بد في الاحاطة بها من الرجوع الى تاريخ آل صباح .

بعد وفاة الشيخ مبارك تولى الامارة ابنه جابر ، فكان حكيماً . ولكنه توفي في السنة الثانية من حكمه ، فخلفه اخوه سالم تقيضه في السياسة والاخلاق . وقد جاء ذكره في كلامنا على النطاق الحربي في الكويت يوم كان يخادع الانكليز لاجباً بالترك ، بل طمعاً بالكسب من تجارة التهريب . ثم عادى ابن سعود لظنه انه الناصح للانكليز بتحديد كمية الوارد الى الكويت من البضائع فطرد التجار النجديين من بلاده سنة ١٣٣٦ هـ . وكان قد اغضب عبد العزيز سابقاً في مساعده للعجمان . أضف الى ذلك ان سالماً كان شديد التعصب

على الوهابيين .

بعد هذا التمديد ندوت الحادث الذي ادته الى وقعة الجهري بين الكويتيين واهل نجد .

ركب الشيخ سالم يخته ذات يوم وأبحر الى مكان على الخليج بين جبيل والكويت يدعى ببلول، فيه مغاص للؤلؤ وميناء طبيعي حصين للسفن الشراعية . وقد كان في نيته ان يبني قصرآ هناك وبلدة ايضآ ثنائس جبيل بالتجارة والغوص . فلما علم ابن سعود بذلك كتب الى سالم ليمتنع عن العمل فإبى . ثم كتب الى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يخبره ان الشيخ سالمآ في ما يقصد متجاوز حدوده وحقوقه لان ذاك المكان من اراضي القطيف التابعة لنجد، وقد طلب منه ان يحول دون هذا التعدي . اما الشيخ سالمآ فكان يدعي ان ببلول ضمن حدود الكويت . ولكنه اذعن على ما يظهر للوكيل البريطاني فعدل عن قصده . على ان المسئلة تجاوزت هذا الحد . ان في تلك الناحية شمالآ بغرب من ببلول ماء يدعى قرية هو ملك قديم لعرب مطير . فزح اليه بعض المهاجرين — الاخوان — من هذه القبيلة واسسوا هناك هجرة لهم ، فاحتج ابن الصباح على هذا العمل ، وارسل اليهم فرقة صغيرة ، مئتي راجل ومئة خيال ، اكثرهم من «عر پيدار»^(١)، بقيادة احد ابناء الصباح اسمه دعيج . وكان للكويت في المراعي القريبة من تلك الناحية بضعة الاف رأس من الجمال والغنم ، وايس هناك من يستطيع حمايتها اذا اعتدي عليها .

سار دعيج برجاله ، فنزل في حمض قريبآ من قرية ، وارسل الى الاخوان يأمرهم بان يخلوا ذاك المكان والا — « نصبحكم ونذبكم » .

وكان الاخوان ، عندما علموا بقدم عساكر الكويت ، قد ارسلوا الى فيصل الدويش امير الارطاوية يستنجدونه ، فبادر فيصل الى نجدتهم بالفين من رجاله ، وظل سائراً حتى وصل الى حمض ، فصبح الكويتيين هناك ولكنه لم يذبحهم كلهم . فرآ دعيج واكثر جنوده هاربين ، وقد تركوا وراءهم ذلك القطيع الكبير من

(١) خليط من العرمان لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل .

الاباعر والغنم فكان للاخوان غنيمة باردة . كل ذلك وابن سعود في الرياض جاهل ما حدث ، فنضب عندما بلغه الخبر وكتب الى الدويش يؤنبه ويقول : « قد تجاوزتم اوامري التي تنحصر في الدفاع » . فاجابه ان الكويتيين جاءوا اخوانه صائلين وقد وصلوا الى مكان يبعد عنهم اربع ساعات فقط .

ثم امر ابن سعود ان تُجمع الاموال التي استولوا عليها ، الابل والغنم والسلاح حتى والمواعين ، وتودع عند امير الارطاوية الى ان يجيئهم امر آخر بخصوصها . فعمل الاخوان بالامر بعد ان ارسلوا اليه خمس الغنائم .

وكان الشيخ سالم قد عرض المسئلة على الوكيل البريطاني فاشار عليه بالتسوية السلمية ، فارسل الى ابن سعود رسولين هما عبدالله السمييط وعبد العزيز الحسن ، فاعتذر عبد العزيز عما حدث بدون امر منه . ثم قدم اليها خمس الغنائم الذي كان عنده ، قائلاً « هذا اول الاداء . واذا اركبتم رجالاً من قبلكم الى الارطاوية فأخره هناك يسلم اليهم » .

ثم كتب الى الشيخ سالم كتاباً قال فيه : « السبب في هذا الحادث تدخلكم في ما لا يعنيكم . اعلموا ان لا حق لكم في بابل او في قرية . واني اري ان يقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فترعاه . اما ما كان لا بآئك واجدادك حقاً على آبائي واجدادني فاني معترف به » .

لم يرق هذا الكتاب سالماً ولا قبل بان ترد الغنائم اليه . بل غضب غضبة يقضي امتعزها عند العرب جيش كبير ، لم يكن عنده غير اليسير منه . وفي ذلك الحين كانت المناوشات بين ابن الرشيد وابن سعود ، فكتب الشيخ سالم الى صاحب شمر يستنجده على « خصم الجميع » فلباه بان ارسل اليه ضاري بن طوالة ، الذي كان يومئذ مخبياً في اطراف العراق . جاء ضاري مسرعاً بقوة من شمر ونزل الهرى ، حيث كان دعييج ورجاله ، فامرهما سالم بالهجوم ثانية على قرية . وكان ابن سعود قد جاء الحساء فبلغه خبر مغزى ضاري ودعييج فارسل الى الدويش يأمره بأنجاد اهل قرية ، فتوكل الدويش على الله ، وكان مسراه في ذي الحجة من عام ١٣٣٨ هـ (سبتمبر ١٩٢٠) واكن الدعييج والضاري اختلفا

في الطريق على القيادة فلم يهاجما احداً ، بل عادا الى الجهري فتعقبهما الدويش وتزل الصبيحية .

علم الشيخ سالم بذلك فسارع بنفسه الى الجهري ومعه خمسمئة مقاتل من اهل الكويت .

مشى الدويش باخوانه من الصبيحية وعددهم اربعة آلاف ، فيهم خمسمئة خيال — « خيال التوحيد أخو من طاع الله » .

وكان سالم قد وزع قواته كلها ، نحو ثلاثة آلاف من الرجال والخيالة ، في حصون الجهري وبساتينها .

جاء الاخوان من الجنوب الشرقي فاشرفوا على الجهري في ٢٦ محرم (١١ أكتوبر) ١٢٣٩ هـ من رأس منحدر لا صخرة فيه ولا شجرة . جاءوا على عادتهم في ٢٠ ١٩٢٠ م الصباح وانحدروا كالسيل الى البساتين تحت وابل من الرصاص ، فكانت بنادق المدافعين المحصنين تحصدهم بالعشرات والمئات وهم يتقدمون مستبسلين مستشبهين .

ساعة من هذا الهجوم تلاها ملحمة كانت على جيوش ابن الصباح موتاً احمر ففر من نجبا ، ودخل الاخوان الجهري فاستولوا عليها وعلى حصونها .

اما الشيخ سالم فكان قد ثققر بقوة من جيشه الى قصر خارج البلد شرقاً منها ، فتعقبه الدويش وحاصره فيه يومين كانا شبه هدنة للمفاوضات (١) . وكان سالم في ذلك الموقف الثعلب والدويش الذئب .

قال الذئب : « تعالَ كن معنا ومنا — كن موحداً — ونظف بيتك من الشرك والمنكرات . فلك اذ ذاك ما لنا وعليك ما علينا » .

فقال الثعلب : « وهل يرفض مثل هذه النعمة الا الاحمق . اني والله منكم —

(١) جاء في « تاريخ الكويت » لعبد العزيز بن الرشيد الذي حارب في وقعة الجهري ما يلي : « ثم قال (الشيخ سالم) مخاطباً لابن سليمان (رسول الدويش) لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون ، وامامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعاً . هيا بنا لنرمي الضغائن والاحقاد ونكون بدأ واحدة عليه » . ثم قال المؤلف : « وقد أكثر سالم القول هناك بما لا احد ذكره الان » (تاريخ الكويت الجزء الثاني صفحة ١٨٤)

خيال التوحيد اخو من طاع الله . ولكن في بيتي ما يقضي رجوعي اليه قبل ان اجيئكم . انتظروني في الصبيحية » .

صدّق الدويش وقفل راجعاً الى الصبيحية بعد ان قُتل في تلك الوقعة نحو خمسمئة من رجاله وثلاثمئة من رجال الكويت . وما ذلك بشيء في نظره اذا « ديتت » الكويت وصاحبها .

ولكن سالماً عند وصوله الى الكويت طلب من الانكليزان يحموا بلاده والا فهو يقبل شروط الاخوان . فبدأت المفاوضات البرقية بين الكويت وابي شهر ، ثم بين حكومة الهند ولندن ، واستمرت ثلاثة ايام . جزع خلالها الدويش وهو ينتظر في الصبيحية ، فارسل وفداً من قبله الى « الاخ » سالم فتارض ولم يقابله . ثم جاء الجواب من الحكومة البريطانية ومعه ثلاثة مراكب حربية رست في مياه الكويت وشرعت ترسل في الليل الاسهم النارية تهويلاً وترويعاً . وفي اليوم التالي وصلت طيارتان من العراق .

« شفي اذ ذاك » الاخ « سالم من مرضه فقابل وفد « اخيه » الدويش في مجلس رسمي حضره الوكيل البريطاني الماجر مور ، الذي هم بمحاطبة الاخوان فسمع جواباً اقنعه في الحال ان السكوت من ذهب .

قال حضرة الوكيل : « الشيخ سالم صديق لدولة بريطانية الية واثم جثتم تحاربونه بدون امر من ابن سعود » .

فقال رئيس الوفد : « ما جئنا الا بأمره . وهو ايضاً صديقك » .

سكت اذ ذاك الوكيل واعتاض عن الكلام بكتاب ارسله الى الدويش وفيه ان حكومة بريطانية العظمى باسطة على الكويت حمايتها ، وان من يجاوزن الهجوم عليها يعرضون انفسهم لضرب الطائرات والمراكب الحربية

عاد الوفد الا الصبيحية يحمل كتاب الوكيل . وفي اليوم التالي طارت طائرة فوق ذاك المكان والقت بين الاخوان كتاباً آخر بمعنى الكتاب الاول . امر الدويش اذ ذاك بشد الرحال . ولكنه لما يشأ ان تكون الكلمة الاخيرة « للشعلب » فكتب اليه الكتاب التالي :

« من فيصل بن سلطان الدويش الى سالم الصباح سلمنا الله واياه من الكذب والبهتان ، واجار المسلمين يوم الفزع الاكبر من الخزي والخذلان .
 اما بعد فمن يوم جاءنا ابن سلتان^(١) يقول انك عاهدته على الاسلام والمتابعة ، لا مجرد الدعوى والانتساب ، كففنا عن قصرك بعد ما خربنا ، وامرنا برد جيش ابن سعود ، على امل ان ندرك منك المقصود . فلما علمنا انك خدعتنا آمنة بالله وتوكلنا عليه . يروى عن عمر انه قال : « من خدعنا بالله اتخذنا له : فنحن ، بيض وجوهنا ، نرجو الله ان يهديك ، وألا يسلطنا عليك . اياه نعبد واياه نستعين » .

مسكين سالم . لم يعيش بعد ذلك طويلاً . فبينما كان الشيخ احمد الجابر ابن اخيه والشيخ كاسب ابن الشيخ خزعل يومئذ امير المحمرة في « حفر العج » يفاوضان ابن سعود بالصلح — اي بعد بضعة اشهر من الحين الذي نكسب سالم فيه و « ديتن » واحتى بالانكاز — جاء الناعي من الكويت ينعيه رحمه الله . وبعد وفاته في ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٩ (٢٧ فبراير سنة ١٩٢١) انتخب خلفاً له الشيخ احمد ابن اخيه جابر^(٢) انتخب وهو لا يزال في الحفر فكان في غنى عن وفد يصلحه وابن سعود .

(١) رسول الدويش الى سالم يوم كان محاصراً في القصر .
 (٢) في الجزء الثاني من « ملوك العرب » القسم السادس . فصل في الشيخ احمد الصباح وسياسة

الفصل الحادي والثلاثون

فتح هائل

في صيف هذا العام (١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م) بعد ان عُقد مؤتمر القاهرة البريطاني ، برئاسة وزير الخارجية يومئذٍ المستر تشرشل الذي كان سائحاً في الشرق الادنى ، ونقرر ان يكون الامير فيصل ابن الملك حسين ملكاً على العراق ، عقد مؤتمر في الرياض ، حضره العلماء والرؤساء فقرروا ان يتخذ حاكم نجد الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب سلطان . فكتب عبد العزيز كتاباً الى المفوض السامي لدولة بريطانيا العظمى في العراق يخبره بما نقرر ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لدى الحكومة البريطانية البهية . وبينما هذا الكتاب في الطريق كان قادماً من حضرة المندوب في بغداد كتاب الى ابن سعود يخبره فيه ان قد نقرر انتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لديه . فاجاب عبد العزيز انه يكون مسروراً بما يريده العراق والدولة البريطانية للامير فيصل بشرط الا يكون ذلك محققاً بحقوق نجد او مضرراً بمصالحه . ثم اعترفت الحكومة البريطانية في ٢٢ اغسطس (٢٧ ذي الحجة) لابن سعود ولمن يخلفه من ذريته باقب سلطان .

وفي هذا الشهر عاد سعود بن عبد العزيز من حصار حائل ومعه اميرها الشاب عبدالله بن متعب آل رشيد ، فبسمت الرياض لطلائع النصر في الحرب ، ولبشائر الفوز في السياسة . ولكن الاعتراف بملك او بسلطان هو اسهل من تحطيم التيجان . وثقارض الولاء السياسي اسلس سبيلاً من حصار المدن . فلا يتبادر للذهن اذن ان في رجوع سعود ومعه امير حائل الفوز المبين . ان فيه طلائع فوز فقط . اما الامنية القصوى فدونها شهران من القتال لا يزدريها التاريخ . لنعد اذن الى الحوادث التي تقدمت الحصار . بعد المصالحة وابن الصباح

استنفر ابن سعود اهل نجد ومشى الى الجبل بعشرة آلاف مقاتل يقود قسماً منهم اخوه محمد والقسم الآخر ابنه سعود ، وقد عهد الى الاول في محاصرة حائل والى الثاني في مهاجمة شمر . اما هو فتخلف في القصيم .

عند ما وصل محمد الى اطراف المدينة قام اهله باستأذونه بارسال وفد من قبلهم الى عبد العزيز ، فأذن بذلك .

وقد جاء هذا الوفد يقبل بما رُفِض منذ سنة من الشروط التي اشترطها عبد العزيز بخصوص شؤون شمر الخارجية . على ان الحوادث خلال سنة تقوم بالملك وتقعدها . وخلال سنة يطرأ على السياسة ما يجعل اسمها متكرراً ليومها .

لم يقبل عبد العزيز بما كان قابلاً به في السنة الماضية . وقد قال للوفد : « اعلموا ان الرئاسة القائمة بين عبد وامرأة^(١) لا تدوم . واعلموا ان اموركم لا تستقيم ما زاتم تحت تلك الرئاسة . وما زالت اموركم كذلك ما زال الشقاق وما زالت الفتن . وهذا مضر بكم وبنا مضر بنجد وباهل نجد وشمر . عليكم اذن ان تدخلوا في ما دخل فيه اهالي نجد لتنجوا من سيادة العبيد والمرأة ، وتريحونا وتريحوا انفسكم من وهلات الحروب . شروطي الآن اذن هي ان تسلموا الي شوكة الحرب وعائلة الرشيد . فيكون لكم اذ ذاك مالنا وعليكم ما علينا . واذا رفضتم ذلك فاعدوا اني زاحف اليكم بنفسي بعد ثلاثة اشهر » .

اجاب الوفد : « سنعرض الامر على صاحب الامر ، فاذا قبل كان خيراً والا فانت بريء الذمة » . وبعد ان عاد الوفد ورُفضت تلك الشروط خرج ابن طوالة غازياً بعض قبائل ابن سعود في مكان قريب من حائل على مسير خمس ساعات منها ، ولكنه لم يعد من تلك الغزوة سالماً . فقد وافاه فيها الموت .

على ان موت هذا الزعيم الشمرى لم يؤثر بشجاعة المحاصرين والمرابطين خارج المدينة . فقد حدث بينهم وبين جنود ابن سعود مناوشات ومصادمات كانت يوماً لهم ويوماً عليهم ، فاستدعى عبد العزيز اخاه محمداً وامر ابنه سعوداً في محاصرة

(١) يشير الى نفوذ العبيد وقاطنة السبهان في الامارة .

المدينة ، فحاصرها شهرين ، ولم يكن في نجاحه فوق من تقدمه لولا مجيء محمد بن طلال من الجوف وفرار الامير عبدالله بن متعب .

اما ابن طلال هذا فهو اخو عبد الله الذي قتل سعود بن عبد العزيز ، واما عبد الله بن متعب فهو ابن اخي سعود . فلا عجب اذا خامرته شيء من الريب في ما ادعاه ، اي انه جاء من الجوف ليساعد في الدفاع عن حائل . نعم جاء يساعد في الدفاع بعد ان يقنني أثر اخيه ، فيستولي على الامارة . هذا الذي كان يختاره ابن متعب . وبما ان الحياة لديه وهو يومذاك لا يتجاوز العشرين سنًا كانت اعز من الامارة فقد فر الى سعود بن عبد العزيز ، فرحب به واخذه الى الرياض كما تقدم غنيمة باردة . وكان عبد العزيز قد عاد الى العاصمة وامر سعوداً بالرجوع من الجبل لانه فقد هناك ، بسبب القيظ وقلة المرعى ، عدداً كبيراً من رواحله . بعد فرار ابن متعب والتجائه الى ابن سعود ، تولى الامارة محمد بن طلال آل رشيد ، وهو شاب تجماع مستهتر ، فباشر القتال في حمله على قرى حائل التي كان اهلها مواليين لان سعود حملات شعواء ، فهدمها بعد ان قتل صبراً اغلب رجالها .

وكان ابن سعود قد أمر فيصل الدويش بالزحف الى حائل وبمحاصرتها الى ان يجيئه هو بنفسه . فمشى رئيس مطير بالفين من رجاله ونزل على ماء ياطب القريب من حائل ، فبلغه في اليوم الرابع من وصوله ان ابن طلال خارج بقواته الى الجثامية ، وهي على مسير ثلاث ساعات من المدينة ، فشد مسرعا ومشي اليها فاحتلها قبل ان يصل ابن طلال الى النيصية القريبة المجاورة لها ، ومعه الف وخمسة مائة مقاتل من الحضرم وسبع مائة من البدو ومدفعان .

عسكر ابن طلال في النيصية المحصنة بتلال هي متاريس طبيعية ، يصعب التغلب عليها الا بقوة من الجيش كبيرة . اما الجثامية فهي في منبسط من الارض ثقل فيه المكامن . ولم يتمكن الدويش من احتلال حصنها لان ابن طلال كان يضربه بمدفعيته ضرباً متواصلًا .

مشى السلطان عبد العزيز بعد عيد الاضحى بيومين (١٦ اغسطس) بعشرة

آلاف مقاتل ومعهم بضعة مدافع . فلما اجتاز أم جريف الواقعة بين رقبته وجراب ، بلغه خبر الدويش في الجثامية وانه وابن طلال في احتراب . فترك في الحال حملة الجيش ورائه وخف مسرعاً . قد كانت مسراه من ذاك الماء قبل دخول محرم بيوم واحد ، فوصل في اليوم الرابع منه (٨ سبتمبر) الى بقعة ، قرية من قرى حائل ، فالتقى هناك برسول من الدويش يحمل كتاباً ضمنه كتاب من ابن طلال اليه يقول فيه : « اننا جميعاً مسلمون وبيننا كتاب الله وسنة رسوله » . فقبل الدويش السريرع التصديق ، وما كاد ينسى خدعة سالم الصباح ، وكتب الى ابن طلال يلبي الدعوة للتحكيم ويسأله ان يرسل وفده لهذه الغاية . وقد دفعت به الثقة الطائشة الى اهمال الجانب الشمالي من معسكره فلم يستحرسه ، فاغتم امير حائل الفرصة وارسل ثلة من جنوده في الليل فاحتلوا ذاك المكان ، فاشرفوا على معسكر الدويش ، وشرعوا عند انبلاج الفجر يرمون الاخوات بالرصاص . اركب الدويش نجاباً آخر الى السلطان يخبره بانه وابن طلال مشتبكان في القتال ، وانه خسر عشرة من رجاله وجرح عشرون .

وصل النجاب العصر الى مخيم السلطان فغضب لما حدث وامر ابنه سعوداً ان يركب بالخيال ويقدمه مسرعاً . ثم وصل نجاب ثالث يخبر ان الاخوات كسروا جيش ابن طلال ، فارسل ياأمر الدويش بان يلزم مكانه وألا يأتي بحركة اخرى الى ان يصل اليه .

مشى السلطان وقصده الهجوم على ابن طلال تلك الليلة . ولكنه اضطر ان ينتظر الحملة والمدافع ، فابطاء في السير . ولم يكن من المستطاع الهجوم في النهار لان ابن طلال ورجاله كانوا في حصون حصينة ، ولأن بين الحصون والمهاجمين سهلاً لا يحجهم شيء فيه ، ولأن جبل أجا ، وهو حصن طبيعي ، قريب منهم يلودون به ساعة الهزيمة .

نقده جيش السلطان عبد العزيز تدريجاً الى مركز الدويش ، فلم ينتبه ابن طلال الى ذلك ، ولم يكن عالماً بقدومه ناهيك بقربه منه . وعند العصر في اليوم

التالي جمع السلطان قواده وتشاوروا في الامر فقررروا ان يكون الهجوم في الهزيع الثاني من الليل .

مشى في ذلك الوقت نصف الجيش فقط ، فراح قسم منه يلف باين طلال من جهة حائل ليقطعوا عليه خط الرجعى ، وتقدم القسم الاخر الى المكان المعد للهجوم ، فانتظروا هناك طلق المدافع التي بدأت ترسل قنابلها بعد صلاة الفجر قبل ان ينجلي الليل .

هجم الاخوان هجمة واحدة ، والقنابل تؤز فوق رؤوسهم ، فقتلوا عدداً من العدو وشتتوا صفوفه ، ففر ابن طلال واكثر رجاله الى جبل أجاثم الى حائل ، ولاذ الآخرون بحصون النيصية . صوتت المدافع على الحصون فقتلت اكثر من لاذوا بها وسلم الباقون .

قال أحد الذين سلموا يخاطب السلطان « طبعيتكم ماهرون يا مولانا » فقال عظمته : « لا . لا . كنا نضرب على النية في الظلام ، ولكنه توفيق من الله » .

بعد تقهر ابن طلال الى حائل ارسل السلطان الى اهالي المدينة يقول : سلموا تسلموا . فجاء الجواب بالتسليم على شرط ان يؤثر عليهم ابن طلال والكتاب موحى به منه ، لانه كان لا يرال سائداً من ثبت معه من الجند وحزب بيت الرسيد . ولم يكن لاهل حائل زعيم يوحد كلمتهم ويعززها ، فانفذ ابن طلال فيهم مهام ارادته . عى ان المغلوب لا يشترط الشروط . الى الحصار !

ان مدينة حائل كائنة بين جبلي أجاسلى ، لها سهل يتسع الى الغرب ، وبضيق الى الشمال ، فيفتح من الجهة الشمالية الشرقية طريقاً الى النخف ، وينقلص في الجهة الشرقية وفي شطر من الجنوبية . هي اذن محاطة من جهاتها الثلاث بالجبال ، ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والتطر الجنوبي الغربي الذي تمتد منه الطريق الى نجد .

في هذا الطريق جاء السلطان عبد العزيز فنقل من الجتامية ، بعد ان تقهر ابن طلال الى المدينة ، ونزل بينها وبين النيصية ، فقسم هناك جيشه الى فرقتين ،

فرقة بقيت معه ، والاخرى تقدمت الى جبل أجا فملك مركزاً منه حصيناً .
وهناك مركز آخر يدعى عقدة غرب البلد يحسبه اهل حائل أحصن حصونهم
الطبيعية . تقدم الجنود ، وهم يضربون العربان النازلين الجبل في طريقهم ،
فيقتلون ويشتون ويغنمون الغنائم ، فاستولوا في اليوم السابع على عقدة ،
واستمروا زاحفين الى حائل ، وهم يتمرسون باكياس من الرمل ، حتى وصلوا
الى مكان بينها وبين جبل أجا اتخذوه خطاً اولاً للدفاع . وكان الهاجون وراءهم
قد احاطوا بالمدينة من جهتيها الغربية والغربية الجنوبية .

قلت ان اهل حائل قبلوا بالتسليم على شرط ان يكون ابن طلال اميرهم .
ولكن الاكثرية فيهم نفروا من ابن طلال لظلمه وطفئانه وكانوا يشنون من
الحصار . فقد ارسلوا الى السلطان عبد العزيز غير مرة يقولون : لا تركنا
فريسة لابن طلال . وفي الوقت نفسه كانوا يرجونه الا يضرب بالمدافع المدينة .
وعندما ادرك ابن طلال ان الامارة لا تفيته بواسطتهم كتب الى المفوض
السامي ابريطانية العظمى في العراق يسأله التوسط بينه وبين ابن سعود .
قال السربرسي كوكس في تقريره الى حكومة جلالة الملك : « بعد ان سلم
الامير عبد الله (بن متعب) بن الرشيد تولى ابن عمه محمد بن طلال الدفاع عن
حائل . وارسل اليّ مراراً يرجوني ان اتوسط بينه وبين ابن سعود . ولكن ابن
سعود لم يقبل بذلك » .

دنت مدة الحصار من الشهر الثالث فكتب السلطان عبد العزيز الى اصدقائه
في حائل يقول : « قد طال الحصار ، واقبل الشتاء ، فليعذرنا الاهالي اذا اندرناهم .
لهم ثلاثة ايام ليسلموا المدينة وعائلة الرشيد ، والا فتحن الى غرضنا مسرعون
يالرصاص والنار » .

فجاء الجواب وفيه ان الاهالي ينفضون ايديهم من ابن طلال وبيت الرشيد ،
ويسلمون الحصون المحوطة بالمدينة اذا جاءتهم سرايا من الجيش .

ارسل السلطان الفين من رجاله ففتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة على
حائل . ثم امن الناس على ارواحهم واموالهم فخرجوا اليه افواجاً وهم يشكرون الله .

اما ابن طلال ، الذي شهد له حتى الاخوات بالبسالة والاقدام ، فعندما ادرك ان الامر ثفلت من يده تحصن وحاشيته في القصر ، فارسل السلطان عبد العزيز يؤمنه على حياته اذا هو استسلم ، ففعل .

استمر هذا الحصار خمسة وخمسين يوماً ، اي منذ وصول السلطان في ٤ محرم الى ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١) يوم سلم ابن طلال . ولكن حائل كانت في حال الحرب اكثر من سنة قبل ذلك وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها ، فشغل اهلها الضيق . وكان السلطان علماً بشدة حالهم فجاءهم متأهباً لتخفيفها — جاء بالمون ، وجاء بالتياب وبالمال — فاجزل للناس العطاء ، ووزع الوقا من اكياس الارز والوقا من انكسوات . قال لي احد الذين سلموا : « كنا ليلة الحصار الاخيرة على آخر رمق نرى شبح المجاعة والموت فامسينا ليلة التسليم الاولى وكلنا شبعاون ، مكسيون ، مطمثنون » .

بعد ذلك شاورهم الفاتح في امر اميرهم : « ومن تريدون ان تؤمروا عليكم ؟ » فاجابوا قائلين : « واحداً من آل سعود او من كبار رجالك » فقال عبد العزيز : « لست من رأيكم فقد كنا واياكم «قوم» (اعداء) مدة طويلة فلا يجوز ان نحاكمكم الان مباشرة . وانا اعرفكم يا اهل حائل . انكم اهل قيل وقال . اصحاب قتن . ولكني لا اخشى ان تؤمروا عليكم واحداً منكم . واني اريد ان احافظ على كرامتكم . هذا ابراهيم السبهان فهو منكم ، وهو رجل عاقل . هو اميركم . واني واثق بالله ، وعدته معي جميلة ، فهو سبحانه وتعالى ينصني ممن يغدر او يخون » . اما ابراهيم السبهان فهو الذي مهد السبيل لتسليم الحصون وانفق وابن سعود على ذلك فامر به بعدئذ على حائل .

الفصل الثاني والثلاثون

مأساة بيت الرشيد

لا بد لكل مأساة من حائق تهوي منه . لا بد من ذروة تملكها الحياةُ المحيطة
 او السعيدة ، ثم نفقدتها فتهبط منها الى الدرك الاقصى .
 ينبغي اذن ان نصل والقارىء الى ذروة بيت الرشيد قبل ان نبدأ بالمأساة
 فيه . ولا بد قبل التصعيد من الوقوف عند سفح الجبل — عند الاساس —
 فننصرف الى المؤسس الكبير والى المشيد الاكبر .
 آل رشيد من آل خليل ، وآل خليل من آل جعفر ، وهؤلاء نخذ من عبده
 اكبر قبائل شمر . وفي الفتوحات السعودية الاولى كان امير الجبل واحد من هذه
 القبيلة يدعى الجربا ، حارب آل سعود فغلب ، وأجلى وعشيرته الى العراق . ثم
 امّر سعود الكبير واحداً من آل علي في حائل ، وقرب منه رجال هذا البيت ،
 فكان جبر اخو رشيد ، جد عبد الله ، كاتباً في ديوانه بالدرعية .
 ولكنه لم يظهر في آل رشيد ، على ما نعلم ، اكبر من عبد الله الذي اختلف
 والامرة الحاكمة يومئذ ، فرحل الى الرياض ، وانضم الى جيش فيصل ابن الامام
 تركي . وعند ما قتل تركي جاء فيصل بجيشه من الحساء ليشار لايه ، وكان
 عبد الله في ذاك الجبش ، بل في مقدمة من هجموا على القصر ، وقتلوا قاتل
 الامام ، فجازاه فيصل ، بعد ان تولى الامارة ، بأن جعله اميراً على حائل .
 وعبد الله بن علي بن رشيد ، مؤسس هذا البيت ، هو من اولئك الافراد
 المتقدمين بفضلهم في الناس ، اولئك الذين يسودون الناس بما يزين اعمالهم من
 الشجاعة ، والعدل ، والاحسان .

كان اميراً في حائل يوم جاءها المستشرق الاسوجي جورج والن^(١) سنة ١٨٤٥ ، اي بعد عودة الامام فيصل بثلاث سنوات . وقد كان محمد علي باشا غير راضٍ عن حكم فيصل فارسل هذا المستشرق الى حائل ليسبر غور بيت الرشيد طه يجد فيهم من يصلح لمناسبة آل سعود . ولكن الامير عبد الله كان يسعى في سبيل استقلال الجبل ، في استقلاله عن الرياض وعن مصر ، وما راقه قط ان يكون سيفاً بيد محمد علي علي ابن سعود . عاد جورج والن الى مصر . ثم جاء حائل بعد سنتين للمرة الثانية ، فكانت النتيجة شبيهة بالتي تقدمتها . لم يفلح العالم الاسوجي بمهته السياسية . ولكنه كان معجباً بالامير عبد الله ، وقد قال فيه كلمة تفلها هو غرث لا اري احسن منها ، وهي من اجنبي ، في تقدير هذا الامير العربي . قال والن :

« لم يكن نفوذ عبدالله ناشئاً عما كان له من الثروة والسيادة فقط . بل عما امتاز به ايضاً من السجايا الشريفة كالشجاعة والعدل ، وكرم الاخلاق والوفاء ، وحب الفقراء . فقد كانت في احسانه مثله في عدله كبيراً ، ولم يسمع عنه انه اخلف مرة بوعده . . . هذه الفضائل هي مصدر تلك القوة قوة عبدالله ، وذاك النفوذ نفوذه » .

وكان لعبدالله اخ اسمه عبيد امتاز عنه بثلاثة امور ، بغلوته في المذهب الوهابي ، وبخشونة ضبعه ، وبنزعة فيه شديدة الى القتال في سبيل الله والتوحيد . كان عبيد رسول الوهابية الاكبر في الحبل ، وكان بيته محط رحال الوهابيين في حائل ، ومرجعهم الاعلى ، والصلة بينهم وبين الرياض . لم يكن في اولاد عبدالله اكرم من طلال . . . لكنه نكب في عقله وكان منتحراً . اما متعب اخوه فقد كان من الوسط في الناس عقلاً وخلقاً وسياسةً ، ولم يحكم غير سنتين لأن بندراً وبدرأ ، ابني اخيه طلال ، طمعا بالامارة وانتزاعها منه بالسيف . قتل بندر وبدر متعباً ، وتولى الحكم بعده احدهما بندر . وكان

(١) George Augustus Wallin

محمد بن عبدالله يومئذٍ عند الامام عبد الله بن سعود الذي وفق بعد سنة ، كما اسلفت القول ، بينه وبين ابن اخيه الامير الجديد .

عاد محمد الى حائل فتولى اماره الحاج العراقي ، ثم في السنة التالية قتل بندراً بيده دفاعاً عن نفسه كما قال . وقد امر بقتل ابناء طلال الاخرين فذبحوا في القصر كلهم الا واحداً هو بدر الذي فر الى البادية ، فتأثره العبيد وقتلوه ، فغضب الامير محمد لانه امرهم بالقبض عليه فقط ، وقتل بسيفه العبد الذي قتل بندراً .

سيف الامير محمد ! قد روي عن صاحبه انه قال : « لا يُغمد سيف ابن الرشيد حتى يقتل اهل هذا البيت اجمعين » . وما كان في ما قاله واحماً . فقد مشى هو نفسه الى عرش الامارة على خمسة ارواح من بيت ابيه . وكان ذلك العرش لا يزال مقيداً بشيء من ارادة آل سعود — مقيداً بخيط رفيع قطعه الامير محمد بسيفه . وظل هذا السيف مستلاً في سني امارته كلها ، فكانت صاحبه فاتحاً ، وكان مستبداً ، وكان عادلاً . لكن نفسية الامير لم تحل من اثره لغدر الزمان ، ظل بادياً في خلقه حتى في ايام النصر والجد ، فكان هذا المستبد العادل مقتدياً في بعض اعماله بالزمان . كان اذا اراد محاربة البدو مثلاً يهجم عليهم في الصيف ، وهم على المياه في المضارب ^(١) . ان في ذلك شيئاً من الغدر ، ترفع عنه من خلفه مثلاً من بيت ابيه اي عبد العزيز بن متعب .

اما انه كان سر ابيه في المرونة النفسية التي تلتوي ولا تنفصم فما لا ريب فيه . وقد أعجب به كل من قابله من السياح والمستشرقين الذين أموا حائل والقصيم في عهده الذي هو عهد شمر الذهبي . اجل ، قد حاز الامير محمد من السيادة في نجد ما حازه ابن سعود الكبير ، فرفع بيت الرشيد الى الذروة التي طاح منها مجد بيت الرشيد . هي الذروة التي تبدأ عندها المأساة موضوعنا الان . وهذه المأساة هي ذات اربعة فصول ، وفاتحة وخاتمة .

(١) البدو يصلحون مواشيتهم في الريم ، من شباط الى آخر ايار ، فيسرحون طالبين الحيا [الرعي] ثم في اشهر القيظ يردون المياه ويقبضون حولها مسالين . ثم يظعنون في الحريف وعندما تحضر الحقول في آخر الشتاء . وهذه الاشهر في الحريف والشتاء هي غالباً اشهر النزو والحرب عندهم .

الفاتحة : — شمر تندب الامير محمداً وثقلد سيفه عبد العزيز ابن اخيه متعب فيخرج الى الحرب وشمر تحذوا امامه ووراءه . وفي الوقت نفسه يخرج سمي ابن الرشيد عبد العزيز بن سعود من الكويت غازياً فيلتقي العزيزان ويحتربان سبع سنوات ، فيخسر العزيز الرشيدي نصف الملك الذي كان لعمه محمد . وبالرغم عن مساعدة الاتراك لامير شمر قبل الحرب العظمي ، ومساعدة الاتراك والالمان اثناء تلك الحرب ، ومساعدة الملك حسين بعدها ، زالت شمر وهي على قمة الجبل ، قطاحت واستمرت طائفة .

الفصل الاول : يبدأ بقتل عبد العزيز في روضة مهنا وينتهي بذبح اولاده الثلاثة .

المشهد الاول : سوق في بربرة يدخله جنود ابن سعود وهم يعلنون موت عبدالعزيز الرشيد وينشدون : حتما اهل العوجا مروية السنين ! (اسنة الرماح)
المشهد الثاني : في القصر بجائل ، وقد عقد مجلس حضره اولاد عبدالعزيز متعب ومشعل ومحمد فولبي متعب الامارة .

المشهد الثالث : في قصر آخر بجائل ، قصر آل عبيد . ابنا حمود الثلاثة وهم فيصل وسعود وسلطان يتآمرون .

قد ذهب يوم عبدالله وجاء يوم عبيد . هؤلاء الصبيان اولاد عبد العزيز لا يستحقون لامارة وسيبتازعونها ، فيذالونها ، ويفقدونها . علينا اذن ان ننقذها فنظف في بيت الرشيد ، علينا ان نبيع الصبيان منها ونريجها منهم .

المشهد الرابع : في العراء خارج المدينة : فيصل وسعود وسلطان آل عبيد ورجاجيلهم وعبيدهم ومعهم متعب ومشعل ومحمد ابنا عبد العزيز ، وقد دعوا ليوم سيد قلبوا الدعوة .

كوكبة من الخيل خرجت من حائل ، وكل حيال يبغي الصيد ، يتسد الطريدة في لافق . وراءها . الا ان طريدة آس عبيد كانت قريبة ، غافلة لا غير تاردة . طريدتهم ؟ هاكها على الحية امام

فبعد ان خفيت اسوار المدينة ، عندما غدوا في القلاة ، لمز كل من الاخوان .
 ابناء حمود حصانه وساقه على واحد من ابناء عبد العزيز ، فتناوله من السرج
 بقرونه (شعره) وغمد خنجرأ في صدره . طاح الثلاثة اخوان الى الارض
 مضرجين بالدماء ، ولم يحرك احد من الحاشية يده دفاعاً عنهم . وما دخل العبيد ؟
 رشيدى قتل رشيدى . ولكنهم وهم عبيد آل عبيد هتفوا قائلين : والحمد لله
 هذه آخرة آل عبدالله .

الفصل الثاني : مشهد كلي . يرفع الستار وسلطان بن حمود بن عبيد
 متصدر في مجلس الامارة ، والى جانبه اخوه فيصل البستام صاحب البسمة
 الابليسية الناعمة ، وفي مخدع وراء المجلس الاخ الثالث سعود يشخذ سيفه .
 لم يكن سعود العبيد على شيء عظيم من الصبر . فقد حن الى الامارة حنين
 الحبيب الى الحبيب ، ولم يأذن لاختيه سلطان بغير سبعة اشهر منها . وعندئذ
 جاءت الساعة ولم يكن سعود متأهباً ، او انه شخذ سيفه حتى اتقصم ، فبادر الى
 حبل خنق به سلطاناً ، ودفنه في حفرة بالقصر .

مشهد جزئي لينصب عمال المسرح عرشاً جديداً وراء الستار . ونحو
 اثناء ذلك نخبر عن ابن عبد العزيز الرابع — الصغير — الذي فر به خاله ابن
 السبهان من القصر يوم الصيد المفجع . ان هذا المشهد في سوق من اسواق المدينة
 المتورة ، وفيه يسير ابن السبهان وابن اخته سعود بن عبد العزيز وحاشيتهما
 مسرعين ، وقد اتصل بهم خبر قتل سلطان بن حمود .

— « وغداً يا وآيد (ابن السبهان يخاطب ولي العهد الشرعي لعرش حائل)
 دور سعود ، ثم دور فيصل . سترجع الى حائل ، الى حائل يا وآيد — والامارة
 لآل عبدالله ان شاء الله » .

المشهد الثالث في حائل : ابن السبهان يدخل المدينة بجيش من العربان
 فيضرمون فيها نيران الثورة . ثم يهجمون على القصر فيقبضون على سعود بن
 حمود بن عبيد ويقتلونه في الغرفة التي قتل فيها اخاه سلطاناً . فتصفق حائل
 استحساناً : مرعى مرعى ا وثقلد سعود بن عبد العزيز سيف الامارة .

مشهد جزئي نختتم به هذا الفصل (وقد يعترض ارباب الفن على ختم فصل من مفصول المأساة بمشهد جزئي ، ولكنهم يتغاضون لاهميته عن اخلالنا باحدى قواعد الدراما) .

للمشهد الجزئي الذي ابقيه هو لفصل اليبس ، ثالث الاخوات ، الذي اجتمعت به في الرياض . ذاك الذي كان يبسم ، ويذنب ، ولا يغيظ . فقد اختلف واخاه سلطانا ، فامر به على الجوف ليعده عن العرش وكان ذلك رحمة منه . وكان فيصل مسروراً بذي الامارة الصغيرة وذاك البعد ، خصوصاً عندما علم بقتل اخيه الاول ، ثم بقتل اخيه الثاني .

ولكنه عندما علم برجوع آل عبدالله الى عرش الامارة لم ير السلامة حتى في الجوف ، فبجر عرشه هناك ورحل شرقاً ، ثم جنوباً . رحل مسرعاً ، ولم يقف في ترحاله حتى وصل الى الرياض ، ورمى بنفسه بين يدي عبد العزيز بن سعود ، فحرب به ، واكرمه ، واتخذة خلفه في روحه خدناً وندياً . وقد حزن عبد العزيز جداً عندما وافى الموت فيصلاً في الرياض سنة ١٣٤٢ هـ .

الفصل الثالث من مأساة بيت الرشيد يبدأ بالولد سعود بن عبد العزيز على عرش الامارة . ووراء ذلك العرش امرأة هي فاطمة السبهان جدة الامير ، وحول ذلك العرش عبيد القصر الطامعين بالسيادة . قد يكون هذا التوازن بين الامراة والعبيد السبب في دوام العرش سنوات عدة بالرغم عن العواصف التي كانت تعصف عليه من الجنوب — عواصف الاخوان .

مشهد جزئي : مجلس « ستي » فاطمة : صوت من وراء الحجاب فيه نبرات وغنات ، وارادة ماخية تحرك العرش ، وتحرك الجيش ، وتحرك يد العبد سعيد صاحب الخزنة . « ستي » فاطمة تستقبل الناس وتفاوض الوفود ، وتشير على الامير بالخطة السياسية التي ينبغي اتباعها .

كانت فاطمة السبهان فصيحة اللسان ، شديدة التكيمة ، قصيرة النظر . تكره اهل نجد وآل سعود . وكانت سياسة الامارة بيدها ، وكذلك الماالية بعد قتل سعود لأن العبد سعيد كان قد عزل .

ومن هو العبد سعيد ؟ في ايام سعود بعد ان بلغ سن الرشد كان لبعض العبيد مقام رفيع في الديوان الرشيدى . وكان الامير خوقاً من آل سبهان يقرب منه هؤلاء العبيد المالكين ويبالغ في اكرامهم ، ومنهم خصوصاً اثنان ، سعيد المحمد ، مملوك سوداني خصي ، حمل مفتاح الخزانة منذ ايام عبد العزيز بن متعب ، وسليمان العنبر الذي كان يحمل سيف الحجابة الاول ، ويدخل على الامير برأى حتى في السياسة مسموع .

كان الطواشي سعيد وزيراً للمالية اميناً ولا شك ، وكان سليمان العنبر مستشاراً مخلصاً . ولكن نظر الاثنى في شؤون الامارة نظر العبيد لا يتجاوز دائرة معقولهم الصغيرة .

اما « ستي » فاطمة ، تلك القوة وراء الستار ، وراء الحجاب ، فلا يخلو ما قيل فيها من مجال للنقد . وبكفي ما كان من نتيجة حكمها ، وهو اكبر حجة على سوء الادارة فيه .

بين هاتين القوتين مشى سعود بن عبد العزيز الى عرشه ، وبين هاتين القوتين قضى ما كتب له من سني الحكم . ثم اخنى دايه الذي اخنى على اخوته . ولكنه لم يمت مثلهم في « الصيد » . مات سعود غدرآ ، وكان الغادر اجبن الغادرين .

مشهد كلي في الفلاة : يجيء الامير للنزهة ومعه حاشيته وعبيده . الرجاجيل يعثون بالخليل ، والعبيد يجمعون الحطب ، ويشبون النار للقهوه ، والامير يتبارى وعبدالله بن طلال الرشيد يرمي الرصاص ، او كما يقول العرب بضرب النيشان (الهدف) ولم يلازمها غير عبد واحد من العبيد .

وقد كانت هناك رابع هو القدر جاء يسد الرصاصتين ، رصاصة الامير ورصاصة ابن طلال ، ويلحق العبد بالذهور .

اما هدف ابن طلال آل عبيد فلم يكن الهدف المنصوب . رفع الامير سعود بندقيته ، وابن طلال وراءه والبندقية بيده مصوبة في الظاهر على « النيشان » فأطلقت الاثنتان في وقت واحد ، فاصابت رصاصة الامير كبد الهدف ، واخرقت رصاصة ابن طلال رأس الامير .

وكان العبد يحدّق بالهدف معجباً برمي سيده ، فلم ينتبه الى ما حدث الا عند ما خر للارض صريعاً . ولكنه وقد فتح فاه وعيناه هوى هو ايضاً في الحال . لم يعطه القاتل فرصة للفرار او للصياح اذ جاءت الرصاصة الثانية تبعثر دماغه فطاح كالخشب الى جانب الامير .

رأى احد العبيد الاخرين ما جرى فصاح باخوته وهجموا على ابن طلال . ثم جاء الرجاجيل ومعهم عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز ، ابن اخ الامير المقتول . وهذا عثرة في سبيل العرش ، وابن طلال لا ينبغي الان غير العرش . عليه اذن ان يزبل ابن متعب ايضاً من طريقه . قد أسلّمنا من مهارته بالرعي مثلين — وهذا الثالث ؟

شرع ابن طلال يرمي عبدالله بالرصاص ، وكان العبيد يحولون دون مرماها ويطلقون كذلك بنادقهم ، فقتل واحد منهم ، واصيب ابن طلال برصاصة ابعدهته عن العرش بل عن حطام الدنيا كلها .

الفصل الرابع : في القصر بجائل : عبدالله بن متعب جالس على عرش جده عبد العزيز — جالس على العرش ويده على رقبتة خشية ان تغيثه الضربة غدرآ — جالس على العرش وقلبه يخفق جزعاً ورعباً — جالس على العرش وعيناه الفتيتان محمّرتان ، دامعتان ، من الدم اوراق على جوانبه . عرش نختر السوس في اركانده ، فتزعزع ، فهوى ، فامسى مسنداً وحصيراً في فناء الاشمحلان .

وماذا عشاها تعمل " ستي " فطمة — فاطمة شمر العظيمة — لانقاذه ؟ وماذا عسى يعمل العبيد ، ووفاء العبيد ، وتجماعة العبيد ؟ هبت هبوب الجنة ! هبت من الجنوب ، من نجد ، من العارض ولا نجاة هذا الامير العذير ، هذه البذرة الاخيرة من شجرة شمر التي كانت تباري رواسي الجمال — هذه البذرة السوداء البيضاء التي تدعى عبدالله ابن متعب — لا نجاة لها بغير التسليم ، والتسليم في الحال .

وهوذا ابن طلال الثاني محمد اخو عبدالله القاتل المقتول ، وقد جاء من الجوف ليدافع عن حائل . — عن حائل ؟ لا حاجة ولا سبيل الى اقناع عبدالله

بن متعب . فقد فرّ ويده على رقبتة ، ولاذ بابن سعود . وهو اليوم ضيف
مكرم في الرياض — آخر آل عبد الله الرشيد !

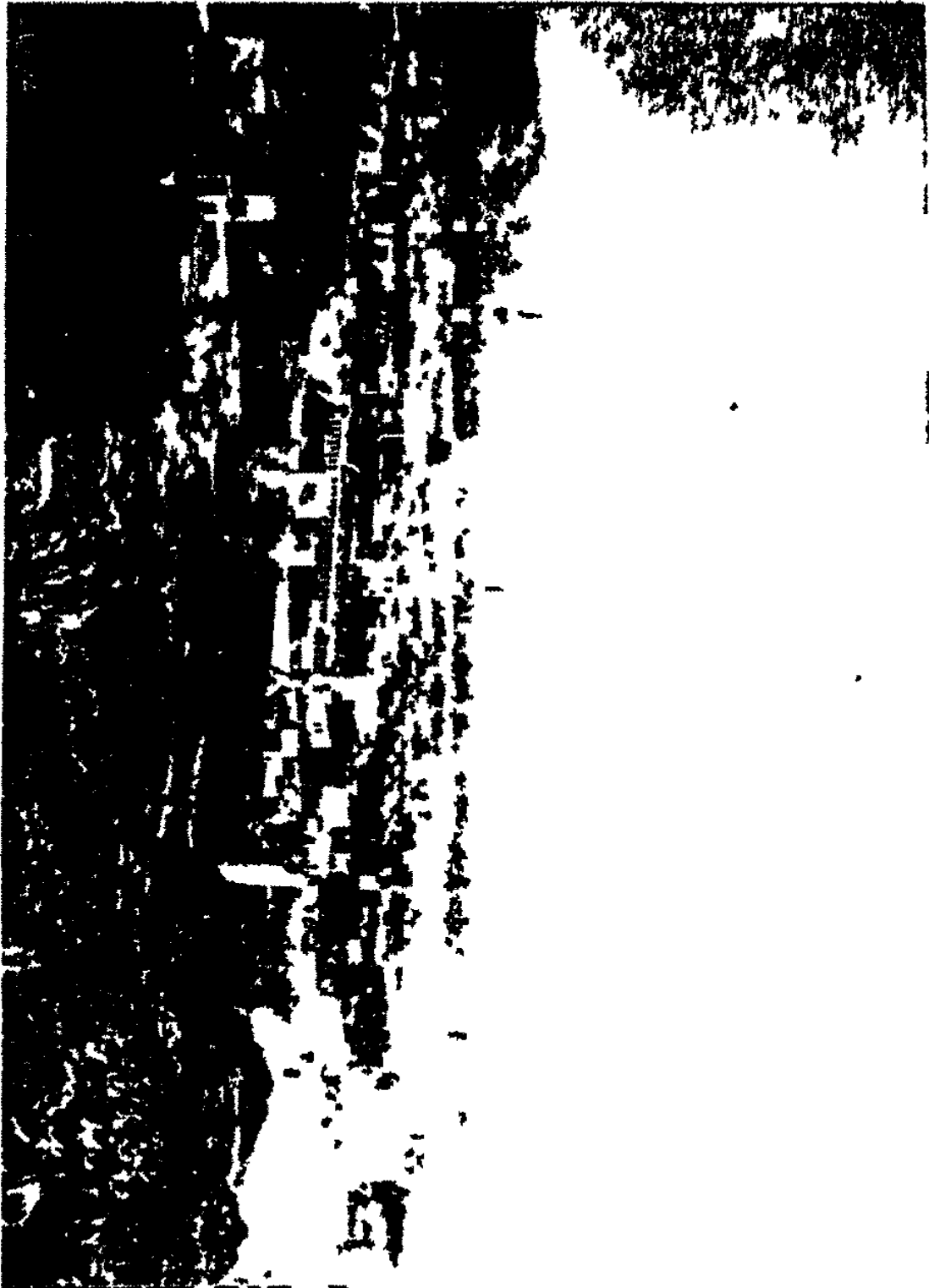
جاء ابن طلال الثاني وفي نفسه امل بانقاذ حائل وبإعادة شيء من المجد الى
شمر . فوقف خارج المدينة ، وفي حصونها ، وعلى اسوارها ، يدافع عنها دفاع
الابطال . ولكنها وهي تابعة لعرش هوى ، لمجد تقلص ظله ، رأت خلاصها في
انفصالها عن هذا المجد وذاك العرش ، وفي التسليم الى ابن سعود . فكان الفتح خاتمة
للمأساة ، مأساة شمر وبيت الرشيد . بل كانت الخاتمة حصاراً ، ورصاصاً وناراً .
وكان محمد بن طلال بن نايف بن طلال من الذين سلموا ، بل آخر الذين
سلموا ، وهو الان ضيف مكرم في الرياض .

خاتمة المأساة : المشهد الأول : بيت في الرياض يخرج منه ابن طلال في الليل
وهو متخفي في ثوب امرأة ، فيقبض احد الرجال عليه ويحيي به الى السلطان
عبد العزيز ، فيأمر بنقله الى القصر . وقد كان في القصر اسيراً يوم كان المسجل
لهذه المأساة في الرياض . ثم أطلق سراحه وهو اي المسجل لا يزال هناك .
المشهد الثاني : المجلس العالي بالقصر . السلطان عبد العزيز جالس على
الديوان وعصا الشوخط بيده ، والى يمينه ويساره رجال بيت الرشيد . وعلى
الدواوين وانكراسي خمسون ونيف من وجهاء الرياض وعلمائها .

يدخل العبيد ومعهم ابن طلال ، فيجلسه السلطان الى يمينه ثم يقول :
« اعلموا يا اهل الرشيد انكم عندي مثل اولادي . وانتم في الرياض تعيشون كما
اعيش انا واولادي ، لا ازين ولا اشين . ثيابكم مثل ثيابنا ، واكلكم مثل
اكلنا ، وخيلكم مثل خيلنا وازين . ترى الصحيح — وليس في القصر ، او في
البلاد تحت يدي ما تبغونه ولا يجيئكم . ترى الصحيح . وهل منكم من يشك في
ذلك . تكلموا » .

لم يفه واحد منهم بكلمة

« وانت يا محمد ، ما جرت عليك الامر غير نفسك ، غير عمالك المشين . كن
عاقلاً حكماً . ولا تعر اذنك النساء . اني عالم بما تعمل وبما تقول . فاعقل



٢٦٥ — ٢٦٤

المدينة المورة

لصالح نفسك . تحب الطرق التي فيها القال والقييل ، والتي تؤدي الى العفن .
 كن صادقاً مخلصاً ، تكرم كل الاكرام — تكرم مثل اهلك هؤلاء كلهم . والله
 بالله ان الضرر الذي يمسكم يا اهل الرشيد يحرك قلبي قل لساني الى مساعدتكم .
 انت يا محمد واحد من بيتي الان . . . وكل ما عندي للدفاع عن بيتي — عن
 العيال والحريم اقدمه اذا اقتضى الامر في الدفاع عنك — في الدفاع عنكم كلكم
 يا اهل الرشيد . »

هاها وقف السلطان ، فوقف من في المجلس ، واعطى يده الى ابن طلال
 قائلاً : « اعطيك عهد الله ما زلت مخلصاً لنا » . فصالحه ابن طلال وهو يقول :
 « اذا حدث عن الطريق الذي امرت به اقطع رأسي » .

تم قبل عظمته في امه وفي حبيبه .

تم صوت يهتف بالدعاء : « ادامك الله ووطد اركان ملكك » .

هو صوت كبير بيت الرشيد يومئذ ، تالت ابناء حمود ، احوال « الصيد »

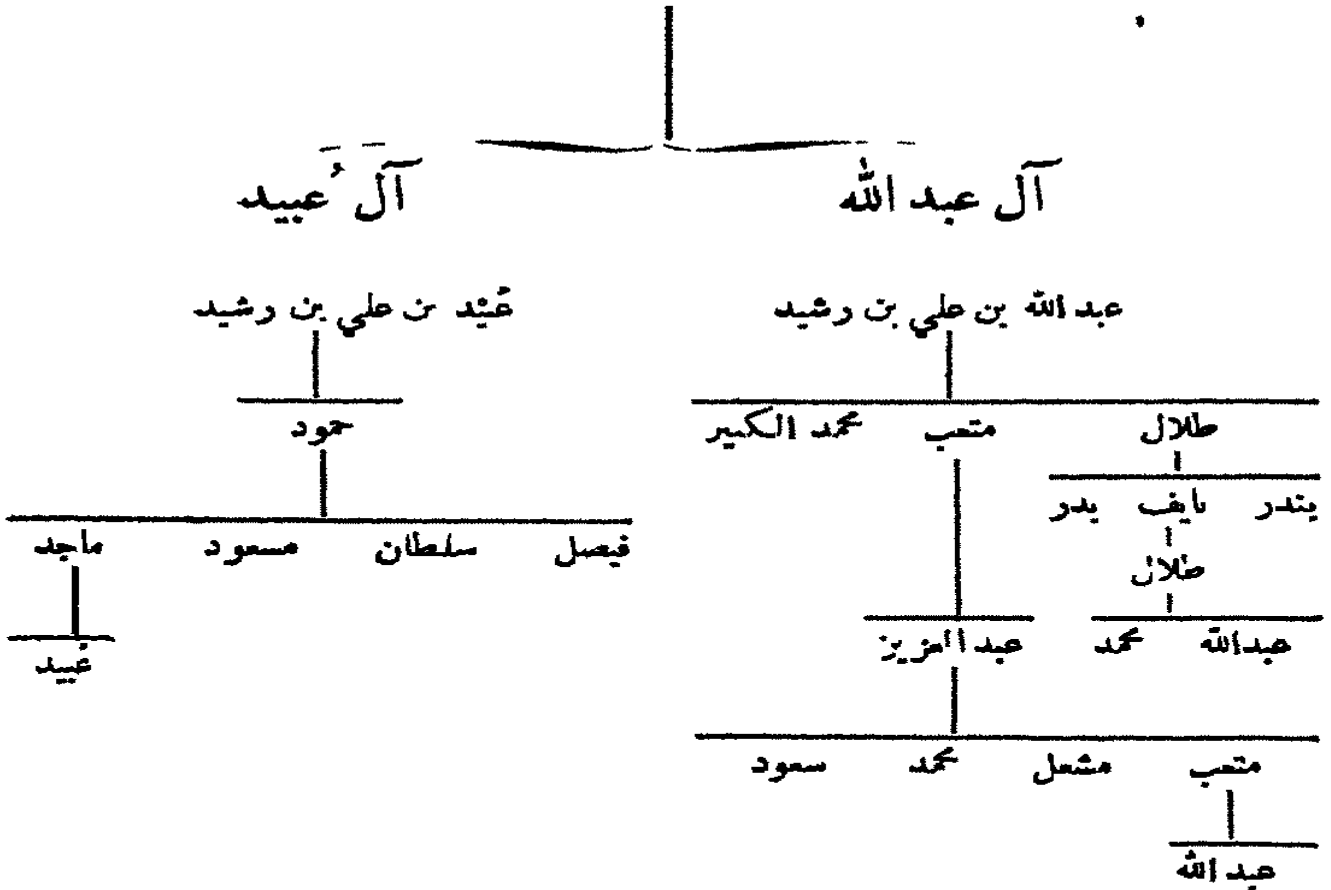
الثلاثة ، صوت يهتف بالبساء غفر الله ذنوبه ، وذنوب اهل هذا البيت اجمعين .

امراء حائل الرشيدية

- ١ — عبد الله بن علي بن رشيد . مات موتاً طبيعياً سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م .)
- ٢ — طلال بن عبدالله . اتنحر في سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م .)
- ٣ — متعب اخو طلال . قتله ابناء اخيه بندر وبدر سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م .)
- ٤ — بندر بن طلال بن عبدالله . قتله عمه محمد سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م .)
- ٥ — محمد بن عبدالله الذي يدعى الكبير كان عاقراً ومات موتاً طبيعياً .
تولى الامارة سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) . وتوفي في ٣ رجب ١٣١٥هـ
(١٨٩٧م) . استولى على نجد كله حتى وادي الدواسر .
- ٦ — عبد العزيز بن متعب بن عبدالله . قُتل في المعركة في ١٨ صفر ١٣٢٤
(١٩٠٦م)
- ٧ — متعب بن عبدالعزيز حكم عشرة اشهر . قتله واخوه متعللاً ومحمداً ابنا
حمود بن عبيد في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)
- ٨ — سلطان بن حمود بن عبيد حكم سبعة اشهر . قتله اخوه سعود
- ٩ — سعود بن حمود بن عبيد حكم اربعة عشر شهراً . قُتل في القصر
- ١٠ — سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبدالله . قتله عبد الله بن طلال
سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)
- ١١ — عبد الله بن طلال لم يحكم . قتله عبد من عبيد سعود
- عبد الله بن عبد العزيز بن متعب . سلم لابن سعود
ذي الحجة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م)
- ١٣ — محمد بن طلال بن نايف بن طلال . سلم لابن سعود في ٢٩ صفر
١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١م)

نَبِيتِ الرَّشِيدِ

قبيلة شمر
عبدِه أكبر فخذٍ منها
آل جعفر
آل خليل
آل رشيد



الفصل الثالث والثلاثون

أهـرة آل عاتض

في شبه الجزيرة جبالٌ غير أجا ومسلمي ، وغير جبال اليمن وعمان ، تستحق ان تُتعت بالزمردية . هناك جبال عسير وقد كساها الاخضرار ، فضخمت فيها الاشجار ، وغزرت المياه ، وتنوعت الثمار . هي جبال عسير الممتازة بكنوزها الدفينة ، ناهيك بهوائها ، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف ، وبمناظرها وهي اروع من مناظر اليمن . وهي احصن الجبال للدفاع ، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبساة .

ولكن اهل عسير اتسد العرب نفرة من الاجاب ، وابتعد العرب اليوم عن المدنية . كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ، بل معادية بعضها لبعض . ولا يزال في الجهة الشرقية الجنوبية من اولئك الاعراب الذين يسلكون مسلك الاقدمين في الاستقلال والقتال ، فهم لا يدينون لصاحب اليمن ، ولا لصاحب عسير ، ولا لصاحب نجد والحجاز .

اما اهل الناحية التي أطلق الترك عليها اسم متصرفية عسير فقد اقبلوا في ايام آل سعود الاولين على مذهب محمد بن عبد الوهاب ، فترى مساجدهم وقد خلت من الزخرف ، وقبورهم ولا قباب فوقها . هم يوحدون الله ولا يتوسلون الى سواه . وكانوا في تلك الايام يدفعون الزكاة للامام في الدرعية ، مثلما يدفعونها اليوم للسلطان عبد العزيز .

اما قاعدة هذه المقاطعة أهباء ، التي تملو سبعة الاف وثلاثمئة قدم عن البحر ، فهي قائمة على رأسي وادي ضلاع ووادي شهران ، في جبل سراة ، بين اكام وقم تنتصب كالحراس حولها . وهي مؤلفة من ثلاثة قرى او احياء منفصلة بعضها عن بعض ، ولا اسوار لها . انما تحوط بها ثمانى قلاع صغيرة — مفاتيل — تسع

الواحدة عشرة من الجنود .

وحول أيها القبائل التي كانت في الماضي تحارب بعضها بعضاً ، وتحارب الترك ، وتحارب نجداً والحجاز . ولكنها اليوم موثقة بعري السيادة السعودية ، متأخية في التوحيد الديني والسياسي . حول ابها بنو مقيط ، وبنو دؤيم ، وبنو مالك ، وبنو زيد . وشمالاً منها بالأحمر وبالأحمر وبنو شهر ، وشرقاً خميس مشيط^(١) قاعدة زهران .

وفي هذه الناحية وادي شعاف الذي يقطنه آل يزيد ، ومنهم آل عائض الذين يدعون انهم من سلالة معاوية بن ابي سفيان ، وانهم تزحوا الى عسير بعد سقوط الدولة الاموية في الشام . ولكنهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي امراء في عسير . وعندما امر سعود الكبير في هذه الجبال رجلاً يدعي ابن مجيثل كان عائض جد الاسرة من الرعاة . ثم جاءت الجنود المصرية . وجاء محمد علي بنفسه يقود الحملة على اهل عسير ، فكان آل يزيد من المتقدمين المستبسلين في القتال ، وكان عائض بطل آل يزيد فادّره ابن مجيثل مكانه ، وكتب الى ابن سعود يوصيه به فاتبته في الامارة . ثم خلفه بعد وفاته ابنه محمد — محمد الفاتح — الذي بسط سيادة آل عائض في مادون السراة من البلدان ، فوصل ترقماً الى يدشة ، وشمالاً الى حدود الحجاز ، وجنوباً بغرب الى الخفا في تهامة .

وكانت قد تزعزعت في عهده سيادة آل سعود ، وعادت الدولة العثمانية الى اليمن ، فجهزت على عسير حملة بقيادة المشير رديف باتا الذي قتل محمد بن عائض غدراً . ثم تأسست متصرفية عسير ، وظلت الدولة تحافظ على نفوذ آل عائض وتستعين به ، بل كانت تعين احد امراء هذه الاسرة معاوناً للمتصرف . وآخر من تولى هذه الوظيفة منهم هو حسن بن علي ، حفيد الامير محمد ، الذي عينه في سنة ١٩١٢ المتصرف سليمان شفيق كالي باتا .

ثم سبت الحرب العظمى ، وجلا الترك عقب الحرب عن عسير ، فتولى

(١) خميس مشيط هي على مسافة خمسة عشر ميلا من ابها وهي في طريق الحاج اليماني الذي يجتمع فيها بحجاج صير ويسبرون جميعاً الى مكة .

الإمارة واستقل بها . بل كان مستبداً ظالماً ، فنفرت منه القبائل خصوصاً قحطان وزهران ، وارسلت وفودها شاكية الى ابن سعود . فبعث عبد العزيز اليهم بستة من علماء نجد وكتب الى الامير حسن والى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة ويدعوهم للرجوع الى ما كان عليه اجدادهم .

ولكن الامير حسناً استمر في سياسته ، فابى توسط العلماء ، ورددهم مكابراً . — « اذا كان ابن سعود يتدخل في شئون قبائل عسير فسندمشي الى يشة النخل (قلعة يشة) ونستولي عليها » .

عندئذ ارسل السلطان ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي (امير حائل والجنوف اليوم) ومعه الفان من الجنود ، وامره بأن يدعو ابن عائض اولاً للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان اجداده الاولون .

مشى ابن مساعد في شعبان سنة ١٣٣٨ (مايو ١٩٢١) وعندما دنا من ابها في الشهر الثاني كفاه ابن عائض . مؤونة الدعوة للسلم فخرج اليه بجنوده وتصادموا في مكان يدعى حجلة بين العاصمة وخميس مشيط ، فكانت الواقعة شديدة ، وكانت الهزيمة على اهل عسير .

ثم دخل جيش ابن مساعد ابها ، وواصل سيره غرباً بجنوب فاستولى على السراة وغيرها من النواحي التي تتصل بحدود السيد الادريسي . وكان الادريسي موالياً لابن سعود فأسر بعض آل العائض الفارين ^(١) ورجع حسن وابن عمه محمد الى ابن مساعد مستأمنين مستسلمين ، فأمنهما وارسلها الى الرياض حيث اقاما شهراً بضيافة السلطان ، واتفقا واياه على ان يكونا معه كما كان اجدادهما مع اجداده .

قال عبد العزيز : « ما تحلينا ابدأ عنكم يا اهل عائض . وعند ما سئل الترك الشريف عبدالله بن عون ان يهاجمكم وينكل بكم ، ارسل الشريف يستنجد عمي الامام عبد الله فاجابه : ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه ؟ »

ثم عرض امارة عسير على حسن بالشروط التي نقيدها بها اجداده فرفضها

(١) اخلى بعدئذ سبيلهم اجابة لطلب السلطان عبد العزيز .

قائلاً : « قد عادينا الناس ونخشى اذا امرنا ان يقوموا علينا . ولكننا نكون معاونين لمن تؤمرون أيديكم الله . ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا »
لم يقصر ابن سعود . فقد اعطاهما خمسة وستين الف ريال (٦٥٠٠ ليرة ذهباً) وخصها واهلها بالمشاهرات المالية .

عاد الاميران الى بلادهما راضين مغبوطين ، فاقام محمد في أبيها عند حاكمها وكانت سيرته حسنة . اما حسن فاستأذن بأن يسافر الى حرملة بلده ليحج . بعائلته الى العاصمة فأذن بذلك . ولكنه عندما وصلها تمنع فيها وشرع يدس لألسانس على ابن سعود .

ثم مشى ، بعد فتنة اثارها ، بقوة من قومه على أبيها ، فحاصر الامير فيها عشرة ايام ، واضطره الى التسليم ، فسلم ، فأسر في خميس مشيط .
وكان قبل ذلك قد جازف هذا الامير بسيادة ابن سعود في بني شهر المقربين من الديوان الهاشمي بمكة . فقد كان لابن سعود عامل في تلك الناحية ارسل مرة مع احد رجاله مالاً الى امير ابها . فقتله بعض العربان وسلبوا المال ، فارسل الامير الى بعض الاخوان من قحطان يأمرهم بمهاجمة بني شهر . هجم الاخوان على ادنى اولئك العربان منهم ، فاشتبكوا واياهم في القتال وكانت الغلبة عليهم . وكان الملك حسين يستنهض بني شهر ليكونوا وابن عائض يدا واحدة على ابن سعود ، ويمدهم بالذخائر والبال ، فتفاجأ الامر ، وانتد الخطر على السيادة السعودية في عسير .
اسمرت هذه احل ما يقرب من شهرين . وبعد سقوط حائل ببغدة اشهر جيز السلطان عبد العزيز ابنه فيصلا بحملة على عسير مؤلفة من ستة الاف من جنود نجد ، من الاخوان ، واربعة الاف من عرب قحطان وزهران انضموا اليهم عندما دخلوا تلك الجبال .

منى فيصل في التبر العاشر من عام ١٣٤٠ (يونيو ١٩٢٢) فل وصل الى بيشة كان بنو نهر زاحفين اليها يريدون مهاجمتها ، فامر فيصل بابداء القتال ، فهجمت عليهم كنيبة من الجيش فقتلت . ثمن منهم . ستت الباتين .
وكان محمد بن عائض مرابطا بجيسته في خميس مشيط . فعندما علم بدنو فيصل

ظهر الى حجاز ، فخطه مبرية من الثومان ، فربيع وجنوده الى ابها بدون قتال .
 سألت الامير : « وهل كان في ابها عند ما دخلتموها » فقال : « ما وجدنا
 فيها غير الكلاب والحريم » . فرآى عائض وقومهم ، وفر معهم هارباً من استطاع .
 فأرسل الامير فيصل يؤمن الناس بشرط ان يسلموا « شوكة الحرب » فلم
 يفرق من الذين كانوا ثأرين ، وظل فریق مع الامير حسن الذي لجأ الى بلدته
 حرملة وتحصن فيها .

و حرملة هذه هي في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها الا من منافذ معلومة
 لا يعرفها غير اهلها . كان آل عائض في محاربتهم الاتراك يلجأون اليها ، وهي
 بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم . اما الامير محمد فقد هرب الى القنفذة ومنها
 سافر الى الحجاز ليستنجد الملك حسيناً ، فانجده بحملة صغيرة يقودها الشريف
 عبدالله بن حمزه القهر ومعها مئتان من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات
 بقيادة الملازم حمدي بك (١) .

جاءت الامير فيصل اخبار العائضين ، فأرسل على حسن في معقله بحملة سرايا
 من الجيش ، الواحدة تلو الاخرى ، وبعد تذليل العقبات ، ومعركة دامت ست
 ساعات ، استمر الاخوان في التصعيد حتى وصلوا حرملة فلم يجحدوا حسناً فيها ،
 فهدموا قصورها وحصونها وعادوا الى ابها .

وكان الامير قد ارسل قوة من الجيش الى تهامة لمحاربة القادمين من الحجاز .
 ولكن تهامة كانت على الاخوان اشد في حرثها ومحتياتها من صخور حرملة ، فلم
 يبعثوا فيها ، بل عادوا منهزمين — هزمتهم الحمى — الى الجبال ، فنقضى جيش الحجاز
 اثرهم .

اما القيادة في ذاك الجيش فقد كانت مقسومة غير متفق عليها . قال
 الشريف عبدالله بن حمزة بنحطة في السير ، وقال حمدي بك قائد الجنود النظامية
 بنحطة اخرى . ولكن الكلمة الاخيرة كانت للشريف فمضى بالجيش في الطريق
 التي حذر منها حمدي بك .

(١) هو اليوم قائد الحامية في ينبع .



الامير فيصل ابن الملك عبد العزيز

وكان ذلك من حظ الاخوان الناقمين على تهامة ، الطالبين الثأر من الجيش الذي جرم اليها ، اذ ما عتم ان وقع الشريف عبد الله في الشرك ، فاحاط به اهل نجد وكادوا يفتنون بجيشه بالراضان وبالسيف . نجما القائدان بقسم من رجالهما ، البدو والنظام ، ولاذوا ببارق ، فتعقبهم الاخوات ، ففروا منها منحدرين الى تهامة ، متقهقرين الى القنفذة .

وبعد فرار العائضين حسن ومحمد^(١) وهزيمة الجيش الحجازي ، أمر الامير فيصل في أجهابن عفيضان^(٢) واقام فيها حامية عددها خمسمئة جندي . ثم عاد بما بقي من جيشه الى الرياض ، فوصلها في ٢١ جمادى الاولى ١٣٤١ (٨ يناير ١٩٢٣) يوم كان مؤلف هذا التاريخ هناك .

(١) هما اليوم في الرياض

(٢) يظهر ان آل عفيضان عريقون في الولا لال سعود ، مقربون منذ القدم منهم . جاء في تاريخ البحرين ان عندما استنجد آل خليفة الامام عبد العزيز بالدرجة على اهل الزبارة بقطر أنجدهم بجيش يقوده ابن عفيضان

الفصل الرابع والثلاثون

الاهواء في العراق

عندما وصل سعود الكبير سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) الى الجبل والجوف في فتوحاته ، دخلت شمر الاقليلاً منها في المذهب الوهابي نخلوه من الزيادات في العبادات ، واملاً بالتخلص من الحكم العثماني . على ان ابنا الجبل لا يشبهون في الزعة الدينية اهل العارض ، فلم يؤثر المذهب الجديد في عصبيتهم الشمرية ، ولا اثر فيها الروح الاوّل الى العراق ، عندما اجلا ابن سعود « الجربا » وعشيرته من الجبيل ، في العقد الاخير من القرن الثامن عشر .

ضت شمر من اكر قبائل العرب عداءً ، وارسخهم في القومية ، وابسلهم في القتال . وقد كانت في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر ركن ملك ابن الرشيد ، ونار علمه ، وآية عزه ونصره .

اما الدعاية المذهبية في الجبل ، في بداية هذا القرن ، فقد اختلفت باصرين عما سبقها في بداية القرن الماضي ، او انها نزهت عن امر هو ديني وبخلصت من آخر هو سياسي . لم يكن في الجبل من يكره الناس بالمذهب الوهابي الحنبلي في حملاته الفظيعة على « المشركين » . ولم يكن للدولة العلية ، في الربع الذي ولى من هذا القرن ، ما كان لها من الشوكة في الممالك العثمانية ، ومن الهية النفوذ في العالم الاسلامي . فلم تتمكن السياسة التركية الاسلامية من مقاومة لدعاية الوهابية ، خصوصاً لان تلك الدعاية كانت في الاجمال سلمية . فقد مشى المطاوعة الى الجبل قبل ان يزحف اليه الاخوان .

وعندما كثرت اهجرة الى العراق ، خصوصاً من قبيلة عبده الشهيرة ، بسبب ما تكرر في بيت الرشيد من الجرائم السياسية الفظيعة ، تعددت عوامل

التفكك في شمر ، فضعفت تلك العصبية التي كانت ركن الجبل وسيف ابن الرتييد ، ولم يحل محلها عصبية مذهبية لان اهل الجبل لا يغالون في الدين كما قلت مثل اهل العارض .

واكن السياسة كانت تستثمر ما تبقى من العصبية . فالذين فروا من الجبل الى العراق ، قبل حصار حائل ، دخلوا هناك في العشائر المعادية لعشائر نجد واشتركوا في الاغارات التي تكررت عليها . والحق يقال ان الفوضى اتت الحصار ضربت على حدود العراق اطنابها . فعجزت عن مكافحتها حكومة بغداد الجديدة الضعيفة ، وشغلت حكومة نجد عنها في الحرب .

اجل ، قد تكررت الاغارات من العشائر بعضها على بعض . وكان عربان المنتفق والظفير يسطون خصوصاً على عشائر نجد ، فكتب السلطان عبد العزيز الى حكومة العراق يسترعي نظرها للامر ، ويطلب ان يردع الاشقياء ، وتورد المنهوبات التي نهب من عشائره .

اما هذه المنهوبات فكان اكثرها عند الظفير ، وشيخها نافر من تلك الحكومة الجديدة ، بل خارج عليها ، فإذ تملك قياده ولا كان لها في عربانه الامر المطاع . وقد كان ابن صويط على عداه قديماً وابن السعدون يوسف بك التصور ، والامان عدوان لابن سعود ، فقامت حكومة العراق تنفر في سياستها واحداً منهم به . قال السير برسي كوكس^١ في تقريره الى الحكومة البريطانية : « يمكن العلاقات حسنة بين حكومة العراق وشيخ الظفير حمود بن صويط ، وقد امتسكت عنه المتأهرات لانه يرجع عتائره عن العزوة والاعتداء ومن سؤ الحظ ان الملك فيصل عين في هذا الوقت يوسف بك السعدون قائداً لفرقة الحماية على الحدود ، وبينه وبين ابن صويط عداً قديماً ، فهاج ذلك خاطر شيخ الظفير الذي رحل الى الرياض . وقد كتبت الى ابن سعود اسأله الآ باستقباله لان

(١) Sir Percy F. Cox عندما اعلنت الحرب العظمى اتتد السير برسي كوكس رئيساً للحكام السياسيين لفرقة (١) من الحملة الهندية افتتح العراق . عين بعد ثورة ١٩٢٠ مدوناً سامياً لحكومة بريطانيا العظمى في العراق . راجع «مدوك العرب : الجزء الثاني» صفحة ٣٣٥ وما يليها .

حكومتها العراقية لم تغير رأيتها عنه .
 ولم يكن ابن سوطي وراضياً عن حكومة العراق ، لانه تعيّن يوسف بك
 السعدون قائداً لفرقة المهجاة لم يكن على ما يظهر للدفاع فقط ، بل شملت مهمته
 التطويرية شؤون البوادي التي تسرح وتمرح على حدود البلدين لمجد والعراق .
 ولاسيما انخرط في رحب السلطان عبد العزيز بشيخ الظفير ابن صويط .
 عندما جاءه مستغفراً ، وأعطاه الامان على شرط ان ترد عرباته ككل ما نهب من
 أهل نجد ، وأن لا يشمل المعنويين من المذنبين . ثم اجزل له العطاء ، وارسل
 معه احد رجاله عبد الرحمن بن معمر الثاميين ، لوتجمع الزكوة من أهل الظفير
 المستسلمين .

وفي جمادى الثانية من عام ١٣٤٠ (فبراير ١٩٢٢) نقل يوسف بك
 السعدون بفرقة المهجاة الى ابي الغار ، على مسير يوم من سوق الشيوخ غربي
 سكة الحديد بين البصرة والناصرية ، فزاره المتصرف هناك ، وامر العربات
 بان لا يؤدوا الزكوة الى ابن سعود .

اما ابن سعود فعندما علم بمشي السعدون امر فيصل الدويش في الارطاوبة
 بان يمشي الى الحضر وبمسكر هناك للدفاع عن عتائر نجد .
 وكان ابن صويط قد بدأ يتخذ في عرباته اوامر ابن سعود ، فعصاه واحد
 من المتقدمين فيهم اسمه ابو ذراع ، وخرج الى آل طوالة ، من شمر العصاة ،
 وشرع يشن الغارات واياهم على عتائر نجد . علم الدويش بذلك ، ونهض على الحطول
 فشد على ابن طوالة واتي ذراع .

وكان يوسف بك السعدون قد زحف بهباته على ابن صويط ومن معه من
 رجال ابن سعود ، فنزل ليلة ذاك النهار في مكان قريب من مناخ ابي ذراع
 وابن طوالة .

هجم الدويش على هذين الزعيمين ورجلها فغلبهم وغنم اموالهم ، فبادرت
 مهجاة يوسف بك الى الدفاع عن المغلوبين ، فما عتموا ان صاروا مثلهم . ضربهم
 الدويش دفاعاً ، فانقلب الدفاع هجوماً ، لان الاخوات المنتصرين ظلوا

ماتين الى ابي الغار ، فدخلوها في ١١ مارس ونهبوها . ثم تأثروا جيش السعدون خادر كوه في شقره ، التي تبعد عشرين ميلاً من ابي الغار الى الجنوب ، فضربوه خربة ذهبت باكثر اولئك الهجاة وشتمت الباقيين . وقد خيم الاخوان في تلك الناحية بضعة ايام ، فضجت كربلا والنجف بضع العراق باجمعه .

على ان الحكومة الانكليزية فعلت بالندويش وجنوده ما فعلته سابقاً في الصبيحية بالكويت . ارسلت عليهم الطائرات ، ومن الطائرات القذائف المدمرة للبيدة .

ثم تباهق المندوب السامي السري برمي كوكس والسلطان عبد العزيز رسائلي الاسف . قال حضرة المندوب : « لا تؤاخذوا طياراننا . ولكن لا يهدر لهجوم الاخوان على عشائر العراق » .

وقال عطمة السلطان : « لا تؤاخذوا الاخوان . ولكن التبعة على الحكومة التي لا تستطيع ان تكبح جماح للعشائر ضمن حدودها ، هذا جزاء الضعف والاممال » .

وبعد هذا الحادث عقد مؤتمر المحمرة لتسوية الخلاف بين البلدين ، فحضره احمد ابن ثنيان من قبل السلطان عبد العزيز ومندوبان من قبل الحكومة والمفوضية في بغداد . ولكن السلطان لم يصدق على ما قرر هناك ، فعقد المؤتمر الثاني بعد بضعة اشهر في العقير .

الفصل الخامس والثلاثون

مؤتمر العقير

على كتيب يحدد الخليج بعينه العسلية ، الى جنوب القصر بالعقير ، تمس
خلون من ربيع الثاني عام واحد واربعين وثلاثمئة والـ (٢٨ نوفمبر ١٩٢٢)
نصبت الخيام للمؤتمر . فكان قسم منها ، وهي البيضاء الهرمية المزركشة من
الداخل بالابيات والرسوم ، الى الجانب الشرقي لوفد العراق وللانكليز ، والقسم
الاكبر واكثره من بيوت الشعر الى الجانب الغربي لاهل نجد من المرافقين
عظمة السلطان عبد العزيز . وكان سرادق عظمته مقابلاً لسرادق الاجتماع ،
في الخيم الاوروبي ، وبينهما نحو مئتي متر من الرمل . وتحت سرادق الاجتماع
سرادق الطعام ، ووراءه المطبخ ، والى جانبه قافلة من الجمال وقد اتاقت
ياحمالها .

وكانت شمس العقير فاترة لا تجفف هواء العقير . وهواء العقير ، وهو رطب
كثيف ثقيل ، لا يصلح مزاج من جاء ، ومزاجه معكر ، ليصلح مجاري السياسة
بينه وبين جيرانه .

كان السلطان عبد العزيز قد علم في الطريق من الحسا بقدم فهد الهذال
شيخ العمارت مع المفوض السامي السري برمي كوكس ، فغاضه ذلك ، لانه لم يجي
العقير لحل مشاكل العشائر . وقد كانت فوق ذلك ناقماً على الشيخ فهد ، لانه
انزل عرب شمر الذين فروا من الجبل في اثناء الحصار لحائل .

فكتب اليه يذكره بأنهم من رعاياه ، وان عرب عنزي — والعمارات منها —
هم ابناؤ عم ابن سعود ، وانهم لا ياؤون اعداءه ، ولا يساعدونهم عليه . —
« بل انت يا فهد وعشائرك من رعاياتنا ، ولك علينا حق الحماية ، اللهم اذا كنت

من المخلصين» . ولكن فهداً يفضل على ما يظهر الحماية الانكليزية ، وقد جاء محتمياً بالمندوب السامي ليسترخي السلطان عبد العزيز .

قال عظمتة للمؤلف : « نحن دعونا السر برمسي كوكس الى العقير للنظر واياه في امرين — الاول الشريف واولاده ، والثاني الاتراك الطامعون الان بالموصل . اما مسألة العمارات والظفير فخلها لا يستوجب مجيئنا الى هذا المكان » . ولكن السر برمسي اغتتم هذه الفرصة ليعيد البحث في اتفاق المحمرة ، ويحدد الحدود بين نجد والكويت ، وبين العراق ونجد ، فجاء ومعه فريق من السياسيين والاختصاصيين وكتبة السر والخدم .

وصل اليخت الذي أقامهم من البحرين في مساء اليوم السابع من ربيع الثاني ، فامر السلطان بارسال الخيل الى الرصيف ، ونزل هو وحاشيته بلاقون الوفود . ثم عادوا بعد نصف ساعة الى المخيم ، فترجلوا امام مرادق الاجتماع الذي أنير بانوار « اللوكس » .

وبعد ان استقروا بالمجلس « اعتذر المندوب السامي لانه ابطاً في السفر » فقبل السلطان العذر ، وشرع يفصح عما كان ينقد في صدره ، فجاءت الكلمة الاولى قبلةً زعزعت المكن — « انا لا اخشى الا الرحى الذي لا شريف له ولا دين » . ثم قال : « لا ندري يا حضرة المندوب ما خفي من التماسد ولكننا نرجو منها الخير . وما نعلم على اليقين ان العشر ، خصصاً عشائر العراق ، لا ترتاح الى حكومة قوية ، بل لا تبغيتها . لان الحكومة اذا كانت قوية تفرضهم وتؤدبهم . اما اذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم . العشاير يا حضرة المندوب لا يفهمون الا بالسيف . فهم اذا عملتهم بالخنفي ينحكون بالحكومة . اشهروا السيف يرتدعوا ، يتأدبوا . اغمدوا السيف ينهبوا ، وبقتلوا ، وبتقاضوكم فوق ذلك المشاهرات » .

فاه عظمتة بهذه الكلمات وهو مدير ظهيرة انهد اهدال . ثم مال بوجهه اليه وقال مبتسماً : « أليس كذلك يا فهد ! » « حنا » نعرف بعضنا « فضحك كل من كان في المجلس ، الا شيخ العمارات الذي كان يحدق نظره في السجادة ، ثم

يرفعه منظمة الى المنسوب السامي ، كأنه يقول : لا بارك الله ساعة جئت فيها
معك» (١)

هذه اول جلسة ، وان كانت غير رسمية ، من مؤتمر العقير ، تبعتها جلسات
خصوصية بين السلطان والمندوب السامي ، وحلقات عمومية حضرها رئيس وفد
العراق صبيح بك نشأت ، ولوكيل السياسي الميجر مور في الكويت ، والشيخ فهد
الهندال . وكان الكتاب المترجمون ، والاختصاصيون من العرب في معرفة الابار
والمطرق والمراعي ، يؤمون خيمتي للصغيرة من حين الى حين .

اعود اذن الى مذكراتي في تلك الايام .

في ٨ ربيع الثاني ١٣٤١ (٢٨ نوفمبر ١٩٢٢)

اجتمع صباح اليوم السلطان والمندوب السامي ، فخرج المندوب وفيه
حجبه تقرير طويل باللغة العربية ، سألتني عندما زرته بعد نصف ساعة في خيمته
ان اترجمه له . هو تقرير يتعلق بقبيلتي العارات والظفير كان قد اعدته
السلطان لندوبه في مؤتمر المحمرة ، وهو مكتوب في صورة السؤال والجواب - اذا
سألك كذا وكذا ، اجب كذا وكذا . واذا الخ المندوب الانكليزي في امر من
الامور ، اسأله اذا كان يتكلم بلسان حكومته او بلسان حكومة العراق . فاذا
كان بلسان حكومة العراق فالجواب هو اننا لا نقساهل بمقوقنا . واذا كان بلسان
حكومة بريطانية فجاوب : اكراما لحكومة بريطانية . هذا اذا كانت من الامور
الثانوية . اما اذا كانت من الامور الجوهرية ، فالجواب هو اننا لا نسلم الا
مكرهين . والحكومة البريطانية تفهم ان عاقبة الاكراه وخيمة » .

قرأت ما تقدم وترجمته كلمة كلمة ، فلما يظهر السر برسي شيئاً من
الاكترات ان للسلطان عبد العزيز مفاجآت مزعجة

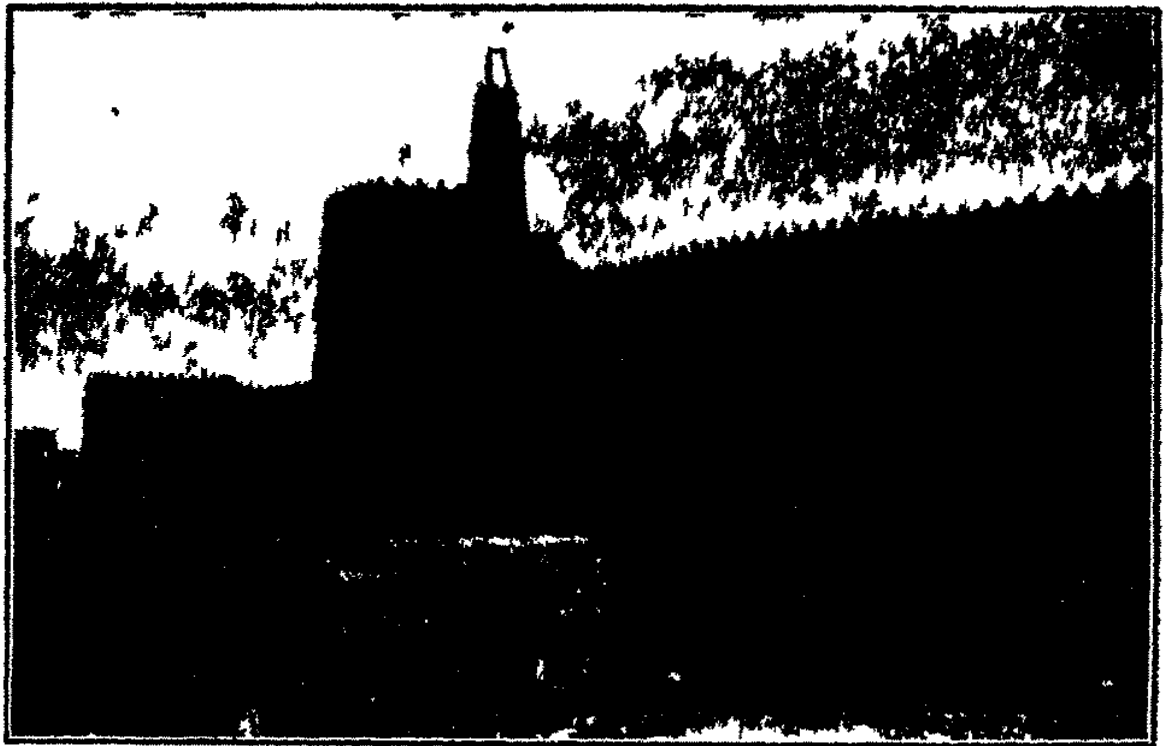
« اذا سألك عن العارات قل انها من عدى ، وعزى كلها من ابناء عم

ار سعود ومن رعاياه »

(١) منقول من ملوك العرب . ومن شاء الريادة فليراجع الفصلين الثامن والتاسع
من القسم الخامس . الجزء الثاني .



اعصا . مؤتمر العقير



القصر في الرياض

السيرة يومية في «العزى للمواقف لولمي للمعادرات» تقتضى ان تكون من رعايا
العراق . امه عزى سوديه^(١) فقد تقبل ان تكون من رعايا ابن سعود . وله بها
بناء فيها .

اضحكيتني هذه الكلمة من السيرة يومية . فكلمه يقول : الذي عندنا هو لنا ،
والذي عند غيرنا ، عند الفرنسيين ، هو لك يا عهد العزيز اذا استطعت ان
تستولي عليه .

في ٩ ربيع الثاني (٢٩ نوفمبر) .

قد زلّ اليوم المدوب السامي . بعد جلسة طويلة وعظمة السلطان
استدعى اليه عبد اللطيف باتا المدبل ، احد المستشارين يومئذ لعظمته ، ففاوضه
مفاوضة استمرت نصف ساعة ، واعطاء صورة كتابين ، كتباً بقلم الرصاص
وباللغة الانكليزية ، ليسلمها الى السلطان . فارسل عظمته يدعوني الى
المسطا . مما يؤسف له في مثل هذه الحال ان لا يكون للمدوب السامي ولا
للسلطان ترجمان يحسن الترجمة . فانكليزية الدكتور عبدالله ، مثل عربية
الميجر دكسون ، لا تصلح الامم .

ترجمت الكتابين . وكان السلطان اتاء الترجمة يترشح في محله وضر
السعادة بعصاه .

١ - الكتاب الاول ، الذي يسأله المدوب كتابته ، هو الى الملك فيصل
حوالاً على كتاب من الملك يفترض وصله . وفي هذا الكتاب يقول : بناء على
تعهدات الحكومة البريطانية في معاهدتي وايها اقبل الاما الذي عقد في مؤتمر
المحرة .

٢ - الكتاب الثاني يكتبه الى السري رمي كوكبر لسحره باكتاب الذي
كتبه الى الملك فيصل . ويزيده علماً بان واحدة من التعهدات المذكورة فيه
ذاك الكتاب تتعلق بالمادة السابعة من المعاهدة^(٢) وفيها ان الكلمات « اية دوة

(١) اي الرولة وهي تلمع أرولة (٢) المعاهدة المقصودة بهذا الكلام هي معاهدة
دارين اي معاهدة ١٩١٥ التي لعبت مدد في دفع مائة وستين الف ايرة لاس سعود

البحرية» يجب ان تشمل ايضاً حكومات الحجاز والشرق العربي والعراق . اي ان الحكومة البريطانية تتعهد ان تحمي بلاد نجد ، اذا ما تعدت عليها احدى هذه الحكومات الثلاث .

قال السلطان وهو يتميز غيظاً : « ومن قال للمندوب السامي ان ابن سعود يخاف الشريف واولاده — لا والله . « حنا » في غنى عن الحماية ، اذا كان المعتدي علينا من العرب » .

وقد ساءه خصوصاً ان يقول له المندوب ، بقلم من الرصاص على قصاصة من الورق ، ماذا يجب ان يكتب الى الملك فيصل او الى الحكومة البريطانية . دخل وانا اترجم الكتابين بعض رجال السلطان ، فأوماً اليهم ان اخرجوا ، فاستمروا ماشين في الفسطاط ، وخرجوا من الباب المقابل للباب الذي دخلوه ، فاستأنف عظمته الحديث . ثم هتف قائلاً : « لا نخاف الا الله » . وكان المؤذن ساعتئذ يؤذن صلاة الظهر ، فنهض يلبي الدعوة وهو يقول : « سنصلي سنصلي » .

في ٩ ربيع الثاني (مساءً) .
رفض السلطان بتاتا ان يكتب الكتابين اللذين اشار بكتابتهم المندوب السامي .

في ١٢ ربيع الثاني (١ ديسمبر) .
قد تم الاتفاق بين السلطان ومندوب العراق على الحدود النجدية العراقية ، وتقررت بقعة الحياض بين البلادين ، بقعة تدعى العونية فسميت هزا . قطعة بقلادة ، لانها في شكلها مربع شبيه بالمعين rhomboid (راجع الخارطة) وفي هذا التحديد تقرر ايضاً مصير العمارات والظفير الداخلتين في ارض العراق ، المندودتين الان من عشائره .

يظهر ان السر يوسي اقنع السلطان او انه ارضاه بما يقابل تنازله عن هاتين القبيلتين قطعة بقلادة للجميع ! ومن يكبح جماح القوي اذا رد عنها الضعيف ؟ — بقعة خصبة للمرعى ، وفيها آبار عديدة ، لا هي لكم يا عرب العراق

ولا هي لنا . ولكننا اذا ارتدناهما مسلحين ، ولم يكن فيها ما يكفي غير مواثينا من الماء والكلاء ، فن ذا الذي يردنا عنها ، ومن ذا الذي يستطيع ان يجرنا ؟ . . . انه لصلح صغير — مثل الذي كان يعقد في بعض الاحاين بين ابن سعود وابن الرشيد . وليت شعري هل في لوزان ^(١) اليوم يعقدون صلحا صغيراً م كبيراً ؟

في ١٣ ربيع الثاني (٢ ديسمبر) .

وقد تم الاتفاق بين السلطان والمندوب السامي والوكيل السيامي في الكويت الميجر مور على بقعة حياد بين البلادين ، لتقي عربان الكويت وعربان نجد شر التصادم . وهل يدري العربان بالمعاهدات ؛ وهل يحترمونها اذا ما جدت الارض وخرجوا كلهم « ينتدون الحيا » — يطلبون المرعى والماء ؟ هو صلح آخر صغير . وقد يدوم مع ذلك اكثر من صلح العراق . . . علمت ان السلطان طلب توسيع حدود الجوف لقاء تنازله عن العمارات والظفير ، وان السر يرمي وعده بذلك .

في ١٣ ربيع الثاني (مساء) .

من بشائر الخير في هذا المؤتمر للبلاد العربية كتاب كتبه الملك فيصل بحط يده الى السلطان عبد العزيز ، الى « اخي العزيز » وارسله مع رسوله خاص عبد الله بن مسفر جار فهد الهذال في اغنيم الاوروبي . اكتاب مدح بارق العبارات الولائية ، وفيه ما يدل على ان حلافة الملك يرغب رغبة حقيقية في الصلح ليس بين العراق ونجد فقط بل بين نجد واهجاز . وهل يبذل فيصل حطة والده ؟ وهل يستطيع ان يوفق بينه وبين السلطان عبد العزيز ؟ ها ها اساس الصلح الكبير والسلم الثابت في البلاد العربية . ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً .

وجواب السلطان على كتاب الملك ينيء بالخير . . . عسى ان يتوفا الى

اجتماع شخصي خاص . . . اني متيقن ان السلطان عبد العزيز راغب في ذلك .

(١) مؤتمر لوزان ومؤتمر العقير عقدا في وقت واحد . ولكن الاول استمر بضعة

اشهر والثاني انتهى في خمسة ايام .

- وذلك في الوقت المتأخر من حروب المراجع ، وقد طالت اقامته في الحساء . فهو
 يعني الرجوع إلى الوياض . ولا بأس اذا بحث بسر واحد من امرار الملوك .
 ان هناك رغبة في الاجتماع بدون واسطة الحكومة البريطانية .
 . في ١٤ ربيع الثاني (٣ ديسمبر) .

آخر ما ترجمته لعظمة السلطان صورة بوقية ارسلها السر يرمي كوكس الى
 المستر اتشرشل (يومئذ وزير الخارجية) يقول فيها ان ابن سعود طلب ان
 تكون قريات الملح في الجوف تابعة لتلك الناحية وبالتالي لنجد . وهو اي السر
 يرمي يشير بالقبول ، بل يقول : اكدت لعظمته ان ذلك يكون مقبولاً لدى
 حكومة جلالة الملك (١) .

.....

نأخذ من ابن سعود لنعطي العراق ، ونأخذ من شرقي الاردن لنعطي ابن
 سعود ، ونأخذ من الحجاز (العقبة) لنعطي شرقي الاردن — ومن نأخذ لنرضي
 الحجاز ؟

(١) بموجب اتفاقية حداء بين نجد والشرق العربي المثبوتة في المبعق قد ضمت قريات
 الملح الى الجوف .

الفصل السادس والثلاثون

النكاس - والذي يوسوس في صدور الناس

بعد بضعة اشهر من مؤتمر العقير نكس مريض الجزيرة ، نكس السلم . والسبب في النكاس مكروب الغزو الذي ظن المتعاهدون انهم استأصلوه . ولكنهم بنجوه فقط . فافاق بعد اربعة اشهر ، ونشط الى العمل مباشراً في العراق ، او بالحري على حدود العراق ونجد .

قد يذكر القارىء ما قلناه في عرب شمر الذين لجأوا الى العراق بعد احتلال حائل . وقد يذكر ان في العراق من هذه القبيلة الكبيرة من تزحوا الى ذلك القطر قديماً ، وهم يعدون من اهله ، واكثرهم ينزلون ما بين النهرين قرب الموصل . هؤلاء العشائر ، وفي مقدمتهم آل عبده التابعون لشيخة عجيل الياور الذي تحصه الحكومة العراقية بالمشاهرات المالية ، كانوا يرحبون باخوانهم الفارين من نجد ويشاركونهم معهم في شن الغارات على قبائل ابن سعود . قد تحال هذه الغزوات فترة سكون عقد فيها مؤتمر العقير . ثم عادت تلك العشائر بعد اربعة اشهر ، اي في صيف عام ١٩٣٣ ، تنسد ما اصلحه المصلحون ، وتحاول في غزواتها المتتابة ان تقضي على السيد في القطرين العراقي والنجدي . فكتب عظمة السلطان الى المفوض السامي والى جلالة الملك فيصل يلفت نظرهما الى هذا الامر ويحذرهما من عواقبه . بل طلب من الحكومة مراراً ان تردع المجرمين ، وترجع ما نهبوه من اهل نجد .

وقد نشر في الكتاب الاخضر النجدي اجوبة اولي الامر هناك ، وفيها ما يثبت دعوى حكومة نجد ، بل فيها الدليل على عجز حكومة العراق - مجزها يومئذ - عن تنفيذ ما رآته واجباً عليها .

قال - جلالة الملك فيصل في جوابه : « تلقيت كتابكم المرسل مع خادمكم الامين عبد العزيز الرباعي فكان اعز واصل اما من خصوص التفاوض - فقد اجرينا اللازم واخبرنا حامله سفاهاً بما يسهل الامور » .
وقال وزير الداخلية [يومئذ عبد المحسن بك السعدون] في كتاب ارسله الى المفوض السامي :

« قد اصدرت الاوامر الى متصرف الموصل لكي يرسل رؤساء شمر نجد وخصوصاً اولئك الذين اشتركوا في هذه الغارات وقد وعد الشيخ عجيل الياور باسترجاع الاموال المنهوبة ، وتعهد بقبول المسؤولية عن وقوع الغارات في المستقبل » .

ثم كتب معالي الوزير الى متصرف الموصل كتاباً شديد الالهجة جاء فيه : « ان التأثير الذي ينجم عن هذه الغزوات يغضب ابن سعود . فان لم نتخذ الاجراء لمستعمل فاقبل ما ينظر هو حدوث عزوات حسيمة مقابلة لذلك ^(١) وبما لا يطاق احتياجه اتحاد شمر العراق مركزاً خركاتهم الحربية على ابن سعود » .
والحكومة عازمة على اتحاد التدابير كبح جماحهم ولطردهم اذا اقتضى الامر .
وكان قد كتب عبد المحسن بك الى المفوض السامي يسأله اذا كان في وسعه « مساعدة الحكومة العراقية بالطائرات والسيارات المدرعة اذا كانت القوات لموجودة لديها غير كافية » .

وكن شمر احكومة العراقية لم يكن سوى مظهر من عجز حكومة الانتداب .
وفي كتاب السر برمي كوكس ، المؤرخ في ٢٧ اغسطس ، الى عظمة السلطان ، ثبت ذلك . وقد جاء فيه انه اي المفوض السامي لم يقصر « في الامراع الى تم نظر الحكومة العراقية الى هذه الحركات السيئة من قبل رجال شمر نجد مقيمين داخل حدودها » ، وانه « سينظر مع الحكومة العراقية في امر امكان وضع دوريات منظمة في اطراف العراق لاجل منع حدوث مثل هذه الامور » . . .
وا « وابق من التمكن قبل مدة طويلة من القيام بضمانات وافية ترضي كلا

(١) قد تحقق كلام الوزير ، بعد بضعة اشهر ، في غزوة الدويش

الحكومتين ، ومن اتخاذ تدابير من شأنها ان تمنع العشائر من تكرار هذه الاعمال «
ولكن « الدوريات » لم تنظم في هذه السنة ولا في التالية لها . اما التدابير
فقد عقد في سبيلها في الاشهر الاربعة الوسطى من هذا العام ١٣٤٢ هـ
١٩٢٣ - ٢٤ م مؤتمر الكوييت ، وفي خلال هذه الاشهر ، اي من جمادى الاولى
الى شعبان ، ساد شيء من السكون في البادية ، وقامت مقام الغزوات حرب من
الكلام في مدينة ابن الصباح .

كانت الحكومة الداعية ، بواسطة وكيلها في ابي شهر الكولونل نو كس^(٢) ،
الى هذا المؤتمر ، وكان الغرض منه :

١ — البحث في المواد الباقية بين نجد والعراق ومن جعلتها قبائل شمر
انتمتحتن، الى هذا القطر

٢ — البحث في مسألة حدود نجد وشرق الاردن .

٣ — البحث — اذا شاء ابن سعود — في حل المشاكل التي بين نجد
والحجاز .

وقد قال الوكيل في كتابه الى عظمة السلطان « ان الحكومة البريطانية
مستعدة ان تعرض الامر على الملك حسين » وان عرضها من عقد هذا المؤتمر
« هو ازالة سوء التفاهم وحل جميع المشاكل التي بين الامم المجاورة » .

قبل السلطان الدعوة على شرط ان تكون اعطاء ضات بين الوفود النجدي
كل وفد من وفود على حدة . اي ان وفد العراق لا يشتر — في مساحت
سرتي الاردن ، لا وفد سرتي الاردن في صحب امود العراق . قبل او كبل هذا
الشرط واعل به الحكومات الاخرى فجاز قبولها . وقد عقدت جلسة المؤتمر الأولى
في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢ (١٧ ديسمبر ١٩٢٣) ، اتمتها اربع جلسات ، دار
مبها البحث بين وفد نجد ووفد العراق ، فتم الاتفاق بينهم على صنع مواد يختص
بمعاينة الدين يتسبون الغارات في اطراف البلادين ، كيبه المعافسة ، بطريقة
المراسلة بين الحكومتين في ما يختص بالعشائر .

« ثم الاتفاق على تحديد موعد : فاقبل وفد العراق ، ساعة التوقيع ، طلب ان يتصلحت
 في المادة المتعلّقة بها لا تكون بصفة ما لم يتم الاتفاق مع الحجاز . ولكن الملك حسيناً
 رفض ابن يوهل مندوباً من قبله الى المؤتمر ، وقد قالت في بادئ الامر انه لا
 يشارك في المفاوضات ما زال ابن سعود محلاً بلدة واحدة من بلدان الحجاز .

رفض الوفد النجدية المادة الشرطية . وجاء في بريقة رئيس المؤتمر
 الكولونل نو كس الى حكومته « انه لا يمكن البت في شأن من الشؤون ما لم
 يوفد الحجاز مندوبه » . ثم تأجل المؤتمر الى ٨ مايو ليتمكن الوفدان من الرجوع الى
 بلاديهما ليستشيرا حكومتيهما في المسائل المختلف عليها .

اما وفد شرقي الاردن فقد كان اشد طمحة وأكثر صراحة مع وفد العراق ،
 فظهرت في خطبه اليد التي كانت تحركه ، والروح — غير روح الامير محمد الله —
 التي كانت مسيطرة عليه .

ان ظاهر الخلاف بين نجد وحكومة عمان هو الجوف وقريات الملح (١) فبعد
 مؤتمر العقير ، عندما علم سمو الامير بما كان من الاتفاق بين حكومة بريطانيا
 العظمى والسلطان عبد العزيز بخصوص الحدود النجدية العراقية ، ارسل قوة
 احتلت القرى ، فهم السلطان باخراج تلك القوة منها ، فلجأ الامير الى
 الحكومة البريطانية التي طلبت اذ ذاك من ابن سعود ان يتوقف في انزحف
 الى الجوف ، ووعدت بتسوية المسئلة بالوساطة السلمية . اما حادت الجوف هذا
 فقد كان من الاسباب التي مجلت في عقد مؤتمر الكويت .

قلت ان وفد شرقي الاردن كان اكثر صراحة وجرأة من وفد العراق ، فقد
 استهل رئيس الوفد خطابه في اطراء صاحب الجلالة الهاشمية ، والنهضة العربية ،
 والحكومة البريطانية التي ساعدت في استقلال العرب . ثم قال : « ان شرقي
 الاردن هي من ثمار هذا الاستقلال . وان الجوف وسكاكه وما يتبعها هي لازمة
 له ، هي ضرورة للمواصلات بين شرقي الاردن والعراق » فيجب اذن ان

(١) قرى الملح تتألف من قرينتين كبيرتين احدهما كاف والثانية ازمى ويتبعها
 ثلاث مزارع . وفي اراضيها معادن ملح كبيرة يشعن أكثر متوجها الى حوران وجبل الدروز

تكون تحت اشراف حكومة الامير -

وفي الجلسة الثانية كانت اللهجة اشد والصراحة اعجب . فقد قال المندوب الاردني ان الجوف وسكاكه وتوابعها هي من الاراضي السورية ، التي تبدأ حدودها من مدائن صالح ، وتنتهي عند يو كمال على نهر الفرات ، وان حكومة شرقي الاردن هي من سورية ، فيجب ان يكون الجوف باجمعه تحت ادارتها .

المندوب السعودي : « ان الجوف وسكاكه ووادي مرخان باجمعه كانت تتبع التطورات في نجد ، بينما ان تشكيلات الاردن الادارية لم تكن سوى ارضية تابعة للترك والقدس ، ولم يكن الجوف تابعا لها اداريا او سياسيا »

ثم قال رئيس الوفد : « لا نوافق مطلقا على اتصال حكومة شرقي الاردن بالعراق . وطلب ان تكون حكومة نجد متملة حدودها بسورية حتى تكون تجارتها آمنة . فحفظا لكياننا الاقتصادي ، وحماية لروحنا التجارية ، نطلب ان يكون الاتصال بسورية اساسا للاتفاق بيننا وبين شرقي الاردن » .

قلنا ان ظاهر الخلاف بين القطرين هو الحوف . اما الخلاف الحقيقي الجوهرى فهو العداء المتأصل بين آل سعود والبيت الهاشمي . وقد صرح رئيس الوفد ، بعد اطرائه جلالة الملك حسين ، بما يأتي :

« اسمعوا لي ان اصرح حضراكم باننا ادنا نحن حكومة نجد عن الحوف ووادي مرخان باجمعه ، عن الارضى احتجائية بي اختلافها ، ي تربة وحرمة وحير وعبيرها ، فعمل تحديد احدها بين الحدز ونجد على ان يكون الحد العاص هو الصحراء اقاحله ، ملا يمكن ان يحدد بيننا اتفاق » . عندئذ قال رئيس المؤتمر الكولونل نوكرس : « لا يحق لومد العراق او وفد شرقي الاردن ان يتكلم عن الحجاز . . . لان سلطان نجد حيا قبل ان يستتر في المؤتمر انتشر تطرطا اساسيا قبلنا ، وهو ان لا يحق لحكومة من الحكومات ان تشترك في بحث ما يتعلق بالحكومات الاخرى » .

توقفت المفاوضات بين نجد وشرقي الاردن كما توقفت سابقا بين نجد والعراق . والسبب الاول في ذلك كما تبين لنا هو الشرط الاخير الذي اشترطه

وقد حكومة بغداد، والكلام الاخير الذي فاه به وفد حكومة عمان . وقد فاز في الحائين الملك حسين .

الملك حسين ، وهو يومئذ في اوج مجده ، ابى ان يشترك في المؤتمر . ولكنه نفذ ارادته في ممثلي حكومتي نجد ، فحالت السياسة الهاشمية دون الاتفاق وسلطان نجد .

وما كانت جلسات المؤتمر الاخرى لتغير في هذه الحال او تلتفها . فقد عاد وفد العراق يحمل قرار حكومته ، وفيه ان لا يمكنها ان تسلم شمر نجد حالاً ، وانها غير مسؤولة عن المنهوبات التي سبق تاريخها تتويج الملك فيصل^(١) وانها لا تقبل بمبدأ اخراج العشائر الملتجئين اليها لان ذلك « يولد ارتباكات في الحدود العراقية مع سورية وتركية وايران » .

ولكن مسألة العشائر هي في نظر حكومة نجد المسئلة الجوهرية . فاذا كانت حكومة العراق لا تتخذ الوسائط الفعالة لتقضي على الحركات العدائية التي تقوم بها تلك العشائر ابحرمة فالوفد لا يمضي ملحقاً او معاهدة .

وما غير وفد شرقي الاردن لهجته ، ولا تنازل عن شيء من مطالبه . وقد اقترح رئيس المؤتمر استفتاء الاهالي في القرى ، فقبل الوفد النجدي بذلك « على شرط ان يعمل بهذا المبدأ في الاماكن المتنازع عليها بين نجد والحجاز اي في تربة والخرمه »

لم يقبل الوفد الاردني بذلك ، بل طلب ان يكون الجوف ووادي مرحاط منطقة حياد بين القطرين ، فرفض الوفد النجدي وارفض المؤتمر . او بالحري تأجل ، بعد اجتماعه الثاني ، الى شهر شعبان (مارس ١٩٢٤) ليتمكن الرئيس من مفاوضة السلطان عبد العزيز . وقد كان يأمل ان يغير الملك حسين رأيه فيرسل من يمثله في المؤتمر .

(١) قد قدمت حكومة نجد لائحة بالمنهوبات التي نهبت بعد توقيع معاهدة العقير ، وفيها اسما المعتدين والمعتدى عليهم . فبلغ عدد من قتلوا من رهايا نجد سبعة وعشرين رجلاً ، وعند ما نهب من الابل ٤٦٠ ، وقيمة ما سلب من المال خمسة ليرة واربعمئة ريال ، ما هدا ٣٥٠ حملاً من الدمن ومئة حمل من البن .

قد غير الملك رأيه فبين نجله الامير زهداً ممثلاً للحجاز . ولكنه لم يحضر .
وبينما كان وفد العراق ، الذي عاد للمرة الثانية يستشير حكومته ، قادماً للمرة
الثالثة الى الكويت ، خرج فيصل الدويش ، وقد فرغ صبر عربائه ، غازياً في
اطراف العراق ، ففضبت ولا غرو الحكومة ، وأمرت وفدها بالرجوع الى
بغداد ، فلم يعقد لذلك الاجتماع الثالث .

ليسمح القارىء ان يتبر المؤلف ها هنا الى نفسه . قد كنت في هذه المدة
على اتصال مراسلةً بعظمة السلطان ، وكنت فيما كتبت الى عظمته ساعياً في
سبيل الوفاق بين البلدين ، مجتهداً عقد معاهدة نجدية عراقية اوسع نطاقاً مما
سبقها في العقير وفي المحمرة . وقد جاءني من عظمته كتاب اقتطف منه ما يلي :
« اما ما ذكرته عن الاتفاق مع حكومة العراق فقد كنت ارجب به من
صميم قلبي . . . ولكن حكومة العراق لا تزال تعمل ضدنا في تأليف العصابات من
محرمي العشائر لمهاجمة رعاياتنا الآمنين ، وقطع الطرق على القوافل . . . يعلم الله
ان جل مقصدي هو ان اعيش بسلام مع جيرانني ، وان نتحد كلنا على ما فيه خير
العرب . ولكن الاشراف لا يروقهـم ذلك فحسبنا الله . . . »

وفي كتاب من القصيم مؤرخ في ١٤ رمضان يقول :

« قد جئنا القصيم لامور لا بد منها . ومنها الاستعداد للطوارئ . فقد عيننا
عبد العزيز بن مساعد آل جلوي اميراً في حائل ، وجعلنا المنطقة الشمالية ، بما فيه
القصيم والحويف وخيبر ، تحت امرته ، وزودناه بالتعليقات الكاملة ، والقوة الكافية ،
والصلاحية الواسعة . وبدلنا ايضاً امير الجوف فعينا محله عبدالله بن محمد بن عقيل ،
واصحبناه بما يلزم من القوة . »

هذا جواب عظمة السلطان على مطالب سمو الامير عبدالله وجماله والده .
بل هذي هي نتيجة مؤتمر الكويت .

الفصل السابع والثلاثون

ذروة المجد والخطر

عندما كان السلطان عبد العزيز في الاحساء يراقب عن كثب مؤتمر الكويت ، وينتظر متيقظاً نتائجها ، كان الملك حسين في عمان ، وقد جاءها ليشرف ، كما قال ، على جميع البلاد المقدسة ، ويزور الاماكن التي فيها مراكز للحكومة ، ويوطد السيادة العربية في الشرق العربي .

ولكن مسألة الخلافة ، بعد ان طرد الترك الكاليون الخليفة والاسرة السلطانية من تركيا ، شغلت العالم الاسلامي ، وكانت يومئذ تشغل امراء العرب وخصوصاً الملك حسين . فجاء عمان ابقر من الاقطار الحية الراقية في العالم العربي ، وليجس نبضها في هذه المسئلة الاسلامية الكبرى .

١٣٤٣ هـ . وعندما وصل القطار الملكي الى العاصمة في ٨ جمادى النانية ١٩٢٣ - ٢٤٤ من هذا العام (١٧ يناير سنة ١٩٢٤) شاهد جلالاته في المحطة مشهداً فريداً مجيداً ، خفقت له قلوب السياسة ، ورفرت فوقه امال الملك كلها . هناك كانت الوفود والجموع في انتظاره - وفود سورية وفلسطين ، ومشايخ العربان ، من نواحي الشرق العربي ، ورجال الحكومة من عرب وانكليز ، والصحافيون من مصر والقدس وبيروت والشام ، والجنود والجموع من بدو وحضر في الثياب العربية والافرنجية والجر كسية . هناك عندما أطل جلالاته من القطار رفع الناس اصواتهم هاتفين : ليحي ملك العرب ! ليحي المنقذ الاعظم ! وقد كان الاستقبال حاراً باهراً . اصطفت جنود الجيش العربي على الطربق من المحطة الى المدينة ، وجال العربان من فرسان وهجانة ، وهم يهزجون الهازيج البدوية ، ورفع تلاميذ المدارس اصواتهم بالهتاف والانشيد ، وشاركت في الترحيب

الطيارات الانكليزية التي كلفت تصبغ في الفضاء .
 ثم صعد الخطباء والشعراء منصة البيان ، وطفقوا يخطبون وينشدون ، مهللين
 مكبرين ، ومهددين الانكليز والفرنسيس ، بل الاوروبيين اجمعين .
 — ليحي ملك العرب ، لمتقد الاعظم ! لتحي النهضة العربية ! وليسقط كل
 من يسعى ضدها وضده ! ليسقط الاستعماريون والمستعبدون ! وكان جلالة
 يسمع الخطباء والشعراء من شرفة البيت الذي أعد له ، البيت المقابل للآثر
 التاريخي الجليل — الملعب الروماني المتهدم . وللزمان في هزئه بلاغة تعجز دونها
 الشعراء والخطباء .

ثم قابل جلالة الوفود فقال تكراراً انه لا يتنازل عن مبدء واحد من
 المبادئ التي هي اركان النهضة : — « لا اتنازل عن حق واحد من حقوق البلاد .
 لا اقبل الا ان تكون فلسطين لاهلها العرب ، اقول لاهلها العرب . لا اقبل
 بالتجزئة ، ولا اقبل بالابتدابات . ولا اسكت وفي عروقي دم عربي عن مطالبة
 الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي قطعتها للعرب . اذا رفضت الحكومة
 البريطانية التعديل الذي اطلبه فاني ارفض المعاهدة كلها ، اقول المعاهدة كلها .
 لا اوقع المعاهدة قبل ان آخذ رأي الامة . اني عامل دائماً في سبيل الاتفاق
 وامراء العرب . اني عامل دائماً في سبيل الوحدة العربية ، والاستقلال الباء — اقول
 الاستقلال الباء — للاقطار العربية كلها . ولا فرق عندي اذا كانت مركز
 الحكومة عربية في الحجاز ، او في سورية ، او في العراق ، او في نجد » .
 ولا يحجب ، بعد هذه التصريحات المدهشة ، اذا تمت المبايعة بالخلافة . فبعد
 المآدب والاجتماعات العامة المتعددة ، وبعد الاجتماعات الخاصة ورؤساء الوفود ،
 وكبار موظفي الانكليز ، نودي بالملك حسين بن علي خليفة المسلمين ، وامير
 المؤمنين ، فبايعه السوربون والفلسطينيون الذين كانوا هناك ، ورؤساء عرب
 الاردن ، واحجازيون الذين كانوا مع جلالة ، وفريق من العراقيين .

.....

وفي غرة ذي القعدة من هذا العام ، بعد ان عاد جلالة الملك حسين الى مكة

وقد اضاف الى لقبه الكبيرين اللقب الثالث الاكبر ، ابي خليفة المسلمين ، عقد في الرياض اجتماع عام برئاسة الامام عبد الرحمن حضره العلماء ، ورؤساء القبائل ، والسلطان عبد العزيز ، فافتتح حضرة الامام الجلسة قائلاً :

« قد جاءني كتب عديدة من الاخوان وهم يبغون الحج . وقد ارسلت هذه الكتب في حينها الى ولدنا عبد العزيز . وها هو امامكم فاسألوه عما يبدو لكم . »
السلطان عبد العزيز : « وصلني كل ما مكثتموه واحطت علماً بكل ما شكوتموه . ان لكل شيء نهاية فلا تيأسوا ، وان الامور مرهونة باوقاتها . »

سلطان بن مجاد : « يا امام حنا نبغي الحج ، ولا نريد ان نصير اكثر مما صبرنا على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا عليه . ليست مكة ملكاً لاحد ، ولا يحق لاحد ان يمنع المسلمين او يصد المؤمنين عن اداء فريضة الحج . نريد ان نخرج يا عبد العزيز ، فاذا منعنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة . واذا كنتم ترون ان من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلا بد من غزو الحجاز انحلص البيت الحرام من ايدي الظالمين والمفسدين . »

السلطان عبد العزيز : « ان مسألة الحج من المسائل التي يرحع الفصل فيها الى علمائنا . وها هم حاضرون ، فليتكلموا . »

الشيخ سعد بن عتيق : « ان الحج من اركان الاسلام ، ومسلمو نجد والحمد لله يستطيعون ان يؤدوا هذا الركن على الوجه الاتم بالرضى او بالقوة . ولكن من اصول الشريعة النظر الى المصالح والمفاسد . فالامر الذي قد يؤدي الى ضرر او مفسدة يدفع (يؤجل من اجله الحج) فهل هناك من مفسدة او مصرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب الى بيت الله ؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على السياسة . »

في الاعوام الخمسة الماضية كان السلطان يجيب على هذا السؤال بالاجاب ، فيمنع اهل نجد عن الحج خوف ان يحدث ما لا تحمد عقباه . وقد كان يعالج مشاكل نجد والحجاز بالطرق السلمية السياسية . اما في هذا الاجتماع فقد قال عظمتته مخاطباً العلماء والاخوان :

« نحن لا نود ان نحارب من يسالنا ، ولا نتمتع عن موالاة من يوالينا . ولكن شريف مكة كان دائماً ، كما تعلمون ، يزرع بذور الشقاق بين عشائرتنا . وهو الوارت من اسلافه بغضنا . ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز والتي هي احسن . وكنت كل ما دنوت من الحسين تباعد ، وكل ما لنت له تجافى . اي ورب والكعبة . ولست ارى في تطور الامور ما ينعش الامل . بل ارى الامور تزداد شدة وارتباكاً . ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا » .

وقف السلطان عند هذه الكلمة ، فهتف الجميع : توكلنا على الله ! الهة الحجاز ! الى الحجاز !

الفصل الثامن والثلاثون

الغزوة على ابواب عمان

في الشهر الاول من هذا العام (آب ٩٢٤ م) مشت جيوش نجد غرباً من
 ١٣٤٢ هـ الجنوب ومن الشمال . ولكن السلطان عبد العزيز ، لغرض
 ١٩٢٤ - ٢٥ م حربي ، امر بغزو الشرق العربي قبل الزحف الى الحجاز . ولم
 تكن هذه الغزوة بدون اسباب تبررها .

قد اسلفنا البيان في ما كان بين حكومتي نجد وشرقي الاردن من النزاع
 بخصوص الجوف وقرايا الملح . ولكن جنود السلطان كانت قد احتلت تلك
 القرى . مما الداعي اذن الى تجاوزها الحدود — الى الغزو ؟

ان هنالك تعدييات وتعويضات ذكرت في مطالب نجد في مؤتمر الكويت .
 فقد اغار وأند سليمان بن حازي من شيوخ الحويطات على قافلة من تجار نجد في
 طريقهم الى الشام . فقتلوا ثمانية من رجالها ونهبوا ما يزيد على السبعمئة بعير .

وكات قد تكررت الاغارات على اهل نجد من عربان الحويطات وبني صخر
 — اولئك الدين كان الامير عبد الله يقربهم منه ويجزل لهم العطاء — فبلغت
 المنهوبات ، بموجب اللائحة التي قدمت في المؤتمر ، الف جمل واربعين رأساً من
 اخیل ، ما عدا الاحمال التي تقدر بثمانين الف ليرة عثمانية .

لذلك طلب السلطان عبد العزيز ان تغرم قبيلة بني صخر بمئتي الف ليرة
 ضماناً لسلامة التجارة والسجار بين نجد وسورية . وبما ان حكومة عمان لم
 تكثر هذا الطلب عمد السلطان الى القوة . مشى الاخوان من اطراف وادي
 مرحان ، وعددهم يتراوح بين الالفين والثلاثة الاف ، فالتقوا في طريقهم بشلة
 من جنود شرقي الاردن ، عددهم مع رجال الحملة خمسة وعشرون ، وهم سائرون



٢٩٧ — ٢٩٦

الملك حسين (X) في عمان يوم بوجع على الجلالة

الى قصر الازرق ، يحملون اللون والذخيرة الى الحامية فيد ، فذبحوم الا واحداً
 وعضموا الحملة كلها . ثم تقدموا غرباً فوجدوا على الطنيب ، وام العمدة ، والقسطل
 وبادودة ، وكادوا بعد ان اجتاز فريق منهم سكة الحديد ان يصلوا العاصمة .
 كان الامير عبد الله يومئذ متغيباً ، فصدرت اوامر الحكومة بالدفاع ،
 فبادر العربان ، وفي مقدمتهم الصخور والحويطات ، الى محاربة اعدائهم ، فاشتبكوا
 وياهم في معركة دامجة دامت بضع ساعات . وكان بيك باشا ، القائد الانكليزي
 للجند النظامي ، قد ارسل الطائرات والسيارات المدرعة على الاخوان ، فحقت
 الطائرات فوق العربان المتلاحمين ، وشرعت ترميهم كلهم بالقذائف . كما ان
 السيارات اطلقت عليهم جزاقاً مدافعها الرشاشة . كافي باولئك الانكليز يقولون :
 من اين لنا ان نعرف النجدي من الاردني ، والعرب في القيادة لا يفرقون بعضهم
 عن بعض . نعم ، كلهم عرب . اعرض عينيك يا ابن جان بول واضرب .
 قبل مجيء الطائرات والسيارات كان قد وقع في ساحة القتال نحو مئة رجل
 من الفريقين . وعند تشتتهم كان عدد القتلى من الاخوان وعربان عمان قد تجاوز
 الاربعمئة .

وكان بعض الامري من المدينة يحملون علماً من التيك انكليزية الصنع
 فيها لحم مقعد ، فقال اولئك الحكماء ، دهاقنة السياسة ، في الصحافة وفي
 الدهاوين : وهل من ينكر بعد هذا ان الانكليز يساعدون ان سعود ؟ هذا لحمهم
 استمدد يكيه الاحوان .

وما تبت احد غير قسم من الحملة التي سمها الاحوان ، تلك الحملة التي كانت
 معدة لحامية الشرق العربي في قصر الازرق . نعم ، هو لحم مقعد من بلاد
 الانكليز . ولكن السيارات والطائرات الانكليزية امطرت الاحوان . عرب
 عمان على السواء ، وابلأ من القذائف . الرصاص .

لولا هذه القوة الهائلة ، التي كانت تديرها الايدي الانكليزية ، لا كسح
 النجديون الشرق العربي ، ورفعوا فوق ربي عمان علم اس سعود .
 اما سمو الامير عبد الله فعندما عاد الى عاصمته شكر الله ولا شك وتكر ربة

الجنود التي لا تزال تكلاً بعينها الزرقاء البيت الهاشمي .
 واما سيد هذا البيت الاكبر جلالة الملك حسين فقد كان في قصره بمكة
 متوسداً وسادة الخلافة ، مطمئن البال ، واثقاً بما تضمه الايام ، وهو يدبج
 المقالات لجريدة القبلة .

— نحن نشكر كمالات حكومة بريطانيا العظمى على ما اظهرته من الحمية في
 الشرق العربي . واكتنا مع ذلك لا تتنازل عن حق من حقوقنا . . . ان سوربة
 جزء من البلاد العربية وان فلسطين للعرب . ولا نوقع معاهدة فيها ما ينفي هذا
 القول بل هذا الحق . . . ومن اعرف منا بالبدو وبالمتدينة ؟ قبلة من مدع
 تبدهم ، وطيارة واحدة تشتت شملهم ، والرهان في الشرق العربي
 وكان جلالاته يومئذ يفكر في تعزيز ملكه في الشرق الاوسط ايضاً ، فعين
 وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً للحجاز في طهران .

الفصل التاسع والثلاثون

مخروط الطائف

يوم كان الملك حسين جالسا على فراش الملك والخلافة ، وهو يحلم بسيادة اعظم من السيادة العربية ، بسيادة اسلامية شاملة ، كان سلطان بن بجاد ، الملقب بسلطان الدين ، والشريف خالد بن منصور بن اوي امير الحرمه ، زاحفين الى الطائف بجيش من الاخوان مؤلف من خمسة عشر لواء ^(١) من الوية الغطغط والحرمه وتربة ورنية وعتيبة وقحطان وبني تميم . على ان هذا الجيش ، مع من انضم اليه بعدئذ من عربان الحجاز واشرافه كالحراث وبني ثقيف ، لم يتجاوز الثلاثة الاف مقاتل .

مشى الاخوان من مركز الاجتماع في تربة ، ولم يعلم بهم احد في مكة او في الطائف قبل ان اجتازوا الحدود . لم تعلم الحكومة بهجومهم قبل ان وصلت سراياتهم في اليوم الاول من صفر ١٣٤٣ (سبتمبر ١٩٢٤) الى قرية الحوية التي تبعد بنسبة اميال عن الطائف .

استيقظت عندئذ الحكومة . فاصدر ناظر الحربية الهاشمية امير اللواء صري باشا اوامره الى جنود النظام بالدفاع ، فخرجوا من الطائف ، وهم نحو اربعمئة ومعهم بعض المدافع الجبلية والرشاشة . خرجوا الى الحوية بصدون الاخوان ، فاستعرت بينهم وبين سرايا الجيش هناك معركة دامت بضع ساعات كانت الغلبة فيها للاخوان .

تقهقر النظاميون الى جهة الطائف ، فانضم اليهم جند من البدو ورابط معهم في الهضاب الغربية من البلد الى الشمال والشمال الغربي منه . هناك وقفوا

(١) اللواء او البيرق يتراوح عدده بين المئة والخمسة مائة .

ثانية لسرايا الجيش الزاحف ، وشرعوا يطلقون عليهم المدافع ، فاستمروا في
مناوشتهم ، دون ان يتمكنوا من ردهم ، ثلاثة ايام . اصف الى ذلك ان قسماً
من البدو الذين كانوا في المراكز الامامية انضم الى الاخوان وسلم الباقون .
عندما وصلت اخبار الهزيمة الاولى الى مكة امر جلالة الملك ابنه علياً بانيجاد
الجيش المدافع ، فجاء الامير مسرعاً بسرية من الخيالة واخرى من الهجانة . اما
النجدة التي مشت في طريق السيل فلم تصل الا بعد سقوط الطائف .
وصل الامير يوم الخميس في ٦ صفر فدخل الطائف ليلاً وخرج منها في
عصر ذاك اليوم ليعسكر في الهدى^(١)

وكان الجيش النجدي يزداد عدداً وقوة ، فاضطر الجنود النظاميون ان
يتقهقروا الى المدينة في صباح يوم الجمعة . تقدم الاخوان . وصار رصاصهم ، قرب
الظهر من ذاك النهار ، يقع داخل السور ، فاستحوذ الذعر والخوف على
الاهالي ، وكان الاشراف في مقدمة الهاربين .

فقد خرج في اصيل يوم الجمعة امير الطائف الشريف شرف عدنان ، ووزير
الحربية وجنوده النظاميون ، وسائر الامراء والموظفين . خرجوا من المدينة لانهم
رأوا كما قيل انه خير لسلامتها ولسهولة استردادها ان يلحقوا بالامير علي .

وبعد خروج الاشراف والجيش بساعة او ساعتين ، في غسق ذاك اليوم ، اليوم
السابع من صفر (٧ سبتمبر) دخل الاخوان الطائف كالسيل الجارف ، وهم
يكبرون وبعثزون ، ويطلقون بنادقهم في الفضاء . ثم طفقوا يطلقونها في الاسواق ،
وهم يطوفون في المدينة ، فقتلوا عدداً من الابرياء الذين لم يسارعوا مثل غيرهم من
الاهالي الى بيوتهم مستأمنين .

وكان قد تخلف في المدينة جماعات من عرب الحجاز من الطويرق والسمور
والبقوم وغيرهم ، ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو « نسر الجشة » رواد
لسلب والنهب . فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل ، وكانت ساعة الهول
نفحة العربان والاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها ، فيدخلون

(١) الهدى هي على اربع ساعات من الطائف .

البيوت اما قهراً واما بعد ان يؤمنوا المحابها ، ثم يعملون فيها ابدى السلب . وكانوا يقتلون في سبيل السلب .^(١)

ولكنهم لم يقتلوا من النساء غير امرأة واحدة ، ولا كانوا يتعرضون لمن الا اذا ابين ان يدللهم على الكنوز والسلاح . وهناك حقيقة اخرى يجب ان تسجل . كان بعض الاهالي يطلقون على الاخوان البنادق من شبايك البيوت ونوافذها ، فيحملونهم على دخل تلك البيوت عنوة ، وعلى الفتك جزافاً برجالها . كذلك كان قتلهم لمفتي الشافعية الشيخ الزواوي^(٢) ولابناء الشبي .

اما الشيخ عبد القادر الشبي سادن الكعبة فقد نجا من الاخوات بحيلة ظريفة . بكى عندما وقع بين ايديهم ، فسأله احدهم وقد استل السيف فوق رأسه ، قائلاً : « ولىش تبكي يا تسافر ؟ » فاجبه الشيخ : « ابكي والله من شدة الفرح . ابكي يا اخوان لاني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر ، ولم يشأ الله ان اموت الا مؤمناً . وحداً . الله اكبر ! لا اله الا الله » ! قد اثر هذا الكلام في الاخوان ، فبكوا لبكاء الشيخ ، ثم طفقوا يقبلونه ويهنثونه بالاسلام .

هذي هي الحقيقة كلها في فظائع ليلة الفتح . وفي صباح يوم السبت دخل سلطان بن بجاد ببقية الجيش فكف الجنود عن القتل . ولكنه امر بجمع السلاح وبفتيش البيوت ، فاضطر لذلك ان يخرج لاهالي منها ، فسيقوا . ورجالا الى حديقة شبرا ، وحبسوا هناك لالة ايام . ثم أطلق مراحهم وأذن من شاء منهم بالخروج من المدينة .

قلنا في مطلع هذا الفصل ان فرقا من عرب الحجاز واشرافه انضم الى الجيش النجدي نفرة من الحسين وابتغاء سقوطه . وقد كان اشراف الحزب في مقدمة التائرين ، فتبعهم حتى من كان في الجيش الهاشمي من العربان . على ان ذلك لم يثبط من عزم الملك ولا حوله مقدار ذرة عن مقاصده . فعندما وصل الاشراف وغيرهم

(١) كان لهذا الحادث له في نفس السلطان عبد العزيز ، فأمر بتأليف لجنة لتقرير الحقائق والتعويض على المنكوبين من الاهالي ومن الهنود والجاويين . وقد دفع نحو عشرة الاف ليرة من التمويضات حتى الان ، ولا تزال اللجنة تواصل عملها .

(٢) وقبل ان الزواوي قتل بمدمم من مدامم الاشراف

من الهاربين ، وعندما علم جلالاته بوصول الامير علي الى عرفات ، غضب غضبة مضرية ، وشرع يعد العدة لاعادة الكرة على الاخوان ولاسترجاع الطائف . جمع شتات الجند ، وجمع من استطاع من البدو ، فكانت التجريدة الجديدة خمسمئة من النظام ، ونحو ستمئة من قبائل الحجاز المواليين ، اي من هذيل وقريش وبني سفيان ، ومثمين من اهل مكة . ثم امر الامير علياً بالرجوع الى ساحة الحرب . مشى الامير علي على رأس هذا الجيش الى الهدى . وكان الاخوان قد علموا بذلك ، فحمل نحو الفين منهم على الحجازيين ، واشتبكوا وايامهم في ٢٦ صفر (٢٦ سبتمبر) في معركة استمرت من نصف الليل الى الساعة العاشرة صباحاً .

كان الامير علي يدير هذه المعركة من قصر يبعد الف وخمسمئة متر عن ساحة القتال . وفي هذا القصر هاتف يصله ، بواسطة مركز الارتباط في سفح جبل كرا ، بقصر جلالة والده .

— « هجم المتدينة علينا فرددناهم خاسرين

— « اعاد المتدينة الكرة فامطرتهم مدافعنا وابلاً من الرصاص فعادوا

مدحورين » .

ولكنهم في الهجمة الثالثة ، وعلى رأسهم سلطان الدين نفسه ، ضربوا الجبهة ضربة ثلثتها ، وكان في وسطها مرية من الفرسان من عرب عتبية ، فتقهقروا ، فدخل الاخوان من تلك التلة . واول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان ، ثم اهل مكة ، ثم جنود النظام .

وفي هذه الساعة ، عند صلاة الفجر ، سككت بنادق الاخوان ، فهتف موظف الهاتف بمخاطب ضابط الارتباط في الكر بسفح جبل كرا ، وهذا يخاطب الديوان الهاشمي بمكة : — « انهزم المتدينة ! سككت بنادقهم ! » !

واكن السبب في سكوت تلك البنادق هو ان اصحابها توقفوا عن القتال ليصلوا صلاة الفجر ! ثم عادوا مستبدلين ، فتقهقروا الامير علي بشرذمة من الجيش الى الكر . وعند وصوله الى سفح الجبل الساعة الثامنة صباحاً ، امره جلالة الملك بالهاتف

ان يرجع الى الهدى . — «الطاعة ولو ذُبحت» . قال هذا وعاد ورجاله ادراجهم ،
فما كادوا يصلون الى منتصف الطريق حتى انهال عليهم رصاص الاخوان كالمطر .
وكان ضابط الارتباط في الكرك قد الحثهم بنجابه يقول : «قد انقطع التلفون بيننا
وبين الهدى» .

قفل الامير ورجاله راجعين ، وتوقفت الاخوان بعد هذا النصر في الهدى ،
فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي ، ولا هاجموا مكة يومذاك اجتناباً للقتال في
ظلال الحرم .

الفصل الرابع والعشرون

يوم الانقلاب

في الاسبوع الذي تلا وقعة الهدى ونقدم اليوم الاخير — يوم الانقلاب — كان جلالة الحسين لا يزال — يضرم في ديوانه ، وفي حكومته ، وفي حاشية قصره ، وفي بقية جيشه ، نار الشجاعة والامل . وكان لا يزال يظن انه يستطيع ان يخرج المتدينة وابن سعود من الطائف ، بل من الحجاز . وقد طالما قال ان ابن سعود من الدرجة الخامسة بين امراء العرب . غير ان احد رجال الديوان الهاشمي ، وقد غشته الشجاعة في الساعة الاخيرة ، قال مخاطباً مولاه : « ومعنى الدرجة الخامسة يا مولانا هو ان ابن سعود صاعد الينا ، ولم يبق بينه وبيننا غير خمس درجات » .

خمس درجات ، او خمس ساعات ، او خمسة ايام — انما النتيجة واحدة . فقد جاء يوم الحجاز ، وهو المقدمة ليوم ابن سعود — جاء بعد اسبوع من وقعة الهدى ، وباسم الامة ، اذ اجتمع اعيانها في جدة ، ومنهم من فروا من الطائف ومكة ، من تمارٍ وعلماء واثراف ، فارسلوا الى الحسين في اليوم الرابع من ربيع الاول (٣ أكتوبر) البرقية الاتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة .

بما ان الشعب الحجازي باجمعه الواقع الان في الفوضى العامة ، بعد فناء احيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال ، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة ، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعنى امره جميع المسلمين ، لذلك قررت الامة نهائياً

٢٠٥—٢٠٤

خيش الحجاز الطامي



طلب ننازل الشريف حسين وثنصيب ابنه الامير علي (١) ملكاً ~~على~~ ~~الملك~~ فقط ، مقيداً بدستور ومجلسين وطنيين اخ . والله الموفق لما فيه الصلاح .
قد وقع هذه الرقية التي ارسلت بعد الظهر مئة واربعون من الاعيان والعلماء والتجار الحجازيين ، وجاءهم الجواب التالي :

« ادارة بوقيات الحكومة الهاشمية .
في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ بواسطة قائمقام حده .
الى الهيئة الموقرة .

مع الممنونة والتسکر . وهذا اساس رعبتنا التي اصرح بها منذ النهضة والى تاريخه . وقد صرحت قلبه بضع دقائق اني مستعد لذلك بكل ارتياح اذا عيتم غير علي . واني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح .

الامضاء : حسين »

نه يرض انجلس بهذا الجواب ، فعمد الى الهاتف وأنا اب احد اعضائه ليكلم الملك ، فرفض جلالته انكلام . - - « انت من رجال حكومتي فليكلمني غيرك » . ورفض كذلك ان يكلم الثاني . تم تناول الشيخ طاهر الدباغ الهاتف وكان مسموعاً .
الدباغ : « مولاي ، ما عى المركز الحرج الذي وصلت اليه البلاد ، قررت الامة طلب ننازل جلالتم لسو الامير علي » -

الملك (مقاطعاً) : « انا واني واحد . واذا كنت انا قد صرحت عندكم بطلال ، فلا بأس . ولكني لا اهتم ما القصد من هذا . لا يهمني امر الملك في اية تمحص كان . ولكني لا انازل لولدي علي ابدأ . لاني اذا كنت انا « بطلال » فولدي « بطلال » .

الدباغ : « كلا يا مولاي . لا يسب لجلالتم تعيماً من ذلك . وانما يريد ان تسلك سياسة غير السياسة التي مرت عليها ، عسى ان تتمكن من تحليص البلاد من آفة الحرج . والامة قد اجعت على طلب ذلك من جلالتم ، نرحو احاة رعبتها » .

(١) كان الامير يومئذ في حده .

الملك : « يا ابني لكم ان تفعلوا ما تشاؤون . اما انا فلا اتنازل لولدي علي ابدأ . عندكم الشريف علي امير مكة السابق ، واخي ناصر ، وعندكم خديوي مصر عباس حلمي ، وعندكم الاشراف كثيرون . اختاروا اي واحد تشاؤون ، وانا مستعد للتنازل له . اما ولدي فلا يمكن لاني انا وهو شيء واحد . خيره وشره عائدان لي » .

الدباغ : « قد اجمت الامة يا مولاي علي اختيار الامير علي ولا ترغب » —

الملك : « لا يمكن ان اتنازل لولدي . اقول لا يمكن قطعياً » .

الدباغ : « سأخبر الهيئة ثم نعلم جلالتم » .

عما هو جدير بالذكر ان هذه الهيئة الشرقية التي التأمت طيلة ذلك النهار والليل ، كانت في مناقشاتهما واعمالها — واجماع رأبها — غير شرقية . بل كانت في سرعة تقاريرها ، ومضاء عزمها ، من اعجب ما دُؤن في تاريخ الشرق والشرقيين . حتى انها اقفات ابواب المدينة اثناء هذه المفاوضات ليبقى الامير علي في جدة ويقبل البيعة .

بعد المحادثة بالهاتف ارسلت البرقية التالية وفيها البلاغ النهائي ، وفيها التهديد :

« صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة .

الحالة حرجة جداً ، وليس الوقت وقت مفاوضات . فاذا كنتم لا

تتنازلون للامير علي فنسترحم بلسان الانسانية ان تتنازلوا جلالتم لتتمكن

الامة من تشكيل حكومة موقته . واذا تأخرتم عن اجابة هذا الطلب

فدماء المسلمين ملقاة علي عاتقكم » .

اعاد صاحب الجلالة النظر في الامر فتحول بعد حديث الهاتف ، او بعد

وصول هذه البرقية ، عن فكرته الاولى .

« مكة في ٤ ربيع الاول الساعة الرابعة (١٠ ليلاً) .

لا بأس . قد قبلنا التنازل بكل ارتياح ، اذ ليس لنا رغبة الا في سكونة

البلاد وراحتها وسعادتها . فالان عينوا لنا مأمورين هنا يستلمون البلاد

بكل سرعة ، ونحن نتوجه في الحال . اذا تأخرتم ووقع حادث فانتم المسؤولون .

والاشراف عندكم كثيرون^(١) ارسلوا واحداً منهم او من سواهم . وعلاوة على هذا اذا قبل منكم علي الامر عينوه رأساً . الامضاء : حسين »
وفي اليوم التالي ارسل بوقية اخرى الى « الهيئة الموقرة » بواسطة قائمقام جدة ، اشد لهجة من الاخيرة ، فيها يكرر انه مصمم على الاعتزال ، وبطلب تعيين من يستلم البلاد بكل سرعة . « فان الفوضى التي ذكرتموها وقعت بداعي اشهاركم رغبة ننازلي . واني لا اقبل اية مسؤولية تقع اذا لم تسرعوا اليوم في تعيين من يتولى الامر ، لأتوجه في الحال الى الجهة التي يختارها الباري عن طريق جده . وهذا ليس هرباً من اي شيء تتصورونه بل دفعا للظنون والشبهات » .

اما الهيئة فقد اسرعت في العمل كما يظهر من تاريخ الجواب وعنوانه .
» في ٥ ربيع الاول .

صاحب الشرف الاسمي الشريف حسين المعظم .

جواب بوقيتكم رقم ١٧ — بحمد الله ومساعدتي مولاي قد تمت البيعة لجلالة نجلكم المعظم ، وقد فاوض جلالاته من يلزم في استلاء البلاد وادارة شؤونها . فالمنتظر من مولاي مبارحتها بكل احترام تهدئة الاحوار

ع. ا. س.

محمد طاهر 'لدبان'

وكانت الهيئة قد كتبت الى الامير علي تقول :

« بناء على طلب الامة قد تنازل جلالة والدكم ، بموجب بوقية رقم ١٥ !

المؤرخة في ٤ ربيع الاول ، وقررت الامة نهائياً البيعة لجلالتكم ملكاً دستورياً على الحجاز فقط . . . وان يكون للبلاد مجلس نيابي وطني ، وقانون اساسي تضعه جمعية تأسيسية كما هو جار في الامم المتعدنة . وبما ان الوقت يفتق الان دون تأسيس المجلس الوطني النيابي ، قد قررت الامة ان تشكل هيئته مؤقتة لمراقبة اعمال الحكومة . . . وانا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة

(١) كانوا قد رحلوا من مكة كما رحلوا سابقاً من الطائف .

رسوله» .

في اليوم التالي للبيعة رجع الملك علي الى مكة . وبعد اربعة ايام ، في ليلة اليوم العاشر من هذا الشهر (٩ اكتوبر) وصلت الى جدة القافلة الحاملة امتعة الحسين ، وفيها عشرون جملاً تحمل اربعين صفتحة من صفائح البترول مملوءة ذهباً . وقد قدر هذه الاحمال احد العالمين بالتخزين بمئة وستين الف ليرة .

اقام الحسين ستة ايام في جده ، وكان يرفض ان يقابل احداً من الناس ، فاثرت هذه العزلة بلاغاً ارسله الى « نخامة رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية » وفيه يفتج على الحكومة الدستورية ، ويهدد طغاوي ابن سعود ومطامع الامام يحيى بن حميد الدين .

قال الشريف : « اما الحكومة الدستورية ، سيما في الحرمين الشريفين ، فالعمل فيها ينبذ احكام كتاب الله وسنة رسوله . ان العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البتيرية لما تآباه شعائر الاسلام ، ومراض الدين ، والاخلاق الشريفه مادة ومعنى »

وقد قال محتجاً على حصر سلطة الحجاز بحجاز : « لو لم يكن في هذا التحديد الا تأملنا ما في مساعي الحضرة السعودية من الاستيلاء على حجاز ، قاعدة اماره الرسيد ، والجوف مقر الشعلان ، وتبته في ضبط الكويت ، وتعرضه في عسير لامارة آل عائض ، بل تجاوزه على مكة المكرمة ، ومساعي امام صنعاء . لضم بلاد حاشد ، وتهامة الشوافع ، وحضرة الادريسي على الحديد وما حولها » ها هنا قطع جواب الشرط على عادته ، ثم قال : « وعليه بلغوا الهيئة الموقرة احتجاجي القطعي اولاً على تحديد نفوذ الحجاز ، وانياً على ما فيه ابدال العمل بكتاب الله . ولذا فاني احفظ حقوق اعتراضى وانكارى بالمادة والمعنى اكلاماً ذكر » .

نحرر في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

وفي ليلة اليوم التالي نزل وحرمه وعبيده الى البحر ، يرافقه للوداع السيد احمد السقاف ، رئيس ديوانه السابق ، وناظر الجمارك الشيخ محمد الطوبل .

قال احد الذين اشتروا لحكومة الحجاز اليخت الذي اقل الشريف الى العقبة : « عندما وصلنا الى جدة نزل جلالة الملك ليفحص اليخت (الذي سماه بعدئذ الرقتين) فقال معجباً به : « سنسافر فيه يوماً من الايام سفرةً بعيدة » .

سفرةً بعيدة ! اذا كان البعد في الاسفار يقاس بمدة الرجوع فهذه السفرة الاخيرة من الحجاز هي التي نظر اليها الشريف حسين بعين الغيب .

الفصل الحادي والاربعون

الشريف حسين

ان لسقوط الشريف حسين اسباباً سياسية وادارية وخلقية . اما السياسية فاهم ما فيها اغضابه الانكليز في رفضه المعاهدة الانكليزية الحجازية التي استمرت المفاوضات بشأنها ثلاث سنوات . ثم اغضابه امراء العرب ، وفي مقدمتهم ابن سعود . فقد كان في سياسته العربية يظهر غير ما يظن ، فيقول مثلاً انه مستعد للتنازل عن عرشه ، ولتسليم زمام الامور الى من يستطيع ان ينهض بالعرب ، وهو في اعماله غيره في اقواله . بل لم يكن ليرى في امراء العرب الحاكمين غير من هو في الدرجة الثالثة او الرابعة . ولم يكن ليرى في كل البلاد منقذاً سواه . هذي هي الحقيقة الناصعة . وان في هذا التاريخ من الادلة عليها ما يقنع اشد الهاشميين نزعة واخلاصاً .

لنعد اذن الى تلك المعاهدة المشؤومة . ما تغاضى الانكليز عن الحسين بن عبد العزيز لغاية في النفس كما كان يظن بعض السياسيين في الشام وفي مصر والهند . وما اتخذت الحكومة البريطانية بعد مؤتمر الكويت موقف الحياد الا مضطرة ، لان سياستها العربية خلال الحرب العظمى وبعدها كانت تستوجب ذلك ، بل كانت تحول دون كل عمل سوى الحياد .

ومع ذلك فقد قال بعض السياسيين هناك ، وقالت جريدة التيمس الرسمية ، ان الحكومة البريطانية احسنت صنعاً بالوقوف موقف المتفرج بعد ان رفض الحسين ان يوافق على اقتراحاتها . فلو فعل ذلك لكان في الامكان ايجاد الوسائل اللازمة لتجنب الحالة الحاضرة ، اي لانقاذ الحسين .

وقد فاتهم ان يوم الطائف هو غير يوم تربة ، وانه بعد مؤتمر العقير الذي

تسدد فيه الحساب بين حكومة بريطانيا العظمى وابن سعود ، وبعد مؤتمر الكويت الذي بدا فيه عجزها عن التأليف بين ابن سعود والحسين ، لم يعد لكاملتها في البلاط السعودي ذلك النفوذ المعروف . لم يعد في امكانها ان تقول لعاهل نجد : افعل هذا او امتنع عن هذا اكراماً لي . وليس في امكانها ، او في ارادتها ، ان ترسل الطائرات والسيارات المصفحة على الاخوات في الحجاز ، كما تفعل في العراق ، وكما فعلت في الشرق العربي . وهب انها امدت الحسين بالسلاح والدخيرة فهو لا يجد في البلاد من يلبون دعوته للدفاع .

واليك بعد هذا وذاك بالبرهان القاطع . قد قبل الحسين في الساعة الاخيرة ، اي في الايام التي تاملت الاستيلاء على الطائف ووقعة الهدى ، ان يفوض الحكومة البريطانية في تعديل مطالبه ، ف جاء وفد من مكة الى دار الوكالة البريطانية بجدة يعرض ذلك على الوكيل ، وتاد خائب الامل يقول : سبق السيف العذل . هذي هي الحقيقة في موتف بريطانيا العظمى تجاه الحسين وتجاه الحجاز بعده . فهي لو شاءت ان تنقذ « المنقذ الأكبر » بعد سقوط الطائف لما استطاعت . فانخذت لذلك خطة الحيات تحفظ بها كرامتها في مدة الملك نلي القصيرة .

نجي ، بعد هذا على ذكر اسباب السقوط الخلقية والادارية . كان الشريف حسين الكل في الكل ، حتى في تحرير حريدة التبليغ . فقد كان يقين ان مقالاته الافتتاحية تهرجه الى انذات الاوروبية فبد ، عبا مية به ، ما ان اذ في سياسته العدا . سياسة الحياة ، من صغر امره ، ان اكبر النظريات ، هي محي منزل ، وان لم يرد لبعض آيات القرآن . اصح من عدم الائمة الكبار ، انه في النضاح والبيان ، متله في العير ، امير افرائه ، وفريد منه ، ما اذا استصرخ العرب يجيئون من اقصى الجزيرة سامعين لامعين ، ما استطاع ، وهو في « المخلوان » ان ينقذ البلاد ويؤسس الدولة العربية . كان يظن ان العالم الاسلامي باجمعه يتسم لابتسامه ، بفضب لغنبيه ، ان الدين يحبه به يجدهون العرب والاسلام ، ولا يغبون اجرا غير رضاه .

على ان الذنب في كل ذلك لم يكن ذنبه وحده . كان الحسين صلب العود ، هوي الشكيمة ، وقد ولد في ظل الكعبة ، وفي اصى فروع السليمة النبوية . بيد ان غيره ممن سعدوا بهذه الثلاث كانوا معها حكام ، او انهم في حياتهم سعدوا كذلك بمن يخلص لهم النصيحة ، فكانوا يسمعون وينتفعون . اما الحسين فقد كان في عنجهيته فريداً ، لا يسمع غير صوت نفسه وصداها ، ولا يقرب منه الا من كان صدى لصداه ، وصورة شمسية لما يبغبه ولما ياباه .

ان التبعة والحال هذه في جزء كبير من غرور الحسين هي على اولئك الذين كانوا نظاراً وقضاة وكتاباً وضباطاً في حكومته ، اولئك الذين زانوا الديوان الهلثمي بصورهم البهية — الناطقة بالتسييح — فكانوا لصاحب الجلالة اعداء مدرعين ، مدرعين بالمداهنة والمداجاة ، يسبحون ويمجدون كلما فاه بكلمة ، مهما كانت تافهة ، وكلما جاء بعمل مما كان مخيفاً . — اي نعم سيدي — من احسن ما يكون سيدي — وحي منزل سيدي ا

وكان كل من في الديوان و « الخلوان » يعرف الحقيقة ، الا جلالة الملك الذي كان يعرف ما فوق الحقيقة ، ولا يشاء ان يعرف سواها . ادرك الديوان حقيقة البدو مثلاً ، ولم يدرك مثل جلاله حقيقة السيادة المرتكزة على نسب نبوي . وما ضر هذه السيادة اذا نكبت وقتياً في الحجاز ؟ .

قد اجتمعت في الحسين الاضداد ، فكان خيالياً ، وكان عملياً . بل كان روحياً وكان مالياً ، يتعشق تارة ما فوق الحقيقة ، يسترسل الى الاوهام ، وطوراً يتمسك تمسك البخيل بحطام الدنيا . اجل ، قد كان محباً للمال حرصاً حاداً عليه ، فحباء الذهب يوازن ما تراكم من اوهامه ، وما اختل من احكامه ، وما اسود من ايامه . ولا غرو ، فقد كان هذا العربي ، في صفته شريف مكة ، من اكبر التجار . وقد كان في صفته ملكاً من اكبر الظالمين . ظلم الرعية ، وظلم نفسه ، وظلم كل من في حكومته الا المنافقين ، المختلسين امواله واموال الامة .

في اللغة التركية منل يقول : كل من له م يأكل . وقد كان هذا المنل قاعدة الملك حسين في حكومته . ان الذي « يأكل » يتسع ، فيحسن عمله .



٢١٢ - ٢١٣

مكة المكرمة • والحرم الشريف

تجد وابن سعود ، تلك الاخبار التي كان يتحف الملاك بها .
— « السنة سنة جذب في نجد . قد جفت الآبار ، وهلك الوف من البئ (الابل) » .

— « صحيح ! سبحان الله . انت يا ابني اعلم الناس باحوال نجد » .
— « ابن سعود » مصخن « سيدي ، مضروب بالرأفة . يقولون : السل .
وهذا الداء لا يعيش صاحبه » .
— « صحيح ؟ — صحيح ؟ — سبحان الله ! لا يصدقني الخبر غيرك » .
— « وقد خرجت عليه قبائل الحسا ، وهم يقولون انهم لا يبغون غير المالك حسين » .

— « هذا الذي اقله دائما يا ابني : ستخرج عليه القبائل كلها . وكأنا
تحيئنا ان شاء الله » .

وإن تكن تجارة الغنم تجارة الشربف الوحيدة . فقد كان يتقاضى المطوفين
والخبازين والجمالة قسماً من ارباحهم . ان هناك رسوماً للحكومة يدفعها الخجاج ،
وفوق تلك الرسوم كان الحسين يتقاضى المطوفين نصف ليرة عن كل حاج .
جاءه احد اولئك المطوفين ذات يوم يقول : « حجاجي كلهم فقراء لا يبذلون . . .
ما في فلوس » وقصد المطوف ان يعنى من الضريبة الشرفية . فاحابه الشرف :
« اي يا ابني كلهم اولادنا . والفقراء نساعدهم . لا تأخذ شيئاً منهم . ولا تطالبهم
بشيء . كلهم اولادنا ويجب ان نساعدهم » .

عمل المطوف بامر مولاه فأعفى حجاجه من الزيادات . ولكنه بعدئذ أمر
بدفع الرسم نصف ليرة عن كل حاج ، فدفع المال من كيسه .
وهناك باب آخر من ابواب هذه التجارة العجيبة . قد كان الخجاج الذين
يبغون الزيارة يدفعون خمس عشرة ليرة اجرة الجمل من مكة الى المدينة المنورة ،
يدفعونها لعمال الملاك ، فيدفع جلالته للجمل خمس او ست ليرات . اما ما تبقى
فيعطسه للاسد ويسيره للاجقال .

كثيرة هي القصص التي تروى في الحجاز ، دليل حب الحسين للمال ، ودليل

حرصه الشديد عليه . سألت مرة احد عبيد القصر عن الاجرة التي يتناولها فقال :
« قلما نقبض شيئاً من المال . ونخشى ان نطلب لان جلالة الملك لا يجيب
الطلب ، وبوجعنا . قد ردني مرة باطف ونصحني الا احمل المال . هو يقول :
المال يفسد الرجال الحسين ؟ هذا الحسين ! ! » .

افصح العبد عن فكره بقبضة يده ، ثم قال : « ولكنه صاحب عقل والله .
عقل كبير . هو يكتب في الجريدة اشياء عجيبة . . وكلها من رأسه والله . هو
من الدواهي وصاحب فراسة . لا يمكنك ان تخفي شيئاً عنه . يلقي عليك نظرة ،
فتعطيه مراك حلاً . واذا ما اخذ شيئاً من لسانك ، يستنطق اهداب عينيك
والله ، واكنه » — اعاد العبد تلك الاشارة وهو يهز قبضة يده . « ومع ذلك هو
يقول : المال يفسد الرجال » .

اني خاتم هذا الفصل بقصة اخرى قصها علي احد عماله الكبار . مما هو معروف
ان اخكومة البريطانية كانت في الحرب العظمى تمد الحسين بالمال ، ويرجع
العالمون بشؤون الحجاز والثورة العربية ان يحمل ما ارسلته اليه هو مليون ومئتا
الف ابرة . على ان الدفعات الاولى ، التي كانت الواحدة منها تبلغ مئة وخمسة
وعشرين الف ابرة ، لم تكن حسب ادعائه كافية لتنجسد . فنفذ احد زرتيه الى
مصر ليقابل العميد البريطاني هناك ، يومئذ سرور جبير . وغيت ، فبعده بالامر
وبالاب ضعف القيمة .

جوزير ، وكان في طبه بنيعا . فبرق السيد ان حكومته بالمدن
فسعت احكومة ، واجبت بعض الطلب ، فانساف . حممة . وبعين الف ية الى
القيمة التي كانت ترسل الى جدة .

ابرق الوزير الى صاحب الجلالة الهاشمية ، وهو سرور جهدا افوز ، لانه
كان يرجو منه زيادة في راتبه القليل . وبعد ايام عاد الى جدة على ظهر مدبرة
الكايزنة . هي أبهة الحرب . يالها من ابهة !

وعندما وصل الى جدة استقبلته الحكومة استقبالا نفحاً ، وسار في موكب
عظيم الى مكة ، فوصلها قبل غروب الشمس ، فامر به صاحب الجلالة ان يبقى

خارج البلد ، لتتمكن الحكومة في صباح اليوم التالي من استقباله استقبالا يليق بمقامه .

• وكان صاحب الاقبال الوزير المحترم يفكر دائما بما ستكون قسمته من الخمسة وسبعين الف ليرة . واحد بالمئة فقط ؟ او زيادة قليلة في راتبه ؟ انه لراض بذلك .

دخل مكة دخول الفاتحين . وبعد ان قابل مولاه ، واستراح من اتعاب السفر ، جاء الى زميله وزير المالية يسأله اذا كان جلالة الملك امر بشيء . فاجابه الوزير : « قد امر بان نحسم من حسابك راتب شهرين مدة غيابك » .

الفصل الثاني والاربعون

الآباء باكلونه المحصرم.

في الحديث الذي دار على المهاتف بين مكة وجدة يوم الانقلاب رفض الملك حسين بتاتا ان يتنازل لابنه علي . ويذكر القاريء قوله : اذا كنت انا لا انفع فعلي لا ينفع . وقوله : خير ابني وشره عائدان لي . والاصح ان تعكس هذه الكلمة . فان خير الحسين وشره عائدان لابنائهم ، وخصوصا في هذا الموقف لعلي . الآباء يأكلون المحصرم والابناء يضرسون .

اما اذا كان قد اشفق الوالد على ولده من هذا الارث المهلك الذي يدعى الملك الهاشمي فكلمته ثمرة عرفان يكاد يكون وحيا ، واشفاقه زهرة احسان طيبة . انها في هذه الحال الغريزة الابوية التي قلما تخطأ في حسنها .

اقام الملك علي اسبوعا في مكة ، فادرك ان قوات الدفاع لديه لا تكفي لرد جيش نجد ناهيك بغلبته . بل رأى جنوده مشتتين شاردين ، ولم يبق منهم غير مثنين كانوا في الدفاع مترددين .

وكان الاخوان قد وصلوا في ٥ اربيع الاول (١٤ اكتوبر) الى قرية انزيمه التي تبعد ست ساعات عن مكة ، وهم مصممون على الحصار^(١) فانسحب الملك علي ايلة ذلك اليوم بنحو مئتين من الجنود ومئتين من الشرطة ، ووصلوا في صباح اليوم التالي ، الاربعاء ، الى سهيل جدة ، يوم كان الشريف حسين يتأهب للرحيل . واكن عليا ظل خارج المدينة فلم يجتمع بوالده ، ولا كان من المودعين .

(١) قد استفتت القيادة علماء الرياض في ان يحرم الجنود ويدخلوا مكة من كسي البنادق . فان لاقوا من صدهم عن البيت قاتلوه ، وان لم يلقوا احدا دخلوا . ولكن العلماء منعوهم عن ذلك قائلين ان دخول الحرم بقصد القتال فيه لا يجوز .

وفي ليلة اليوم الذي دخل فيه الى جدة ، اي في ١٧ ربيع الاول ، وصلت
 .شرازم من الجيش النجدي الى مكة . ثم مشى في صباح اليوم التالي الشريف
 خالد يقود بقية الجنود ، فدخلوها محرمين ، وطافوا ، وسعوا ، واستولوا بعد فك
 الاحرام على البلد المقدس ، وهم ينادون فيه : الامان الامان ! .
 لو استمرت يومئذ القيادة في الزحف غرباً لدخلت جدة بسرية واحدة
 صغيرة دون ان تلتقي من الحكومة فيها او من الاهالي اقل مقاومة . ولكنها وقفت
 في مكة عملاً بالاوامر العالية التي كانت موجهة في جدة . لذلك استحوذ على
 الناس وعلى الحكومة الذعر والخوف وكان الكثيرون حتى من الجنود ينتظرون
 الباخرة الاولى للفرار .

ولكن الباخرة الاولى التي وصلت في ١٩ ربيع الاول من العقبة كانت تحمل
 الى الملك علي فنجدة من شرقي الاردن . جاءت « رضوى » ثقل كتيبة من الجنود
 عددهم ثلاثمائة ، ومئة من عرب شمر النازحين الى الشرق العربي ، بقيادة امير اللواء
 تحسين باتا الفقير ، وقد جندهم الامير عبدالله بمساعدة بعض الانصار في
 فلسطين . انعشت هذه النجدة امال الملك علي ، وشدت ازر جنوده المهزومين .
 الا انها لم تغير في نفسية المدينة ، ولا اضمرت في الاهالي شيئاً من الحماس .
 — الاخوان جايون ، والجنود منهزمون ، وعلي متأهب للرحيل . فما لنا اذن
 غير التسليم . خير البر عاجله . تألف لذلك وفد ليذهب الى مكة فيفاوض القائدين
 سلطاناً وخالداً في شروط الصلح ، وكان الملك علي عالماً بذلك . فسافر في ٢ ربيع
 الثاني انوفد المؤلف من عشرة من وجهاء جدة وبعضهم من المناوئين لبيت الحسين .
 هؤلاء ، عند وصولهم الى مكة ، بايعوا ابن سعود « دهنوا » . وقد عاد الوفد يحمل
 شروط الصلح وهي : خلع الملك علي واخراجه من البلاد ، او اجباره على الخروج
 من المدينة للحرب .

لم يكن شيء من ذلك . ولكن القيادة النجدية انتفعت ولا ريب بمجيء هذا
 الوفد ، فعلمت اشياء كانت تجهلها . ومما لا ريب فيه ان جلالة الملك كانت
 شديد الرغبة في مصالحة ابن سعود وموالاته . فقد ارسل بعد ان بويع بالملك

برقية عن طريق البحرين الى السلطان عبد العزيز جاء فيها : « ان اقصى رغبتى ان يسود السلام في الجزيرة ، وان تعود السكينة ما بين نجد والحجاز . واني باسط لك رأبي في السلم ، ومقترح عليك عقد مؤتمر للرجوع الى اتمام المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكويت ولازالة بواعث الخلاف » .

على انه اشترط في عقد المؤتمر جلاء الجنود النجدية عن الحجاز ، فاجابه السلطان بالايجاز : « ان شروطي الاخيرة هي ان لا صلح بيننا ما دام ابناء ايكم يتوارثون الملك في الحجاز . وانتم تعلمون ان الحجاز للعالم الاسلامي ، فلا ميزة لطائفة من المسلمين على طائفة اخرى » .

وكان الحزب الوطني الحجازي برئاسة الشيخ محمد الطويل ، ناظر الجمارك يومئذ ، قد اصدر بلاغاً عاماً ينهى بخلع الحسين ، وبيعة الملك علي علي ان يكون ملك الحجاز فقط ، وابرق الى جمعية الخلافة في الهند يقول : « قد ارسل الحجازيون كتاباً رسمياً الى الامام ابن سعود وطلبوا منه ان يرسل مندوباً لعقد الصلح . ان الحجازيين بعد نشرهم هذا الاعلان العام يلقون تبعه ما يحدث على عاتق العالم الاسلامي ، اذا كان لا يسعى لتخليص الارض المقدسة واهلها ، ويمنع جند نجد من التقدم » .

اما العالم الاسلامي الذي كانت تمثله يومئذ لجنة الخلافة ، حسب ادعائها ، فقد ابرق باسم رئيسها شوكت علي الى سلطان نجد يخبره برقية اهل الحجاز وبلاغهم ، ثم يقول : « ان مسلمي الهند لا يوافقون على بقاء الشريف حسين ولا ابناءه في الحجاز . وان حكومة الحجاز يجب ان تكون حكومة ديمقراطية حرة ، خاضعة لرأي العالم الاسلامي ، وان جمعية الخلافة لا تعترف بامارة الشريف علي » .

واكن المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ، الذي كان قد ابرق الى السلطان عبد العزيز متوسطاً بالسلم بينه وبين الملك حسين ، لم يكن من رأي العالم الاسلامي . وقد ارسل السلطان الى سماحة المفتي رئيس المجلس الجواب الاتي :

« امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بالقدس .

يجزنا ان تكون جاءت وساطتكم في وقت متأخر . فانا منذ سبع سنين

نتوسل بجميع الوسائل لاجلال الصلح والوفاق محل الجفاء والشقاق ، فلم نشمر مساعينا . وكنا كلما لنا للحسين تجافي . فتصريحاته المتكررة في شرقي الاردن . التي تبرهن عن نواياه الاكيدة في بلادنا ، ومنعه رعايانا مست سنين من اداء فريضة الحج ، وحركاته المستمرة فتنها في بلادنا من عسير وغيرها ، ومعاملته كافة حجاج بيت الله ، وعجزه عن تقرير الامن في الحجاز ، مما اجبرنا ان نتخذ التدابير الفعالة لتستقر الحالة في بلاد الحرمين وليأمن مستقبل بلادنا . وانا نرغب في وجود ادارة في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساواة ، وتضمن راحة الحجاج ، وتزيل عنهم المظالم كلها .

بعد هذه البلاغات والتوسطات والجوابات ، رأى الملك علي ان يغير اللهجة في ما أبرقه الى ابن سعود ، خصوصاً ان نجدات اخرى صغيرة تلت النجدة الاولى من الشرق العربي ، فكتب اليه هذه المرة يقول انه مستعد للحرب ، ويمكنه اخراج جنود نجد من مكة اذ رفضت حكومة نجد الصنح . وكان جواب السلطان واحداً وما تقدمه : « الحسين مسؤول عن اخالة . ويجب اخلاء الحجاز من اولاد الحسين ، وانتظار حكم العالم الاسلامي الذي له الحق في الفصل في امر الاماكن المقدسة وطريقة ادارتها » .

هذه الوثائق ثبتت اذن مالي : اولاً -- ان المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين سعى في سبيل السلم . تانياً -- ان الملك علياً عرض الصالح على السلطان عبد العزيز . ثالثاً -- ان ابن سعود رفض السلم ما دام احد اولاد الحسين في الحجاز . رابعاً -- ان جمعية احلابة في الهند كانت تتكلم باسم العالم الاسلامي ، وانها كانت معادية للحسين واولاده . خامساً -- ان ابن سعود ، وقد استنصرته تلك الجمعية ، شرع يتكلم كذلك باسم العالم الاسلامي الذي يطلب اخراج الحسين واولاده من الحجاز . سادساً -- ان الحزب الوطني الحجازي استنصرخ العالم الاسلامي ووضع تبعة الحالة في الحجاز على سائفه . فالعالم الاسلامي ، والحال هذه ، كان ضائعاً بين اهند ونجد والحجاز . ومع ذلك فقد وضع السلطان عبد العزيز الققة النامة به ، وركن الى احكامه ، بدليل الرقية التالية :



الملك علي في موكبه

٢٢٠ — ٢٢١

« البحرين في ١٦ نوفمبر ١٩٢٤

الشريف علي بن الشريف حسين .

اني احترم شخصكم احتراماً عظيماً . ولكن معاملة والدكم لاهل نجد
وسائر المسلمين هي التي جعلتنا نقف هذا الموقف . فاذا كنتم تحبون السلام ،
وحقن الدماء ، احلوا الحجاز ، وانتظروا حكم العالم الاسلامي . فان
اختاركم ، او اختار غيركم ، فنحن نقبل حكمه بكل ارتياح . اما اذا بقيتم في
ارض الحجاز فان مسؤولية ما يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا .
سلطان نجد «

.....

الاباء يا كلون الحصرم ، والابناء يضرسون !

الفصل الثالث والإربعين

رسالة السلام

قد اسلفت القول ان جلالة الحسين ، قبيل سقوط الطائف ، عين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً لدى حكومة ايران . فيادر السفير الجديد الى التأهب للسفر ، وهو مسرور بوظيفته هذه ، مغبوط من زملائه عليها ، وركب البحر من جدة ، مصحوباً بكاتب سره ، وترجمانه ، وياوره ، ومرافقه ، وعبيده . وقد لحق به آخر هو القدر فادر كه في الشرق العربي . اذ ما كاد يصل الى عمان ، في طريقه الى بغداد فطهران ، حتى وصلته دفعة واحدة اخبار الحجاز كلها ، من سقوط الطائف الى تنازل الحسين !

ثم جاءه امر من الحكومة الجديدة ، حكومة الملك علي ، بالرجوع الى وظيفته السابقة ، فقبل الشيخ فؤاد قسمة الجبار فيه وهو يقول : سأكون هذه المرة وزير الخارجية لا ترجمانها . وقد أوحى اليه انه بصفته هذه العالية يستطيع ، اذا استعان بصديقه مؤلف هذا التاريخ ، ان يسعى في سبيل السلم بين البلادين نجد والحجاز سعياً موفقاً . لذلك ابرق اليّ يقول انه ينبغي مقابلتي ، وانه غير مأذون بالدخول الى سورية . فهل يمكنني ان اوافيه الى عمان .

تكررت البرقيات بيننا ، فاتفقنا على الاجتماع في حيفا . وبعد المفاوضة هناك زرنا سمو الامير عبد الله في مقره بعمان ، فرغب اليّ عقب المذاكرة بالتوسط بين جلالة اخيه وعظمة السلطان . وقد اطلعني الشيخ فؤاد في اليوم التالي على برقية جاءته من الملك علي يرحب فيها برسول السلام .

قبلت المهمة لاسباب ثلاثة : اولاً — لاني على اتصال بعظمة السلطان وعالمه ببعض ما يرمي اليه في سياسته العربية . ثانياً : لاني منذ البدء في رحلتي

العربية رسول السلم والتضامن بين ملوك العرب . ثالثاً : لاني كنت قد اقترحت على عظمته اقتراحاً لجل مشكلي الحجاز سلاً فجاهني منه جواب يستحسن الاقتراح ، ويشجع على السعي في سبيل تحقيقه . اضف الى ذلك ان عدداً كبيراً من وجهاء المسلمين في بيروت اجتمعوا على التوسط بين العاهلين العربيين وقرروا ان اكون رسولهم اليها .

سافرت والشيخ فؤاد الخطيب الى السويس ، ومنها الى جدة ، فوصلناها في ٧ ربيع الثاني (٥ نوفمبر) . وكان قد سبقنا اليها رسول آخر من رسل السلام ، هو المستعرب الانكليزي المستر فلي^(١) الذي كان سابقاً وكيل دولته السياسي في شرقي الاردن .

قد كانت الاشاعات بخصوصه عديدة ، واطورها انه قادم بصفة رسمية او شبه رسمية من قبل الحكومة البريطانية للتوسط بين علي وابن سعود . ولكن المعتمد الانكليزي بجدة المستر بولارد^(٢) كذب هذه الاشاعة رسمياً . وقد اكد لي ان المستر فلي ، وان كان رغم اقالته من وظيفته لا يزال في سلك الموظفين ، هو متطوع للخدمة التي جاء من اجلها . وانه لا يمثل غير نفسه . وقد اثبت ذلك الملك علي اذ قال : « هو صديق لابن سعود وصديق لنا . وقد عرض خدمته بواسطة وكيل الحكومة العربية السابق بلندن قبلناها » .

اجتمعت بزيميلي بعيد وصولي ، ثم تكررت الاجتماعات والمباحثات ، فكنا في الموضوع منفقين — منفقين في وجوب التوسط بالسلم . بل في وجوب السلم لخير العرب بين نجد والحجاز .

واكن الرجل الذي جئنا نفاوضه لم يكن قد وصل الى مكة ، ولا كان مقره يومئذ معروفاً . هل هو باق في الرياض ام هو في الطريق الى الحجاز ؟ واذا كان لا يزال في الرياض فهل هو قادم الى مكة ام لا ؟ واذا كان ينوي القدوم فمتى يا ترى يتحرك من عاصمة نجد ؟

H. St. John Philby (١)

R. W. Bullard (٢)

هذه سوالات كنا تسائلها . ولم يكن في جدة ، لا في الحكومة ، ولا في دور القناصل ، ولا بين التجار ، من يستطيع ان يجيب عليها . لم يكن في جدة شخص واحد يعرف شيئاً عن ابن سعود .

وكان المستر فليبي قد كتب الى احد قائدي الجيش النجدي بمكة مستخبراً ، فلم يحظَ بجواب . وقد كتبت انا الى القائدين كليهما ، الى سلطان بن بجاد الذي يعرف اني صديق عظمة السلطان والى الشريف خالد ، فلا جاء الجواب من احدهما ، ولا عاد الرسول . ثم خطر لي ان أبرق الى عظمته بواسطة وكيله في البحرين . وقد كنا تباحثنا انا والمستر فليبي في السفر براً عن طريق الطائف الى الرياض ، فنجتمع بعظمته في العاصمة او في الطريق ، وعقدنا النية على ذلك . فابرت الى القصبي في البحرين اولاً وتانياً فجاءني منه جوابان الواحد بالعربية : — « ارسلنا برقيتك الى الامام » والاخر بالانكليزية : — « قد سافر الامام الى الحجاز » . وهذه الرقية الانكليزية اول نبأ وصل الى جدة بشيء . بسفر السلطان ، فسربه الملك ، ومُسرت الحكومة والقناصل ، بل مرت المدينة باسمها . كيف لا ولسان حالها وحالنا واحد — لا بد في قدوم السلطان ان تُثغِر الحال فيضع عظمته حداً لتلك الفظائع التي كانت تُتروى اخبارها في جدة . والسلطان رجل عاقل حكيم يمكننا ان نثقهم واياه .

بننا والحال هذه نتظر وصول عبد العزيز . وفي ذاك الحين علمنا ان رسولا آخر من رسل السلم هو قادم الى جدة ، وانه من كبار المسلمين . مرتنا الخبر انه من المسلمين ، فيحيى موازناً لمسيحية زميلي الانكليزية ومسيحيتي العربية . والظاهر ان الفكرة هذه خطرت لجلالة الملك ، فقبل بتوسط السيد طالب النقيب الذي كان يومئذ في الاسكندرية . والسيد طالب ، الذي جاء ذكره غير مرة في هذا التاريخ ، هو صديق للسلطان عبد العزيز . وهو كذلك صديق المستر فليبي الذي عرفه في العراق يوم كان من المستشارين هناك ، وكان السيد وزيراً طالباً للعرش . فاذا كان السلطان لا يقبل بتوسط المستر فليبي ولا بتوسطي ، وهو في البلد المقدس وفي ظل الكعبة ، فلا بد ان يأذن

بإزيارة في الاقل لمن اجتمع به مراراً في الكوبت وفي البصرة ، وكان ضيفه في القصيم ، بل لمن توسط مرة بينه وبين الترك ، لصديقه الحميم السيد طالب النقيب .

عندما وصل السيد طالب كان خط الدفاع حول جدة ، بما فيه من الاستحكامات والمتاريس والخنادق والاسلاك الشائكة والالغام ، قد تم كله .

وهو في شكل هلال طوله من البحر الى البحر نحو ستة اميال . وكان الملك علي قد استعاد شيئاً من الامل والاطمئنان ، بل كانت ثقته بالفوز ، سلباً او حرباً ، تزداد يوماً فيوماً مع ازدياد عدد الجيش النظامي وقوته ، لان الشريف والده كان يبذل المال والامير اخاه يبذل الهمة في سبيل التطوع في الشرق العربي « للدفاع عن بيت الله الحرام » . . . وهذا خط الدفاع يا عبد العزيز ، وهؤلاء اصدقاؤك واصدقاؤنا رسل السلام .

الفصل الرابع والأربعون

الى مكة

في العشر الاول من ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ، يوم كانت جدة ودوائر السياسة فيها تجهل مقر السلطان عبد العزيز ، وتجهل مقاصده الحربية او السلمية ، كان هو في الرياض يتأهب للسفر الى الحجاز . وقد أم العاصمة في ذاك الحين رؤساء القبائل والاعيان ليودعوه فخطب فيهم قائلاً : « اني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها ، بل لرفع المظالم التي ارهقت كاهل العباد . اني مسافر الى مهبط الوحي لبسط احكام الشريعة وتأبيدها . . . ان مكة للمسلمين كافة وسنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي ، فنتبادل واياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السيامية . . . وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير من الافراد والجماعات » .

وقد ارسل قبل السفر الى الامام يحيى وغيره من امراء الاسلام المستقلين الكتاب الاتي : « اما بعد فقد استقبلت الطريق الى مكة غير باغ ولا آثم . فليتفضل الاخ العظيم بارسال من يمثله في مؤتمر مكة حياً بنشر السلام بين ام الاسلام . سلطان نجد : عبد العزيز » .

هذا فيما يختص بشؤون البلاد الخارجية . اما شؤونها الداخلية فقد جعل والده الامام عبد الرحمن مرجعها الاعلى ، وانا بمكانه في العارض ابنه سعوداً على ان يعمل بمشورة جده . ثم كتب الى اهل بريدة وعنيزة والى بعض المهجر من الاخوان ان يوافقوه بألويتهم وجموعهم الى اماكن عيبتها .

وفي ١٣ ربيع الثاني (١١ نوفمبر) خرج من العارض بكوكبة من .

الفرسان ، وبجاشيته المؤلفة من كتاب السر وبعض العلماء ، وفيهم من آل الشيخ الشيخ عبدالله بن حسن قاضي جيشه ، والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف إمامه . وقد رافقه في هذه الرحلة اخواه محمد وعبدالله ، وابناه محمد وخالد ، وغيرهم من آل بيته ، ونفر من آل السبهان وآل الرشيد ، وغيرهم من وجهاء نجد . ثم انضم الى الموكب الشاعر عبد الرحمن النقيسة وراوية نجد المشهور عبدالله العجيري . وكان مع عظمتهم من المستشارين السوربين الدكتور محمود حمدي ومحمد النحاس وبوسف ياسين وجمال الغزي .

اما الالوية التي لحقت بالموكب السلطاني في الطريق فعددها خمس عشرة لواء ، خمسة الوية من اهل القصيم — من بريدة وعنيزة والبكيرية والمذنب والخبراء — وهؤلاء من الحضرة ، وعشرة الوية من هجر الداخنة ودخنة ونقي والشيكية وغيرها .

ان الطرق المعروفة بين نجد والحجاز كثيرة ، اقصرها من الرياض ، بعد الخروج من وادي حنيفة ، هي الطريق الجنوبية التي تبدأ من خزيمة فتتم بالركيبة ، ومسافتها الى مكة نحو خمسمئة ميل . ولكن السلطان اختار الطريق الشمالية التي تمر بالوشم واطراف وادي السر ، ثم بالشعرة ، وهي تزيد نحو مئة ميل على الاولى ، ويستغرق قطعها عشرين يوماً للقوافل ، ومن الخمسة والعشرين الى الثلاثين يوماً للجنود . اما النجباء حامل البريد فيمكنه ان يقطع المسافة بين مكة والرياض بعشرة ايام .

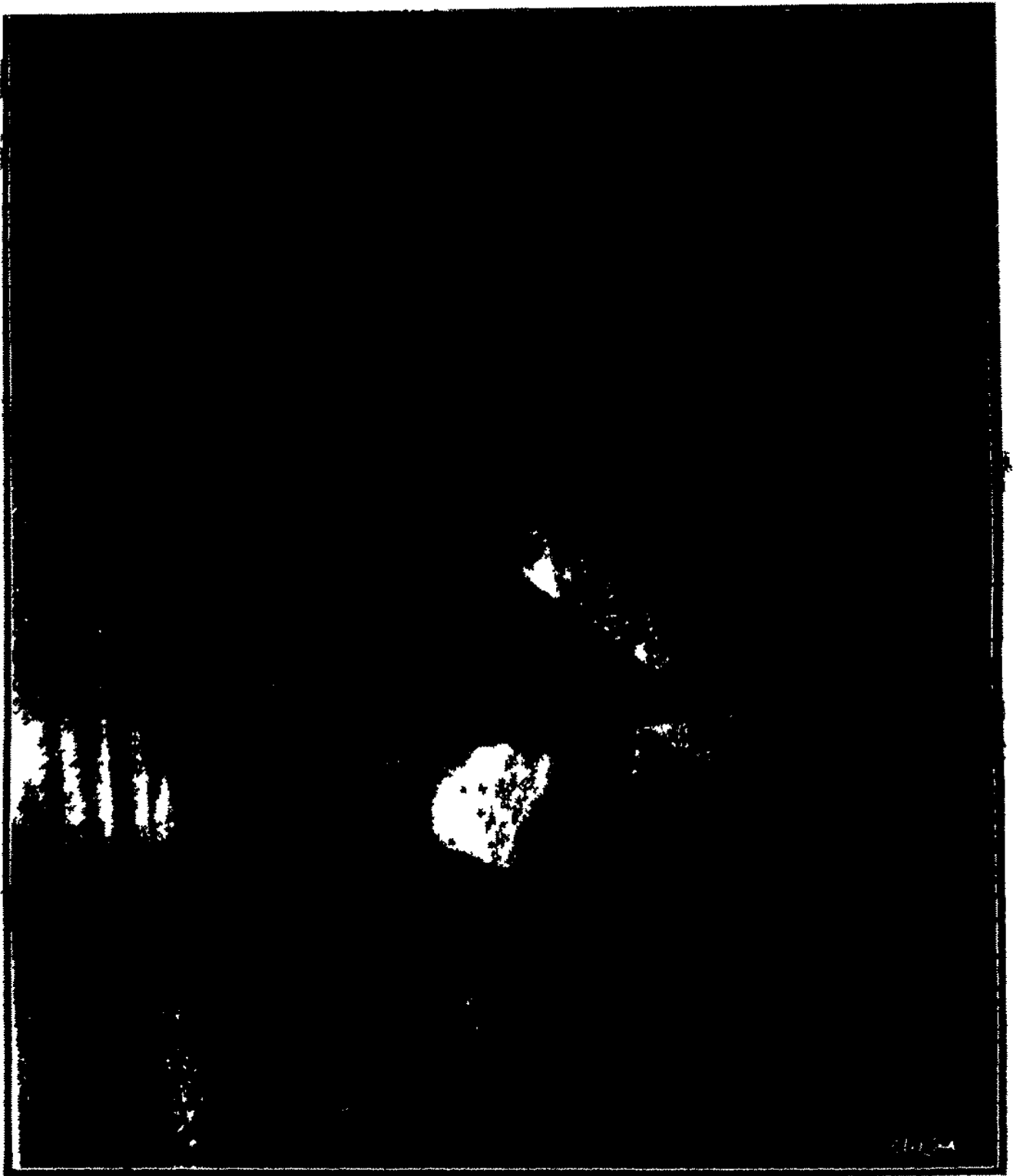
سار الموكب سيراً معتدلاً ، لا كلقوافل ولا كالجيش . وكان يقف يوماً او يومين على بعض المياه القريبة من العمران ، فتجيء الوفود تسلم على الامام ، وتجيء معهم في بعض الاحايين التسكيات التي كان يسهها ويمهد سبيل العدالة لاصحابها . اربعة وعشرين يوماً ظل الموكب في الطريق . وكان يمشي سيراً واسراعاً من الثاني ساعات الى الخامس عشرة ساعة كل يوم ، ويمشي حتى في البادية بنظام عسكري .

قد دون الاديب يوسف ياسين^(١) بعض اخبار هذه الرحلة السلطانية ، ونشرها تباعاً في جريدة «ام القرى» فذكر اسماء الاماكن التي مروا بها ، والهضاب والمياه والتعاب والاولدية ، وردھا الى ما جاء من ذكرھا في دواوين الشعر وكتب الاقدمين . وقد وصف الموكب من ساعة الادلاج الى ساعة الاناخة الاخيرة كل يوم فاخبرنا كيف كان السلطان ورجاله يقضون ساعات النهار والليل في السير والسرى .

قلت ان للموكب نظاماً عسكرياً في السير . وما سوى ذلك فلا دليل على الحرب في ما كان يحمل ، ولا اثر للحرب في ما كان يُسمع في صفوفه . اءا هو رهط من الناس خرجوا للسياحة ، وفي سياحتهم رياضة مزدوجة بل منلثة اي رياضة روحية ، وجسدية ، وادبية .

يسوح الاوروبيون فيحملون في حقائبهم الكتب يطالعونها في ساعات السفر . وها نحن في الادية — عرب في فيافي العرب — ومعنا من الكتب الدينية والادبية والتاريخية للمطالعة في النهار وفي الليل . اجل ، ترانا سمر ونحن في السرى . فاذا ما طال الليل ومل الحادي ، سمعنا صوت السلطان ينادي العجيري . وقد يكون راوية مجد معتزلاً الركب كما هي عادته ، فيكر احد الرجال كلمة السلطان : العجيري ! — يا عجيري تقدم . فيحت الراوية راحلته ، وبعد ان يبدو من عبد العزيز يسلم ويتسرع بقراً ؟ اجل ، انك اذا كنت لا تراه تظنه يقرأ في كتاب من كتب الادب والشعر . ولكن العجيري لا يحمل كتاباً . العجيري يحمل في رأسه «الاعاني» و«الكامل» و«البيان والتبيين» و«الكتكول» وبضعة دواوين من الشعر . له ذاكرة يقيها اذا كتبت خاطر سريع . واه ادب لا يقيدہ بحرف ما يروي ولا يعده عن معناه . وله

(١) يوسف ياسين عربي صميم من الادبية ، أم شه الجزيرة متطوعاً لخدمة القصبة العربية واس سعود . موصل الرياص قبيل خروج السلطان منها ، وكان من الرفاق المقربين في الرحلة . ثم تولى تحرير جريدة «ام القرى» عمكة ، وعين وكيل الخارجية البياة اثناء تسيب الوكيل مع الامير فيصل في اوروة ، وهو اليوم من المستشارين في ديوان جلالة الملك



الملك عبد العزيز
يوسف ياسين • الطيب الهرازي • محمد صيف

صوت ويطق وطريقة في الالقاء تدهش اكر الممتلين .
 — ماذا يعني الامام ؟ فصلاً في مكارم الاحلاق ؟ — فصلاً في التحاة
 والاقدام ؟ — فصلاً في البر والتقوى ؟ — فصلاً في بواذر الملوك ؟
 وادا ما بدأ في الرواية كان كالساحر يتمتى في حدائق الادب والتعر
 والتاريخ ، فيقلها بازهارها ، وبطيب ثناها ، الى اللادبة ، فتنعش الركان ،
 وتطرد العاس من الاجمان .

قال يوسف ياسين : « قد اقام لنا الدليل على ان ما روي عن احبار الرواة
 الاولين ، وما كانوا يحفظونه من التعر والتر ، امثال حماد والاصمعي ، لم يكن
 حياً شعرباً . وان امالي ابي علي القالي واضرابه لم تكن الا من قبيل ما كان
 يرويه لنا الشيخ المعيري في الطربق » .

وفي ساعة الادلاح ، بعد ان تمتي الحملة وامامها العالم والى حاسه راكب
 يحمل قديلاً ميراً ، سمع الصوت يادي : المعيري . فيدنو الراوية من عظمة
 السلطان ويطفق يرتل طائمة من الذكر ترتيباً حميلاً ايضاً « تكاد تعد منه
 حروفه » . ثم يؤذن المؤذن صلاة المحر .

وبعد الصلاة والقهوة يستألف الموك السير فيادي السلطان : ان التبيح ،
 فيليه احد العلماء ويترع يتلو شيئاً من القرآن . ثم بعد الصبح يدعوه تاية ،
 او يدعو غيره من العلماء ، قارىء الرحلة ملاً ، فيسلم هذا قياد راحله الى حادم
 يقودها ، ويساؤل من حمينه السيرة السونة ، او صحيح مسلم ، او تاريخ ابن الاثير ،
 او كتاب الترعيب والترهيب ، فيطفق يقرأ ساعة او ساعتين بصوت عالٍ يسمعه
 المتقدمون في الموك والمآحرون .

ويطل الموك سائراً بنظام لا يجرح في الصورة الاحمالية عنه ، بتقديمه
 كوكبة الفرسان ، وتكاد احياناً تحمي عن الاظار ، فاحرى بها ان تدعى
 كوكبة الكتامة . ثم علم السلطان وورائه الحملة ، اي حملة المؤمنين والامتعة
 والمواعين ، وهي تمتي قبل الموك السلطاني ساعة او ساعتين ، فحتفي بعض
 الاحابين مثل كوكبة الفرسان . اما الموك فتقدمه الاعلام ، اعلام الحيوش

المنظمة اليه ، وكلها تمشي في صف واحد ، وبعدها الموكب ، والسلطان حينئذ على رأسه وحينئذ في الوعظ ، فيسير امامه او ورائه الكبير والصغير بدون تمييز وبدون نظام .

وها هوذا قد اتاخ في مرات بلدة امرى القيس ، فجاءته الوفود من الوشم ومدير مسلمة عليه . وهاهوذا جالس في فسطاطه يسمع اخذ الشعراء يتلو قصيدة في مدح الامام وانتصار جيوش التوحيد في الحجاز . وهاهوذا في صراحته المعتادة يقول للشاعر : « احب سماع الشعر ولكن نوعين منه لا احبهما ، الهجو والغلو في المدح » . ولا وقت لدينا لتقف نبكي من ذكرى الاحباء والمنازل ، ولكننا نمر بسقط اللوى ، والعجيري يملو علينا شيئاً من اخبارك يا ابن حجر الكندي .

توكلنا على الله ! اركب يا ابن مطرف — اركب يا عبد الرحمن . وعبد الرحمن بن مطرف هو اول من يعلو راحلة في الموكب ، هو راعي الراية ، راية السلطان .

وها نحن بعد خروجنا من ديرة امرى القيس نشرف على اماكن نتاظرها ولو في الكتب جلال القدم والذكرى . هذه الجبال والشعاب والمياه — وضع الحمى والنيّر والخفاف — قد طالما زانت في غابر الزمان قوافي الشعراء ، وافسدت عيش سادة العرب . هاهنا كانت تتظاحن القبائل ، وهاهنا كانت تندب الشعراء المنازل والاحباب . وهوذا ربيع الريان ، ذاك الشعب الخصب الذي نخرج اليه من السعرة ، محط رحال التجار والقوافل بين الحجاز والقصيم والعارض ، وما دون الشعب الجبل الذي قال فيه جرير :

يا جبدا جبل الريان من جبل وجبدا ساكن الريان من كانا

وهو الذي حن كذلك الى اهله الشريف الرضي :

ايا جبل الريان ان تعرف منهم فاني ساكسوك الدموع الجواريا

ولا تزال مسندين — مصعدين — من الريان الى وادي الرشا ، بين جبال

شهبان والحوار ، فنبذوا اعالي نجد في ابهى الحلل من الاخضرار ، تلك البلاد

التي يتغنى الشعراء بعرارها ، وبطيب هوائها ، وبفسيح ارجائها .
 حينئذ الى ارض كأن ترابها ، اذا امطرت ، عود ومسك وعنبر
 بلاد كأن الاقحوان يروضه ونور الاقاحي وثي يرد محبر
 احن الى ارض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر
 في وادي الرشا نعلو نحو الف واربعمئة قدم عن البحر ونستمر مسنين ،
 فنصل الى ماء يدعى المصلوم (بالصاد) وهناك يلتقي الركب بنجاب من مكة
 يحمل البريد الى السلطان ، وفي البريد كتاب من قناصل الدول بجدة الى قواد
 الجيش النجدي بمكة يعلمونهم بموقف دولهم الحيادي في النزاع بين نجد والحجاز ،
 فارسل اليهم السلطان الجواب الآتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم
 السلطنة النجدية ومامحقاتها

في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ (٢٢ نوفمبر ١٩٢٤) عدد ١١٤

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرات الكرام
 قناصل الدول العظام في جدة ، معتمد الدولة الية البريطانية ، وقنصل
 جبال الدولة الايطالية ، ووكيل قنصل جنرال الجمهورية الفرنسية ، ونائب
 قنصل ملكة هولندا ، ووكيل قنصل شاه ايران المحترمين .
 بعد اهداء ما يليق بجنابكم من الاحترام ، نحيط علمكم باننا احطنا علماً
 بكتابكم المؤرخ في ٤ نوفمبر المرسل الى امراء جيشنا خالد بن منصور وسلطان
 بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم ازاء الحرب الواقعة بين نجد والحجاز .
 كنت اود من صميم قلبي ان تحقن الدماء ، وتنقذ رغائب العالم الاسلامي الذي
 ذاق المناعب في السنوات الثانية الاخيرة . ولكن الشريف علي بن حسين
 بموقفه في جدة لم يجعل انا مجالاً للوصول الى اغراضنا الشريفة . ولذلك فاني
 حباً بسلامة رعاياكم ، ومحافظة على ارواحهم واملاكهم وما قد يحدث لهم من
 الاضرار احببنا ان نعرض عليكم ما يأتي :

٦ -- ان نخصصوا مكاناً ملائماً لرعاياكم في داخل جدة او خارجها

وتخبرونا بذلك المكان لترسل اليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم
 ٢ — اذا احببتم ان ترسلوهم الى مكة ليكونوا في جوار حرم الله
 . يعيدون عن غوائل الحرب واخطارها فاننا نقبلهم على الرحب وننزلهم المنزلة
 اللائقة بهم . واننا نرجوكم ان ترسلوا كتابنا طيه الى اهل جدة حتى يكونوا
 على بينة من امرهم . واننا لا نعد انفسنا مسؤولين عن شيء بعد بياننا هذا
 وتقبلوا في الختام تحية خاصة مني » .
 وهذا نص الكتاب الى اهل جده .

الختم

« من عبد العزيز آل فيصل آل سعود الى اهالي جده كافة .
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلا بد انه بلغكم ان اغلب
 العالم الاسلامي قد ابدى عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين
 واولاده . وانا حبا بسيادة الاسلام ، وحقق الدماء ، نعرض عليكم انكم
 في عهد الله وامانه من اموالكم وانفسكم اذا سلكتم مسلك اهل مكة .
 وبالنظر الى وجود الامير علي بين اظهيركم وخروجه على الرأي الاسلامي ،
 فانا نعرض عليكم الخروج من البلد والاقامة في مكان معين ، او القدوم الى مكة
 سلامة لارواحكم واموالكم ، او الضغط على الشريف علي واخراجه من بلادكم .
 فان فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور او بولائه فنحن معذورون امام العالم
 الاسلامي ، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون من المسبب والسلام » .

الختم

كان الذين يسافرون في البادية ، فينقلون بيوتهم كل يوم ، ينسون ان
 بيوت اهل الحضر من حجر وطين ، وان لمصالحهم وتجارتهم جذوعا متأصلة بين
 تلك الاحجار وتحت تلك البيوت . ومع ذلك فقد ارسل السلطان الكتابين الى
 القناصل والى اهل جدة بواسطتهم ، وامر ثلاثة من حاشيته بان يتقدموه الى مكة
 فيطمثون الناس ، فراحوا يبشرون بقدمه .

سار الموكب ، بعد ان اجتاز جبل النير ، جنوبا بغرب الى الدفينة ، وهي في
 رأس الحرة التي تعلو نحو اربعة الاف قدم عن البحر ، وفيها بقية طريق معبدة ،

غير السكة السلطانية اي سكة زبيدة القديمة . وفي هذه الحرّة اعلام منصوبة تدل على الارض الوعرة التي لا تسلك ، بل تحذر القوافل من اخطارها . وهاك بعد ان نجتاز الحرّة سالمين بيوتاً متهدمة في وسط بساتين من الاثل ونخيل الدوم . هي مران التي وصفها ياقوت بقوله انها قرية غناء كبيرة ، كثيرة العيون والابار والنخيل ، وقد كانت لبني هلال . ولكنها اليوم للاضحلال :

مررنا على مران ليلاً فلم نعبج على اهل آجام بها ونخيل
وفي اليوم الثالث والعشرين وصل الموكب الى عشيرة التي نتناهى اليها طرق
نجد كلها ، والتي تعلو اربعة الاف قدم عن البحر . فاقام السلطان فيها يوماً
يستقبل الوفود التي جاءت من جهات الحجاز للسلام . ثم ادلج الركب من عشيرة
مصعدين الى قرية السيل (٤٥٠٠ قدم) اعلى نقطة في هذه الرحلة ، فأحرموا
هناك وانحدروا في وادي السيل ، بين جبال جرداء ملساء سحباء ، فمروا بقرية
الزيمة ، وأناخوا في مكان يبعد ساعتين عن الاميال . ثم تقدموا بعد الظهر
مكبرين ملبين .

لبيك اللهم لبيك !

لا شريك لك لبيك !

ملأت هذه الجموع البيضاء الشباب ، وتزاحمت بين الهضاب ، وتصاعدت

اصوات الملبين ، فتصادمت في الفضاء ، فرددت صداها الجبال والوهاد .

لبيك اللهم لبيك !

لا شريك لك لبيك !

الفصل الخامس والاربعون

اشاعات وعقائ

مرضنا ونحن في جدة ننتظر وصول السلطان عبد العزيز الى مكة . مرضنا حقيقة ومعنى — مرضنا كنا ، الملك علي ، والسيد طالب ، والمسترفلي ، والمؤاف — بالمالاريا وغيرها من الامراض السارية . وكنا في ذلك الاثناء نسمع من الاخبار — اخبار الاخوان — ما لا يزيل الكربة بل يزيد بها .

يا لهول الاخوان ! ويا للفظاعة ويا للعار ! — قد عاهدوا « الجداعين » وأمنوهم على حياتهم واموالهم ، ثم ذبحوهم عن بكرة ابيهم . — قد عاهدوا بني جابر وبعض الاشراف الذين « دينوا » وأمنوهم ، ثم حملوا عليهم فذبحوهم كلهم الرجال منهم والنساء والاطفال . — الاخوان يضربون اهل جاوه بمكة ويمنعونهم عن الصلاة ، وعن التدريس في الحرم . — الويل لمن يرى الاخوان سيكارة بيده ، فانهم يشبعونه شتاً وضرباً . — الاخوان يحجزون البيوت بمكة ويبيعونها . — الاخوان يهدمون بيت مولد النبي ، وبيت السيدة فاطمة الزهراء ، وضريح السيدة خديجة . — الاخوان هدموا كل قبور الصحابة والاولياء وآل البيت في المعلا — وهدموا مسجد حمزة ، ومسجد ابي قبيس . — وهدموا . . .

مرحباً بالاشاعات . فانها مثل المصائب بعضها ينسي الناس البعض الآخر .

قد اتانا الاخوان — الى حين — الخبر بسقوط حائل . قالوا انها سقطت بيد قبائل شمر ، وقالوا ان سلطان الدويش قد استولى بمساعدة شمر على حائل .

ومرحباً بالمكذابين . لا صحة للاشاعة بان مشايخ رابغ « دينوا » وان رابغ اصبحت في حوزة الاخوان . كذلك كانت الاخبار تترامى الينا ، ونحن على فراش الحمى نتملأ ونقول : عجل الله قدمك يا عبد العزيز . ولكننا في تجوالنا

ايام النقه سمعنا من مصادر شتى ، وتحققنا بعدئذٍ ، ما يقرب من الحقيقة في ما تقدم من الاشاعات . سنعود اذن اليها فتمحصها للتاريخ .

عندما دخل الاخوان مكة جاء عربان الجدعان وبني جابر وبعض الاشراف الى الامير خالد بن لؤي موحدين طائعين . دخلوا في دين التوحيد « دينوا » فاعطاهم خالد الامان على ارواحهم واموالهم ، واذنهم بالرجوع الى منازلهم التي تبعد مرحلة ومرحلتين عن جدة الى الشرق الجنوبي .

ولكنهم بعد ان عادوا من مكة جاؤوا يقدمون الطاعة للملك علي ، وشرع بعضهم يقطع الطريق بين جدة ومكة . فارسلت القيادة النجدية سرية عليهم للتأديب وجمع السلاح . ابى الجدعان ان يسلموا سلاحهم ، فنشبت بينهم وبين الاخوان معركة دامية انتهت بهزيمة الجدعان وفرارهم في السنايك الى جدة . اما بنو جابر فمنهم من سلموا سلاحهم ، ومنهم من فروا هاربين ، فركبوا البحر مثل الجدعان ، وجاؤوا جدة بجرمهم وعيالهم ، فانزلهم الملك علي خارج السور ، وبذل في سبيلهم المستطاع .

اجتمعنا في قنصلية هولندا ببعض الجاويين العائدين من مكة ، فسألناهم ان يصدقونا الخبر ، فقال احدهم : « اقمنا حفلة لنتلو المولد النبوي ، كما هي عادتنا كل سنة ، فنصبنا قبة للاجتماع . وعندما حضر عالمنا لتلاوة سيرة المصطفى ، جاء الاخوان فطردونا ، وهدموا القبة . — لا ، لم يضربوا احداً . واكنهم كانوا يشتموننا ويدعوننا مشركين — نعم ، التدخين ممنوع في الاسواق . واكني ما رأيتهم يضربون احداً يدخن . هم يشتمون من يدخن ، ويدفعونه جزاً ربع مجيدي » .

التقينا ذات يوم عند السور باثنين عائدين من مكة ، الواحد ضابط تركي كان في خدمة الحسين ، والثاني عربي من البدو . فسألنا عن فظائع الاخوان فقال الضابط : « حجزوا البيوت ، ونهبوها ، وباعوها والله . وهدموا المقامات كلها ، حتى مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام » . فقاطعه الاعرابي قائلاً : « لا والله . الذنب ذنبنا نحن العرب ، والخيانة منا . يجيء الواحد الى خالد يقول : هذا بيت

الشريف ، وهذا بيت عم الشريف ، وهذا بيت احد عبيد الشريف ، فيحجز الاخوان هذه البيوت ، وبيعونها بعد ان يخرجوا منها الاثاث . ما مستوا والله غير املاك الشريف ودور الحكومة .

اما هدمهم القبور والمقامات فما انجلت الحقيقة فيها الا بعد ان زار وفد جمعية الخلافة مكة فأوا باعينهم ما هدم منها ، وما لم يهدم . وقد قال السيد سليمان الندوي رئيس الوفد في تقريره : « ان القباب والبيبان التي كانت على القبور هدمت وكسرت . ولكن القبور موجودة سالمة كما شاهدنا . والقبة التي كانت على قبر حمزة هدمت والمسجد سالم » . اما مسجد ابي قيس فقد هدم قسم منه ، فاسف السلطان عبد العزيز لذلك ، وامر بترميمه .

لا ثار للاخوان على المساجد . ولكن في القباب مصيبة الدين الكبرى . قال محمد بن عبد الوهاب : « المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثانا تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته » . وقد ذكر بالحديث : خير القبور الدوارس .

ولكن السخافة في الناس لا تتغير الا في شكها . ان هادمي القبور ومقدسيتها من امة واحدة ، وان غضبة للحجارة مثل غضبة عليها لا تصالح الامم . كيف لا نستأنس اذن بالاشاعة التي تنسينا اشاعات القبور ؟ كل من في جدة صدق الخبر بسقوط حائل الا المسترقلي والمؤلف . واظن ان بعض الناس تاركونا الرب ، واستمروا مع ذلك في نشر الاشاعة . فقد سمعنا جلالة الملك في مجلسه ذات ليلة يقول لقائد فرقة النصر تحسين باشا الفقير : « الخبر بسقوط حائل صحيح ، جاءنا اليوم الاثبات من عمان » . اي من المصدر الاعلى في ما كان يروى عن نكبات نجد وابن سعود . ولكن علياً من الناس الذين لا يحسنون التمويه ، فقد خانتة اللهجة التي ظهر فيها انه مشكك بما يقول .

وقد كان يشكك حتى بمن يقسمون اليمين المغلظة من البدو — والله بالله نحن رجالك يا علي ونفديك بدهنا ! فهل يقال بعد هذا ان ابن مبيريك صاحب



الملك علي في « الورثة » بحجده امام احدى المصنفات

٢٢٦ — ٢٢٧

- رابع ومتابجه كلهم « ديوا » 2 وان رابع اصحت في حورة الاخوان ؟
- ها كلهم في القصر يقدمون الطاعة للملك
 - وها كلهم في مكة يبايعون ابن سعود ا
- اشاعات وحقائق ، تتلو الواحدة الاخرى كأ دوار من الحمى . وقد كما ، بين الحمى وبينها ، سترحم الله للعرب اجمعين .

الفصل السادس والاربعون

الكتاب والنز - والسيف

اوضحت في ما تقدم خطة السلطان عبد العزيز السياسية والدينية ، النجدية والحجازية . فقد ارسل من البادية ، وهو في الطريق الى مكة ، يؤمن الاجانب في جدة ، ويعرض الامان على اهلها اذا هم أخذوا الى السكنة . وكتب قبل ان غادر الرياض الى امراء الاسلام الحاكمين يدعوهم لعقد مؤتمر في ام القرى ، ثم مهد سبل الحج وامن الطرق الى الحرمين . الا ان هذا التطور في الحكم السعودي خلق لصاحبه مشاكل جديدة ، فعالج بعضها علاجاً عصبياً ، وحل بعضها حلاً مرضياً ، وهو لا يزال في منتصف الطريق ، وراه ماضٍ مجيد ، وامامه مستقبل نصفه مكتوب وان بدا غامضاً ، والنصف الاخر صفحة بيضاء .

على ان المؤرخ لا يسبق التاريخ ، وليس من شأنه النظر في المستقبل قبل ان يدون في الاقل المهم من حوادث الماضي . نعود اذن الى حيث تركنا الموكب السلطاني . فعندما وصل الى الابطح مساء اليوم السابع من جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ (٤ ديسمبر ١٩٢٤) اتاخ السلطان عبد العزيز ذلوله وركب حصاناً ، ونزل تتبعه حاشيته الى قلب المدينة ، فترجلوا عندما قربوا من المسعى ، ومشوا الى الحرم ، فدخلوه من باب السلام وطاقوا ، وصلوا ، وسعوا تلك الليلة ، ثم عادوا الى المخيم في المعابدة .

وفي صباح اليوم التالي - الجمعة - استعرض السلطان الجيش من خيالة ومشاة ، ثم جلس في السرادق الكبير الذي نصبته البلدية ، وفرشته بالطنافس وحرقت فيه البخور ، فاستقبل اولاً الاخوان ، وكان بينهم كثيرون لا يعرفون الامام ، فكانت المشاهدة الاولى ، وقد تهافتوا عليه يصفحونه ، ويقبلونه في

خشمه وفي جبينه ، وهم يكون من شدة السرور . ثم جاء من اهل مكة بعض اعيانها وتجارها يسلمون ، فبادروا الى يده يريدون ثقيلها فمنعهم قائلاً : «المصافحة من عادات العرب . اما عادة التقبيل فقد جا-تنا من الاجانب ، ونحن لا نقبلها» . وقد خطب فيهم خطبة صغيرة فاعاد ما قاله في خطبة الوداع لرؤساء نجد قبل سفره من الرياض .

بعد ذلك طلب اليه امين مفتاح الكعبة الشيخ عبد القادر الشيبى ان يعين وقتاً للاجتماع بعلماء مكة ، فضرب لهم موعداً في اليوم التالي ، وكان الاجتماع في الحميدية ، حضره علماء البلد الحرام من اهله ومن المجاورين له ، فخطب فيهم السلطان عبد العزيز خطبة دينية ، اجتماعية ، سياسية ، خطبة طويلة بليغة تقنطف منها ما يلي :

— « ان افضل البقاع هي البقاع التي يقام فيها شرع الله ، وافضل الناس من اتبع امر الله . وان لهذا البيت شرفه ومقامه ، منذ رفع سمكة سيدنا ابراهيم عليه السلام . وقد عظم العرب امره في جاهليتهم . . . فتعالوا تتعاقد وتتحد .

ان الفضول تعاهدوا وتعاهدوا ان لا يقربطن مكة ظالم

والله وبالله وتالله ورب هذا البيت ! لقد كان من احب الامور عندي ان

يقم الحسين بن علي شرع الله في هذا البيت المبارك ولا يعمل لآبادتنا من

لوجود ، فاجيئه مع الوافدين احب (اقبل) على يده واساعده في جميع

الامور . . . لا ينفعنا غير الاخلاص في كل شيء . الاخلاص في العبادة لله

وحده ، والاخلاص في الاعمال كلها . والذي ابغيه في هذه الديار ان يعمل بما في

كتاب الله وسنة نبيه في الامور الاصلية . اما في الامور الفرعية فاختلاف

الائمة فيها رحمة » . الى ان قال وفيه لب الاخلاص : « والان انا بدمتكم وانتم

بدمتي . ان الدين نصيحة . وانا منكم وانتم مني . وهذه عقيدتنا في الكتب التي

بين ايديكم . فان كان فيها ما يخالف كتاب الله فردونا عنه ، وسلونا عما يشكل

عليكم فيها . والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة . . .

اننا لم نطع ابن عبد الوهاب وغيره الا في ما ابدوه بقول من كتاب الله وسنة

رسوله . لما احكامنا فهي طبق اجتهاد الامام احمد بن حنبل . اذا كان هذا مقبولاً عندكم تعالوا نتبايع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده » .

بعض الحضور : كلنا نبايع .

السلطان : قولوا لنا بصریح القول ما عندكم .

بعض الحضور : ما عندنا غير هذا .

السلطان : اعينكم بالله من التقية ، فلا تكتموا علينا شيئاً .

احد العلماء : اجمعنا بعلما نجد يا حضرة الامام فتباحث واياهم في

الاصول والفروع وتقرر ما نتفق عليه ان شاء الله .

السلطان : زين . قريباً تجتمعون .

وبعد يومين ، في ١١ جمادى الاولى ، اجتمع خمسة عشر من علماء مكة بسبعة من علماء نجد ، فتباحثوا في الاصول والفروع ، ثم اصدر علماء مكة بياناً جاء فيه : « قد حصل الاتفاق وبيننا بين علماء نجد في مسائل اصولية . منها : من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه ، يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع او دفع ضرر ، فهذا كلغر يستتاب ثلاثاً فان تاب والا قتل . ومنها : تحريم البناء على القبور وامراجها واقامة الصلاة عندها لان في ذلك بدعة محرمة في الشريعة . ومنها : من سأل الله بجاه احد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراماً . في هذه المسائل تباحثنا وانفقنا فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين اخواننا اهل نجد » .

اي انهم اقرروا المسائل الجوهرية في المذهب الحنبلي الوهابي وقبلوها . وفي

يوم اجتماع العلماء صدر البلاغ الآتي مطبوعاً في مطبعة جريدة القبلة^(١)

« لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحضر منهم والبدو :

(١) قد كانت هذه المطبعة للاتراك يطبعون فيها جريدة الحجاز الرسمية ، فاستولى عليها الحسين في بداية الثورة وشرع يطبع فيها جريدة القبلة ، ثم استولى عليها ابن سعود واصدر جريدة ام القرى .

لم تقدم من ديارنا اليكم الا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه ،
 ودفعا لشُرور كان يكيدها لنا ولببلادنا من استبد بالامر فيكم .
 كل من كان من العلماء في هذه الديار ، من موظفي الحرم الشريف او
 المطوفين ، ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ان لم تزد . الا
 رجلاً اقام الناس عليه الحجة انه لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع مما
 كان له من قبل . وكل من له حق ثابت في بيت مال المسلمين اعطيناه
 حقه

لا كبير عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له . ولا ضعيف عندي الا
 الظالم حتى آخذ الحق منه . وليس عندي في اقامة حدود الله هوادة ولا
 اقبل فيها شفاعاة » .

في هذا البلاغ ، وفي بيان العلماء ، حل للمشكل الديني مبني على القاعدة ان
 الجزاء من نفس العمل . ولا فرق اي من الاثنين ، البيات او البلاغ ، صدر
 قبل الآخر . كأن احد الفرقين قال : لانس حقوقكم التقليدية . فقال الثاني :
 اذن تقبل اركان مذهبكم ونعمل بها .

بعد هذه الاجتماعات الخاصة بين السلطان والعلماء عقد اجتماع عام حضره
 العلماء والاعيان والتجار ، فخطب فيهم السلطان ، فقال :

« اريد رجالاً يعملون بصدق وعلم واخلاص ، حتى اذا اشكل عليّ امر من
 الامور رجعت اليهم في حله وعمات بمشورتهم ، فتكون ذمتي سالمة ، وتكون
 المسؤولية عليهم . واريد الصراحة في القول . ثلاثة اكرههم ولا اقبلهم ، رجل
 كذاب يكذب عليّ تعمداً ، ورجل ذو هوس ، ورجل متعلق . هؤلاء اغض
 الناس عندي » .

بهذه الخطبة الوجيزة الصريحة افتتح عظمته الاجتماع لتأسيس مجلس اعلي
 شوري . فاجتمع الناس ثانية في دار البلدية ، وانتخبوا من الاعيان والعلماء
 والتجار مجلساً مؤلفاً من اربعة عشر عضواً برئاسة عبد القادر الشيبى
 على ان هناك مشاكل لا تحل بتأسيس مجلس الشورى ولا باتفاق العلماء ،

كالمشكل الاقتصادي مثلاً ، وقد حال خط الدفاع في جدة دون تموين مكة من ثغرها الاول او الاقرب . ولم يقطع الملك علي الاقوات عن « جيران بيت الله الحرام » الا عندما تم ذاك الخط ، لان بدو حرب ، من الذين كانوا يجيئون صباحاً كل يوم الى القصر بجدة ، او من اولئك الذين « دينوا » ، كانوا يقطعون الطريق الى مكة وينهبون القوافل . هو بعض السبب في حمل الاخوان عليهم . وقد كان السلطان عبد العزيز اصدر الاوامر ، حتى قبل ان سافر من الرياض ، الى عماله وقواده بفتح طريق بل طريقين الى البحر ، وكانت القنفذة اول الثغور التي احتلتها جيوشه من عسير . ولكن القنفذة تبعد اكثر من مئتي ميل عن مكة ، والليث اقرب منها ^(١) . لذلك بادرت القيادة في الحجاز الى احتلالها . على ان السربة التي مشت الى ذاك الثغر لقيت من اشرف « ذوحسن » بعض المقاومة ، فاشتبكت واياهم في معركة دامت بضع ساعات ، وكانت الغلبة فيها على « ذوحسن » ، ففر منهم كثيرون ، وسلم الاخرون ، واصبحت الليث في حوزة ابن سعود .

اما عرب رابغ ^(٢) فقد اشرنا في الفصل السابق الى ما كان من سلوكهم سلوك الثعالب . والحقيقة انهم عصوا حكومة جدة فارسلت عليهم خمسين جندياً بقيادة حمدي بك . ركبوا باخرة الطويل التي كانت قد سلحت بثلاثة مدافع صغيرة ، واهجروا الى رابغ ، فنزلوا الى البر ولم يلقوا من عربانها او مشايخها شيئاً من المقاومة . بل سلم المشايخ ومعهم ابن عم عامل رابغ ابن مبيريك و جاؤوا مع الجنود الى جدة ، فاقسموا بين الطاعة لعلي فعفا عنهم ، واذنهم بالرجوع الى بلدتهم . وفي ذلك الاثناء تصادم الاخوان وفريقاً آخر من العربان ، في الطريق بين مكة ورابغ ، تصادماً يستوجب البيان . في تهامة الحجاز يقطن بطون من حرب فتحمد ديارهم الى المدينة المنورة . وقد كانت هذه القبائل في مواسم الحج تعتدي

(١) الليث هي على مسافة تسعين ميلاً من مكة غرباً نحو

(٢) رابغ تبعد تسعين ميلاً عن جدة الى الشمال ومئة وعشرة أميال عن مكة الى الغرب

الشمالي .

على الحجاج ، ونهب القوافل ، وثقاضي الحكومة ، فوق ذلك ، رواتب معلومة .
ف عندما دخل الجند النجدي مكة جاء بعضهم الى الشريف خالد يطالبون بما
ادعوا انه حقهم الشرعي ، فقال لهم خالد : « اذا «دينتم» كنتم وكافة المسلمين
سواء . والا فعندنا الكتاب والسنة ، وعندنا السيف » .

استمر هؤلاء الحروب عاصين ، فارسل خالد عليهم سرية من الاخوان
فالتقوا بجماعة منهم في عسفان ^(١) بين مكة ورايح ، على طريق المدينة ، فضربوهم
ضربة شديدة وازالوهم من ذلك الطريق . وفي حملتهم هذه قرّب الاخوان من
رايح ، ففكر العامل اسمعيل ابن مبيريك في امره ، وجاء مكة اولاً وثانياً يعاهد
الشريف خالداً ويوحده الله ، فلبث ينتظر قدوم السلطان الذي عين له ولمشاينحه
رواتب على شرط ان يمنعوا التعدي على الحجاج ، ويحموا الطريق من البحر الى
مكة . هذه هي قصة رايح وعربانها الذين جاؤوا جدة وراحوا الى مكة ، وأقسموا
اليمنيين ، وفاوضوا وساوموا الفريقين ، ثم تبعوا الاقوى والاكرم .

وما كان ابن مبيريك فرهداً في سلوكه . فقد تبع الاقوى والاكرم كثيرون
غيره من العرب . ومنهم من الاشراف الحرث والفعور الذين تهافتوا على السلطان
عبد العزيز عند وصوله الى مكة . واكنهم رغم تزلفهم منه عوملوا معاملة
السوى . وقد ارضى السلطان الجميع في تأليفه مجلس الشورى الذي سيذكر
في ما بعد . على انهم جاؤوه شاكين قلة الاقوات وغلائها ، وما يعانيه الاهالي
بسبب ذلك من الشدة والضيقة . فقال لهم انه قد اتخذ التدابير لمنع الاحتكار
اولاً ، ولجلب الاقوات عن طريق اللين . وانه ورجاله وجيوشه لا يكفونهم
من هذا القبيل شيئاً ، لان الاقوات تبيئهم من نجد . « هي قليلة واكننا
اهل نجد نكتفي بالقليل . . . عليكم بالصبر وقريباً ترد الارزاق من الثغور التي
بيدنا ان شاء الله » .

ثم استأذنه بارسال كتاب الى الملك علي عليه يسمع شكواهم فلا يمنع

(١) نية عسفان وهي من امنع الاماكن .

عنهم الارزاق . فقال السلطان : « هذا لا يفيد . علي لا يسمع شكواكم وقد يظنها شكوانا ملبسة . ومع ذلك هاتوا كتابكم ارسله » .

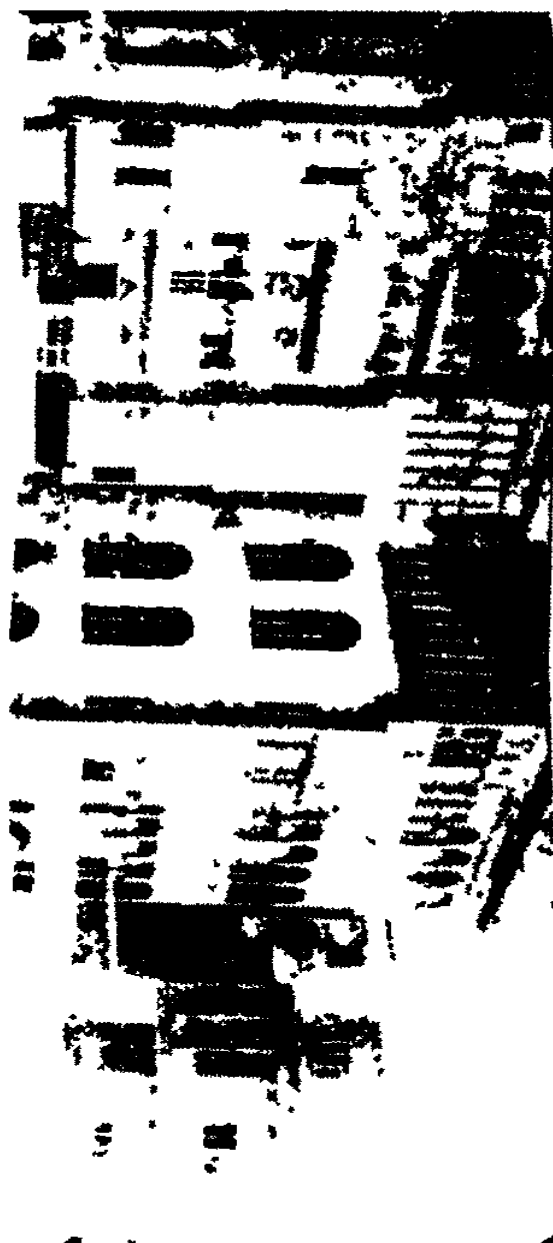
وفي هذا الكتاب ، المذيل بامضاءات ستين من اهل مكة ، لوم وتغنيف ، ورجاء بان لا يمنع الارزاق عنهم وهم جيران بيت الله الحرام الذين قال فيهم تعالى (اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) . « وما السبب في التضييق علينا ؟ فان كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية فلسنا المسؤولين في دخولهم مكة ولا قوة لنا على اخراجهم انا نسألکم واحداً من امرين ، اما ان تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى نفتح لمكة طريق رزقها ، او ترتأوا شيئاً من الاسباب التي تمكنا من جلب معاشنا » .

فاجابهم الملك علي : « لم نمنع الارزاق عنكم الا مكرهين . فالقواعد الحربية تقتضي ذلك ، ولا قصد لنا غير احراج مركز العدو وعدم تموين جيوشه » . وقد شكوا الاهالي الى السلطان عبد العزيز امر الاخوان ، وتضييقهم على الناس ، وشتيمهم وضربهم الناس في بعض الاحاوين . فطيب السلطان بالهم ، ولكنه سمع من الاخوان ايضاً كلمة لا تُرد : « هم يدخنون ، يا عبد العزيز ، ولا يصلون . لا يصلون » ! فامر السلطان بان يعزب كل من يدخن غرامة مالية — الشتم ممنوع والضرب ممنوع . وان يُنبه ذوو الامر الى وجوب المواظبة على الصلاة . فاخرجت البلدية منادياً ينادي بوجوب اجابة داعي الله . « فاذا سمع الناس المؤذن يبادرون الى الصلاة في الحرم الشريف ، ومن كان بعيداً عن الحرم فليصل في اقرب مسجد منه . وقد جعلنا من رجال البلدية وغيرها من يناظر المتأخر عن الصلاة لتقرير الجزاء الشرعي عليه » .

ثم ولّى عظمة السلطان الشريف خالداً ، الذي كان يقيم في قصر الحسين ، شؤون الاخوان ، وامر الشريف هزاع من العبادلة على بدو الحجاز ، واقام بينه وبين اهالي مكة احد مستشاريه يعاونه بعض السوربين ، الذين اتحدوا سراي الحميدية مقرأ لهم .

بمثل هذا نظم عظمته بعض الشؤون الداخلية وحل بعض المشاكل الدينية

خدمه . الحى السمانى



والسياسية في مكة . اما شؤونه الخارجية فاهمها يومذاك كان يتعلق بقناصل الدول
بجدة . وقد جاءه منهم بُعيد وصوله جواب الكتاب الذي ارسله اليهم من
البادية . وهاكه بنصه :

« من ممثلي الدول الموقعين ادناه الى حضرة صاحب العظمة عبدالعزيز
بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود سلطان نجد الاكرم . بعد تقديم
واجبات الاحترام . قد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢٤ ربيع الثاني عدد ١١٤
وما ذكرتموه صار معلوماً لدينا . اما بخصوص الاقتراحات المتعلقة بحفظ رعايانا
وتأمينهم من خطر الحرب نرى من اللازم ان تذكر عظمتكم بان احترام
رعايانا مبني على حقوق دولية متبعة في ايام الحرب . فبناءً عليه ندعوكم باسم
حكوماتنا جميعها الى احترام اشخاص رعايانا مع اموالهم . ولا تكونون
مسؤولين بجميع ما يقع عليهم في اي وقت وفي اي مكان كان . اما بخصوص
الكتاب المرسل باسم اهل جدة فنحن لا يمكننا تسليمه نظراً لقاعدة الحياد
التي تتبعها والتي لا تسمح لنا بالتدخل في اي وجه كان . فعليه نعيده
اليكم . وفي الختام نقبلوا فائق الاحترام .

القائم بشؤون القنصلية وكيل قنصل حلاله معتمد وقنصل
الافرنسية شاه ايران بريطانيا العظمى

قنصل جنرال وكيل قنصل

مالك ايجاليه هولانده

اما فخوى الكتاب الى اهل جدة فقد كان حديث السوق يوم وصوله . وقد
نشر بعدئذ رسمياً في جريدة « ام القرى » فاهم السلطان ان القناصل أرجعوه .
ولكنه قطب وتضجر عندما فض اكتب التي جاءت مع كتاب
القناصل . — وهذا كتاب من المستر فلي . وهذا كتاب من السيد طالب
النقيب . وهذا كتاب من امين الريجاني . ما الذي جاء بهم الى جدة في هذه
الايام ؟ وما الذي يغونه غير السلام ؟ !

الفصل السابع والاربعون

الملاحظات

الحارس على الباب الشرقي لخط الدفاع يكلم بالهاتف القيادة في القشلة : «عاد النجاب من مكة ومعه كتب الى القناصل والى السيد طالب والريحاني وفابي» . القيادة بالهاتف الى القصر : « عاد النجاب من مكة » . رئيس الديوان الهاشمي بالهاتف الى رسل السلام : « عاد النجاب »

بادرنا الى القصر ، فادخلنا الحاجب غرفة الملك علي الخاصة ، فاستقبلنا فيها وزير الخارجية . ثم دخل جلالته متعمماً بعمامته البيضاء ذات الذؤابة ، لابساً جبة سوداء فوق ائباز من الحرير ، وبيده كتب ثلاثة اعطانا ايادها مختومة ، فقال احدنا : الملك اليوم موزع يريد . فضحك جلالته وامر بالقهوة . ثم قرأ كل منا كتابه ، وقدمه للملك فقرأه واعاده دون ان يفوه بكلمة . ثم تبادلنا الكتب كذلك ساكتين . فاطلع كل منا على ما كتبه السلطان عبد العزيز الى الآخر .

قال في كتابه الى « الصديق العزيز المستر فلي » :

« اذا كنتم حضرتتم لمقابلتنا ومباحثتنا في بعض الشؤون الخاصة بنا فعلي الرحب والسعة . وسنسهل الطريق للاجتماع بكم خارج الحرم . اما اذا كنتم تنوون التدخل في مسائل الحجاز فلا ارى في البحث فائدة وانه ليس من مصلحتي الخاصة ومصلحتك يا صديقنا جعلكم وسيطاً في هذه المسئلة الاسلامية المحضة » .

وجاء في كتابه الى « حضرة الاخ المحترم السيد طالب النقيب »

« لقد ذكرتكم انكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم . ولكن يجب ان نعرف

هل المقابلة شخصية ودية ام هي للوساطة في مسألة الحجاز . فاذا كان الغرض من الزيارة التوسط في هذه المسئلة فاني لا ارى فائدة من ذلك واذا كان الشريف علي يود حقيقة حقن الدماء فعليه ان يتخلى عن جده . اما اذا قبله العالم الاسلامي وانتخبه حاكماً للحجاز فحلله غير مجهول »

وقال في جوابه على كتاب المؤلف :

« ذكرتم انكم موفدون من قبل جماعة في سوربة وانكم تحملون كتاباً منهم الينا . ارحب في كل حال بصديقنا العزيز امين الريحاني ، ولكن احب ان الفت نظركم الى امر هام . وهو اذا كان البحث يتناول المسئلة الحجازية فلا ارى فيه فائدة ، لان مشكل الحجاز يجب ان يحله المسلمون . وترك الامر لهوى انفسنا ليس مما تجيزه المصلحة الاسلامية ولا العربية وفي كل حال اني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة » .

لا سبيل اذن للتوسط . ولكن طريقة السلطان في رد كل منا اختلفت باختلاف الصفات والاحوال . فالمستر فلي تأكد ان عظمته لا يمانع اذا غادر جدة في اول باخرة — « ان المسئلة اسلامية محضة وليس من مصلحته ولا من مصلحة ابن سعود ان يتدخل بها » . و كان للسيد طالب بصفته مسلم بقية من الامل — « وكيف لا يسمح ابن سعود بزيارة في الاقل بمكة ؟ وهتي تواجهنا تباحثنا ، والمواجهة نصف الحجة في الاقناع » . اما المؤلف فالسلطان ترك له باباً مفتوحاً اذ قال : « اني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة » .

عدنا انكرة على العظمة السعودية ، فكتب المستر فلي مودعاً ، وكتب السيد طالب . مستأذناً بزيارة « شخصية ودية » وملاحاً بالاسراع لانه مضطر ان يعود الى مصر قريباً . وكتب المؤلف كتاباً يستوجب بعض البيان .

قد أمر الي احد الاصحاب في القصر شيئاً عن السيد طالب مستغرباً مضحكاً ، واكد لي انه جاد في ما قال . اليس السيد خصم الملك فيصل اخي الملك علي ؟ او ليس السيد صديق ابن سعود ؟ فلا يستغرب اذا اتفق الاثنان على خصميهما مليكي العراق والحجاز . قلت لصديقي ان تصوره وان كان سياسياً تصور

شاعر - ومع ذلك فقد وضعت ارتيابه موضع الجد . وبما اني ظننت انه اسهل على السلطان ان يقابل طالباً بمكة من ان يخرج في تلك الاحوال الى حداء مثلاً ليقابل صديقه العربي المسيحي ، صممت على ارسال رسولا مسلماً لاصل اليه برسالتني قبل السيد . وفي كل حال لم يكن في الامكان ان اؤدي كتابة الرسالة كلها . لذلك كتبت الى عظمته اقول :

« ان لصديقي حسين العويني التاجر السوري ^(١) في جدة علاقات تجارية في مكة المكرمة ، وهو يحضر للتجارة وللزيارة ، فيتشرف بمقابلتكم اذا اذنتم ويحمل الى عظمتكم بعض خبري . اني اثق بحسين افندي كل الثقة . وفي اليسير الذي سينوب عني به ما يغني عن البيان . فاذا اذنتم بقدمه مروا من يلافيه الى منتصف الطريق ويصحبه محافظاً الى مقامكم العالي » .

ارسلنا الكتب هذه في ١٢ جمادى الاولى وبتنا ننتظر الاجوبة . فر الاسبوع ولم يعد النجاب . عندئذ ارسل الملك علي يدعونا للمفاوضة فحضرنا نحن الثلاثة ، ولم يكن غيرنا في المجلس ، ففتح جلالاته الحديث قائلاً : « دعوتكم لابسط ماجد في الحالة واستشيركم . قد جئتم ايها الافاضل الى جدة لخير الفريقين ، بل لخير العرب . ويسوء في والله ان تمس كرامتكم من اجل احد منا - انا والله منجبول . قدم الاسبوع ولم يجئكم الجواب من ابن سعود . والرحل متحرك ، فهو الان يفسد القبائل علينا . ورجاله منعوا عرباننا من ارسال الفحم كالمادة الى جدة . ونحن هنا ماسكون انفسنا . خط الدفاع يزداد منعة كل يوم ، وجودنا مستعدون للحرب ، والطيارات كلها اصبحت صالحة للعمل . لذلك قد قررنا ان نرسل غداً بلاغاً الى اهل مكة بالطيارة ، ثم نرسل سرب الطيارات لرمي

(١) حسين العويني اديب سوري ووطني عربي ثابت العقيدة ، صريح الكلمة ، صادق اللهجة ، صلب العود . وقد آدت به وطينته العربية ، في اول عهد الفرنسيين في سورية ، الى المنفى بالكورة ، ففضى وبعض وجهاء بيروت في الاسر هناك بضعة اشهر . ثم جاء الحجاز تنجاذبه السياسة والتجارة ، فتعاطى الثانية ولم يهجر كل الهجر الاولى . كان اول من اجتمعت بهم من السوريين عند وصولي الى جدة ، فدعاني للطعام في اليوم التالي ، فلقيت بيته رحباً ، وكل ما فيه من فرش وذوق لامعاً ، فنزات ضيفاً عليه . وكنت كل يوم ، لما بدا لي من اخلاصه وصدق وطنيته ، ازداد حباً له ، واعجاباً به . فآخينا وتعاوننا في سبيل السلم والعرب .

القنابل في الابطح ، عل ذلك يوصلنا الى نتيجة فاصلة . وقد دعوتكم لاستشيركم في المسئلة » .

تكلم السيد طالب اولاً فقال : «هل قنابلكم صالحة ؟ هل انتم متأكدون انها تنفجر . فاذا كانت قديمة ولا تنفجر تعود بالضرر عليكم ، فلا يخشى العدو بعدئذ الطيارات . يجب ان تجربوها قبل ان تقدموا على العمل ، فاذا كانت صالحة فلا بأس » .

ثم تكلم المستر فلي : « من رأيي يا جلالة الملك ان تنتظروا الى ان يبيء الجواب . ومثل هذا العمل الحربي قبل ذلك في الاقل لا يأتي بفائدة » .
اما المؤلف فلم ير من الحكمة ان ترسل الطيارات الى مكة بصفة حربية . « انكم وان امرتم برمي القنابل في الابطح فقط تضرون بمصلحتكم حتى وان ثقيد الطيارون بامر القيادة العليا . نحن نعرف ان الابطح ساحة خارج مكة الى الشمال الشرقي منها ، ولكن العالم لا يعرف ذلك . واول قنبلة تقع هناك يطير البرق خبرها ، فتشره الجرائد خصوصاً المعادية لكم بالقلم العريض . — الملك علي يطر مكة ناراً من الطيارات — طيارات الملك علي تطير فوق الكعبة وترمي قنابلها في قلب المدينة ! وهذا مضر باسم جلالتم ومضر بالمصلحة العربية » .
قد وافق المستر فلي على رأيي وأوماً الملك برأسه انه مقتنع . ولكنه ظل متمسكاً بنظرته ان الطيارات تخرج ان سعود من مكة ، وتحمله على الفصل في الامر . فطالبنا تأجيل العمل ثلاثة ايام ، فاجاب جلالته الطلب . ثم قال السيد طالب : « واثناء ذلك جربوا القنابل » .

ولكن التجربة لم تكن ضمن خط الدفاع بل في الطريق الى مكة ، فوق بحرة ، وقبل ان تنتهي مدة الانتظار . فغضب المستر فلي غضبة انكايظة وقلنا على الصلح السلام . على ان التجاب عاد في صباح اليوم التالي ، اي العاتر ، يحمل الاجوبة من السلطان ، وفيها لصديقه المستر فلي الدعاء بالسفر الميمون — بامان الله . وفيها للاخ المحترم السيد طالب ان مكة في حال من الاضطراب لا تجوز معها المخاطرة براحته . « وستصاكم وانتم في مصر اخبارنا الطيبة ان شاء الله » .

سوفها في جوابه على كتابي :

« قد سمحت لصديقكم حسين العويني بالقدوم الينا ، فزودوه بكل ما لديكم من الكتب والافكار والاراء وانا نرجوا ان يحسن نقل افكار صديقنا امين الريحاني . . . واني اشكرك على تجشمك المشاق الجسيمة في خدمة العرب وفي سبيل قضيتهم » .

قد جلا هذا الجواب جو القصر فبش الملك واستبشر الوزراء ، كما انه لطف بروح الجندية خارج السور . والجندية طبعاً وصفة عدوة السلام .

بادرنا الى الجواب والعمل ، فكتبت الى عظمة السلطان اقول : « اني مرسل مع العويني كتاباً من وجهاء المسلمين في بيروت ، ومذكرة ضمنتها ارأني في الحالة الحاضرة ، واثرت الى تقاط يتوسع في شرحها العويني . فاذا كنت مصيباً فمولاي وصديقي عبدالعزيز لا يتبع غير الصواب . وان كنت مخطئاً فبي واخلصي يشفعان بما قد يعد نقصاً في علمي . اما اذا كان في ما قدمت مزيج من الخطأ والصواب فانا اول من يرغب في التمهيع . واني اقبل الحقيقة من السوق ، فكيف لا اقبلها من الملوك . علموني يا طويل العمر اذا كنت مخطئاً ، واسمعوا لي اذا كنت مصيباً » .

لم يشأ العويني ان يسافر من جدة الاحرم ، فاشفقنا عليه من برد ديسمبر ، خصوصاً في الليل . ولكنه أصر على الاحرام وهو يقول : « لوجه الله والقضية العربية » .

ثم اعطاني ساعة الوداع غلاماً محتوماً وقال : « اذا لم ارجع يا امين فهذا الغلاف لأمي في بيروت » . عندئذ ادركت حقيقة الخطر ، خطر الطربق في الاقل ، واحسست بشيء ثقيل حل في قلبي . ولكنني موته ما بي وانا اسر اليه الكلمة الاخيرة .

ودعناه امام القصر ، بعد ان ودع جلالة الملك ، فركب البغلة التي كانت تحمل حقائبه وسار بعد الغروب بامان الله يصحبه خادمه والنجاب ورفيق آخر . بامان الله . ولكن الطربق لم تكن آمنة . فقد لقي صديقي ورفاقه في بحرة تلك

الليلة ، في القهوة المهجورة المظلمة التي أووا إليها ، ما يروع حتى البدو . دخلوا بعد نصف الليل ليناموا ، او يستريحوا قليلاً ، فاحس العويني عندما التقى بيده الى الارض ان هناك شيئاً مائماً لزجاً ، فاشعل عوداً من الكبريت فاذا به دم واذا بالدم لا يزال طرباً . فاشعل عوداً آخر فاذا بالجثة — جثة اعرايي — قريبة منه ! ولكنة ورفاقه ، بعد استراحة قصيرة في العراء ، ادلجوا من ذلك المكان سالمين ، فوصلوا في ظهر اليوم التالي الى المخيم السلطاني بالشهداء^(١)

وكان العويني رسولاً مكرماً ، وفي احاديثه مع السلطان مقنعاً ، فلم يطمىء عظمته هذه المرة بالجواب . غاب العويني ثلاثة ايام فقط ، فعاد في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر . وصل الى جدة مساء ذاك اليوم ، فوقف في باب الردهة التي كنا ننتظره فيها ، وهو يحمل حقيبته ويتسم ابتسامة خفقت لها القلوب سروراً . وقد كانت ساعتئذ مع الملك رئيس الحكومة الشيخ عبدالله مراح ، ووزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب ، ورئيس الديوان الهاشمي السيد احمد السقاف . سلم العويني وجلس على السجادة ، فاخرج من حقيبته كتاب السلطان ودفعه الي ، فقرأته وقدمته لجلالة الملك ، فطالعه ونور الجذل يكسو محياه . — « قضي الامر . وما تبقى غير الجزئيات . بارك الله فيك يا حسين . بارك الله فيك يا امين » . قال هذا وقبلنا نحن الاثنين . ثم نزع عن رأسه العقال والكوفية ونادى : هاتوا شاي . . . يشهد الله اني لا احب ان تهرق نقطة واحدة من دم العرب » .

كان جلاته تلك الليلة في بهجة قلما شاهدناه في مثلها . ولا غرو ، فمن سجاياه الشريفة انه رجل مسالم محب للسلم .

(١) كان قد نقل المخيم من المعابدة بالابطح الى الشهداء خارج مكة في طريق جدة . والشهداء سهل يبعد عن جرول اي طرف مكة الغربي نصف ساعة .

الفصل الثامن والاربعون

الطيارات

كان هناك اناس لا يرضون بالسلم ، منهم في مكة الاخوات وبعض الاشراف ، ومنهم في جدة الجندية وجماعة من وجهاء الاهالي المناوئين للبيت الهاشمي . وقد كان لكل فريق من هؤلاء ، في مكة وفي جدة ، غرض خاص في مقاومة المتوسطين وافساد مساعيهم . على ان غرض الاخوان اطهرهم لانه ناشيء عن عقيدة راسخة في النفس ، ومجرد عن المنافع الشخصية . اما الآخرون ، اي الجندية والمناوئون للبيت الهاشمي في جدة ، فقد كانوا ينشدون اما الشهرة ، واما الانتقام ، واما المنفعة . وسنسردهم الحوادث تبياناً وبرهاناً .

عندما جاء الاذن من السلطان عبد العزيز بارسال رسولي العويني اليه ، كمر الملك علي اوامره الى القيادة العالية في ان تؤجل ارسال المنشور الحربي الى اهالي مكة الى ان يصدر امر آخر بخصوصه ، وان تحتفظ بالنسخ فلا تأذن بنشر نسخة واحدة منه ، وان تشدد على الطيارين بان لا يتجاوزوا في استكشافهم بحرة .

واكن القيادة العالية تجاوزت الامر الملكي . ففي اجمادى الثانية (٢٧ ديسمبر) اي بعد يوم من سفر النجباء وهو يحمل الى عظمة السلطان جوايي وفيه الشمس ان يعين مكاناً لاجتماع وفود السلم . بعد ظهر ذلك اليوم طارت طائرة الى مكة ، ورمت في الابطح وفي المخيم السلطاني بالشهداء نسخاً من منشور الملك علي ، المنشور الحربي الى الاهالي (١) .

(١) جاء في هذا المنشور : « لقد جمعنا شعنا واقبل اخوانكم الينا من كل حدب وصوب حتى اصبح لدينا والحمد لله من الرجال والعتاد ما يرد كيد العدو في نحره . ولقد جهزنا جنودنا بكل الوسائل الفنية والامدادات الحربية ، وما نحن على اهبة الرحيل اليكم وتطهير بلادنا من المفتصب لها . ستبدأ طياراتنا بالتعليق في جوكم لتمطر العدو وابلا من القذائف النارية . كونوا على ما نعهد فيكم من الثبات والطمأنينة والشجاعة . . . ولا تجعلوا



حسين العويني

وكانت قد طارت منذ يومين ، اية قبل انقضاء مدة التأجيل التي امر بها الملك ، فتأهدها العويني بعد خروجه ذاك اليوم من المخيم السلطاني وعند وصوله الى التمهيسة . سارعت الى القصر واجه الملك ، فادهشني منه انه جهل الامر . وما كان الوزراء ولا رئيس الحكومة عالمين به . ففرع جلالته الجرس الصغير على المائدة الصغيرة امامه ، فجاء احد كتبة الديوان فقال له : « نادي تحسين باتنا ليحضر حالاً » . جاء تحسين ، وأقر ان الطائرة تجاوزت بحيرة ، ولكنه انكر انها رمت نسحاً من المنشور .

اما السبب في تجاوز الاوامر — كلام الباتنا — هو ان خلاصاً صغيراً في المحرك حمل السائق على الاسراع في السير ليقبى الطائرة من السقوط الى الارض ، فطارت بحكم الاسمرار في خط مستقيم طيرة طويلة ، فلم يتمكن اتناء ذلك من ضبطها وردّها . لم يفه جلالته بكلمة . انما اوماً برأسه انه مقتنع ، فقلت وفي صدري غضب مكوم : « لا اظن يا باتنا ان هذا السبب كافٍ لتبرير التجاوز . وانت ادرى بنتيجة المخالفة للاوامر العالية في ايام الحرب » .

فقال تحسين : « ما هو بالامر المهم » .

فقلت : « كل امر ملكي مهم يا باسا » .

فكدم اذ دالّ حلالته محاصبا القائد بالركية ، فنهض مسالماً . اعترف .

وفي اليه السالي حآ تي فاصيل احادت ، فاستت خفي ان تحسبياً . يندق

الملك لحر ، فادرت الى القصر وكلمه حلالته قائلاً : « ماذا يقول السلطان

للعنو سبلا الى الفرار . . . واعملوا لتطيس وطكم بكل ما اوتيتهم ، فالوطن اعلى من كل شيء لديكم » .

وفي جواب الملك علي على كتاب اهل مائة الذي يطلبون فيه الارزاق . المؤرخ في ٢٥ حمادى الاولى ، ما يلي : فان كان هو [ابن سعود] وادناه يحترمون حرم الله وحيراه ويعملون مثل عملي ويخرجون الى خارج الحرم فهناك نظهر حوائجهم ان شاء الله ويرون كيف يكون الذود عن الحاض والدناء عن الحورة . وان لم يجرحوا ولبوا . مكاهم حامدين ، اننا سواهم من بين ايديهم ومن خلفهم . ومن فوقهم [الطيارات] حتى تكون كلمة الله هي العليا

قد كان في القصر كما كان في القشة اناس لا يملك الملك علي قيادهم

بعد ان يقرأ كتابي ثم يشاهد طيارتكم ويقرأ منشوركم الحربي ؟ لا شك انه يقول
 اتي اما مخدوع واما مخادع . ان هناك مؤامرة يا مولاي لافساد مساعينا السلمية ،
 ونقطة الدائرة لتلك المؤامرة هي القشة . نعم ان هناك زمرة من الضباط وغيرهم
 لا يريدون السلم . وانا اسعى بكل ما عندي من القوة ، ومن الحب والاخلاص
 لكم ولاين سعود ، في سبيل السلم . فاذا كنتم حقاً تبغون السلم فعليكم بالشدة في
 تنفيذ اوامركم . القيادة العليا لجلالتكم لا لتحسين الفقير واركان حربه . ويجب ان
 توقفهم عند حدودهم . يجب ان تتخذوا خطة العزم والشدة في تنفيذ اوامركم .
 وحتي ان اطلب ذلك ما زلت ساعياً في سبيل السلم وما زلت انتم راضين بسعيي «
 عند ذلك اخذ جلالتيه يدي بيده وقال : « اني اميل الى حسن الظن
 بالناس ، ولا امي » الظن الا بعد التثبت والتحقيق . وقد تحققت اشياء — تحققتها
 يا امين — وسياسر فلان وفلان وفلان في الباخرة القادمة . وساوبخ تحسين
 باشا ، ولكني افضل ان يكون ذلك في مجلس خاص له » .

خرجت والشيخ فؤاد اذ ذاك من المجلس وعرجنا على مكتب رئيس الديوان .
 ثم جاء تحسين امثالاً لامر جلالتيه وخرج من المجلس الخاص متغيظاً . وفي
 ذاك اليوم صدر امر ملكي بنقل اعداد المنشور كلها من القشة الى القصر
 وبجس ضابط المراقبة عشرة ايام .

اجتمعت بعدئذ بهذا الضابط ، وهو عبد الفتاح اللاذقي ، فسألته ان
 يصدقني الخبر ، فقال : « عملت والله ياوامري . نعم طرنا فوق الابطح والشهداء
 ورمينا المناشير » .

اعود الى مذكراتي في تلك الايام

٣ جمادى الثانية (٢٩ ديسمبر)

لم يعد النجباء . اخشى ان يكون المنشور قد اثار غضب السلطان فيعدل عن
 خطته السلمية .

وكأني احسست وانا في جدة بما هو جار في مكة . فقد عقد في ٤ جمادى
 الثانية بالشهداء مجلس حربي ترأسه السلطان وحضره جمع من القواد والاخوان ،

فتكلم فيه ابو حميد ابن بجاد مخاطباً الامام عبد العزيز :

« اننا نعلم ان لاصلاح في امر دين وديننا للمسلمين عموماً ولهد البيت واهله خصوصاً بوجود الحسين واولاده في الحجاز . فاذا كان هذا ثابت عندنا ونعقدده ديناً فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم ؟ فان كنت تخاف على احد من رعايا الاجانب او احد من اهل جدة فلك منا العهد والميثاق اننا لا نمتهم بشر - الا من يبرز منهم لقتالنا او بلانا بنفسه ، ونحن كما تعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه والآن فلا بد لنا من احد امرين . الاول ان تعلمنا الطريقي الذي يجب ان نسير فيه ونحن نكفيك مؤونة الامر . الثاني اذا كنت لا توافق في الزحف لما تراه من الامور التي انت اعلم بها منا ، فلا يجوز ان نظل بعيدين عن اعداء الله هذا البعد . بل يجب ان تقرب منهم ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم . اما الامر الاول فهو مرامنا ، واما الثاني فليس الامرضاة لخاطرك « يا امام » لان الله اوجب علينا طاعتك » .

ثم تكلم خالد بن لوّي فقال :

« يا عبد العزيز اني اقول كلمة وان كانت تغيظك . كنا نتحدث فيما بيننا ونقول : قد بدل عبد العزيز الشجاعة بالجبانة وكنا قبل قدومه نتمنى قدومه . اما اليوم فصرنا نقول : ليتته ظل في بلده بعيداً عنا . فان كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن القوم فينه لنا حتى تتبعه . وما نحن الا خدام الشرع . واذا كان لا قصد لك غير الشج بانيفسنا عن الموت فما من احد يموت قبل يومه . وما نتمنى والله ان نموت الا شهداء . فاي قتال تراه افضل من قتال الحسين واولاده ؟ واي عمل جاء فيه الضرر للاسلام والمسلمين اكثر من عمل الحسين واولاده ؟ » .

هذه من اخبار مكة الرسمية . اعود الان الى مذكراتي .

٧ جمادى الثانية . (٢ يناير ١٩٢٥)

غيمة سوداء في سماء السلم . كنت في مجلس الملائك صباح اليوم عندما وصل رسول من مكة يحمل الى جلالته كتاباً سريراً من احد انصاره هناك ، فاخبر

الرسول ان جنود خالد ثقلت من الابطح ، ولا يدري احد اين توجهت ، وان
خالداً هو عند السلطان بالشهداء ، وان السلطان يتأهب لنقل الخيم الى بخره .
كان الملك قد قرأ الكتاب ووضعوه وهو عابس مضطرب في جيبه . ثم
اخرجه ولعاد قراءة شيء منه على مسمع رئيس الحكومة ووزير الخارجية
ومسمعي . — اجتمع ابن سعود بالاشراف — اشراف الحرث والفقور
والعبادلة . وتباحثوا في انتخاب ملك الحجاز . وكان الاجتماع في قصر الملك
حضره من المعروفين الشريف شرف عدنان والشريف باتا العبدلي والشريف
هزاع بن قن بن منصور .

هؤلاء اعداء السلم في الجهة الاخرى بمكة ، فترامهم وقد ناصروا ابن سعود ،
يخافون على انفسهم اذا عاد علي . وقد قالوا للسلطان عبد العزيز : « اتصالح من
عادينا من اجلك ؟ اتركنا في بلادنا ينكل بنا ونحن الان من رجالك ؟ »
٧ جمادى النائية مساء الجمعة .

وصل جماعة من اهل جاوه من مكة فاخبروا ان ابن سعود ومعه نحو الف
من جنوده وصلوا الى حداء .

في مجلس الملك : دخل تحسين باشا الفقير وعارف باتا الادلي ووزير البحرية
والبحرية وعلى وجهيهما سياء الغضب والاضطراب .
احد الوزراء : « ملنا ان الاخوان مشوا من بحرة ، وقريباً يصلون الى
الرقامة » .

الوزير الآخر : « يجب ان نرسل عليهم الطيارات ، لعنهم الله ولعن
اجدادهم » .

الوزيران : « غداً صباحاً نرسل الطيارات كلها عليهم فتمطرهم النار
والرصاص وتفنيهم ان شاء الله » .

ثم احتدم الجدل ، فقال وزير البحرية : « هذه المساعي السلمية تحول
دون تنفيذ خطتنا العسكرية » .

وزير البحرية : « بل افسدت علينا خطتنا واضرت بمصلحة جلالكم ومصالح

البلاد» .

قلت : « ومن افسد المساعي السلمية يا باشا ؟ والله لو كنتم مخلصين لمصلحة

جلالة الملك ومصالح البلاد لتقيدتهم باوامره العالية » .

الملك : « قد تغيرت الوضعية يا استاذ — ويجب ان نختاط للامر . يجب

ان نباشر الان الدفاع » .

الوزيران : « غداً صباحاً تطير الطيارات » .

— « قبل ان يعود النجاب ؟ » .

— « النجاب لا يعود » .

— « قلت هذا القول في المرة السابقة . ثم عاد النجاب وسرّكم الجواب »

طلبت ان تؤجل الحركات العسكرية يومين آخرين ، الى الاحد ، فأجيب

طلبي على شرط ان اكتب في تلك الساعة الى ابن سعود استعجل جوابه .

فكتبت اقول : « علمت هذا المساء ان رجال عظمتكم وصلوا الى حداء في صورة

حربية ، فاخذني من ذلك العجب . وارجو ان يكون الخبر مكذوباً . في مكل

حاله التمس الجواب العاجل » . ثم كتبت الحاشية الاتية : « الطيارة التي

اشرفت على مكة تجاوزت الاوامر فعوقب الطيار بالحبس » .

السبت في ٨ جمادى النانية .

طار الطيار الرومي صباح اليوم الى وادي فاطمة ، فخلق فوق بحيرة وحداء

والشمسية ، وعاد يقول انه لم ير ابن سعود ولا جنوده ولا احداً من البشر او

الحيوان في الطريق . — اين الاخوان الزاحفون من بحيرة ؟

الاحد في ٩ جمادى النانية صباحاً .

نائب قنصل هولانده على الهاتف : « وصل جماعة من مكة في هذه الساعة

ولك ان تستخبرهم اذا شئت » بادرت الى القنصلية فعلمت انهم عادوا من مكة

يوم الجمعة بعد الصلاة في الحرم ، ولم يكن هناك كثيرون من المصلين ، وانهم عند

خروجهم من جرويل رأوا قافلة من الجمال وفيها بين الاحمال ثلاثة مدافع ، وانهم

عند وصولهم الى حداء رأوا فيها خياماً عديدة ، نحو مئتي خيمة . هناك وقفت

القافلة وهناك بات الجاويون . وفي صباح اليوم التالي السبت ، رأوا طيارة تطير فوق حذاء وقد اطلق عليها الاخوان بنادة (هي الطيارة التي طارت الى الشميسة كما ادعى الطيار والمراقب وقالوا له . لم ير يا احداً في الطريق) .
جئت من القنصلية الى القصر ، فقال الملك بعد ان اخبرته عن الطيارة التي اطلق الاخوان عليها الرصاص : « قد تكون الغيوم حالت دون رؤيتهم » . وكيف انها لم تحل دون الطيارة ونظر الاخوان ؟

دخل اذ ذاك الحاجب يقول : الوكيل الانكليزي . وكان الوكيل قد جاء يهنيء الملك بصحته . وبعد قليل دخل تحسين باشا فدق مهازري جزمته دقة مربعة شديدة ، وسلم ، ثم استأذن بكلمة خاصة . فقال الملك : مهمة ؟ فاجابه : مهمة جداً ، ومشى وراء جلالته الى الغرفة المحاذية للمجلس . وما هي الا دقيقة فعاد الاثنان يتسلمان والملك يقول : « جاؤوا — نحو مئتين خيال منهم . رأيتهم القيادة خارجين من بين الجبال » . وقال تحسين يحاطب الوكيل الانكليزي : « انا رأيتهم بعيني . صاروا في السهل » .

صدر الامر باطلاق المدافع عليهم ، وبادر كل من في القصر ، من الشريف محسن الى اصغر العبيد ، الى البندقية وزنار الخرطوش ، ووقف جلالته وبعض حاشيته في شرفة القصر يراقبون السهل بالنظارات .

دعاني الوكيل الى دار الوكالة لان له منظرة تشرف على السهل كله ، فخرجنا من القصر ونحن نلامس ، رغم الاستعداد ، الخوف والذعر . وقد ظن الناس ان الاخوان يهاجمون خط الدفاع في ذاك اليوم ويخترقونه فيدخلون المدينة . لذلك اقلت المخازن ولجأ الاكثرون الى بيوتهم .

وكانت المدافع تطلق الطلقة تلو الاخرى على الاخوان . واين الاخوان ؟ كنا نرى من منظرة دار الوكالة البريطانية غباراً هنا وهناك ، في اطراف السهل ، غباراً ثثيره القنابل المتفجرة ، ولا احد في جوارها .

ثم خرجت الخيالة من بين الجبال ، فعادت تجاه الخط الى الجنوب . وظهرت فرقة اخرى في الشمال الشرقي من السهل . هي خيالة التوحيد ! نحو ثلاثمئة منهم .

جالوا في ذلك السهل في رابعة النهار جولات عدة ، وقنابل المدافع تثير الغبار بينهم حيناً واحياناً وراءهم . وقد كانت هناك قطعاً من الغنم فساقوه امامهم وهم يتراجعون . وكان قد خرج اليهم ثلاثون من خيالة الدروز في الجيش الحجازي ، فجالوا مثلهم بضع جولات ، ووصلوا الى نزلة بني مالك التي ظنوها مكنة لبعض الاخوان ، فلم يجدوا احداً هناك .

وفي ذلك اليوم ، ساعة الظهر ، وصل النجباء عائداً من مقر السلطان يحمل اليّ جواباً هو ، لما تقدم من الاسباب ، عكس جوابه الاول .

الفصل التاسع والأربعون

علينا وعلى رسل الرمة

عاد السيد طالب النقيب من جدة حاتقاً على ابن سعود . وعاد المسترفلي مريضاً فكان حنقه على جدة وكل من فيها . وسافرت انا منها حاملاً في حقيبي قبيلة من قبائل المدفعية النجدية .

ولكني قبل ان ظفرت بها عرضت نفسي لقنابل الغضب السلطاني . ذلك لاني لم اقطع الامل وازرع الرحيل قبل ان استنفدت كل ما في الوسع ، واغتمنت كل فرصة سنحت ، في سبيل ما جئت جدة من اجله .

نعم ، كنت اعتقد واتيقت ان الخير كل الخير في الصلح بين نجد واخجاز . وما همني ان تحرح كرامتي في هذا السبيل . لا والله . فما كرامة المرء اذا قيست بكرامة الامة ؟ وما ضر امريء اذا اُصد في سبيل وطني شريف . بل ماضره اذا استطاع ولو في تعريض نفسه للاهانة ، ان يحقن دماء المتحاربين من اهل وطنه ؟ ان اصالة الرأي في مثل هذه الحال لفي التضحية الشخصية ، والذي يميز المجاهد المخلص هو اخفاق السعي لا امتهان الحرمه .

كتبت الى عطمة السلطان عبد العزيز مظهراً دهشتي من الانقلاب السريع في خطته ، كتبت اليه مكالوماً ، وكتبت اليه لوماً . فاجابني بلهجة فيها اثر للغيظ ولكنها لا تحلو من العطف ، ولا تتلو حتى من امل كنت اقرأه بين السطور . فلم يقفل الباب على الثالث من رسل السلام الا في كتابه الاخير .

وقد كان يكرر قوله : « ان الشريف علي دعانا للمناجزة ^(١) فليباه لم نشأ ان نحمل الشريف علي مؤونة القدوم الى الحرم ، فزحفنا اليه وامرنا ان

(١) اشارة الى المشور الحربي الذي رمت الطيارات في الابطح بمكة وفي المخيم السلطاني



٢١٠ - ٢١١

مقر الملائل الأحمر

يكون قسم من جنودنا على كشب منه . فليبر بوعدده اذا كان من الصادقين » .
ومع ذلك ظلمت مقيماً على ظني ان الصلح ممكن حتى بعد المناوشات الاولى
خصوصاً لان في العشرة الايام التي تلت الهجوم الاول لم تبدُ من الاخوان حركة
ما ، ولا ظهر شيء من طلائعهم في سهل جدة . وعندما حضر طبيب التكية
المصرية بمكة وهو عائد بالاجازة الى مصر ، اجتمعت به في مخيم الهلال الاحمر
فظهر لي من حديثه انه عالم بشيء مما كتبتة الى عظمة السلطان . وتقل الي
بعض كلمات دلت على انه من الذين يحضرون مجلس عظمتة الخاص . وما قاله :
« السلطان يحترمكم وينوه دائماً بذكركم ، فاكتبوا اليه مرة اخرى ولكن لطفوا
اللهجة » . تم تطرق الى ذكر الهلال الاحمر وسألني بل الخ علي ان اسعى لدى
الحكومة لتأذن بارسال قسم من البعثة الى مكة .

الهلال الاحمر المصري يستوجب كلمة في هذا التاريخ . فقد ارسلت الجمعية
المركزية في القاهرة بعثة الى الحجاز مؤلفة من ستة اطباء وصيدلي وثمانية ممرضين
واربع ممرضات وحكيمة واحدة ، وكات البعثة مزودة بكمية وافرة من الادوية
والعقاقير ، وبمستشفى متنقل مؤلف من ستين سريراً بمعداتها اللازمة .

نصبت هذه البعثة خيامها في الطرف الجنوبي من جدة عند وصولها ، ثم
نقلت الى الطرف الشمالي ، الى مكان اطف وافسح من الاول ، على شاطئ
البحر ، وراء القنصلية الافرنسية ، وامام البيت الذي كنت مقيماً فيه . فكنت
ورئيسها الدكتور حسن حلمي كراهه تزاور من حين الى حين .

وعندما ظهرت طلائع الجيش النجدي في ٤ يناير ، وقطع الناس الامل
بمفاوضات الصلح ، طلب الدكتور كراهه من الحكومة ان تأذن بارسال قسم من
البعثة الى الجهة الاخرى لتم وظيفتها ، فرفضت الحكومة قائلة ان الطريق غير
آمن وانها لا تستطيع تأمينه . فجاء رئيس البعثة يسألني ان اعرض المسألة على
الملك فوعده بذلك . وفي ذاك الصباح ، بعد خروج الدكتور ، زارني رئيس
الحكومة فكلمته في الموضوع وبيانت ل الخطأ في رمض الطاب ، لان المتروع
خيري ولا دخل فيه للسياسة ، الى ان مات : « هؤلاء رسل الرحمة فلا يجب

ان يقال فيكم انكم صدقتموه عن العمل الذي اتدبوا له .
وعدني عطوفة الرئيس خيراً ، ولكنه بعد يومين ، عندما راجعته في
الموضوع ، قال معتذراً : « لا جمال عندنا لنقل البعثة واحمالها . من
لهجة ان هناك غير هذا العذر بما لا يجوز التصريح به .

ثم جاء طيب التكية بمكة يجدد الطلب ، فسألته : « وهل يرسل السلطان الى
منتصف الطريق جماً لنقل احمال البعثة ؟ » فاجاب : « نعم هو يرسل خمسين
جماً » فذهبت اذ ذاك الى القصر وعرضت الامر على الملك علي . سأله باسم
الانسانية ان يأذن بارسال جزء من البعثة الى ما دون الخط ، وقلت انها فرصة
اغتنمها لا كتب الى السلطان مرة اخرى في موضوع السلم . بل هي فرصة يجب
ان يغتنمها جلالته ليظهر ان لا حقد في قلبه على المصريين . واذا لم تأت بفائدة
سياسية فلا اظن انه يحول دون فائدتها الاصلية الشريفة . الهلال الاحمر
خير محض ، لا سياسة له ، ورجاله رسل الرحمة .

فقال الملك ، وقد وضع يده بلطف على يدي : « هل هو محض خير
يا استاذ ؟ » ثم امر اليّ السبب الحقيقي في رفض الطلب . — « قد جاءني
كتب من مصر يحذرنى اصحابها من هذه البعثة الخيرية . اكد يا استاذ انها
ليست محض خيرية . ان لها صبغة سياسية ، وان لم تظهر للعيان . وانت تعلم
موقف مصر السياسي تجاه الحجاز في السنين الاخيرة . فهل الام ، والبلاد في
حرب ، اذا تحذرت ؟ وهل كنت انت لتساهل في الامر لو كنت من المسؤولين
في الحكومة ؟ » .

سمعت كلام الملك ولكني لم اقتنع . وحزنت لانني لم استطع ان اقنع
جلالته بما اعتقده في تجرد البعثة عن السياسة . وهب ان ما جاء الملك علي من
المعلومات هو محقق كله انما كان في وسعه وهو المعروف بكرم الاخلاق ،
المتصف بالسهامة ، ان يحسن معاملة اعضاء البعثة فيستميلهم اليه ؟ لم ار مرة في
مجلسه احداً من الاطباء المصريين . وما علمت انه مرة دعا رئيسها للطعام مثلاً
في القصر .

نعم قد كان في امكانه ان يكتسب ثقة رجالها ويستخدمهم ، اذا فرضنا ان ذلك ممكن ، لغرضه . قد كان في امكانه ان يصلح من هذا القبيل ما افسده والده ، فيغتنم الفرصة التي سنحت البعثة بها ليعقد حبل الولاة بينه وبين مصر ، وليفتح باباً جديداً للسلم بينه وبين ابن سعود .

عدت من القصر يائساً . ولكنني مع ذلك كتبت الى السلطان عبد العزيز كتاباً آخر اقول فيه اني لا ازال في جدة وعل في بقائي ، نظراً لتطور الامور ، فائدة لعظمته ، فجاءني منه الجواب الذي فيه فصل الخطاب .

ثم ختمه في صباح اليوم التالي بقنبلة انفجرت في الشارع امام البيت الذي كنت مقيماً فيه . وتلتها قنبلة انفجرت خارج السور ، في مخيم الهلال الاحمر ! ان الحرب قائمة ، وهي ذي قنابلها نذر رسل السلام ورسول الرحمة معاً .

الفصل الخمسون

المنجزات والمطامير

قبل ان نسرد المهم من حوادث هذه السنة ، سنة الحصار ، اي بعد ظهور الاخوان للمرة الاولى في سهل جدة الى يوم التسليم ، يجب ان نحيط القارىء علماً بقوات الفريقين وبخططها الحربية -

عندما بويع الامير علي بالملك ، بعد تنازل الملك حسين ، ارسلت الحكومة الهاشمية الى الامير عبد الله في عمان اربعين الف ليرة ليبذلها في التجنيد ، وفي شراء العدد الحربية من اوروبا ، خصوصاً الطيارات والسيارات المصفحة .

بأمر الامير التجنيد بمساعدة بعض الزعماء بفلسطين ، نجحت فرقة المتطوعين الاولى في ربيع الاول من هذا العام ، كما اسلفنا القول ، وتلتها فرق اخرى حتى بلغ الجند النظامي نحو الف جندي يوم كنت هناك . ثم جاء في شهر رجب فرقة عددها مئتان وثلاثون ، وفي رمضان فرقة اخرى عددها خمسمئة .

ولكن هذا الجيش كان معرضاً لعاملين مستمرين في توقيص عدده هما المالاريا والذنتاريا ، ثم الوفيات والاصابات في المناجزات . والذي يقال في النظام يصح في البدو وعددهم في اعلى درجة لم يتجاوز الالف والخمسمئة مقاتل . اما المال فلم يكن للحكومة ، بعد ان نفدت خزنتها ، غير مصدر واحد هو الحسين في العقبة . فقد جاءت « الرقمتين » في شهر رجب تحمل صندوقين فيهما خمسة عشر الف ليرة ، وجاءت في رمضان بخمسة آلاف اخرى ، ثم في شوال ابجرت « رضوى » من العقبة وهي تحمل لمساعدة الجيش عشرين الفاً من الذهب .

وفي هذه الاثناء فرضت الحكومة على التجار قرضاً قيمته اثنا عشر الف ليرة .
ثم نقل الحسين من العقبة — بعد عن جدة والبعد جفاء — فلم يرسل بعد
ذلك غير دفعة واحدة صغيرة اي خمسة آلاف ليرة . فاخذ العسر المالي منذ ذاك
الحين يشتد يوماً فيوماً ، حتى اضطر الملك علي في صيف هذا العام ان يرهن اطيانه
الخاصة في مصر لقاء قرض قيمته خمسة عشر الف جنيه .

ومع ان مجموع ما صرف في سنة واحدة من الحرب لا يتجاوز المئتي الف
ليرة ، فلولا الاسراف — والاختلاس — في شراء العدد الحربية والذخيرة لكان
العسر المالي اخف على الملك وحكومته . لا نذكر غير مثل واحد من الفحش سيء
ارباح الوكلاء والسامرة . فقد دفعت الحكومة سبعة آلاف ليرة انكليزية ثمن ثلاث
طائرات قديمة جاءت من لندن ، وهي لا تساوي بالاكثير غير الف وخمسمئة
ليرة . قبل ان جاءت هذه الطائرات كان عند الحكومة الهاشمية خمس ايطاليات
لا يصلح منها للعمل غير واحدة . ثم جاءها من المانية في الصيف ست طائرات
جديدة تحمل الواحدة من البنزين ما يكفيها لتطير ست ساعات ، وهي مجهزة
بالمدافع الرشاشة ، ومعها قنابلها الخاصة بها .

اما الطيارون فقد كانوا في اول الحرب روسيين من الحزب القيصري ،
وكانوا في اخرها من الالمان . وكان فترة بينات محيي هؤلاء وذهاب اولئك
فتوقفت فيها حركة الطيران . وهناك اسباب اخرى لما كنت في هذا السلاح
الحربي من النقص وعدم الكفاءة . فالطيار الاجنبي حريص على حياته فلا يطير
واطناً ليعيب اذا رمى ، او ليرى اذا طار مستكشفاً . ولم يكن لدى القيادة
العامة في بادىء الامر قنابل خاصة ، فاصطنعت من القذائف ما لا تأثير كبير
لها ، اللهم اذا انفجرت طبق الحساب . ولكن اكثرها كان ينفجر قبل او بعد
الوقت المعين . ناهيك بالبنزين فلما كان لدى الحكومة دائماً الكمية الكافية منه .
وقصة المصفحات شبيهة بقصة الطائرات من وجهين هما غلاء الثمن وقلّة الفائدة .
فالسيارات الخمس الاولى ، التي خاضت معارك الحرب العظمى ، جاءت وصفائحها
مفككة ، فظل العمال في « الورشة » يشتغلون شهراً في تأليفها وتركيبها . وهي

لأتسير غير ساعتين سيراً متواصلاً فتحتاج اذ ذاك الى الماء . اما الاثنتان .
اللتان جاءتا بعدئذٍ فجديدتان هما ، ومجهزتان بالرشاشات . وقد كانت القيادة
تبني عليهما آمالها العالية .

ولكن السيارات التي افادت أكثر من سواها هي تلك النقالة من صنع
« فرد » فكانت لنقل الذخيرة من المدينة الى القشلة والى الخط ، ونقل الجنود
المصابين بالمالاريا والذنتاريا ، وبعدئذٍ الجرحى من الخط الى المستشفى في المدينة .
اما المدفعية فقد كان في الاستحكامات ، يوم كنت في جدة ، اثنا عشر
مدفعاً صغيراً وكبيراً ، وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل . ثم جاء من ينبع
ومن العقبة مدافع اخرى صحراوية وجبلية واثنا عشر رشاشاً ، وجاء من المانية
مع المصفحتين عشر رشاشات والف وخمسة بندقية مع حرايبها ، فاصبح على
الخط نحو عشرين مدفعاً وأكثر من ثلاثين رشاشاً .

وقد كان لدى الجيش الهاشمي القنابل الكشافة التي تثير المكان الذي تنفجر
فيه ، كما انه استخدم الابوار الكشافة لكشف حركات العدو في الليل . اضيف
الى ذلك كله ما وضع عند ابواب خط الدفاع امام الاسلاك الشائكة من
الالغام ، ثم الاسلاك نفسها .

وقد مدت هذه الاسلاك على عمد من خشب طولها متر واحد في خط مفرد
من البحر شمالاً الى الكندرة شرقاً بجنوب ، ومنها جنوباً ثم غرباً بجنوب الى
البحر ، فبلغ طوله في هذا الشكل ، شكل الهلال ، نحو ستة اميال . ثم حُفرت
وراء الشريط الخنادق ، واقامت الاستحكامات . وبين الخنادق ووراءها ربي
ومكان من استخدمت للكشف والدفاع . وقد قسم هذا الخط الى مراكز ستة ،
مرتبطة كلها بواسطة الهاتف بالقيادة العامة في القشلة . وهذه المراكز هي ابو
بصيلة ، والشرفية ، والكندرة ، والمشاط ، والعقم ، والطايبية اليمانية . فالطايبية
هي جناح الجيش الايمن وابو بصيلة جناحه الايسر .

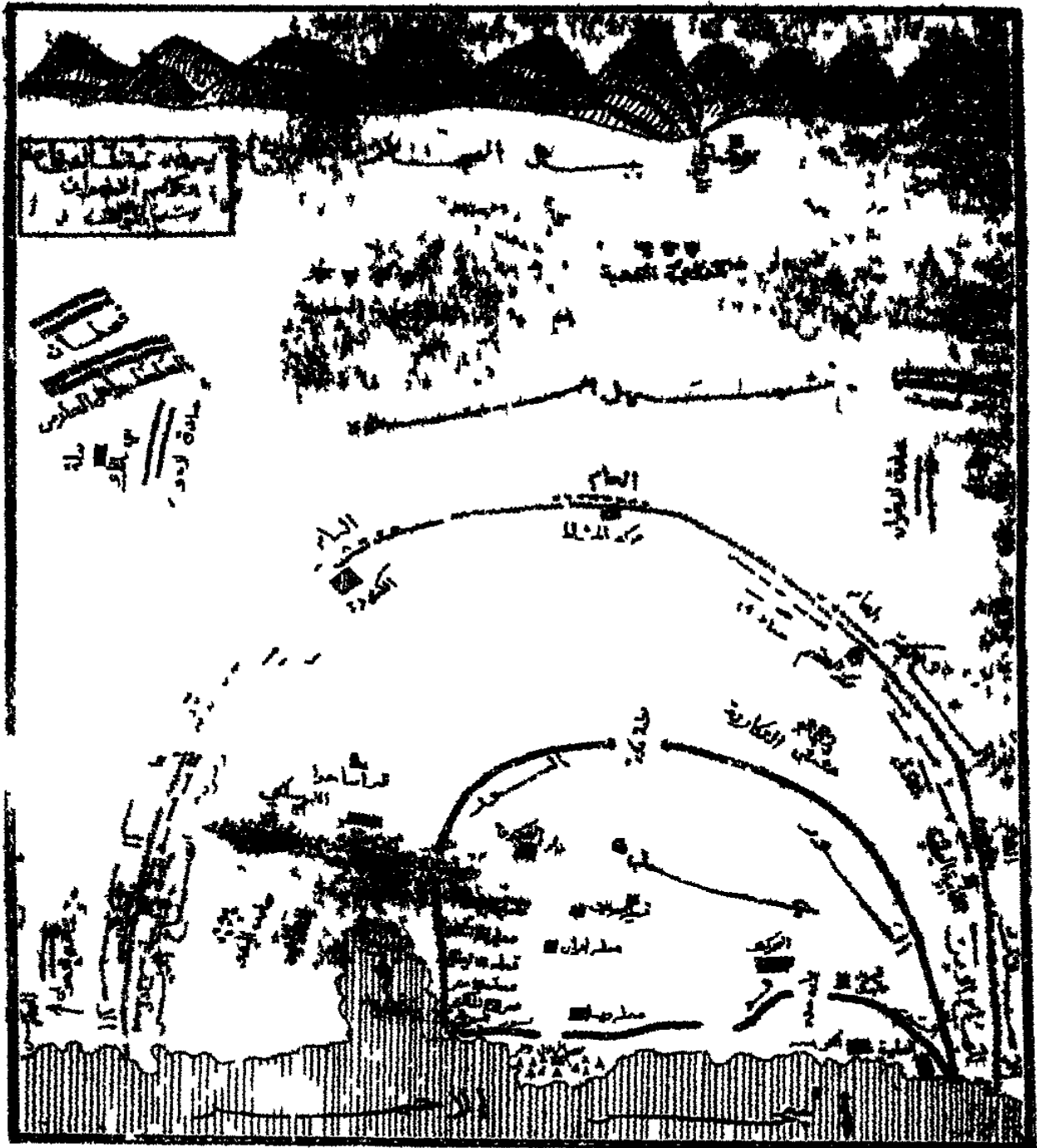
وهناك خارج الخط النزلة اليمانية ، وهي قرية مهجورة على مسافة ميلين من
جدة الى الشرق الجنوبي ، وفيها حامية من البدو صغيرة ، مئة نفر لا غير .

ونزلة بني مالك على مسافة ميلين من جدة الى الشمال الشرقي ، وفيها حامية اخرى صغيرة من البدو ، تم الرويس وهي اقرب القرى الى جدة من الشمال . هذي هي قوات الجيش الهاشمي وعُمدته في الدفاع . اما عُدَد الجيش النجدي فقد كانت محصورة بالمدفعية والبنادق والرشاشات . ان في القصر بالرياض مدافع كثيرة من انواع مختلفة ، ولكن السلطان عبد العزيز لم يأمر بجلب شيء منها الى الحجاز . اما المدافع التي استخدمها في هذه الحرب فقد غنم جيشه بعضها في الطائف والهدى ، ووجد اكثرها في مكة ، وكلها صالحة للعمل . وهي من المدافع الصحراوية والجبلية من عيار ٦٤ و ٧٤ ، وعددها لا يقل عن العشرين مدفعا ، كانت تظهر تدريجاً ، او بقدر ما يمكن الاستعمال منها في وقت واحد . وكان لدى الجيش النجدي رشاشات كثيرة وكية وافرة من الذخيرة وجدوا اكثرها في قلعة جباد بمكة .

اما الجنود فقد كانت القوة في المعسكر يوم الزحف الاول اربعة الاف ، والقوة الزاحفة مثلها ، وفيها من الاخوان الغططة ، واهل ساجر ، واهل دُخنه ، وقحطان ، والداهنة ، ورُكبه ، وغيرهم . وفيها من الحضرة الوبة من اهل القصيم ، واهل العارض .

ثم جاء في رمضان فيصل الدويش امير الارطاوية بجيش من مطير ، وتلاه اهل سبيع والسهول ، وبعد هؤلاء وصل الامير فيصل عائداً من نجد بنجدة كبيرة فبلغ عدد الجيش في الجبهة ووراءها نحو عشرة الاف . اُضف الى ذلك الجنود الذين كانوا محاصرين المدينة والسرايا التي كانت مرابطة حول ينبع والوجه والعلاء ، فيدنو مجموع الجيوش النجدية في الحجاز من الانبي عشر الف مقاتل . وقد كان توزيع الجيوش في جبهة جدة على الشكل الاتي : عسكرت فرقة الغطط في الجناح الايمن (جناح الحجاز الايسر) ، واهل دخنة في الجناح الايسر (جناح الحجاز الايمن) ، واهل ساجر في جبهة معاونة للجناح الايسر . وعسكر في القلب لواء قحطان من الهياتيم ، ووراء هؤلاء كلاً سرية من احياتة . ثم التحق بهم الجيش الذي كان في اليمن من اهل الداهنة ورُكبه ، فاصبح في

لجبة مجو اربعة الاف مقاتل .



رسم خط الدفاع وما دونه من مراكز الجيش السعودي وقد نقل قسم من المدفعية بعدئذ الى نزلة بني مالك والرويس

مشى هذا الجيش من مكة ومعهم الاوامر بان يحيط بجدة ويهاجم خط الدفاع فيناوش الجنود هنالك . لما الهجوم بقصد اختراق الخط والدخول الى المدينة فلم يكن ليقدّم عليه بدون اذن من القيادة العليا . مشى بموجب اوامره ، فاحتل سيفه اواخر جمادى الثانية النزلة الثانية ، ونزلة بني مالك ، والرويس . ولكن الاخوان الذين احتلوا النزلة الثانية اخلوها مرتين بعد وقعات مع جنود الحجاز ، ثم عادوا فاستولوا عليها . وبعد ان خربت — ضربها تحسين باشا بالمدافع وحرق الاخوان قسماً منها — اخلاها الفريقان .

على ان الاخوان ظلوا مرابطين في الجبهة الجنوبية امام الجناح الايمن من خط الدفاع ، وقد اصطدموا مراراً بمفرزات من الجيش الهاشمي كانت تخرج تارة للكشف وطوراً لاحتلال ابار الماء في تلك الناحية .

وبعد ان استولى الاخوان على هذه المراكز خارج خط الدفاع تقدموا في العراء وباشروا حفر الخنادق . ثم اقاموا عندها استحكامات حصونها باكياس من الرمل ، فصاروا يحاربون الجنود النظامية بالرشاشات والبنادق معاً . هي اول مرة على ما نعلم حارب الاخوان بطريقة منظمة حرب الخنادق . وكانت قد بدأت في آخر جمادى الثانية حرب المدفعية ايضاً ، فلم يتفرد فريق من الفريقين بالمفاجآت .

واكن الحكومة الهاشمية في هذا الشهر خسرت في ما سيرت للدهش والارهاب خسارة تعد في البلاد العربية جسيمة . ففي اصيل اليوم الثالث والعشرين من جمادى الثانية طارت الطيارة التي كان يسوقها الطيار الروسي «تشاريكوف» وفيها المراقب الضابط اللاذقي ، والكاتب عمر شاكر الذي دخل الى المطار خلسة ، كما قالت القيادة العامة ، فحشر نفسه مع الضابط السوري في مجلس واحد . وقد نزا بشاكر قلبه الى ضرب الاخوات من علي ولو بقنبلة واحدة . فعندما دنوا من المعسكر في الرغامة انفجرت القنبلة في الطيارة وهي تملو نحو القين قدم عن الارض فتحطمت في الجو . وقد شاهدناها من القشلة تطيح ومن فيها بين يدي الموت والقضاء . ذهب هؤلاء الثلاثة ضحية الاهمال في تنفيذ الاوامر

العسكرية . وكان تشاريكوف الطيار الروسي الثاني الذي مات هذه الميتة
الفضيعة في الحجاز . اما الاول فهو الذي طار الى الطائف عندما دخلها الاخوان ،
فسقطت طيارته بينهم ، فكانت خاتمة الوجود له ولها محزنة مرعبة .
لنعد الى حرب الاخوان . الذين كانوا يهجمون غالباً في الليالي المظلمة .
وذلك لغرضين : ليلقوا في قلوب الاهالي الرعب والذعر فينهضون على الحكومة ،
لويهاجرون ، وليحملوا الجنود على الاسراف بالذخيرة . وقد نجحوا في هذه الخطة
بعض النجاح . على انهم كانوا يهجمون غالباً هجمات هوجاء ، مستبسلين
فلم تُصرف عبثاً في كل حال ذخيرة الجنود الهاشمية . وقد كانوا يقربون جداً من
الخط . حتى ان رصاص بنادقهم وقع قرب قصر الملك ، وحتى انهم قطعوا بعض
الشريط واخذوه الى المعسكر العام .

اما الاهالي فقد كان الرعب مميّزهم ، والذعر جالسهم ، في تلك الليالي ،
لانهم جهلوا القصد الحقيقي من الاغارات ، فظنوا ان الاخوات يهاولون اختراق
الخط ، لذلك كانوا يسمرون كل ليلة ليلاً على انغام الرشاشات والبنادق
يقولون : الليلة يدخلون البلد .

على انهم كانوا يشاهدون لأول مرة اشياء جديدة في هذه الحرب . التي
الغنية معاً ، خصوصاً عندما كانت المدافع تطلق على العدو القذائف .
في سهل جدة ظلمات تبدو هنيئة كالأقمار المكسرة . ناهيك بالانوار الكشافة التي
كانت ترسل في ذاك السهل اسهماً بيضاء من اشعتها ، فيهتدي بها الاخوان الى
طريقهم — الى الابواب في الاسلاك الشائكة ، والى الالمام ! — والى الواهقين
في الخنادق . هناك كمت تسمعهم ينادون : « يا اخوانا يا اهل الشام ، ويا شمر ،
ويا حرب ، ويا عقيلات ، اخرجوا من الخط وانتم في وجهنا ، ووجه ابننا .
لا تخافوا . والله ما نريد لكم غير الخير — تعالوا الينا ونحن نرانكم والله يا اخواننا »
ولكن كثيرين من اولئك الجنود كانوا يجاربون عملاً باعقادهم ان الهبة
العربية لا تقوم الا بالبيت الهاشمي . اما الآخرون الذين اصطيدوا في عمارة
والعقبة ، والذين جاؤوا جدة مرتزقين ، فقد كانوا بين نارين ، ولم يكن لهم

ان يختاروا اصغر الشرين .

والى القارىء ، اتماماً لصورة الحوادث في تلك الايام والليالي ، امثلة نأخذها من التقارير الرسمية :

« تعرضت قوة من البدو على جناحنا الايسر في الساعة الخامسة (١١ افرنجية) من الليل فاصلتها مدافعنا ورشاشاتنا ناراً شديدة ، فانهزمت من حيث اتت تاركة عدداً من القتلى » .

♦♦♦♦

« بدأت مدافع العدو ساعة الفجر بالرمي المعتاد فقابلتها مدافعنا قدر ساعتين واسكنتها » .

♦♦♦♦

« طارت الطيارة الساعة ١ صباحاً لضرب معسكرات العدو وموضع مدافعه ، فالقت اربع قنابل وعادت » .

♦♦♦♦

وهاك امثلة من تقارير القيادة النجدية :

« في هذه الليلة مرت طائفة من جنودنا الى حدود العدو ، فاطلقت عليه النار فظن ان الاخوان يهاجمون على طول الجبهة ، فاخذ يوالي اطلاق المدافع والرساتات والبنادق من جميع المراكز . واستمر كذلك ثلاث ساعات دون ان يصيب احداً من المهاجمين » .

♦♦♦♦

« اخرجت القيادة الهاشمية مفرزة لكشف مراكز الاخوان فخرجوا من كامنهم اليها ، واعملوا فيها النار ، فسقط منها سبعة قتلى وفر الباقون » .

♦♦♦♦

كذلك في شهري رجب وشعبان كانت تحيا الليالي المظلمة بين المتحاربين . ما في النهار فقد استعرت بينهما حرب المدفعية التي استغوت في بادىء امرها على جدة ، فكانوا يسارعون الى خارج السور ليشهدوا قنابلها تتفجر عند الاسلاك

الشائبة ، وفي اطراف السهل بظل الجبال .

هناك شرقي الكندرة ، وعلى طريق مكة ، نصبت المدافع السعودية في الاشهر الاولى من سنة الحصار . فكانت تصل قنابلها في البدء الى ما بين مئة ومئتي متر من الاسلاك ، ثم داخل الاسلاك ، وهي تنقل الى الامام بعد حفر الخنادق ، ثم عند سور المدينة ، ثم داخل السور ، محرم اهل جدة اذ ذاك مشاهدة نارها ، ولكنهم لم يحرموا مفعولها . وقد كانت مسافة الرمي تتراوح بين الثلاثة والاربعة اميال .

حلقت القنابل فوق خط الدفاع فتساقطت في قلب البلد ، وقد اصيب مرتين بيت الوكالة البريطانية ، فاخرقت قبلة جدار غرفة النوم وتنبلة دخلت مكتب الوكيل . وقد اصيب ايضا بيت وكالة السوفيت فتكسر العلم فوق السطح . واستمرت تتقدم في تقدم المدفعية حتى وصلت الى الطرف الغربي من المدينة اي الى شاطئ البحر ، فزارت القنصلية الفرنسية وتفجرت في مخيم الهلال الاحمر ! عندما اصيبت الوكالة البريطانية والوكالة الروسية عقد التناصل مجلسا للبحث في المسئلة فقرروا ان يظلوا رغم هذه احوال على الحياذ . وقد أبرق رئيس الهلال الاحمر الى الجمعية المركزية في القاهرة يستأذن بالرحيل ، فلم تأذن الجمعية بذلك .

كان الضرب يبدأ صباحاً فيدلي الفريقان الفجر ويتبادلان بالقنابل السلام ساعتين او ثلاث ساعات ، ثم يُستأنف العمل بعد الظهر فيستمر حتى غروب الشمس ، فيوكل اذ ذاك كبير المخربين بالوداع . — وهذه قنبلة من « الاوبوس » يا اخوان ! — وهذه من عيار ١٢٠ يا ايها الشوام ! .

عندما اشتدت هذه الحرب المدفعية في شهر رجب وشعبان ، نصب النجديون مدفعا في الرويس ، فصارت قنابلهم تقع في الجهة البحرية من المدينة وفي قلبها ، فخرح وقتل عدد من الناس ، واستولى الرعب على الاهالي فشد كثيرون منهم للرحيل . بدأت الهجرة الى سواكن ومصوع وعدن في المراكب التجارية ، ثم طفق الناس يرحلون في السنايك الى الليث ، ومنها يرجعون الى

مكة . وكانت الحكومة راضية بهذه الهجرة لما فيها من التوفير بالماء والزاد للجنود .

على ان تلك الحرب المدفعية التي كانت يتفرج اهل جدة عليها ثم صاروا يفرون منها ، وتلك المناوشات في ظلمات الليالي ، لم تكن غير مقدمات للوقعة الكبيرة التي يجب ان تدعى بوقعة المصفحات . وهي المرة الاولى والاخيرة التي برز فيها في رابعة النهار القسم الاكبر من الجيش الحجازي لمنازلة الاخوان . في ضحى اليوم الثامن عشر من شعبان (١٤ مارس ١٩٢٥) شرع الخط يطلق مدافعه الكبيرة والصغيرة على الرويس ، وبعد نصف ساعة من هذا الضرب الشديد المتواصل خرجت خمس مصفحات من بوابة الكندرة فسارت ثلاث منها تجاه نزلة بني مالك واثنان تجاه الرويس . ثم مشى من مركزي الكندرة وابي بصيلة نحو الف من جنود النظام والبدو مقسومين الى ثلاثة اقسام ، تتبعهم سرية من الخيالة .

اما الاخوان فقد كانت فرقة من اهل دخنة في الرويس ، وفرقة اخرى في بني مالك . وكان اهل العارض والعلفط في الحط الثاني ، كما انه كان من الفرقتين في الجبهة الامامية اي في الخنادق ، وعدد الجميع لم يتجاوز يومذاك الالفين . عندما خرجت المصفحات تقدمت القوة الاحتياطية النجدية نحو مراكز الجيش المرابط ، واكثرهم لم يباشروا الرمي لاهم ولا المخندقون حتى خرجت العساكر الهاشمية كلها الى السهل وكادت المصفحات تصل الى النزلة ، فدارت عندئذ رحى الحرب في الناحيتين ، تجاه الرويس وتجاه بني مالك ، ودوت البنادق والرشاشات . اما المصفحات فقد كان من مهمتها ان تمنع وصول المدد الى الجبهة الامامية فسارت شرقاً بشمال ، تاركة النزلة الى يسارها ، لتصد اهل العلفط والعارض عن الهجوم ، فاشتبكت واياهم في قتال عنيف ، ولكنها لم تتمكن من صدمهم . وقد رأى من شاهدوا المعركة من جدة كيف كان الاخوان يصارعون هذه المصفحات مستشهدين ، فيدورون حولها وهم بطاقون البنادق عليها وعلى من فيها ، وهي ترش الرصاص من رشاشاتها في كل جانب . حتى ان عبداً من العتاريس

دنا من احداها ، بعد ان جال حولها كأنها فارس من الفرسان ، فتمسك بها
وصعد الى سطحها وهو يطلق مسدسه ، فأصيب وهو هناك برصاصة ، فهوى الى
الارض .

ظل الاخوان يماركون هذه المصفحات حتى أبطلت الرشاشات فصار الجنود
داخلها يطلقون الرصاص من مسدساتهم . وقد أصيب بعضهم برصاص العدو
الذي كان يدخل من الكوى ، وُجرح جراحاً بليغة اثنان من السواق الروس .
تراجعت المصفحات ، وقد تمزقت وتكسرت جوانب بعضها ، وسارع اهل الغنظط
والعارض الى نجدة اخوانهم ، فحاضوا معركة دامت ساعتين في اشد حالاتها ،
ثم ساعتين في قتال متقطع ، حتى انتهت ، الساعة الثالثة بعد الظهر ، في رجوع
الجنود الحجازية والمصفحات الى داخل الاسلاك ، ورجوع الاخوان الى مراكزهم .
اما من بقي في ساحة القتال ، وهم القتلى ، فلا يقل عددهم عن الثلاثمئة .

جاء في التقرير الحجازي الرسمي : « خسر العدو بين قتيل وجريح أكثر من
مئتين ، وخسر جيشنا خمسة عشر قتيلاً وأصيب منه خمسون » .

وجاء في التقرير النجدي الرسمي : « قد تحقق ان خسارة العدو كانت في
الاقل ثلاثمئة وعشرين قتيلاً ، بدليل بنادقهم التي غنمها رجال جيشنا واحضروها
الى المعسكر العام . اما خسائرنا فقد كانت خمسة قتلى وخمسة جرحى فقط » .

ومما لا ريب فيه ان قد قُتل في معركة المصفحات لا اقل من ثلاثمئة من
العرب ! ومن المحقق ايضاً ان المصفحات لم تنجح في مهمتها الاولى ، وهي قطع
الطريق على المدد ، ولا كانت في مهمتها الثانية اشد فعلاً من الجيش المهاجم .
فقد شغلها رجال الغنظط والعارض حتى نفذ الماء والذخيرة فيها ، فرجعت اذ ذاك
ادراجها .

أخفقت القيادة الهاشمية في هذا الهجوم العام . فقد كانت خطتها ان
تضرب الاخوان المرابطين امام جناحها الايسر فتقضي عليهم ، ثم تعود شرقاً
بجنوب ، وقد امنت مؤخرها ، فتزحف الى المعسكر في الرغامة ، فتستولي عليه ،
وتستمر في خطة الهجوم ، فتمشي ظافرة الى مكة . — سنعيد رمضان بمكة !

هي كلمة الجيش الهاشمي في تلك الايام . وقد كتب احد ضباطه الى المؤلف « قبيل هذه الواقعة ، يقول : « وغداً ندعوك لزيارتنا في الطائف » .
واذا فرضنا ان الاخوان امتنعوا عن اختراق الخط ومهاجمة المدينة لعجزهم
مؤثوم بالاغارات والمناوشات ، فقد كان العجز اظهر في خطة الجيش الهاشمي بعد
وقعة المصفحات .

وبعد هذه الواقعة خمدت في الجانبين نار الحرب . خف ضرب المدافع ،
وقل الهجوم في الليل ، وكان في شهر رمضان شبه هدنة تبعها في شوال مناوشات
في الليالي المظلمة . ومع انه كان قد شاع في جدة ان المعركة الفاصلة ستكون
في شوال فقد ولّى شوال والنقارير الرسمية تقول : « سكون تام على الخط » .

على ان القتال استؤنف في الشمال . فالقيادة النجدية ارسلت حملة الى ينبع
لتأديب بعض عربات جهينه الذين اعتدوا على قوافل تحمل ارزاقاً الى مكة .
وكان ابن رُفاده الشيخ ابراهيم ، كبير مشايخ جهينه ، قد خرج على الملك علي
وعاهد ابن سعود على الطاعة والتوحيد ، فارسلت حكومة جدة الى قائمقام الوجه
الشريف حامد ثلة من الجنود النظامية وبعض الرشاشات لتأديب ابن رُفاده وجماعته .
وكانت قد ارسلت الامير شاكر الى ينبع ليحمل على الاخوان في بدر ويستردها .
اما في المدينة المنورة فقد كانت صالح بن عدل معسكراً في الحناكية ، وقد
التحق ببيشه لوان جاء من جهة حائل . وكان قسم من هذا الجيش ، واكثره من
الحضر بقيادة ابراهيم النسي وكييل ابن عدل ، مرابطاً حول المدينة ، وهو
مأمور بان يحاصرها فقط ، وان لا يدخلها بدون امر من القيادة العليا .
اما وقد علمت ذلك فسقطت على بعض البرقيات التي كانت ترد الحكومة
الهاشمية في تلك الايام :

« المدينة ٢١ ذي القعدة .

جلالة الملك المعظم . جهزنا عبدكم ولدنا مع عسكره وبعض من حرب
على النسي فكسروه واسروا اربعة انفار من جماعته . ابتركم بذلك سيدي .
قائمقام المدينة : سحاحات » .

« العلاء ٢٧ ذي القعدة .

جلالة الملك المعظم . صباح اليوم الجمعة هجمت على مداين صالح ثلاثة يبارق ودامت الحرب بينهم وبين العدو الى العصر والحمد لله انقلب خامساً تاركاً جرحاء وقتلاه مولاي .

قائمقام العلاء .

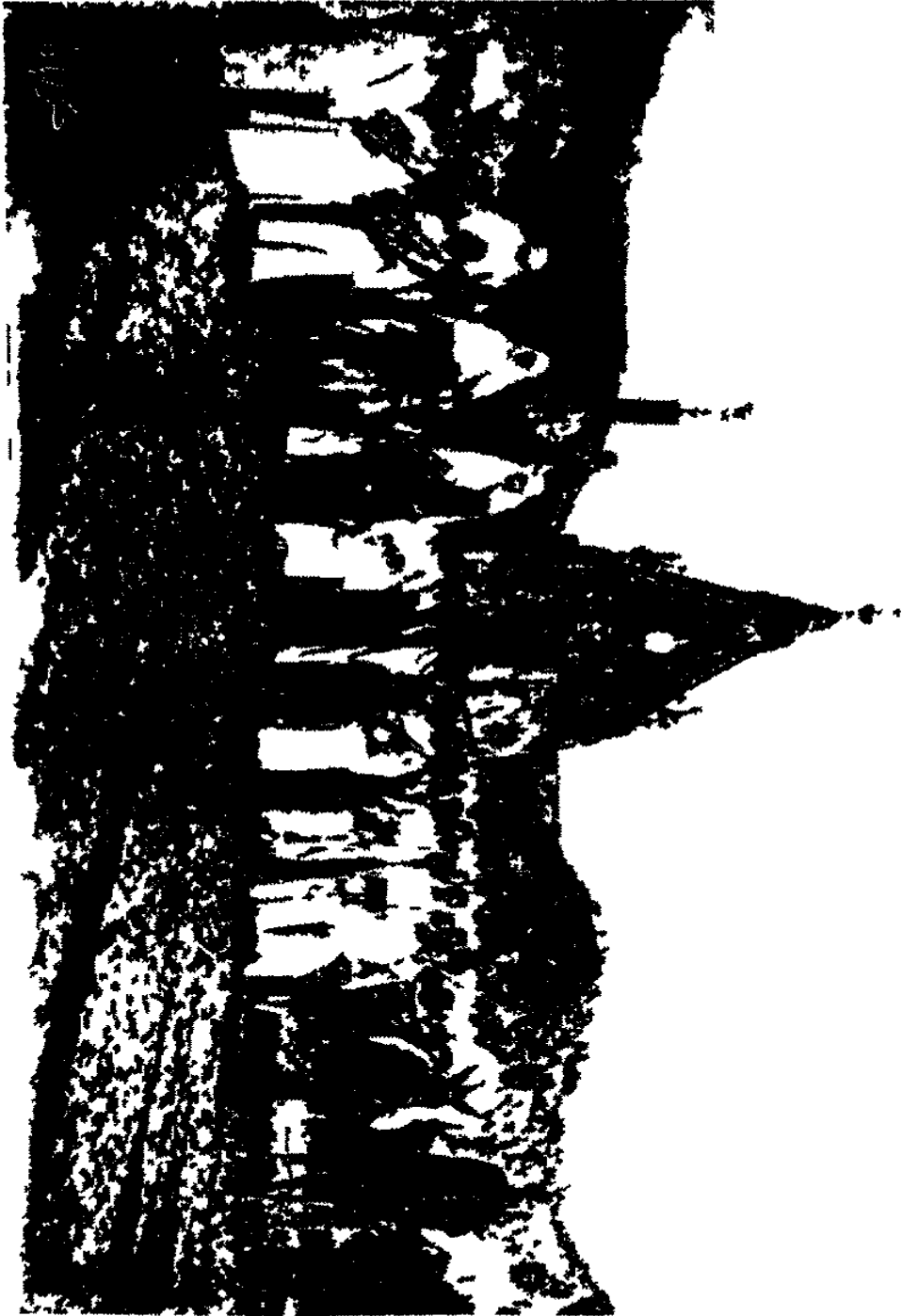
« ينبع ٢٦ ذي القعدة .

جلاله الملك المعظم . احتلنا بدرأ وغنمنا جميع ما فيها . انهزم احمد سالم (صاحب بدر) ومعه اربعون بعيراً محملة . الامضاء : شاكر »

ولكن السلطان عبد العزيز جهز في هذا الشهر حملة الى الشمال بقيادة ابن عمه سعود بن عبد العزيز المعروف بسعود العرافة والامير خالد بن لؤي . فالتقت هذه الحملة في طريقها من رابع باحمد بن سالم ، فقص على القيادة قصته ، فحوقل خالد وامر سالماً بالرجوع . ففشى مع الحملة التي استدرت في طريقها الى بدر ، وبعد ان ضربتها واستبكت في وقعة مع المدافعين ، رجال الامير شاكر فيها ، كتب لها النصر واستولت عليها . ثم اعادت احمد بن سالم الى مركزه ، ومشت الى ينبع النخل فمسكرت هناك تنتظر الاوامر الجديدة من القيادة العليا . وكانت قد ارسلت تلك القيادة فيصل الدويش ايضاً الى الشمال فاحتل بجيشه العوالي ، حول المدينة ، بدون مقاومة .

اذن قد كانت الحالة في الشمال في آخر هذا العام ، عام ١٣٤٣ ، حالة حصار يتخللها شيء من القتال . فكان الاخوان مرابطين حول الوجه وينبع ، وكان جيش من الحضرميين محاصراً المدينة ، وكان سعود العرافة وخالد بن لؤي معسكرين في ينبع النخل ، وفيصل الدويش في العوالي ، وصالح بن عدل في الحناكية . والغرض الاكبر من هذه التعبئة هو الضغط على اهل المدينة ليحملوا اولياء الامر فيها على التسليم . ذلك لان القيادة العليا فضلت الحصار على القتال ، ولم تكن الجيوش هناك مسلحة بغير البنادق .

اما حكومة الملك علي فقد استبشرت بهذه الحال في الشمال ، وعزت سكون الجنود النجدية الى العجز . ومما اتبت ظننها وزادها املاً بل فوز ، رغم ما كانت



فيه من العسر ، هو ان السلطان عبد العزيز امر جنوده بالاسحاب من جبهة حدة
ليتمكنوا من الحج . فلم يبق هناك غير قوة صغيرة من الحياة والمهعاة لتسرف
على الرعاة .

كان اهتمام السلطان بالحج في هذين الشهورين اكثر من اهتمامه بالحرب .
بل كان قد بدأ منذ ثلاثة اشهر يمدد للحج السبل ، فارسل في عرة تسعسات
فداء « الى جميع المسلمين في مشارق الارض ومعاربها » يخبرهم بان الطام قد
ساد في الدابة المطهرة ، واستتب الامن فيها . وانه يرحب بحجاج بيت الله الحرام
من المسلمين كافة في موسم هذه السنة ، ويتكفل بتأمين راحتهم ، والمحافظة على
جميع حقوقهم ، وتسهيل سفرهم الى مكة الكريمة من احد المواني اسلثة اي رابع
واليت والقعدة . وقد كانت تجيء هذه المواني كل خمسة عشر يوماً بواحر هندية
وخرديوية وايطالية ، تحيها من عدن ومصوع والسويس ، حاملات الارزاق .
لم تتمكن الحكومة الهاشمية التي ضربت في اول احرب نطاقاً بحرياً من القنفذة
الى رابع ، وحاولت تنفيذه بواسطة الباحرة المسلحة « الطويل » ان تصادر الا
قليلاً مما كانت يصل من هذه التعور الى مكة . وما كانت دائماً موقفة حتى
ذاك القليل .

فقد صادرت « الطويل » مرة خمسة سايك، ايطالية متحونة . مصوع الى الليب
وحات بها الى جدة . ولكن الحكومة الايطالية اتحت واسطة قضاها السيور
فارس على هذا العدل ، والمذب احكومة الهاشمية رنرا تسحب قضاها من حدة ،
وتتخذ الطرق الداوية لحفظ حقوقها ، ادا كانت لا تعيد كل ما حدرته من
السنابيك الراقه العلي الايطالي . معقد الوزاء بحسباً للمطار في الامر ، مقرها
بعد الحرب ان يجسوا طلب الحكومة الايطالية .

عند هذا الحادث بصرا سياسياً لان سعيد . كما ان محي ، لة آلاف من
حجاج الهد ، ورجوعهم بعد الحج سالمين عن طرق رابع هو نصر سياسي حر .
وهناك حادث ال ، حدث في هذا الصب ، لا يقل اهمية من اوجهة السياسية
عن احادث الاولين ، الا هو بل اماب احسن من العقص الى قبرص . وقد

يكون اهم الحوادث لما كان فيه من الفائدة لابن سعود ، لأنه اقصى عن الملك علي ذلك المورد الذي كان يتكل كل الاتكال عليه . اجل ، قد اشتدت الازمة المالية في حكومة جدة بعد سفر الحسين الى قبرص . وهناك خسارة اكبر للحجاز كانت تتعلق بسفر الحسين ، وكانت الامير عبدالله يسعى لها . فهو الذي اقنع اخاه وحكومة اخيه بان يسلموا بضم العقبة ومعان الى شرقي الاردن . وقد ضرب الامير يومئذ على الوتر الحساس اذ قال في احدي مذكراته الى جلاله اخيه ما معناه : سلموا بضم العقبة ومعان وانا اضمن لكم من الانكايذ ما يأتي ، اي ثلاثمائة الف ليرة تعويض الضم ، ومئتا الف ليرة ثمن الاملاك الغير المنقولة ، وقرض قيمته خمسمائة الف ليرة يُعقد حالاً . ثم ابعاد ابن سعود عن الحجاز حتى تربة والخزمة ، وجعل الخط الحجازي رهن اشارتكم في كل وقت .

اية حكومة في موقف تلك الحكومة الهاشمية لا تقبل ببيع قطعة من املاكها بهذا الثمن ؟ واي ملك في مركز الملك علي لا تغره تلك الارقام ؟ ولكنها ارقام ، في كتاب الاحلام .

لم تنحصر انتصارات ابن سعود في اواخر هذه السنة وطلائع سنة ١٣٤٤ بالحوادث الثلاثة التي تقدم ذكرها . فقد فتح ابوابه للوفود ، وبدت منه رغبة في المكالمات لغرض من الاغراض الحربية والسياسية التي يجهلها الناس ايام الحرب ، ولا يقيمون لها وزنا بعدها . على ان عظمة السلطان كان الجيب لا الطالب . واول من استأذن في رمضان بزيارة الحرم والحج بالعمرة ، وطى القصد الديني قصد حسن آخر ، هم القناصل المسلمون في جدة ، اي عبد الكريم حكيم ف معتمد حكومة السوفيت ، ورادين براويرا نائب قنصل هولانده ، واحمد افندي لاري وكيل قنصل ايران ، فاذن السلطان ودعاهم بعد زيارتهم الحرم لزيارته في مقره بالوزيرية .

وبينا كانوا هناك يتكلمون بالصلح هجم الاخوان في الليل كالعادة على جناح خط الدفاع الايسر ، من البحر الى الكندرة ، هجمة هوجاء ، واستمرت البنادق والرشاشات تدوي دويًا منقطعًا حتى الفجر . وما معنى زيارة القناصل ؟ ان ابن

سعود مرّ من اصرار السلم والحرب يعجز عن كشفه الانس والجن !
القناصل : « اننا نتكلم مع عظمتكم في هذه المسئلة بصفتنا الشخصية ، لا
باسان حكوماتنا ، لاننا شرقيون يهمننا الاصلاح والاتفاق بين الشرقيين » .
السلطان : « كأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غايتنا وحرماننا . فما زال
الشريف علي في جدة فلا سبيل الى الصلح . اما اذا اخلاها وترك المسئلة للعالم
الاسلامي ، فنحن نقبل بما يقرره بشأن الحجاز » .
ثم سئل عظمته اذا كان يأذن بقدوم وزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب
للبحث في المسئلة ، فاجاب انه يرحب بمن اراد القدوم اليه سواء كان الشيخ
فؤاد ام غيره .

وعند رجوع القناصل المسلمون الى جدة كتب وزير الخارجية الى عظمة
السلطان يقول ان بعض الاصحاب انبأوه « بما حقق الامل المعقود » ويطلب
منه تعيين يوم للمقابلة . فاجاب عظمته بالايجاب على شرط ان يكون سعادة
الوزير مفوضاً ليوافق على ما يبلى عليه من الشروط « ثقلت وطأتها ام خفت » .
فرد الشيخ يقول ان المأمول من قدومه « اولاً — شرف التعرف الى شخصكم
الجليل المعظم . ثانياً — التمهيد لايجاد جو صالح تسود فيه الطمأنينة المنشودة
ليكون محور الاعمال في ما يحسن التفاهم عليه » . فقال عظمته في كتابه الاخير
« اكون مسروراً بمواجهتكم » .

نظن ان الشيخ فؤاد شعر بمثل هذا السرور بالرغم عن عقم تلك المكلمة في
الخيم السلطاني بالوزيرية ، تلك المكلمة التي تحوات الى استنطاق من قبل
السلطات ضاقت فيه لدى الوزير الشاعر حيل السياسة كلها .

— « ومن هو الضامن لهذه التعهدات ؟ »

— « انت الضامن » .

— « وكيف يكون ذلك ؟ انت تقبل بالشروط وانا ضمن التنفيذ ؟ »

الشيخ فؤاد : « اطلب الضامن الذي ترهبه ونحن تقدمه لك » .

السلطان : « لا اعلم ضامناً له سلطة وأثق به يتكفل بما اطلب . فالدول

كلها على الحياء ، ولا تقبل مداخلتها في الاماكن المقدسة كما ترى .
تحول الحديث بعدئذ الى مواضع اجتماعية وادبية ، فكان الشيخ فؤاد
فيها لامعاً باهراً . ثم عاد من الوزيرة راكباً بغلته ، حاملاً مظلمته ، والقناصل
والحكومة والجنود في جده يتساءلون : ماذا عسى ان يكون تحت تلك المظلة من
الامال ؟ لم يكن تحتها غير شاعر أبهر في احاديثه الادبية في الخيم السلطاني ،
وُغلب في المكالمات السياسية .

عندما سافر القناصل المسلمون للحج بالعمرة فلق زملأؤهم المسيحيون ،
فارسل الوكيل الانكليزي كاتبه الهندي المسلم منشيء احسان الله الى مكة
لاشغال تختص بالحجاج الهنود ، فاقام هناك اسبوعاً ، وعرج في رجوعه على المقر
العالي بالوزيرة ، فنزل ضيفاً على السلطان . اما المكلمة فقد كانت ولا تزال سريرة .
بيد انه كان معلوماً ان الحكومة البريطانية كانت تفكر يومئذ في احتلال
العقبة ومعان ، وان ابن سعود كان يفكر في ارسال حملة الى تلك الناحية
لاخراج الحسين منها .

— نحن ننقل الحسين من العقبة ولا تكفك مؤوية الحملة عليه .

— الحملة ماتية فعليكم ان تعجلوا .

وفي الحقيقة كانت الحملة قد مشت من حائل ، فامر عظمتها قائدها بان
يتوقف في الزحف .

وقد تلك المكالمات بالوزيرة مكالمات اخرى في مكة ، وكتب في لائحة
المتوسطين الطويلة اسم كبير من حكام العرب . اجل ، قد جاء من صنعاء
اليمن ، من حضرة الامام يحيى بن حميد الدين الموكل على الله ، بواسطة قنصل
ابطالية بجدة ، برفينان الواحدة الى الملك علي والاخرى الى السلطان عبد
العزيز ، يطلب منها ايقاف القتال ، واحترام الاراضي المقدسة ، وقبوله حكماً
بينهما . فجاوب الملك علي بالايجاب وارسل السلطان جواباً مآله اننا دعونا
المسلمين لمؤتمر يبحث في امر الحجاز فارجو ان يحضر مندوبوكم معهم .

وفي الاشهر الثلاث الاولى من هذا العام جاء السلطان عبد العزيز ثلاثة

وفود من المسلمين والمسيحيين ، ما عدا الوفدين الذين جاءوا مع الحجاج من الهند . اما الوفد الاول فقد جاء من مصر ، من قبل الملك فؤاد ، للتحقيق في ما قد شاع من اخبار المدينة والطائف ، وللتوسط كما قيل في امر الصلح . كان هذا الوفد مؤلفاً من الشيخ محمد مصطفى المراغي قاضي قضاة القطر المصري ومحمد بك عبد الوهاب كاتب سر الملك اخصاص ، وكان ولا شك له غير ما ذكر من الاغراض . فان الخلافة كانت تثقل يومئذ بالملك فؤاد وقلبه ، فاحب ان يستطلع في امرها رأي ابن سعود .

اما الوفد الايراني الذي كان مؤلفاً من سفير مصر وقنصل سوربة العام فقد كان غرضه ظاهراً وباطناً التحقيق في مسائل الطائف والمدينة . وبعد ان زار الوفد مكة ، وكالم السلطان عبد العزيز في ما اتدب له ، عاد السفير الى مصر وسافر القنصل حبيب الله خان عين الملك الى المدينة ليم مهمته .

وقد جاء ايضاً في هذا الشهر ، اي في ربيع الثاني الوفد الانكليزي ، او بالحري السر غلبرت كلاين^(١) وكتب سره وترجمانه وتوفيق بك السويدي مستشاره العراقي ، فاجتمع بهم السلطان في بجرة . وهناك كان المؤتمر الذي استمر خمسة وعشرين يوماً ، اي من ٩ اكتوبر الى ٣ نوفمبر ، فعقدت اتفاقيتان سميت الاولى اتفاقية بجرة وهي بين العراق ونجد ، والثانية اتفاقية حداء ، وهي بين نجد ونهرقي الاردن^(٢)

وعندما كان السلطان عبد العزيز في بجرة جاءه من المدينة المنورة رسول اسمه مصطفى عبد العال يحمل كتاباً من امير المدينة الشريف تيمحات يعرض فيه التسليم ، على شرط ان يؤمن الاهلون والموظفون على ارواحهم واموالهم ، ثم يسأل السلطان ان يرسل احد افراد العائلة السعودية لهذه الغاية .

عاد عظمته الى مكة فجهز نجلة الصغير الامير محمداً الذي هشى بفرقة من الجند الى المدينة في ٢٣ ربيع الثاني . وعندما دنا من اسوارها عرض على الحكومة

(١) Sir Gilbert Clayton

(٢) في الملحق نص هاتين الاتفاقيتين .

والاهالي ما كان قادمًا من اجله ، فأبت قيادة الحامية التسليم لانها كانت تنتظر المدد من جدة ، وقد ابرقت في ٥ جمادى الاولى الى جلالة الملك نقول : « الذي يهمننا الارزاق للجند . وعتموننا بارسال الدراهم المتيسرة بالطيارة . الى الان لم نرَ اثرًا لها . دبروا وارسلوا لنا دراهم ولو يبيع احدى البواخر فقرون منا ما يسركم » .

وكان الامير الصغير محمد يشدد الحصار على المدينة بدون قتال ، عملاً باوامر والده ، فابرقت القيادة في ١٣ من هذا الشهر الى جلالة الملك بجدة نقول : « انقضى الامر ، ولم يبق في اليد حيلة . الجنود ما عندهم ارزاق الا لثلاثة ايام . اذا لم تصل الطيارة غدا الظهر سنفاوض العدو . الامضاءات : عزت . عبدالله عمير . عبد المجيد حمد » .

فجاء الجواب انه يستحيل ارسال الطيارة قبل عشرة ايام لعدم وجود بنزين .

مرت الايام الثلاث فنفدت مؤونة الحامية . ومع ذلك فقد صبر الجنود ثلاثة ايام اخر ، ثم في صباح الجمعة بعث القائد عزت ورئيس ديوان الامارة عبدالله عمير كتابًا الى الامير محمد بن عبدالعزيز بن سعود يطلبان ملاقاته ، فارسل الامير خيالة لاستقبالها . وقد فاضاه بالتسليم على شرط ان يعطي الجنود والخباط والاهالي الامان ، ويعلن العفو العام .

وفي صباح اليوم التالي ، اي يوم السبت الواقع في ١٩ جمادى الاولى (٥ ديسمبر ١٩٢٥) سلمت المدينة بعد حصار دام عشرة اشهر .

الفصل الحادي والخمسون

الملك علي برهم

قبل ان سقطت المدينة المنورة بشهرين كانت الحالة في جدة تزداد عسراً من كل الوجوه ، فضربت القوضى اطنابها في الجند ، وعرا الحكومة الانحلال ، وعم الضنك والبؤس الاهالي . فلا مال ، ولا ذخيرة ، ولا زاد يكفي لحفظ شبه السيادة والقوة ان في الملكية او في الجندية . ولا مال في السوق ، ولا آمال تقوم مقامه . فقد كادت تنفد الارزاق لان التجار في الخارج توقفوا عن التوريد . فجمت المجاعة في اطراف المدينة بين مضارب البدو وعشش التكارنة ، ومدت يدها الى القلب ، فامست على الاهالي اشد ويلاتاً من الحرب .

وبما ان السلطان عبد العزيز كان قد اعلن في ربيع الاول العفو العام — كل من كان في خدمة الحسين او غيره هو في امان الله اذا اراد ان يرجع الى مكة — وبما ان الطريق انفتحت بين ام القرى وجدة بعد الحج ، اخذ يزداد عدد الفارين عن طريق الليث ورابع الى ام القرى ، وعدد القادمين منها . فكان هذا الاتصال بين المدينتين خيراً واسطة لتعجيل العمل الذي فيه الفرج .

واننا نعيد ما طالما قاله السلطان في مجالسه الحربية التي كان يحضرها امراء الجيش والعلماء : ثلاثة اخطرتنا عن الهجوم ، وحملته على تفضيل الحصار على القتال ، وهي الحرص على جنوده وسمعتهم ، والمحافظة على الاجانب ، والفرصة المنتظرة . أضف الى ذلك ثقته بالنتيجة المرغوبة في ما اقدم عليه ، ثقته بولاء الفرصة المنتظرة .

وها قد دنت تلك الفرصة ودنا يومها . كيف لا وفي منتصف جمادى الثانية بلغت الحالة في جدة اشدّها ، فنقد المال ، ونقد الزاد ، ونقر الجند ،

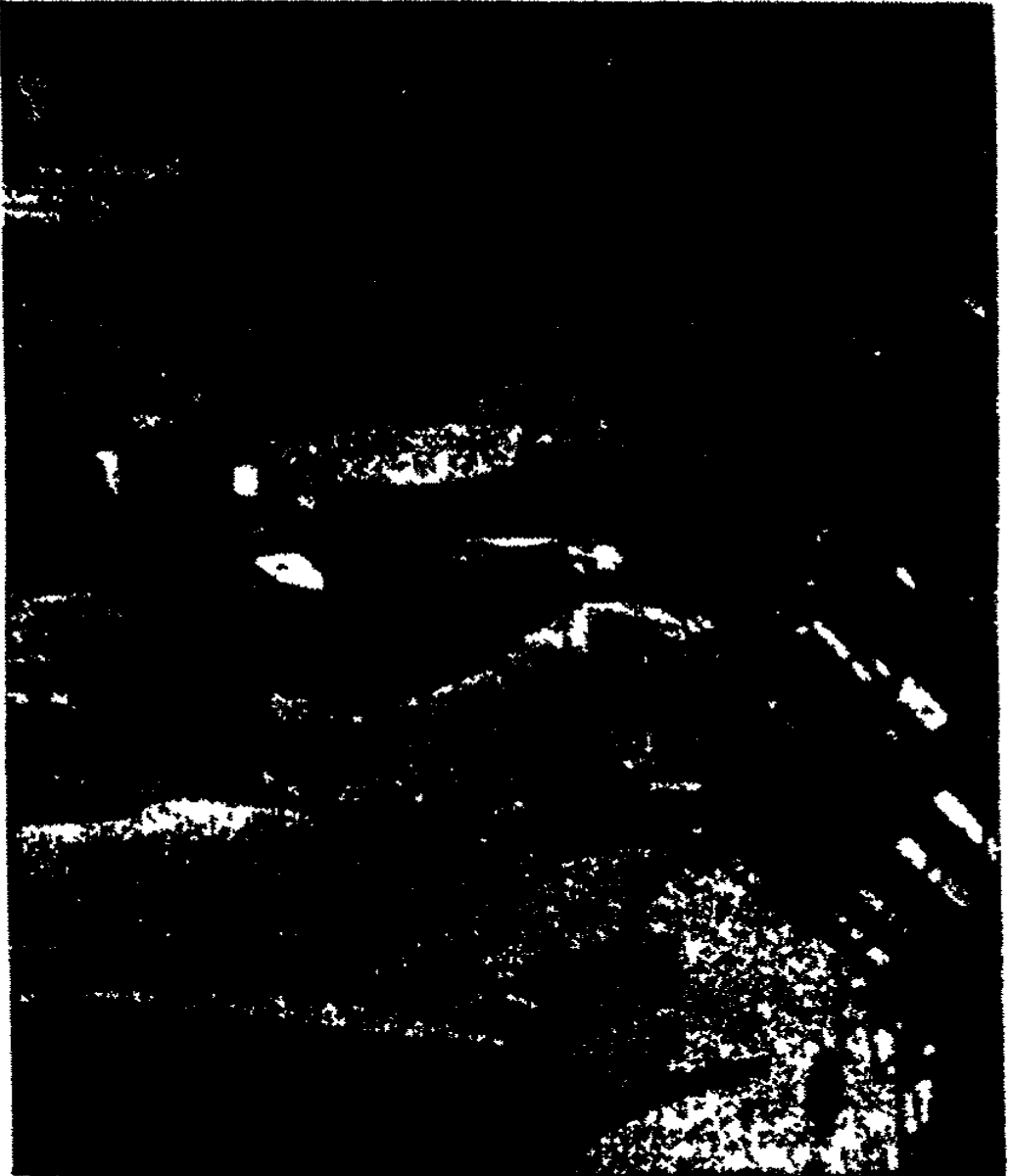
خصوصاً الفرقة اليمانية ، الى التمرد والعصيان . وكان السلطان عبد العزيز ، شأنه في مثل هذه الاحوال ، متبعا حوادث التطور متنبها لما فيها مما يمكنه الانتفاع به ، فنشر في هذا الوقت بلاغا عنوانه « لبراءة الذمة » عرض فيه الامان على من في جدة من ضباط وجنود اذا هم احبوا الخروج الى معسكره ، وعرض فوق ذلك المساعدة المالية على من احب منهم السفر الى وطنه . كان لهذا البلاغ التأثير السريع المطلوب ، فسرحت القيادة الهاشمية عدداً كبيراً من الجنود الفلسطينيين الذين سافروا في الباخرة « الطويل » الى العقبة .

لا مال ولا زاد ، و« فرقة النصر » تنقص يوماً فيوماً . وها قد عاد الاخوان الى معسكرهم في الرغامة وفي سفح الجبال ، عادوا بامر السلطان عبد العزيز ، يقودهم اخوه الامير عبدالله وابنه الامير فيصل .

هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها . وهل يجيء هذا اليوم بالسلم ام بالهجوم العام ؟ لم يكن بوسع احد ان يجيب على هذا السؤال غير واحد . في القيادة العامة كلها ، هو السلطان عبد العزيز . ومما بات في قيد اليقين انه كان مصمماً على الهجوم ليخلص حدة من اجماعة والفوضى والخراب التي كانت تنذر الحالة بها . اما الملك علي فقد كانت حواسه في اضطراب دائم ، وكانت اعدائه في هياج مستمر مما كان يسمعه ويتأذنه في قصره ، وفي حكومته ، وفي جنده ، وفي بلده ، كل يوم ، بل كل ساعة . فلم ير مهرباً والمالة هذه من ذلك العمل الاخير الذي فيه راحة باله ، في الاقل ، وصون صحته وشرفه .

هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها ، بل قد دنت ليلتها . فقد جاء الملك علي مساء الثلاثاء في ٢٩ جمادى الاولى الى دار الاعتماد البريطانية يعرض على المعتمد ، حقناً للدماء ودفعاً للعسر المستحوز على البلد والاهالي . . . ثم ذكر جلالته شروط التسليم ، فابرق المعتمد الى حكومته في الحال يستأذنها بالتوسط .

وفي ظهر اليوم التالي الواقع في ٣٠ جمادى الثانية (١٦ ديسمبر) ركب السلطان عبد العزيز سيارته وخرج من مكة ، تتبعه الهاشمية وفصيلة من الجنود ، يقصد الى الرغامة . وقد بدت ، وهو في منتصف الطريق ، نتيجة الزيارة الملكية



٢٨٥—٢٨٤

الملك عبد العزيز في المطار وامامه المؤلف

الى دار الاعتماد البريطانية اليلة البارحة ، بدت في سيارة قادمة من جدة ، النبي
بها الموكب في بجرة وهي تنشر العلم البريطاني وفيها رجل يلوّح بالعلم
الابيض .

وقفت سيارة السلطان ، ونزل الرجل من سيارته فاذا هو المنشئ احسان
الله — وقد كان في تلك الساعة احساناً من الله — يحمل من المعتمد بجدة
الكتاب الآتي :

« جده في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود
سلطان نجد .

بعد الاحترام . مراعاة للانسانية ولاجل تسهيل عودة السلام والرفاهية
بالحجاز اكون مسروراً اذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلي في الرغامة
غدا يوم الخميس قبل الظهر او بعد ذلك بامرع ما يمكن . هذا وتفضلوا
بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام .

نائب معتمد وتنصل بريطانية العظمى

وكيل قنصل ، جوردن «

فأمر عظمته عند وصوله الى الرغامة بكتابة الجواب الآتي :

« الرغامة في ٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٤

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى سعادة المعتمد البريطاني المستر
جوردن المفخيم .

تحية وسلاما . قد تناولت كتابكم المؤرخ في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥
وفهمت ما تضمنه . وقد حضرنا لمقابلكم في المحل الذي يخبركم به المنشئ
احسان الله . هذا ونقبلوا فائق احترامي « .

عاد احسان الله مسرعا الى جده ، وفي الساعة العاشرة من صباح الخميس
وصل المعتمد البريطاني الى مقر السلطان ، وقال بعد السلام ان الحكومة
البريطانية لا تزال مقيمة على الحياد في قضية الحجاز . ولكنه بالنظر لما تجسم

من حالة جدة ، وبالنظر لمعرفة ان عظمة السلطان يفضل السلم على الحرب ، ويرغب في راحة المسلمين وحقق دماهم ودماء الاجانب ، يتقدم الى عظمته بناءً على طلب الملك علي وحكومته في التسليم . وان توسطه في تقديم هذه الشروط انما هو لغاية انسانية صافية . فاجاب السلطان قائلاً : « هذا احب ما عندي على شرط ان تكون الشروط موافقة لنا » .

عرضت الشروط قبلها السلطان مبدئياً بعد شيء من التعديل . واهم ما فيها ان الملك علي يتنازل عن الملك وبيارح الحجاز ، ولا يأخذ معه غير امتعته الشخصية ومنها سيارته وبمجايدته وخبوله ، وان كل ما في الحجاز من الاسلحة ، والعدد الحربية ، والدخائر ، والطائرات وغيرها ، تسلم الى السلطان عبد العزيز ، وان البواخر التي هي ملك الحجاز تصير ملكاً له .

ولقاء ذلك يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والعسكريين والاشراف والاهالي عموماً سلامتهم الشخصية وسلامة اموالهم ، وعلان العفو العام ، ويتعهد ان يرحل الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ، وان يوزع بنسبة معتدلة على كل الضباط والعساكر الموجودين بجدة خمسة آلاف جنيه .

قد امضى السلطان هذه الاتفاقية ^(١) في عصر ذاك اليوم ، وامضها الملك علي في المساء ، فاعتبرت نافذة من تلك الساعة .

هي الفرصة المنتظرة . وقد تلا يوم الاتفاقية ثلاثة ايام هادئة راتقة استعدت فيها جدة للتسليم . ومساء الاحد عاد المعتمد البريطاني الى الرغامة ليخبر السلطان ان الامير علياً قد اقام في البارجة البريطانية « كورن فلاور » وانه قرر السفر الى عدن ومنها الى العراق . ثم جاء صباح اليوم التالي ومعه رئيس الحكومة الموقته القائم مقام عبدالله زبتل ، ورئيس العسكرية الضابط صادق بك ، فخطب السلطان قائلاً ان مهمته في التوسط قد انتهت ، وانه يقدم رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين امام عظمته .

(١) اثبتناها كاملة في الملحق

عاد خضرة الوكيل الى جدة محبوراً مشكوراً . وظل الرئيسان عند السلطان تلك المذاكرة في شؤون الحكومة وتسليم ممتلكاتها . ثم في صباح اليوم التالي ارسل عظمته طليعة من حاشيته الى جدة لمباشرة العمل في ما يختص بالمهمات العسكرية وامور الجنود والضباط .

وفي ذلك الصباح ايضاً ، يوم الثلاثاء في ٦ جمادى الثانية ، ابجرت البارجة « كورن فلاور » نقل الامير علياً الى المنفى الذي اختاره لنفسه .

اما السلطان عبد العزيز فلم ينقل من مخيمه في الرغامة حتى صباح اليوم التالي ، فتقدمه فريق من جند المشاة ورهط من الخيالة بقيادة اخيه الامير عبد الله الى الكندرة لاستقباله فيها . وهناك امام ذلك البيت القائم على طرف من خط الدفاع المحاذي للاسلاك الشائكة ، امام ذلك البيت الذي كان يجتمع فيه رسل السلام الثلاثة الاولون ليتباحثوا في خير الطرق التي تضمن للعرب السلام والفلاح ، حيت البلاد السلطان عبد العزيز بمئة مدفع ومدفع .

وفي ذلك البيت جلس عظمته للوفود المسالمين المهئين ، فاستقبل معتمدي الدول والقناصل ، ثم ضباط الجند ، ثم اعيان المدينة . وقد تكلم قنصل ايطاليه السنيور فارس باللغة العربية مهنيًا السلطان فقال : « نظراً لكوني كبير القناصل سناً اتقدم بالنيابة عن نفسي وبالوكالة عن رفاقي بتقديم تهنئتنا لعظمتكم بدخولكم جدة في هذه الطريقة السلمية التي حققت بها الدماء . ونتمنى لعظمتكم التوفيق الدائم والسعادة » . فاجابه السلطان قائلاً انه لم ييطىء في الاعمال الحربية الا لهذه النتائج السلمية . ثم شكر للمعتمد البريطاني مسعاه ، واعرب للقناصل عن سروره بما كان من موقفهم في الانقلاب الاخير فتم سالماً كما تمناه .

بعد ان اقام يومه في الكندرة دخل جدة في صباح الخميس ، في ٨ جمادى الثانية (٢٤ ديسمبر) ، بعد سنة واحدة من يوم أشرف عليها للمرة الاولى من الرغامة ، ونزل في يدت الوجيه العالم الشيخ محمد نصيف ، ثم باشر العدل في إعادة اليسر والطمأنينة الى الحجاز .

الفصل الثاني والخمسون

عبد العزيز ملك الحجاز

قبل ان غادر السلطان عبد العزيز الرياض ، في ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ، دعا العالم الاسلامي لعقد مؤتمر في مكة بقرار مصير الحجاز . وقد كرر هذه الدعوة بعد ذلك ، ثم عززها في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ بكتاب خاص ارسله الى الحكومات والشعوب الاسلامية ، فكانت صرخة في واد ، لم يلبها غير فريق من مسلمي الهند وجمعية الخلافة هناك . ولكن اولئك المسلمين يريدون للحجاز ما لا يريداه اهلهم . هم يرتآون في حكم البلاد المقدسة رأياً لا يوافقهم عليه اهل الحجاز ، وقد قاوموه عندما جاء الوفد الاسلامي الهندي الاول الى جدة ، واستمروا في مقاومته حتى نهاية الحرب ، الشرقيون والسعوديون على السواء . الحجاز للحجازيين ، هي كلمة الجميع . ولا نغان احداً في الحجاز يرغب في هيئة تحكمه مؤلفة من ممثلي الشعوب الاسلامية في العالم .

لذلك طلبوا من السلطان عبد العزيز ، بعيد دخوله جدة ، ان يكون لهم الحرية ، تلك الحرية التي وعد بها العالم الاسلامي ، والحجاز ركن منه ، ليقرروا مصير البلاد بلادهم ، فاجاب السلطان الطلب .

عندئذ تألف في جدة لجنة من اعيانها عددها عشرون ، فسافروا الى مكة واجتمعوا هناك بلجنة من اهلها عددها ثلاثون . وفي ٢٢ جمادى الثانية عقد اعضاء اللجنتين مجلساً قرروا فيه باجماع الرأي مبايعة السلطان عبد العزيز ملكاً على الحجاز ، وانفقوا على شروط البيعة ونصها . ثم قدموها الى عظمة السلطان ليرى رأيه فيها ، وطلبوا منه ، اذا حازت القبول ، ان يعين الوقت لعقد البيعة فاجاب الطلب .

وبعد صلاة الجمعة ، في ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ (١٠ يناير ١٩٢٦) اجتمع الناس في المكان المعد للحفلة عند باب الصفا من المسجد الحرام ، وجاء عظمة السلطان في موكبه في الساعة الواحدة بعد الظهر . كان المشهد عربياً صافياً اي بسيطاً ديمقراطياً . فلم يكن هناك غير سجادة وقف عليها السلطان وكرسي للخطيب الذي تقدمه المنادي قائلاً : ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً . ثم اعتلى الكرسي الخطيب فحمد رب البيت المعظم ، وشكر وسبح ، وبعد ذلك قال :

« ايها الاخوان : ان الله سبحانه وتعالى قد انعم علينا بالامن بعد الخوف ، وبالرخاء بعد التدة . فقد انقشعت غيمة الحروب ، وقد توحدت الكلمة بحول الله تعالى وقوته ، فتعطف علينا عظمة هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة الواجبة علينا واني اتلوها على مسامعكم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . نبأبعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود على ان تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح والائمة الاربعة رحمهم الله ، وان يكون الحجاز للحجازيين ، وان اهله هم الذين يقومون بادارة شؤونه ، وان تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم » .

وعندما كان الخطيب يتلو البيعة كانت قلاع مكة تطلق مدافعها ، اطلقت مئة مدفع ومدفع . وكان الناس اثناء ذلك يتزاحمون حول تلك السجادة الواقف عليها السلطان ليتقبل البيعة . فتقدم اولاً الاشراف ، ثم الوجهاء والاعيان ، وتلامم المجلس الاهلي ، فالحكومة الشرعية ، فالائمة والخطباء ، فالمجلس البلدي ، فاهل المدينة المنورة ، فاهل جدة ، فبقية خده الحرم ، فالمطوفون

والزمزمة ، فمشايخ جاوه ، فاهل الحرّف ، فمشايخ الحارات واهل المحلات (١) .
وبعد الحفلة مشى جلالة الملك الى البيت الحرام فطاف به سبعا ، وصلى في
المقام ، ثم جلس في سرادق دار الحكومة للمهنتين والخطباء .
— « لا بد للبلاد من ملك مستقل يكون قادراً على صيانة الحجاز من
الداخل والخارج . والذي يستطيع القيام بهذا الامر هو عبد العزيز بن عبد
الرحمن آل سعود » .

— « وما اعطاك الله هذا العطاء يا عبد العزيز الا لانك سائر في مرضاته » .
وقال آخر بعد اطرائه الامّة العربية في زمن السلف الصالح : « علينا ان
نتمسك بذلك الجبل المتين ليرجع للمسلمين ما كان لهم من السؤدد والعز » .
ان في هذه الكلمات الثلاث مثالا من عقلية القوم ونزعتهم السياسية والدينية .
ثم خطب الملك السلطان فقال :

« اسمع خطباء كم يقولون : هذا امام عادل . وهذا كذا وكذا — فاعلموا
ان ما من رجل ، مها بلغ من المنازل العالية ، يستطيع ان يكون له اثر وان
يقوم بعمل جيد ، اذا كان لا يخشى الله . واني احذركم من اتباع الشهوات
التي فيها خراب الدين والدنيا . واحثكم على الصراحة والصدق في القول ،
وعلى ترك الرياء والملق في الحديث . لم يفسد الممالك الا الملوك واحفادهم ،
وخدامهم ، والعلماء المملقين واعوانهم . ومتى اتفق الامراء والعلماء ليستر
كل منهم على صاحبه ، فيمنع الامير المنع ، والامراء يدلسون ، ضاعت
حقوق الناس وفقدنا والعياذ بالله الاخرة والاولى » . الى ان قال خاتماً كلامه :
« واني احمد الله الذي جمع الشمل وامن الاوطان . ولكم علي عهد الله وميثاقه
اني انصح لكم كما انصح لنفسي واولادي » .

فهتف الناس اذ ذاك قائلين : « جزاك الله خيراً ، جزاك الله خيراً ! »

(١) وقد جاءت بعدئذ برقيات بالمايعة من المدينة المنورة ومن ينبع والوجه وضبا والعلاء .
وكانت حكومة السوفيت (الروسية) اول الدول التي اعترفت بملك الحجاز وساطان نجد
ووملحقاتها ، ثم اعترفت به حكومات بريطانيا العظمى ، والجمهورية الافرنسية ، وهولندة
الجمهورية التركية .

وفي مساء ذلك اليوم دعا جلالاته الى بيته اعضاء المجلس الاهلي ، والوفد الذي قدم من جدة ، وبعض اهل الوجاهة في ام القرى ، فخطبهم بما معناه :

اننا الان في وقت العمل وفي ساعة التأسيس . ولا يستقيم الامر الا بحسن التدبير وبالصدق والنزاهة . انتم ارباب الرأي والفكر في بلادكم ، فعليكم ان تقرروا شكل الحكومة ، وتضعوا دستوراً لها ، وتحددوا العلاقات بين نجد والحجاز ، وتبحثوا في ما ينبغي ان يكون موقف الحجاز تجاه الدول .

ثم امر بان يؤلف من مندوبي مكة وجدة مجلس تأسيسي ، فينضم اليه مندوبون من بلدان الحجاز الاخرى ، للنظر في ما ذكر من المسائل وتقريرها .

وبعد ان تألف هذا المجلس انتخب بالاقتراع السري لجنة لوضع القانون الاساسي ، ثم عرض اسماءها على جلالة الملك ، فامر بان يرأس اللجنة الشيخ عبد القادر الشيبني ، حامل مفتاح بيت الله الحرام ، وان يضم اليها خمسة آخرون ، انتخبهم جلالاته ، من الاشراف والتجار .

كذلك في هذا الشرق الجديد يصلح التعيين الاقتراع ، ويكمل الحاكم الفرد ما ينقص في حكم الشورى .

انتهى

اهم الوقعات وتواريخها

- وقعة الصريف في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨ (١٦ فبراير ١٩٠١)
 احتلال الرياض في ٥ شوال ١٣١٩ (١٥ يناير ١٩٠٢)
 فتح عنيزة في ٥ محرم ١٣٢٢ (٢٣ مارس ١٩٠٤)
 وقعة البكيرية في ١ ربيع الاول ١٣٢٢ (١٦ مايو ١٩٠٤)
 وقعة الشنانة في ١٨ رجب ١٣٢٢ (٢٩ سبتمبر ١٩٠٤)
 وقعة روضة مهنا (ذبيحة ابن الرشيد) في ١٨ صفر ١٣٢٤ (١٤ ابريل ١٩٠٦)
 وقعة الطرفية في ٥ شعبان ١٣٢٥ (١٤ سبتمبر ١٩٠٧)
 احتلال بريدة وكسرة ابي الخيل في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢٦ (٢٣ مايو ١٩٠٨)
 وقعة هديّة في ١ جمادى الثانية ١٣٢٨ (١٠ يونيو ١٩١٠)
 فتح الحساء في ٥ جمادى الاولى ١٣٣١ (١٣ ابريل ١٩١٣)
 وقعة جراب في ٢ ربيع الاول ١٣٣٣ (٢٤ يناير ١٩١٥)
 وقعة ترّبة في ٢٥ شعبان ١٣٣٧ (٢٥ مايو ١٩١٩)
 الاستيلاء على عسير في شوال ١٣٣٨ (يوليو ١٩٢٠)
 وقعة الجهري في ٢٦ محرم ١٣٣٩ (١١ اكتوبر ١٩٢٠)
 سقوط حائل في ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١)
 سقوط الطائف في ٧ صفر ١٣٤٣ (٧ سبتمبر ١٩٢٤)
 احتلال مكة في ١٨ ربيع الاول ١٣٤٣ (١٨ اكتوبر ١٩٢٤)
 وقعة المصفحات في ١٨ شعبان ١٣٤٣ (١٤ مارس ١٩٢٥)
 تسليم المدينة (بعد حصار دام عشرة اشهر) في ١٩ جمادى الاولى ١٣٤٤
 (٥ ديسمبر ١٩٢٥)
 تسليم جدة (بعد حصار استمر سنة كاملة) في ٦ جمادى الثانية ١٣٤٤
 (٢٢ ديسمبر ١٩٢٥)

الملاحق

- فتوى علماء نجد في تعصب بعض الاخوان
- الامر السلطاني المبني على فتوى العلماء
 - اتفاقية بحرة
 - اتفاقية حداء
 - اتفاقية مكة المكرمة
- المعاهدة بين بريطانيا العظمى والحجاز ونجد
 - اتفاقية تسليم جدة
 - لائحة الإيجار
 - القوت السعودية

فتوى علماء نجد

في تعصب بعض الاخوان

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وعمر بن محمد بن سليم وعبدالله بن عبد العزيز العنقري وسليمان بن سحمان ومحمد ابن عبد اللطيف وعبدالله بن بليهد وعبد الرحمن بن سالم الى الاخوان كافة من اهل الهجر وغيرهم ، وفقنا الله واياهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا واياهم من حزبه واولياء امين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ذلك انكم تفهمون ما من الله به علينا وعليكم من نعمة الاسلام وتجديد هذه الدعوة ، والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع اوامره ، واجتناب بواهيته . ولا يجتنى عليكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبهه وهي على ثلاثة امور .

الاول — وهو الاكثر طلب الخير والاجتهاد ووقوع الناس في امور تخل في دينهم ودنياهم ، لانهم يأتون ذلك محبةً للدين بغير دليل .

الثاني — لا بد ان في بعض الاخوان المتقدمين شدة وتعصباً بغير دليل . فلما تبين له الامر وسأل طلبة العلم ، وتحقق عنده ان تعصبه خطأ ، استنكر منه اخوانه وصار بينه وبينهم اختلاف بغير سؤال ولا تبين حقيقة ما عنده .

الثالث — أتوا به اناس من الذين يدعون طلب العلم من الحضرة وهم جهال يدخلون على بعض الاخوان اموراً مشتبهة . يريد احدهم الحق وهو مخطئه واخر يرغب في معرفة الامور المخالفة .

فلما تحقق ذلك عند ولاة الامر وعند العلماء احبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم وولاة الامر منهم . فلما حضروا سمع الحاضر بنفسه ، والقائب نبلفه بهذا الكتاب . فقد سألتنا الامام عبد العزيز بحضرتهم عن امور هي :

الاول : هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين باوامر الله ونواهيه ام لا .

الثاني : هل من فرق بين لابس العقاب ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحداً ام لا .

الثالث : هل في الحضرة الاولين وفي المهاجرين الاخرين فرق ام لا .

الرابع : هل في ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ، ودرجه درجهم ، ومعتقده معتقدهم ، وفي ذبيحة الحضرة الاولين او المهاجرين فرق -لال- او حرام ام لا .

الخامس : هل للمهاجرين امر او رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا ، فيضربونهم او يؤذونهم او يهددونهم او يلزمونهم بالهجرة ام لا . وهل لاحد ان يهجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير امر واضح او كفر صريح او شيء من الاعمال التي يجب هجره عليها بغير اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي ؟

فاجبناه بحضور الحاضر من المسلمين ان كل هذه الامور مخالفة للشرع ، وما امرت بها الشريعة . وان الذي يفعلها ينهى عنها ويزجر ، فان تاب واقر بخطاؤه فيعفى عنه . وان استمر على امره وعانده ، فيجب عليه تأديب ظاهر بين المسلمين . وان لا يعادى ولا يصادق الا على ما امرت به الولاية او حكمكم به حاكم الشرع . والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين . وهذا الذي ندين به ، ونشهد الله عليه ، ونرجوه ان يوفقنا واياكم للخير وصلى الله على

محمد وآله وصحبه وسلم . سنة ١٣٣٧

الامر السلطاني

المبني على فتوى العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز آل فيصل الى الاخوان كافة وفقنا الله واياهم لفعل الخيرات وتترك المنكرات امين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك تفهمون ان الله سبحانه انعم علينا بنعمة الاسلام ومن علينا ان جعلنا من اهله . ولا يخفى عليكم ما مضى على اسلافكم من الامور التي تغضب الله وتحالف الشريعة . وحيث ان الله منَّ عليكم بهذا الامر فيجب عليكم ان تذكروا ذلك بالشكر ، واعظم الشكر واكبره هو ان تنقيدوا باتباع اوامر الله واجتناب نواهيه . ثم لا يخفى عليكم ما جرى من النزاع والاختلاف الذي يخشى علينا منهما اخفاق الاعمال والفتنة . وليس قصدنا غير تقويم الشريعة ، ونجاة انفسنا من عذاب النار . ولا يتم هذا الا بالاقتصاد واتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلماء المسلمين اولهم وآخرهم .

وربما يلتبس عليكم الامر في بعض ائمة المسلمين واعنقاداتهم ، فاحبت لذلك ان اشرح لكم العقيدة التي ذكرها المشايخ في فتواهم . وهو ان معتقد المسلمين واحد حضرم وبدويهم . وتعلمون ان اصل المعتقد كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف الصالح من بعدهم ، و ثم ائمة المسلمين الاربعة ، الامام مالك والامام الشافعي والامام احمد والامام ابو حنيفة . فاعتقاد هؤلاء واحد في الاصل ، وهو انواع التوحيد الثلاثة ،

توحيد الربوبية ، وتوحيد الالهية ، وتوحيد الاسماء والصفات كما هو مقرر في كتب العلماء ، التي يمكنكم مراجعتها والحمد لله في كل ساعة . فهم في هذا الاصل سواثة . قد يكون بينهم اختلاف في الفروع وكلهم ومن هذا حذوهم على حق ان شاء الله الى يوم القيامة .

ونحن يا اهل نجد كافة على مذهب الامام احمد بن حنبل في الفروع . واما في الاصل فنحن والمذكورون اعلاه على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . على انه في اخر الامر اظهر الله شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم ثم من بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله ونفع بهم الاسلام والمسلمين ، ارسلهم كلهم ، وخصوصاً محمد بن عبد الوهاب ، عندما اندرست اعلام الاسلام وكثرت الشبهات والبدع .

فلما رأى اسلافنا موافقة اقوالهم وافعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قبلوا ذلك وقاموا بما اظهره الله على ايديهم . ونحن ان شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم ، نرجو ان يبيننا على ذلك ويميتنا عليه . وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد ، والعمدة على ما ذكره . فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقصده في هجرته وانتسابه الى الخير دورة ما عند الله ، فليتماد على ذلك قولاً وفعلاً . ولا يحيط فيه لبس . وليترك مخالفته . ومن اشكل عليه شيء من الامور فليرده الى طالب العلم المنصوب عندكم بامر الولاية ورضى المشايخ . ونحن نعتقد ان ليس عندكم ما يخالف ذلك ان شاء الله ، وان قصدكم رضى الله . انما من الشفقة عليكم احببنا التبيين لكم بذلك انذاراً للمخالف او المتكلم بفضده . وان من خالف ذلك بقول او بفعل فذمتنا وذمة المسالمين بريئة منه ، ولا يأمن البطش بنفسه وبجلاله . هذا حكم عايناه . ومن انذر فقد اعذر . نرجو الله ان يوفقنا واياكم للخير ، وينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويجعلنا واياكم من انصار دينه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . سنة ١٣٣٧ الختم

اتفاقية بحرة

نظراً للمعاهدة المعقودة بين حكومتي العراق ونجد ابتغاء تأمين الصلات
الحسنة بينهما والمعروفة بمعاهدة المحمرة التي قد وقعت في اليوم السابع من شهر
رمضان المبارك سنة ١٣٤٠ الموافق ٥ ماي سنة ١٩٢٢ ،
ونظراً للبروتوقولين المعروفين بالبروتوقول رقم ١ والبروتوقول رقم ٢ اللذين
أضيفا الى معاهدة المحمرة المذكورة اعلاه والموقع عليهما في العقير في اليوم الثاني
عشر من شهر ربيع الثاني المبارك سنة ١٣٤١ الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ،
ونظراً لايام المعاهدة والبروتوقولين المذكورين آنفاً طبقاً للعادة من قبل
حكومتي العراق ونجد ،

ونظراً لما تعهد به كل من حكومتي العراق ونجد في المادة الاولى في معاهدة
المحمرة المذكورة بان يمنع كل منهما عشايره عن التعدي على عشاير الحكومة
الاخري ، وان يعاقب كل من الحكومتين من يتعدى من العشاير التابعة للحكومة
الاخري ، وان نثذكر الحكومتان اذا حالت الظروف دون قيام احدهما بالتأديب
اللائق في امكان اتخاذ تدابير مشتركة طبقاً للصلات الحسنة السائدة بينهما ،
ونظراً لاعتقاد حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومتين المذكورتين
بانه يحسن لهاتين الحكومتين ، حرصاً على الصداقة وحسن الصلات بين العراق
ونجد ، وضع اتفاقية بخصوص بعض المسائل المتعلقة بينهما ،

نحن الموقعين ادناه سلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن آل
فيصل آل سعود والسر جلبرت كلايتون المندوب المفوض من قبل حكومة صاحب
الجلالة البريطانية والمخول بان ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع
قد انفقنا على المواد الاتية :

المادة الاولى — تعترف كل من دولتي العراق ونجد ان الغزو من قبل العشاير

القاطنة في اراضيها على اراضي الدولة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها وان رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً المادة الثانية — (ا) تؤلف محكمة خاصة ، بالاتفاق بين حكومتي العراق ونجد ، تلتئم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل اي تعدٍ يقع من وراء حدود الدولتين ولاحضاء الاضرار والخسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوٍ من ممثلي حكومتي العراق ونجد وتعهد رئاستها الى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين لتتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية وناقذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والخسائر الناشئة عن الغزو ، واصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر ، وبمعاينة المحكوم عليه كما جاء في المادة الاولى من هذه الاتفاقية .

المادة الثالثة — لا يجوز لعشائر احدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الاخرى الا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدى الحكومتين ان تمتنع عن اعطاء الرخصة او الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى عملاً ببدء حربة الرعي . المادة الرابعة — نتعهد حكومتا نجد والعراق بان نثقفا بكل ما لديهما من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة او فخذ من احدى القطرين الى الاخر ، الا اذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاهما ، ونتعهد الحكومتان بان تمتنعا عن تقديم الهدايا اياً كان نوعها للمتجثين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى ، وبان ننظرا بعين السخط على كل شخص من رساياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الاخرى ، او تشجيعهم على الانتقال من بلادهم الى البلاد الاخرى .

المادة الخامسة — ليس لحكومتي العراق ونجد ان تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الدولة الاخرى في الامور الرسمية او السياسية .

المادة السادسة — لا يجوز لقوات العراق ونجد ان تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين الا يرضى الحكومتين^(١) .

المادة السابعة — لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية او لهم رايات تدل على انهم قواد لقوات مسلحة ان يظهروا راياتهم في اراضي الدولة الاخرى .
المادة الثامنة — اذا طلبت احدى الحكومتين من عشائرها النازلة في اراضي الدولة الاخرى تجريدات مسلحة فالعشائر المذكورة احرار في تلبية دعوة حكومتهم على ان يرحلوا بعائلاتهم واموالهم بكل سكينه .

المادة التاسعة — اذا انتقلت عشيرة من اراضي احدى الحكومتين الى الاراضي التابعة للحكومة الاخرى ، وشتت الغارات بعد انتقالها على البلاد التي كانت تقطن فيها ، يحق للحكومة التي تقم العشيرة في اراضيها ان تأخذ منها ضمانات كافية ، حتى اذا تكرر منها مثل ذلك الاعتداء تكون هذه الضمانات عرضة للمصادرة ، وذلك عدا العقاب المنصوص عليه في المادة الاولى ، وعدا ما قد تفرضه المحكمة المنصوص عليها في المادة النامية من هذه الاتفاقية .

المادة العاشرة — تتعهد حكومتا العراق ونجد بان تقوموا بمذكرات ودية ، لعقد اتفاقية خاصة بشأن تسليم المجرمين ، طبقاً للعادات المرعية بين الدول المتحابية وذلك في مدة لا تتجاوز السنة اعتباراً من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة من قبل حكومة العراق .

المادة الحادية عشرة — النص العربي هو النص الرسمي الذي يرجع اليه في تفسير مواد هذه الاتفاقية .

المادة الثانية عشرة — تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية بحره .

وقعت هذه الاتفاقية في محيم بحرة في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤

الامضات

الموافق اول نوفمبر سنة ١٩٢٥

(١) وفي بروتوقول العقير المادة الثالثة « تتعهد الحكومتان كل من قبلها الا تستخدم الابار الموجودة على اطراف الحدود لاي فرض حربي كوضع قلاع عليها ، وان لا تسيء جنوداً في اطرافها » .

اتفاقية حداء

نظراً للعلاقات الودية السائدة بين الحكومة البريطانية السامية من جهة وسلطنة نجد وملحقاتها من جهة أخرى ، ونظراً لرغبتها في تعيين الحدود بين نجد وشرقي الاردن وتسوية بعض المسائل المتعلقة بذلك ، اختارت الحكومة البريطانية السامية السرجلبرت كلايتون ، كي ، بي ، إي . سي ، بي ، ام ، جي . وعينته مندوباً مفوضاً عنها ليعقد اتفاقية في هذا الشأن مع السلطان عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود بالنيابة عن نجد . وبناء عليه قد انفق السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود والسرجلبرت كلايتون وتعاهدا على المواد الآتية :

المادة الاولى — يتددى الحد بين نجد وشرقي الاردن في الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩ (شرقي) ودائرة العرض ٣٢ (شمالي) حيث تنتهي الحدود بين العراق ونجد ويمتد على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ ، ٣١ (شمالي) فيتبع دائرة الطول ٣٧ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٢٥ ، ٣١ (شمالي) ثم يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ (شمالي) تاركاً ما برز من اطراف وادي مرحان لنجد ثم يتبع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٣٥ ، ٢٩ (شمالي) اما الخارطة التي يرجع اليها في هذه الاتفاقية فهي الخارطة المعروفة بالدولية « آسيا مقياس واحد على مليون » .

المادة الثانية — تنعهد حكومة نجد بان لا تقيم اي حصن في (كاف) والا تستعملها والمنطقة في جوارها كنقطة عسكرية .
اما اذا رأت حاجة في حين من الاحيان الى اتخاذ تدابير استثنائية بجوار

الحدود للمحافظة على الامن ، او لاي غرض اخر يستوجب حشد القوات العسكرية المسلحة ، فتتعهد بان تخبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية بذلك في اقرب وقت . وعلاوة على ذلك تنعهد بان تمنع قواتها من التعدي على اراضي شرقي الاردن بكل ما لديها من الوسائل .

المادة الثالثة — منعاً لسوء التفاهم الذي قد يحصل في الحوادث التي تقع قرب الحدود ، وتوثيقاً لعري الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون الكلي بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة نجد ، ينفق الطرفان على القيام بمذاكرات متواصلة بين المعتمد البريطاني في شرقي الاردن او مندوبه وبين حاكم وادي السرحان .

المادة الرابعة — تنعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي سرحان القبائل غير التابعة لنجد سواء كانت حقوق الرعي او السكن او الملكية او ما يشبه ذلك من الحقوق الثابتة بشرط ان تخضع تلك القبائل ، مادامت نازلة ضمن حدود نجد ، للقوانين الداخلية التي لا تمس هذه الحقوق . وتعامل حكومة شرقي الاردن نفس المعاملة رعايا نجد المتمتعين بحقوق ثابتة في شرقي الاردن شبيهة بالحقوق المذكورة .

المادة الخامسة — تعترف كل من نجد وشرقي الاردن ان الغزو من قبل العشائر القاطنة في اراضيها على اراضي الحكومة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها ، وان رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً .

المادة السادسة — (١) تؤلف محكمة خاصة ، بالاتفاق بين حكومة ومتي نجد وشرقي الاردن ، تلتئم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل اي تعدي يقع من وراء الحدود ولا حصاء الاضرار والخسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوٍ من ممثلي حكوتي نجد وشرقي الاردن ، وتعهد رئاستها الى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين . تتفق على اختياره الحكومتان . وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافاذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والحسائر الناشئة عن الغزو ، واطدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ المقرر المذكور وفقاً لمعادات العشار ، وبمعاينة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية .

المادة السابعة — لا يجوز لعشار احدي الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الاخرى الا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدي الحكومتين ان تمتنع عن اعطاء الرخصة او الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعي ، عملاً بمبدأ حرية الرعي .
المادة الثامنة — تتعهد حكومتا نجد وشرقي الاردن بان تقفا بكل ما لديهما من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة او فخذ من احد القطرين الى الآخر ، الا اذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاهما ، وتتعهد الحكومتان بان تمتنع عن تقديم الهدايا اياً كان نوعها للمتجنين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى ، وبان تنظرا بعين السخط الى كل شخص من رعاياهما يسمى لاستجلاب العشار التابعين للحكومة الاخرى ، او تشجيعهم على الانتقال من بلادهم الى البلاد الاخرى .

المادة التاسعة — ليس لحكومتا نجد وشرقي الاردن ان تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشار الحكومة الاخرى في الامور الرسمية او السياسية .

المادة العاشرة — لا يجوز لحكومتا نجد وشرقي الاردن ان تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين الا برضى الحكومتين .

المادة الحادية عشرة — لا يجوز لشيوخ العشار الذين لهم صفة رسمية او لهم رايات تدل على انهم قواد قوات مسلحة ان يظهروا راياتهم في اراضي الحكومة الاخرى .

المادة الثانية عشرة — على كل من حكومتا نجد وشرقي الاردن ان تمتنع حربة المرور لجميع المسافرين والحجاج ، بشرط ان يخضع هؤلاء للقوانين الخاصة بالسفر والحج المرعية في نجد وشرقي الاردن ، وعلى كل من هاتين الحكومتين ان

تخبر الحكومة الاخرى باي قانون قد تسنه في هذا الخصوص .

المادة الثالثة عشرة — تنعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان تضمن حرية المرور في كل حين للتجار من رعايا نجد لقضاء تجارتهم بين نجد وسورية ذهاباً واياباً ، وان تحصل على الاعفاء من الضرائب الجمركية وغيرها لجميع الاموال التي تجتاز منطقة الانتداب في مرورها من نجد الى سورية او من سورية الى نجد ، على ان يخضع التجار وقوافلهم لما قد يلزم من التفتيش الجمركي ، وان يكونوا حاملين وثيقة من حكومتهم تشهد انهم تجار مشروعون . وبشروط ان تتبع القوافل التجارية ذات الاموال المحملة طرقاً معروفة سيتفق عليها فيما بعد للدخول في منطقة الانتداب والخروج منها ، مع العلم ان هذه القيود لا تسري على القوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الابل والحيوانات ، ولا على العشائر التي تنتقل بمقتضى المواد السابقة من هذه الاتفاقية . وتنعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان تحصل على غير ذلك من التسهيلات الممكنة للتجار من رعايا نجد المارين بمنطقة انتدابها .

المادة الرابعة عشرة — تبقى هذه الاتفاقية نافذة ما دامت حكومة صاحب الجلالة البريطانية مكافة بالانتداب على شرقي الاردن .

المادة الخامسة عشرة — قد دونت هذه الاتفاقية باللغة الانكليزية واللغة العربية ، ووقع كلا الطرفين المتعاقدين نسختين من النص العربي ونسختين من النص الانكليزي ، ويكون للنصين قيمة رسمية واحدة . ولكن اذا وقع اختلاف بين النصين في تفسير مادة من مواد هذه الاتفاقية فيرجع الى النص الانكليزي .

المادة السادسة عشرة — تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية حداء .

وقعت هذه الاتفاقية في حداء في الخامس عشر من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤

الامضاءات

الموافق ٢ نوفمبر ١٩٢٥

معاهدة مكة المكرمة

الحمد لله وحده

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين الامام السيد الحسن بن علي

الادريسي .

رغبة في توحيد الكلمة ، وحفظاً لكيان البلاد العربية ، وثقوبة للروابط بين
امراء جزيرة العرب ، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة امام عسير السيد
الحسن بن علي الادريسي على عقد المعاهدة الآتية :

المادة الاولى : يعترف سيادة الامام السيد الحسن بن علي الادريسي بأن

الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان
نجد وبين الامام السيد محمد بن علي الأدرسي ، والتي كانت خاضعة للأدارة
في ذلك التاريخ ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها
بموجب هذه المعاهدة .

المادة الثانية : لا يجوز لأمم عسيران يدخل في مفاوضات سياسية مع اي

حكومة ، وكذلك لا يجوز ان يمنح اي امتياز اقتصادي ، الا بعد الموافقة على ذلك
من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الثالثة : لا يجوز لأمم عسيران اشهار الحرب او ابرام الصلح الا بتوافقة

صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الرابعة : لا يجوز لأمم عسيران التنازل عن جزء من اراضي عسيران

المدينة في المادة الاولى .

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية امام

عسيران الحالي على الاراضي المدينة في المادة الاولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق

عليه الادارسة واهل العقد والحل التابعين لأمامته .

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بان ادارة بلاد عسير الداخلية ، والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق امام عسير على ان تكون الاحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعدٍ داخلي او خارجي يقع على اراضي عسير الميينة في المادة الاولى ، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة .

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من

الطرفين الساميين .

المادة العاشرة : دوت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل

صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدين .

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة .

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١

اكتوبر سنة ١٩٢٦

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

الختم الملكي

امام عسير

الحسن بن علي الادريسي

الختم

تم ذلك بحضور راقم هذه

الاحرف خادم الاسلام

احمد الشريف السنوسي

الختم

المعاهدة

بين بريطانيا العظمى والحجاز ونجد

جلالة ملك بريطانيا وبارلنده والممتلكات البريطانية من وراء البحار امبراطور الهند من جهة ، و جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة اخرى
 رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها ، وتأمين مصالحهما ونقويتها ، قد عزمنا على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم . لذلك اوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتون مندوباً مفوضاً عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوباً مفوضاً عنه بناء على ما تقدم وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها قد اتفقا ، سمو الامير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السير جلبرت كلايتون ، على المواد الاتية :
 المادة الاولى — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق للمالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

المادة الثانية — يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بان يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الاخر ، وان يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الاخر .

المادة الثالثة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل اداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والاشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين اسوة بسائر الخجاج ، ويعلن جلالته الملك بانهم يكونون آمنين على

أموالهم وانفسهم اثناء اقامتهم في الحجاز .

المادة الرابعة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً ، والذين ليس لهم في بلاد جلالته اوصياء شرعيون ، الى المعتمد البريطاني في جدة او من ينتدبه لهذا الغرض ، لا يصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين ، بشرط ان لا يكون تسليم تلك المخلفات الى الممثل البريطاني الا بعد ان تتم المعاملات بشأنها امام المحاكم المختصة ، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية او النجدية .

المادة الخامسة — يعترف صاحب الجلالة البريطاني بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية او البلاد المشمولة بحماية جلالته . وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، على ان تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة .

المادة السادسة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على الصلات الودية والسلمية مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني ، الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

المادة السابعة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بان يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق .

المادة الثامنة — على الفريقين المتعاقدين ابرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام باقرب وقت .

وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الابرام ، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ . وان لم يعلن احد الفريقين المتعاقدين الفريق الاخر ، قبل انتهاء السنوات السبع بستة اشهر ، انه يريد ابطال المعاهدة

تبقى نافذة . ولا تعتبر باطلة الا بعد مضي ستة اشهر من اليوم الذي يعلن فيه ابطالها من احد الفريقين الى الفريق الاخر .

المادة التاسعة - تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ت ١ سنة ١٩١٥ يوم كان جلالتها حاكما لنجد وما كان ملحقا بها اذ ذاك ملغاة ابتداء من تاريخ ابرام هذه المعاهدة .

المادة العاشرة - دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية ، وللنص قيمة واحدة . اما اذا وقع اختلاف في تفسير اي قسم منها فيرجع الى النص الانكليزي .

المادة الحادية عشرة - تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة .

وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة

١٣٤٥ هجرية الموافق عشرين ايار سنة ١٩٢٢

الامضاءات

اتفاقية تسليم جدة

- ١ — بالنظر لتنازل الملك علي، ومبارحته للحجاز، وتسليم بلدة جدة، يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحريين والاشراف واهالي جدة عموماً والعرب والسكان والقبائل سلامتهم الشخصية وسلامة اموالهم .
- ٢ — يتعهد الملك علي ان يسلم في الحال امرى الحرب الموجودين بجدة ان وجد .
- ٣ — يتعهد السلطان عبد العزيز بان يمنح العفو العام لكل المذكورين اعلاه
- ٤ — يجب على جميع الضباط والعساكر ان يسلموا في الحال الى السلطان عبد العزيز بجميع اسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المهات الحربية
- ٥ — يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بان لا يجربوا اي شيء من الاسلحة والمهات الحربية جميعها او يتصرفوا بها .
- ٦ — يتعهد السلطان عبد العزيز بان يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ويتعهد باعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم .
- ٧ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة الاف جنيه .
- ٨ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يبقئ جميع موظفي الحكومة الملكيين الذين يجد فيهم الكفاءة في تأدية واجباتهم بامانة في مراكزهم .
- ٩ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح الملك علي الحق ان يأخذ معه الامتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك سيارته وسجاجيده وخبوله .
- ١٠ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط ان تكون هذه الممتلكات من الموروثة فعلاً ، ولا تشمل على الاملاك الثابتة المحولة من الاوقاف بمعرفة الحسين الى شخصه ، ولا على المباني

التي يكون الحسين قد بناها في اثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز

- ١١ — يتعهد الملك علي ان يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساءً .
- ١٢ — جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي (الطوبل ورشدي والرقمتين ورضوى) تصير ملكاً للسلطان عبد العزيز ، ولكن السلطان يسمح ان لزم الامر للباخرة رقتين ان تستعمل لنقل الامتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع .
- ١٣ — يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بان لا يبيعوا او يخربوا اي شيء من املاك الحكومة مثل المنتجات والسنايك وخلافه .
- ١٤ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقاً الا فيما يختص بتوزيع النقود .
- ١٥ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح العفو للاشخاص المذكورة اسمائهم ادناه ايضاً ضمن العفو العام ، وهم عبد الوهاب ومحسن وبكري ابنا يحيى قزاز ، وعبد الحي بن عابد قزاز ، واحمد وصالح ابنا عبد الرحمن قزاز ، واسماعيل ابن يحيى قزاز ، والشيخ محمد علي صالح بتاوي واخوانه ابراهيم وعبد الرحمن بتاوي ابنا محمد علي صالح بتاوي وابنائهم وابناء عمهم حسن وزين بتاوي وابناء محمد نور والشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيوني والسيد احمد السقاف وعائلات واموال جميع المذكورين آنفاً .
- ١٦ — ان كان الملك علي او رجائه في حال من الاحوال يخالفون او يقصرون في تنفيذ اي مادة من المواد التي تقدم ذكرها فان السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية .
- ١٧ — يتعهد الطرفان السلطان عبد العزيز والملك علي ان يكفا عن اي حركة عدائية اثناء سير هذه المفاوضات .

الخميس في ١ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٢٥

الامضاءات

لائحة المهجر

كل عدد من الاعداد المذكورة ادناه ، اي عدد من يلون دعوة الجهاد من كل قرية ، يضاف اليه ضعفه ، الضعف الاول وهم البدو اي الذين يرعون المواشي ، والضعف الاخر المحترفون اي الذين يبقون في البلدة ليقوموا بصناعتها وتجاريتها وزراعتها . والمجموع عدد سكان الذكور في كل هجرة .

بلاد نجد وضعا هي من القصيم الى وادي حنيفة .

بلي الجهاد من نجد فقط اربعة الاف . وهؤلاء مسلحون متأهبون دائما ، وهم بمثابة العسكر النظامي ، يدفع لهم السلطان كل ثلاثة اشهر قيمة مرضية غير معينة من المال . وكذلك المجاهدون من هجر حرب .

هجر قحطان		هجر مطير	
عدد المجاهدين		بلي الجهاد منها	
الهايثم	٠٨٠٠	الارطاوية	٢٠٠٠
الهايثم — بادية	١٠٠٠	مبايض	١٠٠٠
الجفيرة	٠٣٠٠	فريتان	١٠٠٠
الحصاة	٠٨٠٠	مأبيح	٠٢٠٠
الرين الاسفل	٢٠٠٠	العمار	٠٧٠٠
الرين الاعلى	٢٠٠٠	الاثلة	١٠٠٠
	<hr/> ٦٩٠٠	الارطاوي	٠٦٠٠
هجر الدواسر		مسيكه	٠٨٠٠
مشيرقه	١٥٠٠	ضريه	٠٨٠٠
الوسيطه	٠٨٠٠	قرية العليا	١٥٠٠
	<hr/> ٢٣٠٠	قرية السفلى	١٠٠٠
			<hr/> ١١١٠٠

هجر حرب [حرب نجد]

دُخنة	٢٥٠٠
الشيكية	١٠٠٠
الدُّلسمية	١٠٠٠
القُرَيْن	٠٧٠٠
الساقية	٠٦٠٠
حَايِفِه	٠٣٠٠
حَدِيظَل	٠٧٠٠
البرود	١٠٠٠
قَبِه (تلفظ اجْبِه)	٢٠٠٠
القوَّارِه	١٠٠٠
	<hr/>
	١٠٨٠٠

هجر العوازم

ثاج	١٥٠٠
الحاسي	١٠٠٠
الحنات	١٠٠٠
العُتْبِقِي	٠٧٠٠
	<hr/>
	٤٢٠٠

هجر بني مره

الشباك	١٠٠٠
أَبْبِرِقِي	١٥٠٠
عين دار (بنو هاجر)	١٠٠٠
	<hr/>
	٣٥٠٠

هجر الرُّوْقَة [من عتَيْبَة]

الداهنا	٢٠٠٠
الصَّوْح	٠٣٠٠
ساجر	٠٨٠٠
عرجا	٢٠٠٠
عَسَيْلَة	٠٣٠٠
نَقِي	١٥٠٠
	<hr/>
	٦٩٠٠

هجر بَرَقَة [من عتَيْبَة]

مُعرِوَة	١٠٠٠
السنام	١٠٠٠
الروضة	٠٧٠٠
	<hr/>
	٢٧٠٠

العَطَّط [من عتَيْبَة]

٥٠٠٠

هجر المعجان

الصَّرَّار	٢٠٠٠
مُحْدِيذ	١٠٠٠
الصحاف	٠٨٠٠
العَقِير	٠٧٠٠
عُرَيْرَة	١٣٠٠
	<hr/>
	٥٨٠٠

لائحة المهجر

خرنفت (هتميم)	١٣٠٠
المصاع	٠٧٠٠
المريز (هتميم)	٠٤٠٠
	<hr/>
	١٣٨٠٠

المهجر التي في الخرج

الضبيعه	٠٨٠٠
البدع	٠٨٠٠
المنيف	٠٦٠٠
الاخضر	٠٥٠٠
طيديسم	٠٤٠٠
الروضة	٠٤٠٠
	<hr/>
	٣٥٠٠

هجر شمير

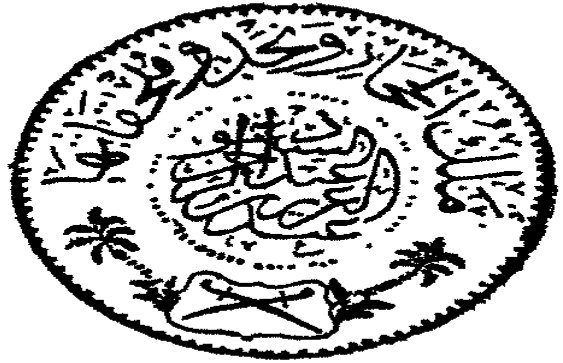
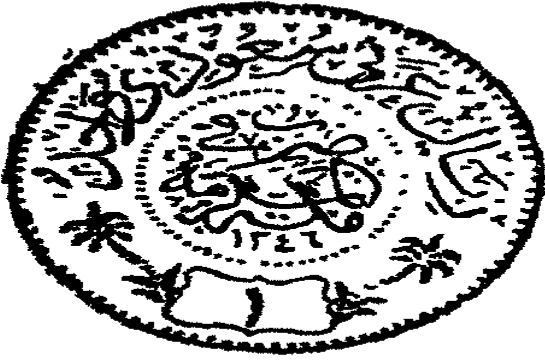
الاجفر	٢٠٠٠٠
بنوان قبيلة هتميم	١٥٠٠
الفطيم	٠٦٠٠
القصير	٠٩٠٠
الحفير	٠٩٠٠
البلازيه	٠٥٠٠
الخبه	٠٨٠٠
الفيضة	١٢٠٠
بيضة نتيل (عنزي)	١٥٠٠
التميم	٠٦٠٠
ام القايان	٠٥٠٠
الشقيق	٠٤٠٠

مجموع المجاهدين من المهجر

حرب نجد	١٠٨٠٠
العوازم	٤٢٠٠
بنو مرة	٣٥٠٠
شمير	١٣٨٠٠
الخرج	٣٥٠٠
	<hr/>
	٧٦٥٠٠

مطير	١١١٠٠
قحطان	٦٩٠٠
الدوامر	٢٣٠٠
الروقه — عتيبه	٦٩٠٠
برقه — عتيبه	٢٧٠٠
الغطف — عتيبه	٥٠٠٠
العجمان	٥٨٠٠

بعض القود المربية السعودية



ريال وربع ريال فضه حجم الاصل

اصلاح غلط

صواب	خطأ	سطر	صفحة
حضن	حضن	٧	١٢
شرقاً بجنوب	شرقاً	٧	١٦
من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه	من ذا الذي يشفع الا بأذنه	١٥	٤٢
او ما يعتقد	او يعتقد	١٣	٤٤
الحفر	الحفر	١٨	١٤٠
وزحف	وزحفوا	١٣	٢٠٤
١٣٣٥ هـ	١٣٣٤ هـ	١١	٢١١
وحتى على الموارد	حتى وعلى الموارد	٧	٢١٥
اتنا عشر	اتنتا عشر	٨	٢٣١
فيذأونها	فيذالونها	١٧	٢٥٩
فصاخه	فصالحه	٨	٢٦٥
١٩٢٠	١٩٢١	١١	٢٧٠
و يشار كونهم	و يشار كونهم معهم	١٠	٢٨٥

وهناك بعض اغلاط مطبعية اخرى لا تخفى على القارىء

فهرس الإعلام

راجع أسماء البلدان في النبنة الأولى (نواحي نجد) وأسماء الهجر في لائحة المهجر -
 أما اسم الملك عبد العزيز وأسماء الرياض ومحد فلم تذكرها في هذا الفهرس لأنها وردت
 في أكثر صفحات الكتاب

ابن جلوي (عبد الله) ١١٠ ١١٢	ابراهيم باشا المصري ٤ ٣٢ ٦٤ ٧٠
١١٣ ١١٦ ١١٧ ١٢١ ١٢٤	١٢٨ ٨٠ —
١٦١ ١٧٢ ١٩٠ ٢٤٣	ابراهيم بن صالح بن عيسى ٣ ٨٤
ابن دجين (عريعر) ٣٤ ٥٢ — ٥٦	ابراهيم فصيح الحيدري ٧
ابن الدواس (دهام) ٣٢ — ٣٤	الابطح ٣٣٨
٥١ — ٥٥ ٧٩ ٢٣٣	ابن بجاد (سلطان) ٢٢٨ — ٢٣١
ابن ربيعان ١١٥	٢٩٤ ٢٩٩ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٢٤
ابن رخيصة (فجاد) ٨٨ ٨٩	٣٣١ ٣٥٥
ابن رفاده (الشيخ ابراهيم) ٣٧٥	ابن بشر (عثمان بن عبد الله) ١ ٥ ٨
ابن سالم (احمد) ٣٧٦	٢٦ ٣١ ٥٢ ٥٦ ٥٩ ٦٠ ٧٠
ابن سعيد (سليمان بن محمد) ٣٢	— ٧٢ ٧٦
(عبد الله) ٢٤ ٤١	ابن ثاني (احمد) ١٣٨ ١٣٩
ابن سليم (امير عنيزة) ١٥٣	(قاسم) ٩٠ ١٠٠ ١٠٣
ابن سويلم (احمد) ٢٩ (عبد الرحمن)	١٠٩ ١٣٨ ١٧٤ ١٩٠
٩ ١٨٨ ١٩٠ (مسار) ١٢٠	ابن تنيان (احمد) ١٨٦ ١٨٨ ٢٧٧
ابن الشعلان (نواف بن نوري) ٢٤١	(عبد الله) ٨١
(نوري باشا) ١٦٣ — ١٦٩ ٢٤١	ابن تويني ٣٢
ابن صويط (حمود) ١٧٧ — ١٧٩	ابن جلوي (عبد العزيز بن مساعد)
٣٧٥ ٣٧٦	١٢٦ ٢٧٠ ٢٩١

١٥٢ ١٤٨
 ابو أم خروق (بخروق) ١٤٧ ١٢٠
 ابو جفان (ماء) ١١٠
 ابو ذرعه (زيد بن موسى) ٣٣
 ابو شهر ٢٠٦ ٢٤٧ ٢٨٧
 ابو الغار (مكان) ٢٧٧ ٢٧٦
 ابو قبيس (مسجد) ٣٣٦ ٣٣٤
 ابو نقطة (عبد الرحمن) ٥٨ ٦٥
 ابها ٢٦٨ — ٢٧٣
 اثره (قرية) ٢٨١ ١٩
 أجا (جبل) ١٩ ٢٤٣ ٢٥٣ —
 ٢٦٨ ٢٥٤
 احمد بن حنبل (الامام) ٢٦ — ٣٨
 ٣٩٧ ٣٤٠ ٢٣٩ ٧٦
 احمد السقاف ٣٥٠ ٣٠٠
 احمد لاري ٣٧٨
 الادريسي (حسن بن علي) ٤٠٥
 ٤٠٦ (محمد بن علي) ١٨١ ٢٠٦
 ٢٧٠ ٢٠٩
 الارطاوية ١١٩ ١٢٢ ١٤٠ ٢٣٥
 ٣٦٧ ٢٧٦ ٢٤٤
 الاستانة ٥ ٦٩ ٧٥ ١٠٧ ١٤٧
 ١٨٣
 الاسياح ١٩ ١٤٠
 الاشعلي (مكان في النفود) ١٦١

ابن طوالة (ضاربي) ٢٤٢ ٢١٥
 ٢٧٦ ٢٥٠ ٢٤٥
 ابن عبد الوهاب (عبد الله بن بليهد)
 ٣٩٤ (عبد الله بن عبد اللطيف)
 ٢١١ ٨٩
 ابن عبد الوهاب (محمد) ١٦ ٥ ١
 ٢٣٣ ٥٥ ٥٣ ٥٠ — ٢١
 ٣٩٧ ٣٣٩ ٣٣٦ ٢٦٨
 ابن عتيق (سعد) ٣٩٤ ٢٩٤
 ابن عريعر (سعدون) ٢٧٣ ٥٤ ٣٥
 ابن غفيصان ٢٧٣
 ابن عقيل (عبد الله بن محمد) ٢٩١
 (قصر) ١٣٠
 ابن غنام (حسين) ٨٥ ٢٢ ١
 ابن تيمية (شيخ الاسلام) ٨ ٥
 ٣٦ ٣٨ ٤٢ — ٣٩٧ ٤٥
 ابن مبيريك (اسماعيل) ٣٤٢ ٣٣٦
 ابن مجتل ٢٦٩
 ابن مزروع (محمد) ٧٢
 ابن مسفر (عبد الله) ٢٨٣
 ابن معمر (عثمان) ٥١ ٣٠ ٢٩ ٢٨
 ١٧٤ ١٧٢ (فهد)
 ٥٢ (متاري)
 ابن هذال ٣٤ ٨٦ (فهد) ١٦٣ —
 ١٦٩ ٢٧٨ — ٢٨٣ (نايف)

٣٧٦ ٢٦٢—٢٦٠ ٢٤٠ ١٩٥
 (عبدالله بن متعب) ٢٤٩ ٢٤٢
 ٢٥١ ٢٥٤ ٢٥٩ ٢٦٣ (طلال)
 ٢٥٧ ٩٧ ٨٢ (بن عبد الله)
 (بدر بن طلال) ٢٥٧ ٩٧
 ٢٥٨ (بندر بن طلال) ٨٤
 ٩٠ ٩٧ ١٦٠ ٢٥٧ (محمد بن
 طلال) ٢٥١ — ٢٦٣ ٢٥٥ —
 ٢٦٥ (عبدالله بن طلال) ٢٤١
 ٢٥١ ٢٦٢ (ماجد بن حمود)
 ١٢٣ — ١٢٦ ١٦٣
 آل سبهان ١٦٠ ٢٤٢ ٢٦٢ ٣٢٧
 (ابراهيم) ٢٥٥ (زامل) ١٧٤
 ٢٤٠ ٢٦٠ (سالم) ٨٨ ١١٦
 (الست فاطمة) ٢٤٢ ٢٦١ —
 ٢٦٣ (فهد) ١٢٣
 آل سعدون (ابو عجمي) ١٠٤
 ١٦٥ ١٦٩ ١٧٨ ١٨٣ ٢١٥
 (عبد المحسن) ٢٨٦ (يوسف
 المنصور) ١٦٥ ٢٧٥ — ٢٧٧
 آل سعود (سعود الاول) ٥٢ ٢٢٥
 (محمد بن سعود الاول) ٢٩ —
 ٣٥ ٥١ — ٥٣ (ثيان اخو محمد)
 ٢٨ ٥١ (مشاري اخو ثيان)
 (محمد) ٢٨ — ٣٠ ٥١ ٧٧ —

الافلاج (ناحية) ١٣ ٥٠ ٨٥ ١١٥
 ١٧٥
 آل ابراهيم يوسف ١٠٣ ١٠٤ ١٠٧
 ١٣٥
 آل ابي الخليل آل مهنا ٨٦ ١٢٢
 ١٥٢ ١٥٧ ١٥٩
 آل ابي الخليل (محمد آل عبد الله)
 ١٤٣ ١٤٩ — ١٥٩
 آل ابي الخليل (محمد آل علي) ١٣٣
 آل بسام ١٢٣ ١٨٩ (عبد الله)
 ٦ ٨ ٣٤
 آل خليفة ١٠٠ ١٨٩ ٢٧٣ (الشيخ
 عيسى) ١٨٩ ١٩٨
 آل الرشيد (عبدالله) ٧٩ ٢٥٦
 (محمد الكبير) ٤٧ ٨٦ — ٩٠
 ٩٧ ١٠٣ ١٦٠ ٢٥٨ (عبد
 العزيز بن متعب) ٩٨ ١٠٦ —
 ١٠٨ ١١٥ — ١٤٢ ١٥١ ٢٥٨
 ٢٦٢ (متعب بن عبد العزيز)
 ٨٤ ٩٧ ١٤٣ ١٥١ ٢٥٧
 (سلطان بن حمود) ١٢٨ ١٣٦
 ١٥١ — ١٥٨ ٢٥٩ (سعود
 بن حمود) ١٦٠ ٢٥٩ (فيصل
 بن حمود) ١٥٧ ٢٥٩ — ٢٦١
 ٢٦٥ (سعود بن عبد العزيز)

٣٨٧ ٣٤٨ ٣٢٧ (الرحمن)
 (سعود ابن الملك عبد العزيز)
 ٢٤٩ — ٢٥٢ (فيصل ابن الملك
 عبدالعزيز) ٢٧١ — ٢٧٣ ٣٨٤
 ٤٠٧ (محمد ابن الملك عبدالعزيز)
 ٣٢٧ ٣٨١ العرائف : (سلمان
 ابن محمد) ٨ ٩ (سعود بن عبد
 العزيز) ١٥ ١٢٤ ٢٠٣ ٣٧٦
 (سعود بن محمد) ١٢٤ (فيصل
 ابن سعد) ١٢٤ ١٧٥ سعود
 ابن عبدالله) ١٧٥ ١٧٦ (تركي
 ابن سعود) ١٧٨ ١٨٠
 آل سليم ١٠٥ ١٢٢ — ١٢٤
 آل الشيخ (راجع آل بن عبد الوهاب)
 آل صباح (مبارك) ٨٤ ٩٥ ٩٩
 ١٠٣ — ١٠٩ ١١٤ — ١١٩
 ١٢٢ ١٣٢ — ١٤٢ ١٥٣ ١٦٠
 ١٦٣ — ١٧٠ ١٧٨ — ٢١٢
 ٢٣٣ ٢٤٣ (سالم بن مبارك)
 ٢٠٤ ٢٤٣ — ٢٤٨ ٢٥٢
 (جابر بن مبارك) ١١٩ ١٦٦ —
 ١٧٠ ١٩٢ ٢٠٦ ٢٠٩ ٢٤٣
 (احمد الجابر) ٢٤٨ (علي بن
 خليفة) ١٧٨ (سلمان بن حمود)
 ١٧٨ (جراح) ٩٥ (حمود اخو

٨٠ (عبد العزيز بن محمد الاول)
 ٥٣ — ٥٥ ٢٣٣ (سعود الكبير)
 ٦٧ — ٥٨ ٣٥ ٣١ ٢٦ ٤
 ٢٧٤ ٢٦٩ ٢٥٦ ١٧٣ ٧٧
 (عبدالله بن سعود الكبير) ٥ ٦٠
 ٧٧ — ٧٠ (فيصل بن سعود
 الكبير) ٦٨ ٧٤ (خالد بن سعود
 الكبير) ٨٠ ٨١ (تركي بن
 عبدالله) ٧٧ — ٧٩ ٢٠١ ٢٥٦
 (فيصل بن تركي) ١٧ ٢٠ ٦٨
 ٧٤ — ٧٨ ٨٢ ٨٦ ١٥٧ ٢٠١
 ٢٥٦ (عبدالله آل فيصل) ٦٠
 ٧٠ — ٧٧ ٨٣ — ٨٩ ٩٧
 ١٠٤ ١٣٨ ١٥٦ ١٧٤ ٢٥٨
 ٢٧٠ ٢٩٦ ٢٩٧ ٣٧٤ (سعود
 آل فيصل) ٨٣ — ٨٨ ١٢٤
 (محمد آل فيصل) ٣ ٨٣ — ٨٩
 (عبد الرحمن آل فيصل) ٨٥ —
 ٩١ ١٠٥ ١١٥ ١٢٠ ١٣٢
 ١٦٢ ٢١١ ٢٤٣ ٢٩٤ ٣٢٦
 (سعد بن عبد الرحمن) ١١٥
 ١١٧ ١٦٧ ١٧١ ١٧٤ ٢٠٣
 (محمد بن عبد الرحمن) ١١١
 ١١٥ ١١٦ ١٣٩ ٢٠٣ — ٢٠٥
 ٢٥٠ ٣٢٧ (عبدالله بن عبد

امين الريحاني ٣ ٣٤٥ — ٣٥٤	مبارك (١٠٥ ١٠٤) (دعيج)
انكلترة ١٠٧ ١٨٩ ١٩١ ٢٠٦	٢٤٥ ٢٤٤
٢٠٨ ٢١٤ ٢٢٠ ٢٧٥ ٢٨٠	آل عائض ٢٦٨ — ٢٧٣ ٣٠٨
٢٨٨ ٢٩٨ ٣١١ ٣٨٥ ٣٩٠	(عائض بن مرعي) ٨٢ ٢٦٩
انطونيو فارس ٣٧٧ ٣٨٧	(حسن ومحمد) ٢٦٩ — ٢٧٣
انور باشا ١٩١	آل عبده (ماجد بن عجيل) ٣١٥
اون (كولونل) ٢١٤ ٢١٥	٢٨٥
ايران ٢٩٠ ٣٢٢ ٣٣١ ٣٧٨	آل العظم (عبد الله باشا) ٥٨
ابطالية ١٨١ ٣٨٠ ٣٨٧	آل عليان ٨٦ ١٣٨ (راشد الدربي)
ب	العنقري ٨٦
بادايا اي لبلخ اي علي بك العباسي ٤	آل علي (امراء حائل) ٧٩ ٢٥٦
٥ ٦٤ ٦٦ ٨٢	آل قرطاس عبد الوهاب ١٩٣ ١٩٤
باريس ٦٥	المانية ٣٦٥ ٣٦٦
البتراء ٥٨	آل محمد (سليمان رئيس بني خالد) ٢٩
البحر الاحمر ١٢ ٢٠٧	٢٣ ٣٤
بحره ٣٥٣ ٣٥٦ ٣٨٥ ٣٨٨ ٣٩٣	آل منها (صالح الحسن) ١٣٢ ١٣٤
٣٩٨ — ٤٠٠	١٤٥ — ١٣٨
البحرين ٨ ٩ ٨٤ ٩٩ ١٠٠ ١٨٨	آل هزان ١٦٢ ١٧٤ (راشد) ١٦٢
١٩٠ ٢١٤ ٢٧٦ ٢٧٩ ٣١٩	١٧٦ ١٨٣ (عبدالعزيز) ١٧٥
٣٢١ ٣٣٤ ٤٠٨	الالوسي (محمود شكري) ٦ ١٢ ١٩٦
بلدا (بلدة) ٣٧٦	١٩٧
البدور (عشيرة) ١٦٧	الامام يحيى بن حميد الدين ١٣٢
براويرا (رادين) نائب قنصل هولندا	١٣٤ ١٨١ ٣٠٨ ٣٢٦ ٣٨٠
٣٧٨	ام القرى (جريدة) ٣٢٨ ٣٤٥
	امرو القيس بن حجر الكندي ٣٣٠

٢٤٥ ٢٤٤ (ماء) بلبول	السريسي كوكس ٢٠٦ — ٢٠٩
بلغراف ٨٢	٢١٢ ٢٥٤ ٢٧٥ — ٢٨٦
البكيرة ١٨ ١٢٥ — ١٢٨ ١٣١	برقه ٢٢٣
١٤٤ ١٤٦ ١٥٧ ١٥٨ ٣٢٧	بركهارت ٤ ٦٧
بنيان (ماء) ١١٧	البره (بلدة) ١٦ ٨٤
بنو ثقيف (قبيلة) ٢٩٩	بريده ٣ ١٨ ١٩ ٣٥ ٥٤ ٥٦ ٧٣
بنو تميم ١٥	١٢٤ ١٢٢ ١٠٥ ٨٧ ٨٦ ٨٢
بنو جابر ٣٣٥ ٣٣٤	— ١٥٩ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٣٥
بنو حنيفه ١٦٠	٣٢٧ ٣٢٦ ٢٥٩
بنو خالد ٢٠ ٧٤ ٨٣ ١١٩ ٢٠١	بريطانيه العظمى (راجع انكثرة)
بنو دليم ٢٦٩	البريه (عمان) ٥٧
بنو زبد ٢٦٩	يسل ٦٨ ٦٩
بنو سالم ٦٩	البشوك (ماء) ١٣٩
بنو سفيان ٣٠٢	البصرة ٧ ٢٧ ٣٢ ٣٥ ٥٦ ٧٤
بنو شهر ٢٦٩ ٢٧١	١٢٥ ١٠٩ ١٠٧ ١٠٥ ١٠٣
بنو لؤي ٢٢٥	١٧٩ ١٧٣ ١٧٠ ١٦٥ ١٣٢
بنو مالك ٢٦٩ ٣٥٩	١٩٠ ١٨٩ ١٨٦ ١٨٣ ١٨٢
بنو مره ١٣ ٨٣ — ٨٥ ١٠٥ ١٠٨	٢١٢ ٢٠٨ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٣
١١٦ ١١٩ ١٣٨ ١٣٩ ١٨٤	٣٢٥ ٢٣٢ ٢١٦ ٢١٥
بنو مغيظ ٢٦٩	بغداد ٧ ٢٠ ٢٠ ٥٦ ٨٤ ٩١ ١٠٤ ١٠٧
بنو هاجر ١٣ ١١٩	١٤٧ ١٤٦ ١٣٢ ١١٤ ١٠٨
بنو هلال ٣٣٣	١٨٦ ١٨٥ ١٨٣ ١٧٧ ١٧١
بنو يام ١٤	٢٩٠ ٢٧٧ ٢٧٥ ٢٤٩ ٢١٥
بور سودان ٢١٠ ٢١١	٣٢٢ ٢٩١
بولارد (قنصل انكثرة) ٣٢٣	البقوم (عرب) ٢٢٥ ٢٢٦ ٣٠٠

ج

جاوى ٣٥٦ ٣٩٠
 الجبرتي ٥
 جبيل ١٩١ ١٩٤ ٢٤٤
 الجيليلة ١٦ ٢٨ ٥٢ ٧٣
 الجثامية ٢٥٠ — ٢٥٣
 جدده ٦ ١٢ ٥٧ ٦٩ — ٢٠٧ — ٢١٥
 ٢٣٠ ٢٣١ ٣٠٤ — ٣٩٣
 جديله (قبيلة) ٥١
 جراب (وقعة) ١٩٨ — ٢٠٣ — ٢١٧
 ٢٥٢
 الجربا ٢٥٦ ٢٧٤
 الجريفه (بلدة) ١٨ ١٢٣
 الجزائر ٦٤
 الجزيرة او شبه الجزيرة ٣٥ ٥٠ ٦٦
 ٩٥ ٢٠٦ ٢١٤
 الجعدة (قبيلة) ٢٢٢
 جلاجل (بلد) ١٨ ٧٩ ١٢١ ١٢٢
 جمال باشا ١٨٣ ١٨٥ ١٨٨ ٢١٠
 جمال الغزي ٣٢٧
 جيمة ١٦٨
 الجوف ١٩ ٥٨ ١٥٧ ١٨٤ ٢٤١
 ٢٢٥ ٢٦١ ٢٦٣ ٢٧٠ ٢٧٤
 ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٨ ٢٩٦

بونابرت (يوسف) ٦٥

بيت الفقيه ٥٨

بيروت ٢٩٢ ٣٥٠

بيشة النخل ٥٧ ٦٩ ٢٦٩ — ٢٧١

بيك باشا ٣٩٧

ت

تثليث (ناحية) ١٤

تحمسين باشا الفقير ٣١٨ ٣٣٦ ٣٥٣

٣٥٨ — ٣٩٩

تربه ٥٧ ٦٨ ٢٢٠ — ٢٣٢ ٢٤٠

٢٤٣ ٢٨٩ ٢٩٩ ٣١٠ ٣٧٨

تركية ٢٩٠ ٢٩٢ ٣٩٠

ترعة السويس ٢١٠

تشاريكوف الرومي ٣٦٩ ٣٧٠

تشرشل الوزير الانكليزي ٢٤٩ ٢٨٤

تعز (اليمن) ٦٦

تهامة ٥٨ ٦٩ ٨١ ٨٢ ٢٦٩ ٢٧٢

٢٧٣ ٣٠٨

تميريم ١٨

توماس كيث ٦٤

تويم ١٨ ١٢٢

تويني بن عبدالله ٥٢

ثادق (ناحية) ١٧ ١٢٢ ١٢٣

ثرمدا ١٨ ٨٦ ١٢٠ ١٢١

حرّة خيبر ١٢٥
 الحرّة الصغيرة ١٢ ٥٦ ٥٧ ٢٢٦
 الحرث ٢٩٩
 الحريق ١٥ ١٨ ١١٥ ١١٧ ١٦٣
 ١٨٣ ١٧٤

حريملة ١٧ ٢٦—٢٨ ٣٢ ٥٢ ٨٥
 ٢٧١ ١٢١
 الحساء ٨ ١٢ ٢٠ ٢٧ ٢٩ ١٨٤—
 ١٨٩

حسن حلمي (الداكتور) ٣٦١
 الحسي (ماء) ١١٥ ١٣٣
 حسين بن جراد ١٢٣
 الملك حسين ١٦٩—٣٨٣ ٤١٠ ٤١١
 حسين العويني ٣٤٨ — ٣٥٣
 حضن (جبل) ٢٢١ ٢٢٦
 الحفر ٣ ١٠٧—١٢٠ ١٤٠ ١٧٨
 ٢٧٦ ٢٤٨

حكيموف (عبد الكريم) ٣٧٨
 حلبان (ماء) ١١٥
 الحماده ١٦ ٨٧
 حمد العسكر امير الجمعة ١٢١
 حمدي بك ٢٧٢ ٣٤٢
 حمزة (مسجد) ٣٣٤ ٣٣٦
 حمض (ماء) ٢٤٤
 الحميدان (من عرب مطير) ١٣٩

الجهرة ١٠٧ ١٨٠ ٢٤٤—٢٤٦
 جبينه (عرب) ٦١ ٣٧٥
 جوردن قنصل انكلترا ٣٨٥
 جيزان ٢٠٦ ٢٠٩

ح

حاتر سبيع ١٥ ١٦ ٥٣ ١١٧ ٢٢٥
 حائل ١٩ ٧٩ ٨٠ ٨٧ ٨٨ ٩٧
 ١٠٣ ١١٥ ١٢٤ ١٢٦ ١٣٢
 ١٣٦ ١٤٣ ١٤٦—١٤٨ ١٥١
 — ١٦١ ١٨٣ ٢١٦ — ٢٢٠
 ٢٤١ — ٢٤٣ ٢٤٩ — ٢٦٤
 ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٥ ٢٧٨ ٢٨٥
 ٢٩١ ٣٠٨ ٣٣٤ ٣٧٥ ٣٨٠
 حبيب الله خان قنصل ايران ٣٨١
 الحجاز ٤ ٦ ٢٧ ٨ ٣١ — ٣٦
 ٥٠ ٥٥ ٥٩ ٦٢ ٦٤ — ٧٠
 ١٠٢ ٢٩٩ — ٣٩٣ ٤٠٥ —
 ٤١١
 الحجزر (ماء) ٢١٧
 حجلة (مكان) ٢٧٠ ٢٧٢
 حدها ٣٥٦ — ٣٥٨ ٣٨١ ٣٩٣
 ٤٠١ ٤٠٤ ٤٠٨ — ٤٩١
 الحديدة ٥٨ ٣١٨
 حرب (قبيلة) ٧١ ٧٤ ١٤٣ ١٤٦

خورشيد باشا ٨٠
 خير ٢٨٩ ٢٩٨
 دارين (جزيرة) ٢٠٧ ٢٠٩
 الداھنا (هجرة) ١٧ ٧٩ ٣٢٧ ٣٦٧
 دحنة ٢٣٦ ٣٢٧ ٣٧٣
 الدرعية ١٦ ٢٨ ٥٠ — ٥٦ ٦١
 ٧٣ — ٧٧ ٢٥٦ ٢٧٣
 دكسون (مايجر) ٢٨١
 الدلم ١٥ ٥٤ ٨٠ ٨٥ ١١٧
 دمشق الشام ٥٨ ٦٥ ٢١٠ ٢٩٦
 الدهناء ٣٤ ٨٥ ١٠٥ ١١٩ ٢٣٥
 الدواسر (قبيلة) ١٠٩ ١١٥ ١٧٧
 الدواسر (وادي) ٣٥ ٥٣ ٨١-٨٤
 دوطي (هنري) ٧
 الدويش (سلطان) ٣٣٤
 الدويش (فيصل) ١٢٠ ١٤٤ ١٤٨
 ١٥٢ ١٦٨ ١٧٧ ١٨٠ ١٨٣
 ٢٤٤ ٢٥١ ٢٧٦ ٢٩١ ٣٧٦

ذ ر

ذو حسن (اشراف) ٣٤٢
 رأس الحرّة ٣٣٢ ٣٣٣
 رأس السيل (قرية) ١٢
 رابع ٣٣٤ ٣٣٧ ٣٤٣ ٣٧٦ ٣٨٣
 راشد بن علي الحنبلي ٦

الحنائية (ماء) ٧١ ١٤٠ ٣٧٥ ٣٧٦
 حوران ١٥٨ ٢٨٨
 حوطة بني تميم ١١٥ ١٦٢ ١٧٤
 الحويطات (قبيلة) ٢٩٦
 الحوطة (قرية) ٢٩٩
 حيفا ٣٢٢

خ د

خالد بن لؤي ١٧٣ ١٩٦ ٢٢٥
 ٢٢٧ — ٢٣١ ٢٩٩ ٣١٨ ٣٢٤
 ٣٣٥ ٣٤٣ ٣٥٥ ٣٧٦
 خالد بن منصور ٣٣١
 خالد بن الوليد ١٥ ٥٤
 الخبراء ١٨ ١٢٧ ١٢٨ ١٥٥ ٣٢٧
 الخرج ١٥ ٣٥ ٥٢ ٧٦ ٨٠ ٨٨
 ١١٤-١١٨ ١٧٢ ١٧٨ ٢٠٣
 الحرمه ٥٧ ١٧٣ ٢٢٠ — ٢٢٨ ٢٣١
 ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩٩ ٣٧٨
 خزعل بن مرداؤ (الشيخ) ٩٦ ٩٩
 ١٦٠ ١٦٥ ١٩٣
 الحفس (ماء) ١٨٤ ١٨٥
 الخليج الفارسي ٨ ٥٧ ٦٦ ٨٢ ٩٦
 ١٣٥ ١٨٩ ١٩٠ ٢٤٤ ٢٧٨
 خميس مشيط ٣٣ ٢٦٩ ٢٧٠
 الحوار (جبل) ٣٣٠

زويمير (الدكتور) ٥٧	رديف باشا ٢٦٩
زيتسن الريخ (الحاج موسى) ٦٦	الرس ١٥٧ ١٣٨ — ١٢٥ ٧٠
زيد بن الملك حسين (الامير) ٢٩١	رشدي (الباخرة) ٤١١
الزيمة (قرية) ٣٣٣ ٣١٧	الرشودي (فهد) ١٢٩ ١٢٨
زبنل (عبدالله) ٣٨٦	رضوى (الباخرة) ٤١١ ٣٦٤ ٣١٨
ساجر ٣٦٧	الرغامسة ٣٨٧ ٣٧٤ ٣٦٩ ٣٥٦
سامي باشا الفاروقي ١٤٦—١٤٤	رغية (مكان) ١١٩ ١١٦ ٧
سبيع (قبيلة) ١٠٨ ٨٤ ٦٨ ١٤	الرقمتين (الباخرة) ٤١١ ٣٦٤
٣٦٧ ٢٢٧—٢٢٥ ١٦٩ ١١٩	رنية (قرية) ٢٩٩ ٢٢٦ ٦٨ ٥٧
ستورس (رونالد) ٢١٣	روضة سدير ١٢١ ١٠٤ ١٨
سدير (ناحية) ٧٤ ٥٢ ٢٨ ١٧ ٦	روضة مهنا ٢٥٩ ١٤٣ ١٤١
٣٣٠ ١٥٢ ١٢١ ١١٥ ١٠٩ ٨٧	الروقة (من عرب عتيبة) ٢٢٣ ٧٩
السديري (احمد) ١٧٥ ١٢١ ١١٧	الرولة (قبيلة) ١٦٣ ١٩
السر ١٦٨ ١٥٣ ١٢٣	الرويس ٣٧٣ — ٣٦٧
سراة (جبل) ٢٧٠ ٢٦٨	الريان (جبل) ٣٣٠
سفوان ماء ١٨٠ ١٧٩	
سكاكة (قرية) ٢٨٨ ١٩	ز س
سلطان الحمادي ٨	الزيارة (بلد) ٢٧٣
سلمى (جبل) ٢٦٨ ٢٥٣ ١٥٨	زبيد (بلد) ٣١
سليم الاول (السلطان) ٢٠	الزبير (بلد) ١٩٥ ١٧٩ ١٣٢ ١٠٤
سليم الثالث (السلطان) ٥٨	زخور العازار (الدكتور) ٩٠
سليمان بن حازي (ولد) ٢٩٦	الزلفي (بلد) ١٤٠ ١٢٢ ٨٧ ٥٢ ١٧
سليمان شفيق كالي باشا والي البصرة	زهران (جبل) ٦٩
٢٦٩ ١٩٥ ١٩٣ ١٨٢ ٥٦ ٧	زهران (قبيلة) ٢٧١—٢٦٩
سليمان الندوي ٣٣٦	الزواوي (الشيخ) ٣٠١

الشريف عبدالله بن حمزة ٢٧٢
 الشريف عبدالله بن عرن ٢٧٠
 الشريف عبدالله بن محمد ٢٢١
 الشريف عون بن هاشم ٢٣٠ ٢٣٣
 الشريف غالب بن مساعد ٣٦-٧٠
 الشريف محسن ٣٥٨
 الشريف ناصر ٣٠٦
 الشريف هزاع ٣٤٤ ٣٥٦
 الشريف يحيى بن سرور ٦١
 الشريمية (ماء) ١٢٣
 الشعره (مكاف) ١٢ ١١٥ ١٧٢
 ٣٢٧
 الشبيب (ناحية) ١٧ ١١٥ ١٣٠
 الشعبة (ماء) ١٦٠ ١٦١
 شقرا ٣ ١٨ ٢٣ ١٣٠ ٢٧٢
 الشقة (القصيم) ١٣٩ ١٤١ ١٤٦
 شهبوب ١٤٨ ١٤٩
 شمر (قبيلة) ١٩ ٥٥ ٨٧ ٩٧
 ١١٥ ١٢٤ ١٤٣ ١٥٣ ١٦١
 ١٩٨ ٢١٨ ٢٤٠ ٢٩٠ ٣١٨
 شوكت علي ٣١٩
 الشوكة (ماء) ١٠٥ ٢١٦
 الشمسية ٣٥٣ ٣٥٢ ٣٥٨
 الشناة ١٢٥ ١٢٨ ١٢٩ ١٣١
 الشهلان (جبل) ٣٣٠

السليمية (قرية) ١٥ ١١٨
 السماوة ٥٥ ١٠٥
 سواج (جبل) ١٥٧
 سواكن ٣٧٢
 السودان ٤ ١٠١
 السويدي (عبد الرحمن) ٤٢
 سوربة ٥٨ ٢٠٧ ٢١٥ ٢١٨
 ٢٨٩-٢٩٨ ٣٢٢ ٣٤٧ ٣٨١
 سوق الشيوخ ٢٧٦
 السويدي (توفيق بك) ٣٨١
 السهول (قبيلة) ١٥ ٨٤ ١٠٩ ١١٩
 السويس ٣٢٣ ٣٧٢
 السبع ١٤ ١٧٥
 السيل (وادي) ٣٣٣
 ش ص
 التام ٣١ ١٨٤ ٢١٩ ٣١٠ ٣٧٠
 شبرا (الطائف) ٣٠١
 شرقي الاردن ٢١٨ ٢٨٨ ٤٠١
 الشريف باشا العبدلي ٣٥٦
 الشريف حامد ٣٧٥
 الشريف خالد ٢٤٤
 الشريف شاكر ٢٢٥ ٢٣٠ ٣٧٥
 الشريف تيمات ٣٧٥ ٣٨١
 الشريف شرف عدنان ٣٠٠ ٣٥٦

الطرفيه ١٩ ١٠٥ ١٥٤ — ١٥٧
 طوران ٢٩٨ ٣٢٢
 طوسون باشا (بن محمد علي) ٥٩ - ٧٢
 طوبق (جبل) ١٣ - ١٨ ٢٥ ١١٩
 الطوبل (الباخرة) ٣٧٧ ٣٨٤ ٤١١
 الطوبل (محمد) ٣٠٨ ٣١٩
 الظفير (قبيلة) ١١٥ ١٦٦ ١٧٧
 ١٨٣ ٢٠٢ ٢٧٥ ٢٧٩ — ٢٨٣

ع

عارف بانا الادلي ٣٥٦
 العارض ٦ ١٢ ١٦ ٢٦ ٢٨ ٣٢
 ٥١ ٧٦ ٨٩ ١٢٦ ٢٦٣ ٢٧٤
 ٣٢٦ ٣٣٠ ٣٦٧ ٣٧٣

عباس باشا الاول ٨٢
 عباس حلعي ٣٠٦
 عبد الحميد (السلطان) ١٢٧ ١٦٥ ١٧١
 عبد الرحمن العجيري ٣٢٧ — ٣٣٠
 عبد الرحمن النفيسة ٣٢٧
 عبد العزيز الحسن ١٥٣ ١٩٤ ٢٤٥
 عبد العزيز الرشيد ٧
 عبد القادر السبي ٣٠١ ٣٣٩ ٣٩١
 عبد اللطيف باشا المنديل ١٧٠ ١٨٦
 ١٩٠ ١٩١ ٢٨١
 الامير عبد الله ابن الملك حسين ١٩٦

الشيحية ١٢٥ ١٣٤ ١٤٣ — ١٤٥
 شيكسبير ١٩٠ ١٩٦ ٢١٧
 صادق بك (ضابط عربي) ٣٨٦
 صالح العدل ١٣٨ ١٨٣ ٢١٠ ٣٧٥
 صبري باشا ٢٩٩
 صبيح نشأت ٢٨٠
 الصبيحية ٨٥ ١٩١ — ٢٧٧
 صدقي باشا التركي ٩٩ ١٣٢ — ١٤٣
 الصريف ١٠٥ — ١٠٧
 الصعيد (مصر) ٧١

الصمات (بادية) ١٣ ١٠٥ ١١٩
 صنعاء ٣١ ٦٦ ١٢٢ ٣٠٨ ٣٨٠

ض ط ظ

ضبا (بلد) ٣٩٠
 ضرمه (بلد) ١٦ ٧٣ ٨٥ ٨٧
 ١١٦ ١٢٠ ١٧٢ ٣٢٧
 الطائف ٤ ١٢ ٥٧ ٦١ ٦٧ ٦٩
 ٢٢٦ ٢٣١ ٢٦٨ ٢٩٩ ٣٠٤
 ٣٠٧ ٣١٠ ٣٦٧ ٣٧٠ ٣٨١
 طالب النقيب (السيد) ١٩١ — ١٩٧
 ٣٢٤ ٣٣٤ ٣٤٥ — ٣٤٨ ٣٦٠
 طامي بن شعيب ٥٨ ٦٨
 طاهر الدباغ (الشيخ محمد) ٣٠٥
 طاهر القرمطي (الشيخ) ٢٣٢

العلاء ٣٦٧ ٣٩١
 الملك علي ابن الملك حسين ٢٢٠ ٣٠٠
 — ٣٨٧ ٤١٠
 عُمان (قطر) ١٧ ٨ ٣١ ٥٧ ٨٤
 ١٨٤ ٢٦٨ ٤٠٨
 عُمان ٢٠٧ ٢٨٨ ٢٦٠—٢٩٦
 ٣٢٢ ٣٣٦ ٣٦٤ ٣٧٠
 العمارات ٢٧٨ — ٢٨٣
 عودة ابوتايه ٢٤١
 عريدار (خليط من العرب) ١٠٩
 ١١٩ ٢٤٤
 عنزي ١٩ ٣٤ ٨٣ ٨٦ ١٦٢ ٢٧٨
 عنيزة ٣ ٦ ٧٢ ٨١ ١٢٣ — ١٣٤
 ١٣٩ ١٤٦ ١٥٣ ١٦٣ ٣٢٦
 عين النجا (الحسا) ٩٠
 العينية (بلد) ١٦ ٢٦ ٣٠ ٥١ ٧٤

غ ف ق

الفاط ١٧ ١٢٠
 غالب باشا ٢١٠
 غالب بن عنيز ٢٢٢
 غامد (قبيلة) ٦٩
 الغنظ ١٦ ٢٢١ ٢٣٠ ٢٣٦ ٢٩٩
 ٣٦٧ ٣٧٣
 غوان (ادوار) مؤلف ٥ ٧١

٢٠٤ ٢١٩ — ٢٢٧ ٢٢٥ —
 ٢٣٢ ٢٩١ ٣١٨ ٣٦٤ ٣٧٨
 عبدالله الدموجي (الدكتور) ٦ ٢٨١
 عبد الله سراج ٣٥١
 عبد الوهاب بن محمد بن سلمان (والد
 ابن عبد الوهاب ٢٦ ٢٧
 عتيبة (قبيلة) ١٧ ٧٤ ٨٣ — ٨٨
 ١١٥ ١٢٧ ١٣٩ — ١٥٧ ١٧١
 ١٨٣ ٢١١ ٢٣٦ ٢٩٩ ٣٠٢
 عجلان (الامير) ١١٠ — ١١٣
 العجان ٨ ٨٣ — ٩١ ١٠٥ ١١٦
 ١٣٨ ١٦٣ — ١٦٩ ١٧٧ ١٨٠
 ١٩٨ ٢٠٠ — ٢٠٦ ٢١٩ ٢٤٣
 عدن ٦٦ ٢٠٨ ٣٧٢ ٣٧٧ ٣٨٦
 العراق ٣١ ٤٢ ٥٠ — ٥٩ ٨٥
 ١٠٤ ١٢٣ ١٤٦ ١٥٩ ١٦٤
 ١٧٧ — ١٩٨ ١٩٥ — ٢١٦
 ٢٤٥ — ٢٥٦ ٢٧٤ — ٢٩٣ ٣١١
 ٣٤٧ ٣٨١ ٣٩٨ — ٤٠١
 عسير ٢٠ ٥٠ ٦٨ ٨١ ١٨٢ ٢٠٦
 ٢٦٨ — ٢٧١ ٣٠٨ ٣٤٢ ٤٠٥
 عشيرة ١٨ ١٠٩ ٢٢١ ٣٣٣
 العقبة ٣٠٩ ٣٦٤ — ٢٧٠ ٣٧٧ ٣٨٠
 العقير ٢ ٨ ١٢ ٨٤ ١٨٨ —
 ٢١٢ ٢٧٧ — ٢٩٠ ٣١٠ ٣٩٨

القطيف (ناحية) ٩ ٢٠ ٣٢ ٥١

٢٤٤ ٢٠٧١٩٠ ١٨٨ ٧٩

قنا (بلدة) ٧١

القنصلية (ماء) ٢٣١

القنفذة (اسكلة) ٦٨ ٢٧٢ ٣٤٢

ك ل

كابدة (ماء) ١٧٩

كاسب بن خزعل ٢٤٨

كاف (قرية) ٢٨٨ ٤٠١

كربلا ٥٤ ٢٧٧

كرة (جبل) ٣٠٢

كرد علي (محمد) ٥٢

الكرك ٥٨ ٢٨٩

كلايتن (السر جيلبرت) ٣٨١ ٣٩٨

الكندرة (بيدة) ٣٦٦ ٣٨٧

كهفة (قرية) ١٩ ١٣٢ ٢٣ ١٥٣

الكوت (الهفوف) ١٨٦ ١٨٨

الكويت ٢ ٧ ٥٠ ٨٣ ١٣٦

١٥٣ ١٦٣ ٢١٦ ٢٤٣

٢٩٦ ٣٠٨ ٣٢٥ ٤٠٨

الكوبعية (ماء) ١٧٤

لبده (عرب) ١١٨

اللاحيته (اسكلة) ٥٨

لندن ٤ ٢٣١ ٢٤٧ ٣١٥ ٣٢٣

نغري باشا ٢١٩

فلي ٧ ٢١٤ — ٣٣٤ ٣٢٣ ٢١٧

٣٦٠ ٣٤٨ — ٣٤٥ ٣٣٦

فلسطين ٥٨ ٢١٥ ٢١٨ ٢٩٢ —

٣٦٤ ٣٢٠ — ٣١٨ ٢٩٨

فؤاد الاول (ملك مصر) ٣٨١

فؤاد الخطيب ٢٩٨ ٣٢٢ ٣٥٠ ٣٧٩

الملك فيصل ابن الملك الحسين ٢١٠

٢٤٩ ٢٧٥ ٢٨١ ٢٩٠ ٣٤٧

فيضي باشا ١٣٢ — ١٣٤ ١٨٦

القاهرة ٥٨ ٦٧ ٧٥ ٢٠٦ ٢١٤

٢٤٩ ٣٦١ ٣٧٢

القبلة (جريدة) ٣٤٠

قبة (بلدة) ١٩ ١٦١ ٢٥٢

قحطان (قبيلة) ١٣ ١٣ ٥٥ ٨٣ — ٨٥

١٠٤ ١١٥ ١٢٢ ١٥٣ ١٦٩

٢٠١ ٢٣٦ ٢٧٠ ٢٩٩ ٣٦٧

القدس ٢٨٩ ٣١٩

قريات الملح ١٩ ٢٨٨ ٢٩٦

قرية (ماء) ٢٤٤ ٢٤٥

القصيم (ناحية) ٦ ١٩ ٣٥ ٥٤ ٧٠ —

٢٢٥ — ١٣٢ ١٢٨ ٨١ ٧٦

٢٥٠ ٢٩١ ٣٢٥ ٣٦٧ ٤١٢

قطر (ناحية) ٨ ٩٠ ٥٠ ١٠٠ ١٣٨

١٧٤ ١٩٠ ٢٠٣ ٢٧٣ ٤٠٨

١٥٦-١٦١ ١٩٦ ٢١٩-
 ٢٢٤ ٢٣٤ ٢٤٠ ٢٥١-
 ٢٥٤ ٢٦٠ ٣٤٢ ٣٧٥ ٣٨١
 المذنب (بلدة) ١٨ ٧٣^{١٥} ١٥٣ ٣٢٧
 مسقط ٨ ٥٧
 مسيلمة ١٦ ٢٥ ٢٣٢ ٢٣٣
 مصر ٥٩^{٥٥} - ٨٠ ٢٠٧ ٢٥٧
 ٢٩٢ ٣١٠ ٣٦١-٣٦٥ ٣٨١
 مصطفى عبد العال ٣٨١
 المصلوم ٣٣١
 مصوع ٣٧٢ ٣٧٧
 مطير (قبيلة) ٥٥ ٧٢ - ٨٩ ١٠٩
 ١١٩ ١٣٩ ١٥٣ ١٦٨-١٨٥
 ٢٣٥ ٢٤٤ ٢٥١
 معان ٣٧٨ ٣٨٠
 مكة المكرمة ٤ ١٢ ٣٥ - ٦٩
 ٨٢ ١٦٩ -- ١٨٣ ٢٠٦ ٢٠٨
 ٢٧١ ٢٩٣ ٣٠٠ - ٤٠٥
 المليده (وقعة) ٩٠ ١٢٢
 المناصير (عرب) ١١٩
 المنتفق (عشائر) ٣٥ ١٦٢ - ٢٧٥
 منشيء احسان الله ٣٨٠ ٣٨٥
 المنفوحة ١٥ ١٦ ٢٨ ٥١
 مور (مايجر) ٢٤٧ ٢٨٠ ٢٨٣
 الموصل ٥٤ ١٨٠ ٢٧٩ ٢٨٥

لينثمن (جولد) ١٨٤ ١٨٥
 الليث (بلد) ٣٤٢-٣٧٢ ٣٨٣
 ليلي (بلدة) ١٤ ١٧٥
 م
 مانجن لويس ٥
 ماع (جد آل سعود) ٥١
 المبرز (الحسا) ٢٠ ٥٦ ٩٠ ١٨٨
 الجمعة (بلدة) ٣٥ ٨٧ ١٢١ ١٥٢
 محمد السباعي ٣
 محمد بن سليمان (جد ابن عبد الوهاب)
 ٢٦
 محمد بك عبد الوهاب ٣٨١
 محمد علي (خديوي مصر) ٥٤ - ٨٠
 ٢٥٧ ٢٦٩
 محمد مصطفى المراغي ٣٨١
 محمد النحاس ٣٢٧
 محمد نصيف ٣٨٧
 المحمّرة ٩٦ ٢٤٨ ٢٧٧ ٢٩١ ٣٩٨
 المحمل (ناحية) ٧٧ ٨٧ ١١٥ ١٢٠
 محمود حمدي ٣٢٧
 المخا (اسكلة) ٢٦٩
 مداين صالح ٢٨٩ ٣٧٦
 مدحت باتنا ٢٠ ٨٤
 المدينة المنورة ٦٥ - ٢٥ ١٣٢ ١٤٨

وادي الرشا ٣٣٠ ٣٣١
 وادي الرمه ١٦ ١٢٥ ١٣١
 وادي السبيع ٢٢٥
 وادي السر ١٨ ٥٥ ٧٣ ١٣٩
 ١٤٦ ١٥٣ ٣٢٧
 وادي سرحان ١٩ ٢٨٩ ٢٩٦ ٤٠١
 وادي تهران ٢٦٨
 وادي فاطمة ٣٥٧
 وادي قحطان ١٥٢
 واحة جبرين ١٠٩ ١١٠ ١٨٤
 جورج والن (المستشرق) ٢٥٧
 الوجه ٣٦٧ ٣٧٦ ٣٩٠
 الوزيرية ٣٧٨ — ٣٨٠
 الوشم ١٣ — ١٨ ٣٤ ٥٢ ٧٣ —
 ٧٧ ٨٢ ٨٧ ١١٥ ١١٩ —
 ١٢٣ ١٧٢ ٢٢٥ ٣٢٧ ٣٣٠
 ونيت (السر ريجنيلد) ٣١٥
 ياطب (ماء) ٢١٨ ٢٥١
 اليامة ١٣ — ١٦ ٣٥ ٥١
 اليمن ٢٠ ٤٤ ٥٠ ٦٦ ٦٩ ١٣٢
 ١٩٨ ٢٦٨ ٣٦٧
 ينبع ٤١١
 ينبع النخل ٦٠ ٧١ ٣٦٦ ٣٩٠
 يوسف ياسين ٣٢٧ — ٣٢٩

ن ه

نابولي ن الثالث ٨٢
 نابليون بونايرت ٦٠ ٦٤ ٦٥
 الناصرية ٢١٥ ٢٧٦
 نجران ١٤ ٥٣ ٥٨ ٨٣ ٢٠١
 النجف ٢٥ ٢٣٢ ٢٥٣ ٢٧٧
 نولة بني مالك ٣٦٧ — ٣٦٩ ٣٧٣
 النزلة الياينة ٣٦٦ ٣٦٩
 نوكس (الكولونل) ٢٨٧ — ٢٨٩
 هاشم الرفاعي (السيد) ١ ٢
 الهدى ٣٠٠ — ٣٠٤ ٣١١ ٣٦٧
 هذيل (قبيلة) ٣٠٢
 هردينغ (اللورد) ١٩٧
 الهفوف ٢٠ ٥٦ ٩١ ١٨٦ ٢٠٣
 همذان ٢٠١
 هملتن (كولول) ٢١٤ ٢١٥
 الهند ١٩١ ١٩٧ ٢٤٧ ٣١٠ ٣٧٧
 هوغرت (دي. دجي) ٦٤ ٧٦ ٢١٣
 هولنده ٣٣١ ٣٥٧ ٣٧٨ ٣٩٠

وي

وادي حنيفة ١ — ١٤ ١٦ ٢٥ ٢٨
 ٣٤ ٥٢ ٧٣ ٨٤ ٣٨٨ ٤١٢